التّقليد والأعلميّة

والمرجعيّة الرّشيدة

الجزء الثّاني

*المجدّد السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر *تقليص دائرة الأعلميّة

*الشّياع المفيد للعلم أو الاطمئنان *الرّجوع إلى الأعلم في المسائل الدّينيّة

*مقدّمة لأدلّة تقليد الأعلم *الدّليل الفطريّ على تقليد الأعلم

*الدّليل العقليّ على تقليد ألأعلم *القرآن أساس استنباط الأحكام

*الفقهاء رواة الحديث *الفقيه الأعلم بالكتاب والسّنّة

*الجانب التّطبيقيّ عند الفقيه الأعلم *الدّليل العقلائيّ على تقليد الأعلم

*دليل أوثقيّة قول الأعلم *الرّوايات الدّالّة على الرّجوع إلى الأعلم

* الإجماع على تقليد الأعلم

*العدول من المرجع – وصيّته – إجازاته ووكالاته

الشّيخ محمّد أشكناني

الطّبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب على رقم

00965-99644250

آراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها

في الطبعة التّالية من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع الشّيخ محمّد أشكناني
www.alashkanani.com

YouTube
Ashkanani Channel

Instagram
@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف
mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا

وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(١٦)
المجدّد السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أردت أن أتكلّم في موضوع عن الإمام الكاظم عليه السّلام باعتبار مناسبة استشهاده في ٢٥ رجب ١٨٣ هـ ، وعظّم الله لكم الأجر ، وبدأت التّحضير ، ولكن بعد ذلك توقّفت ؛ لأنّ حياة كلّ إمام من الأئمّة عليهم السّلام لا بدّ من أن يُنْظَرَ إليه من خلال خطّ الإمامة ، فنحتاج أوّلًا إلى طرح موضوع عن (معالم الإمامة وأهدافها) ؛ حتّى بعد ذلك يمكننا أن نتناول حياة كلّ إمام من الأئمّة عليهم السّلام ؛ لكي نرى بأنّهم ماذا حقّقوا كأهداف مرحليّة لأجل الوصول إلى الهدف النّهائيّ لخطّ الإمامة ، وخطّ الإمامة مرتبط بالنّبوّة ، والنّبوّة

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٦ رجب ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٥/١٥ م .

مرتبطة بالتّوحيد ، فنحتاج إلى موضوع كامل عن الإمامة ؛ لكي نصل إلى التّحقيق في حياة كلّ إمام من الأئمّة عليهم السّلام ، ولكلّ إمام هدف مرحليّ ودور معيّن في ظلّ ظروفه الموضوعيّة الّتي كان يعيشها ، ولا بدّ من أن نربط هذا الدّور مع أدوار باقي الأئمّة عليهم السّلام حتّى يمكننا أن نصل إلى الصّورة الكاملة للإمامة ، لذلك أؤجّل هذا الموضوع إلى محاضرات قادمة بعد أن ننتهي من بحث (التّقليد والأعلميّة) ؛ لكي نتناوله بشكل تفصيليّ .

نرجع إلى بحث التّقليد والأعلميّة :

كان آخر الكلام أنّ البعض يضع لنفسه مجموعةً من الألقاب ، وهذه الألقاب إذا لم تكن مُعَبِّرَةً عن واقعه فلا قيمة لها ، فحينما نقول إنّ فلانًا فقيه فإذا لم يكن فقيهًا واقعًا فهذا اللّقب لا ينفعه بشيء ، بل على العكس فإنّ هذا اللّقب يكون حجّةً عليه لا حجّةً له ، فإذا ادّعى الاجتهاد أو المرجعيّة فهذا اللّقب سيحاسَب على أساسه في عالم البرزخ وفي يوم القيامة باعتبار أنّه إذا ادّعى المرجعيّة فإنّه يدّعي نيابة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشّريف ، وادّعاء نيابة الإمام عليه السّلام معناه الوكالة العامّة عنه عليه السّلام .

وإذا ادّعى شخص الاجتهاد أو المرجعيّة فالمؤمنون لا بدّ من أن يتحقّقوا من اجتهاد أيّ شخص أو مرجعيّته بالطّرق المتّبعة في الحوزات العلميّة ضمن خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، ولا يكتفي بادّعاء الشّخص ، وخاصّة في زماننا ، وفي الأزمنة السّابقة لم توجد مثل هذه

الادّعاءات ؛ لأنّ العلماء في تلك الأزمنة كانوا يهربون من الفتيا كما يهربون من الأسد ، وكانوا يرون أنّ المرجعيّة تكليف ومسئوليّة ، وأنّ مصير المؤمنين بأيديهم ، وهذه مسئوليّة عظيمة ، وفي زماننا نسأل : ما الّذي يحصلون عليه من هذه المسئوليّة ؟ هل فقط أنّ كلمة (آية الله العظمى) كلمة جميلة ؟

هي كلمة فيها مسئوليّة ، وعبارة عن تكليف لا تشريف ، وشخص يطلق عليه (آية الله العظمى) يدخل إلى مجلس والنّاس يضجّون بالصّلوات على النّبيّ وآله ، وبعد ذلك على ماذا يحصل ؟ هل هي تشريفات فقط ؟

وطالب الحوزة إذا كان لا يبذل جهده في الدّراسة فهو لا يستحق لقب (طالب علم) ، والرّوايات الّتي تقول بأنّ الملائكة تفرش أجنحتها لطالب العلم ، أي لطالب العلم الحقيقيّ ، وإذا ذهب شخص إلى الحوزة ولم يبذل جهده في طلب العلم فواقع هذا اللقب لا يستحقّه ، ويظنّ أنّ الملائكة تكون في خدمته ، الملائكة تكون في خدمة الشّخص الّذي ينطبق عليه هذا الوصف والعنوان وهو (طالب العلم) ، وإذا لم ينطبق عليه فلا يحصل على هذه المميّزات ، والرّواية تقول بأنّ الحيتان في البحار تدعو لطالب العلم ، هذا إذا كان طالب علم حقيقيّ ، فإنّه يحصل على هذا المقام ، والعلماء لم يكونوا يسعون إلى تحصيل المقامات بين النّاس ، بل كانوا يشعرون بالمسئوليّة أمام الله عزّ وجلّ .

وطالب الحوزة تكليفه أن يَدْرُسَ ، ولا يفكّر أنّه بعد ذلك يصبح آية الله العظمى أو لا يصبح ، فالطّالب في أوّل سنة المطلوب منه أن يدرس الرّسالة العمليّة وقطر النّدى ومنطق الشّيخ المظفّر وغيرها ، وفي هذه السّنة تكليفه أن يدرس هذه الكتب ، ولا يفكّر أنّه بعد عشر سنوات يكون جالسًا في بحث الخارج ، وفي السّنة الثّانية تكليفه أن يدرس كتب المرحلة الثّانية ، هذا بالنّسبة لطالب الحوزة .

وطالب المدارس عليه تكليف أيضًا ، ونشير إلى هذا الموضوع لأهمّيّته ، الطالب في المدرسة أو المعهد أو الكلّيّة أو الجامعة تكليفه أن يؤدّي دوره ، فإذا كان طالبًا جامعيًّا فلكي يستحقّ هذا اللّقب لا بدّ من أن يبذل جهده لا أنّه في كلّ يوم يذهب إلى الجامعة ويرجع من الجامعة فقط بدون أن يدرس ويراجع دروسه ، فتكليفه أن يدرس الكتاب الموجود بيده بشكل جيّد ، وتكليفه أن يحصل على الدّرجة النّهائيّة ، نعم قد لا يحصل على الدّرجة النّهائيّة ، ولكنّه أدّى تكليفه وبذل جهده في الدّراسة ، لذلك لا يستهين ويقول : أنا في المدرسة ولا تكليف عليّ .

نقول : المطلوب منك تكليف معيّن ، حتّى لو لم يكن على نحو الوجوب ، فعلى الأقلّ هو مطلوب منك على نحو الاستحباب .

وتوجد روايات تتحدّث عن إتقان العمل .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : إذا عمل أحدكم عملًا فَلْيُتْقِنْ [١] .

---

[١] الكافي ج٣ ص٢٦٢ ح٤٥ .

إتقان العمل تكليف الإنسان ، وأيّ عمل يكون بيد الإنسان لا بدّ من أن يتقنه ، أي يؤدّيه على أفضل وجه ، نعم قد تكون هناك موانع كأن يكون مريضًا ، ولكنّ الأصل أن يبذل جهده ، وفي حالة الموانع يحاول بذل أقصى جهده ، وبعض الموانع قد تحصل للإنسان ، ولكنّ الأصل هو أنّ الإنسان في أيّ موقع كان عليه تكاليف معيّنة .

إذا قلت عن نفسك إنّك مؤمن فعليك مجموعة من التّكاليف ، ومن يكون فقيهًا عليه مجموعة من التّكاليف ، ومن يكون مرجعًا للأمّة عليه مجموعة من التّكاليف ، وكلّما صعد الإنسان في المناصب الدّينيّة تكليفه يكون أكبر ، والشّخص المتصدّي يختلف عن الشّخص غير المتصدّي ، المتصدّي عليه تكاليف أكثر .

والشّباب في الدّورات الشّبابيّة عليهم تكاليف معيّنة ، وما دام أنّك دخلت في الدّورة فلا بدّ من أن تلتزم ببرامجها ومواعيدها وتتقن الأعمال الموكلة إليك ، وفي الدّورة المسئول تكاليفه أكبر من المشارك لأول مرة ، ومن لا يريد أن يؤدّي التّكاليف فلا يضع نفسه في هذا الموضع ، إذا كنت لا تريد أن تبذل جهدك في الجامعة فلا تدخلها ، وابحث عن وظيفة واعمل ، وإذا عملت فعليك تكاليف معيّنة أيضًا ، فالإنسان في أيّ موقع يكون وفي أيّ زمان يكون وفي أيّ مجال يكون عليه مجموعة من التّكاليف ، فإذا كان في موقع معيّن فعليه أن يحدّد تكاليفه ثمّ يؤدّيها على أكمل وجه ، وإذا لم يأت بالتّكاليف على أكمل وجه فهو مُقَصِّرٌ .

وكذلك من يقول عن نفسه إنّه مرجع إذا لم يكن مؤهَّلا لهذا المنصب فمعنى ذلك أنّه لا يستحقّه ، فلا يدخل في هذه الدّائرة ، وعلى المؤمنين أن يتحقّقوا من صحّة قوله حينما يقول بأنه مجتهد أو مرجع ، ولا ينخدعوا بالدّعايات والإعلانات ، وكلّ يوم يرى صورته وكلماته وخطبه ، فيظنّ أنّه مرجع حقيقيّ من مراجع الأمّة .

هل هو فعلًا مرجع من خطّ المرجعيّة الرّشيدة أو هو خارج هذا الخطّ ؟

وهل هو من مراجع الأمّة أو من مراجع التّيّار ؟

لا بدّ من أن يحقّق في الموضوع جيّدًا ، فإذا قلّد مرجعًا فعليه أن يتأكّد أنّه من خطّ المرجعيّة الرّشيدة ؛ لأنّه ستترتّب على ذلك تبعات معيّنة ، وإذا كان تقليده باطلًا فأعماله تكون باطلةً إلّا بشروط معيّنة كما ذكرنا سابقًا ، والأمر ليس أمرًا سهلًا .

يأتي شخص ويقول : أقلد أيّ مجتهد .

وتستغرب من طلبة أمضوا سنوات طويلة في الحوزة وآخر شيء يقول : لا تشترط الأعلميّة في التّقليد ، ويمكنك أن تقلّد أيّ مجتهد .

أنت طالب حوزة ، والمفروض أنّك تعرف هذه الأمور من أوّل سنة تدرس فيها الرّسالة العمليّة ، يجب تقليد الأعلم على نحو الفتوى أو على نحو الاحتياط الوجوبيّ ، وقضيّة الأعلميّة من الأمور الواضحة والبديهيّة عند كلّ إنسان ، وحينما نأتي إلى أدلّة وجوب تقليد الأعلم سأبيّن أنّه أمر بديهيّ فطريّ وعقليّ عند كلّ إنسان ، وعلى أساس

نفس القاعدة يعتقد الإنسان بالله تعالى .

إذن :

دور المؤمن أن يتحقّق من كلّ ادّعاء بالاجتهاد أو المرجعيّة ، ولا يقبل مباشرةً ، ولا بدّ من أن تكون عندنا دقّة أكبر في تقييم الأشخاص حينما يدّعي الاجتهاد ويخرج ورقة يدّعي أنّها تثبت اجتهاده ، وهذه الورقة خذ منها صورةً وابعثها إلى مكتب المرجع حتّى تعرف نوع الإجازة ، وأنّها صحيحة أو مُزَوَّرَة .

مثلًا شخص عمله بقّال أو خبّاز ، مع احترامنا الشّديد لهذه الوظائف ؛ لأنّ هذه الوظائف فيها خدمة أفراد المجتمع ، ولا تنقص من قيمة أصحابها ، والمجتمع يحتاج إلى البقّال والخبّاز ، والوظائف الّتي يحتاجها المجتمع تكون على نحو الوجوب الكفائيّ ، فالبقّال والخبّاز لا بدّ من أن يؤدّيا دورهما وتكليفهما ؛ لأنّ حاجات النّاس لا بدّ من أن تُقْضَى ، فإذا التفت الخبّاز إلى أنّه يؤدّي دورًا ويقوم بتكليفه قربةً إلى الله فيحصل على ثواب ، فهو يقف أمام حرارة التّنّور ويخدم النّاس ، ولكن عادةً من يذهب إلى الوظيفة لا يلتفت إلى التّقرّب إلى الله بوظيفته وعمله ، وتمضي سنوات من عمره وهو غير ملتفت إلى نيّة التّقرّب .

والطّالب في المدرسة أو الجامعة أو الحوزة أو الموظّف في أيّ عمل يمكنه أن يقول : (أدرس قربةً إلى الله) ، أو (أعمل قربةً إلى الله) .

ولا أظنّ أنّه يوجد طالب في المدرسة أو موظّف في عمله يلتفت

إلى مسألة نيّة التّقرّب إلى الله إلّا شخصًا يكون من النّوادر في العالم ، فكلّ من يخدم المجتمع ويتقرّب إلى الله يحصل على ثواب ، وبدل أن يكون نظره إلى المعاش فقط في آخر الشّهر ، وهو في مكان عمله لسنوات طويلة وعدّاد الثّواب ثابت لا يتحرّك ، مع أنّه بكلّ سهولة يمكنه الالتفات إلى أنّ هذا العمل على نحو الوجوب الكفائيّ – يقوم بهذا العمل متقرّبًا إلى الله فيحصل على ثواب ، ولا بدّ من أن يكون الإنسان ملتفتًا إلى الله في جميع أعماله وخطواته .

ومن النّادر أن يلتفت الطّالب والعامل إلى نيّة التّقرّب إلى الله ، وكذلك الزّوج والزّوجة والأولاد يمكنهم أن يتقرّبوا إلى الله ، وكلّ إنسان في موقعه ومجاله يمكنه التّقرّب إلى الله ، وإذا التفت إلى الله في كلّ تحرّك يقوم به فمعنى ذلك أنّه يحصل على ثواب في كلّ عمل يؤدّيه حتّى الأعمال العاديّة ، تذهب لتشتري طعامًا لزوجتك وأولادك ، يمكنك أن تتقرّب بهذا العمل إلى الله ، فترجع إليهم وتدخل في قلوبهم السّرور فتحصل على ثواب ، وحينما تشتري لعبةً لطفلك قل : أشتري قربةً إلى الله تعالى .

والأطفال ينظرون إلى آبائهم كأنّهم يرزقونهم .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : أحبّوا الصّبيان وارحموهم ، فإذا وعدتموهم ففوا لهم ؛ فإنّهم لا يرون إلّا أنّكم ترزقونهم [1] .

ابنك يراك أنّك ترزقه ؛ لأنّ الطّفل الصّغير لا يعرف الله ، فأنت

---

[1] بحار الأنوار ج١٠١ ص٩٢ ح١٤ .

الرّازق بالنّسبة له ، فكلّ عمل يؤدّيه الإنسان يتقرّب به إلى الله ، وبذلك تجعل عدّاد الثّواب متحرّكًا دائمًا حتّى في نومك ، تنام قربةً إلى الله ، وتحتاج إلى راحة ؛ لأنّه يوجد عندك برنامج لليوم التّالي ، وتريد أن تؤدّيه فلا بدّ من أن ترتاح ، ويكون برنامجك قربةً إلى الله ، فتحصل على ثواب دائم ، وليكن نصب أعيننا دائمًا أنّ الأعمال الّتي نقوم بها - حتّى لو كانت أعمالًا عاديّةً - نجعلها قربة إلى الله ، وهذا الأمر مهمّ جدًّا ، ويمكنك أن تجعل حياتك كلّها قربةً إلى الله تعالى .

نرجع إلى موضوعنا :

لنفرض أنّ عمله بقّال أو خبّاز ، ونعلم أنّه يكون من الصّباح إلى المساء في عمله ، ويعترف أنّه لم يقرأ في حياته كتابًا واحدًا ، ولا يعرف شيئًا عن العلوم الحوزويّة ، وبالتّالي لا يمكنه أن يصل إلى درجة الاجتهاد واستنباط الحكم الشّرعيّ ، ولا تتوقع أنّه بعد فترة قصيرة يقول عن نفسه إنّه مجتهد أو مرجع ، فنسأل :

هل من الممكن أنّ مثل هذا الشّخص الّذي نعلم بأنّ ذهنيّته بسيطة أن يصل إلى درجة الاجتهاد بهذه السّهولة ؟

في زماننا ممكن ؛ لأنّه يوجد أشخاص لم يذهبوا إلى الحوزة وصاروا مراجع وآيات الله العظمى ، وانتشرت صورهم وطبعوا رسالة عمليّة ، وهذا هو زماننا ، ولكن نقول إنّ مثل هذا الشّخص لا يمكن أن يصل إلى هذه الدّرجة ؛ لأنّ الوصول إلى درجة الاجتهاد والمرجعيّة ليس عملًا سهلًا ، وإنّما يتطلّب وقتًا طويلًا من الدّراسة والبحث

والتّحقيق ، ومن يقول عن نفسه إنّه مجتهد فمعناه أنّه درس مجموعةً من العلوم وأتقنها ، ويكون متمكّنًا من التّطبيق ، والعمليّة ليست سهلةً ، والحديث ليس عن المسائل التّقليديّة المعروفة ، ولكنّ التّطبيق يظهر في المسائل المستحدثة المعقّدة ، كالاستنساخ والتّلقيح الصّناعيّ .

وإذا لم يكن الشّخص متمكّنًا من القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة وقواعد الاستنباط فلا يمكن أن يعطينا الحكم الشّرعيّ ، وحينما تأتي المسألة المستحدثة إلى المجتهد فهو لا يضع يده على خدّه ويفكّر ، بل لا بدّ من أن يبحث في الأدلّة عن الجواب وأنّه يجوز أو لا يجوز ، كأنّه يقول للنّاس إنّ هذه الفتوى حكم إلهيّ ، وهو مسئول أمام الله عن هذا الحكم ، هو ليس رأيًا شخصيًّا بحيث يقول : أنا أرى أنّه رأي مناسب .

هذا يكون من باب الاستحسان ، ويأتي في الآراء الشّخصيّة ، وأمّا هنا فهو يريد أن يبيّن الحكم الإلهيّ ، والاستحسان لا يوجد في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، بل كلّ حكم لا بدّ له من دليل ، وفي بعض المسائل الشّرعيّة يقول أحد العلماء بأنّه يظلّ مدّة شهر وهو يبحث عن الحكم ؛ لكي يقول بعد ذلك أنّه يجوز أو لا يجوز ، تسأل : وهل يأخذ كلّ هذه المدة ؟

نقول : نعم قد يأخذ شهرًا بل حتّى أكثر من شهر ، وخاصّة في المسائل المستحدثة ، فحينما تصل رسالة الاستفتاء إلى الفقيه عن

حكم الاستنساخ مثلًا فأوّلًا لا بدّ من أن يعرف معنى الاستنساخ ، ولا بدّ من أن يسأل الأطبّاء عنه ، وقد يحتاج إلى الشّرح عدّة مرّات وخاصّة إذا لم يكن الفقيه من الطّلبة الجامعيّين ، أو قد يكون من طلبة الجامعة ، ولكن لا يوجد عنده اطّلاع على المسائل الطّبّيّة ، والطّبيب يبيّن له الخليّة والنّواة ، وبعد التّفصيل يتصوّر الفقيه الموضوع أوّلًا ، وبعد ذلك يبحث في الأدلّة ليرى أنّ الاستنساخ يجوز أو لا يجوز ، والتّلقيح الصّناعيّ من رجل أجنبيّ يجوز أو لا يجوز ، يعني امرأة متزوّجة هل يجوز أن تُلَقَّحَ بماء رجل أجنبيّ أي غير زوجها ، وأنت مباشرةً تقول بأنّه لا يجوز ، وطبعًا الفقيه يبحث ، وفي البداية قد لا تتقبّل النّفس أنّه يجوز ، ولكنّ الفقيه يبحث ، وبعد ذلك يعطي الحكم ، ولنفرض أنّه قال بالجواز ، والجواز لا يعني أنّ المرأة تفعله ، وقد يقول بالحرمة ، والأمر المهمّ هو : ما هو دليل من يقول بالجواز ؟ وما هو دليل من يقول بالحرمة ؟

لا فقط أنّ نفسي لا تتقبّل إذن لا يجوز ، فالأحكام الشّرعيّة لا تدور مدار ما تتقبّل النّفس أو لا تتقبّل ، قد لا تتقبّل النّفس الذّهاب إلى الحجّ ، وقد لا تتقبّل مناسك الحجّ ، ولكنّ الحكم يثبت عن طريق الدّليل ، وهذا يحتاج إلى بحث طويل ، وبعد ذلك يعطينا الفقيه الحكم الشّرعيّ ، والعمليّة ليست سهلةً .

ويمكن أن يقال للبقّال : فرّغ نفسك واذهب إلى الحوزة وادرس مدّة سنة أو سنتين وارجع لنا مجتهدًا ، ونحن مستعدّون لتقليدك .

نقول إنّ هذا غير ممكن ، شخص يذهب إلى الحوزة ويدرس سنة أو سنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس سنوات ، ويرجع إلى بلده وهو يحمل شهادة اجتهاد ، هذا مستحيل حتّى لو كان من الطّلبة الجادّين ، وفي زماننا لا نتكلّم عن الاستثناءات ، مثل الشّيخ الرّئيس ابن سينا الّذي كان نابغةً منذ أن كان طفلًا ، وكان يناقش أستاذه في العقائد أو في الفلسفة ، والعلّامة الحلّيّ الّذي وصل إلى درجة الاجتهاد حينما كان عمره اثنتي عشرة سنة ، يعني كان يستنبط أحكامًا شرعيَّة ، والآن أطفالنا ماذا لديهم وماذا يعرفون ، لحدّ الآن يلعب سوني ويشاهد الرّسوم المتحرّكة ، تصوّر طفلًا جالسًا بين الكتب ويبحث عن الأدلّة ويستنبط الأحكام ، وفي قصص بعض العلماء أنّهم كانوا يدرّسون بعض الكتب الصّعبة وأعمارهم صغيرة ، وأحد العلماء كان يُدَرِّسُ كتاب مختصر المعاني في البلاغة وعمره تسع سنوات ، وأمامه طلبة رجال ، هذا استثناء ، والسّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر الّذي وصل إلى درجة الاجتهاد وعمره عشرون سنة ، هؤلاء استثناءات ، والله يعطيهم ويسدّدهم ، وهم يستفيدون من الطّاقات الموجودة عندهم .

والله عزّ وجلّ أعطى كلّ إنسان طاقات ، ولكنّ النّاس لا يعرفون كيف يستفيدون من الطّاقات الموجودة عندهم ، وكلّ شخص عنده طاقات ، والإنسان في مجتمعاتنا لا تُعْطَى له قيمة ، مثلًا إنسان معاق أو صاحب الاحتياجات الخاصّة لا يعطى قيمة ، هو أصلًا يحسّ أنّه

ناقص مكسور ، ولا يحاول أن يثبت شيئًا ، والمجتمع يتعامل معه أنّه مكسور ، ولا يعطونه أيّ قيمة ، مع أنّ لديه طاقات ، والله يسلب شيئًا ويعطي شيئًا آخر بالمقابل ، مثل الأعمى لا يرى بعينيه ، ولكن سمعه قويّ وذاكرته قويّة ، ويمكنه أن يحفظ القرآن أسرع من غيره ، وكلّ إنسان عنده طاقات لا بدّ له من أن يكتشفها .

ومن ميزات المجتمع الغربيّ أنّه يستفيد من الطّاقات البشريّة ، وللأسف أنّ مجتمعاتنا لا تستفيد من طاقات أفرادها ، مثلًا شخص تقاعد يفكّر بمشروع يجني له أموالًا ، فيذهب إلى البورصة أو إلى العمل في مكان آخر ، فيظلّ همّه هو المال ، مع أنّه الآن تقاعد والمال موجود عنده ، والمفروض أن يتفرّغ لأمور أخرى لم يستطع إنجازها سابقًا .

وفي الغرب يتقاعد الإنسان من وظيفته ثمّ يخدم في المجتمع ، مثلًا يمسكون لوحات (قِفْ) حين وقوف باصات المدارس ونزول الأطفال إلى بيوتهم ، وتراهم دائمًا من العجائز ، وإلى آخر عمره يعمل ، ويستفيدون من هذه الطّاقات .

والطّلبة في المدارس يقسّمونهم إلى مستويات ، والطّلبة الّذين يرسبون دائمًا يفتحون لهم صفوفًا خاصّة ، ويعطى بقدرهم ، ويستفاد منه في المستقبل ، وبعض الأعمال لا تحتاج إلى ذهنيّة قويّة ، مثلًا صبّ الشّاي وتوزيعه لا يحتاج إلى ذكاء ، وحارس البناية يدرس أربع سنوات في الجامعة ، لا فقط يجلس ويحرس عند الباب ، لا بدّ من أن يعرف

الإسعافات الأوّليّة ، وإذا حصلت حالة طوارئ في المبنى يعرف كيف يتصرّف ، وهذا كلّه يتعلّمه في الجامعة ، وعندنا يضعون إعلانًا في الجريدة ويطلبون حارس لمبنى ، ويعطونه لباسًا رسميًّا ، ويجلس عند الباب ، وإذا حصل طارئ كحريق لا يعرف كيف يتصرّف ، هناك بعض الأمور تحتاج إلى تخصّص ، وهذه ميزة للغرب ، ويمكننا الاستفادة منها ، ولكنّ المشكلة أنّ المسلمين يستوردون من الغرب ما يضرّهم ، ولا يأخذون منهم ما يفيدهم ، وترون أنّ الشّباب يأخذون قصّات الشّعر من الغرب ، ويلبسون لباسًا معيّنًا ، ويقلّدون هذا المطرب وذاك الممثّل في هذه الأمور ، ولكنّهم لا يقلّدون العلماء والمفكّرين والمثقّفين ، وهذه ظاهرة عامّة موجودة في مجتمعاتنا ، وليس كلُّ شيءٍ موجودٍ في الغرب يعتبر سيّئًا ، توجد عندهم ميزات جيّدة يمكن الاستفادة منها ، والمفروض أن تكون الميزات الجيّدة في مجتمعات المسلمين ؛ لأنّ الإسلام موجود عندنا ، والإسلام يقول لك بأنّه لا بدّ من أن تكون في القمّة ، وأن يكون المسلمون أفضل النّاس على الأرض .

وفي برنامج تلفزيونيّ يذهب المقدِّم إلى اليابان ويضع محفظته في الحديقة ، واليابانيّ لا يسرق الأموال ، بل يأخذ المحفظة إلى مركز الشّرطة ، ويقوم المقدِّم بنفس العمل في الدّول العربيّة المسلمة فيسرقون المحفظة ، وأحدهم يقول بأنّها محفظته ، والتّلفاز اليابانيّ عرضوا هذا البرنامج ، وضحك اليابانيّون على المسلمين ، وللأسف أنّ هذه هي

مجتمعات المسلمين ، لا يوجد حقّ وباطل ، حتّى في السّوق بعض التّجّار يقولون بأنّهم لا يتعاملون مع المسلمين ، ويتعامل مع البوذيّ لأنّه ثقة أكثر من المسلم ، والتّجّار في السّوق يعرفون هذا الأمر ؛ لأنّ هؤلاء المسلمين لا يقومون بتكليفهم ، ولو كانوا يقومون بتكليفهم لما وصلوا إلى الحدّ الّذي يقتل فيه المسلم أخاه المسلم باسم الإسلام ، والأفكار الإرهابية تكون بسمة الدّين ، ويأتي السّؤال : لماذا وصل المسلمون إلى هذا الحال ؟!

لا فقط أنّ الحاكم يكون مسئولًا عن مشاكل الأمّة ، وحتّى المسلمون عليهم مسئوليّة ، ولا يصير حاكمًا ظالما إلّا أن يكون عنده أعوان من المسلمين ، وهؤلاء الّذين يقتلون وينحرون اسمهم (مسلمون) ، ويقومون بجميع الأعمال الإرهابيّة باسم الإسلام ، وكلّه بسبب أنّ المسلمين لا يقومون بمسئوليّاتهم ، وهذا الكلام موجّه لجميع المسلمين ، فأوّلًا لا بدّ من أن يحدّد كلّ مسلم مسئوليّاته ، وبعد ذلك يقوم بتنفيذ هذه المسئوليّات ، في أيّ موقع كان ، وكان حاكمًا أو محكومًا ، والزّوج والزّوجة والولد ، والعامل والخبّاز والطّالب والموظّف ، لا بدّ من كلّ واحد أن يحدّد مسئوليّاته ، ومن ثمّ يؤدّي كلّ شخص المسئوليّات الملقاة على عاتقه .

إذن :

لا نتكلّم عن الاستثناءات ، بل نتكلّم عن الطّريق الطّبيعيّ الّذي يسلكه طالب العلم حتّى يصل إلى درجة الاجتهاد ، فيذهب إلى

الحوزة ، ويدرس مجموعةً من العلوم ، ويحتاج في الوضع الطّبيعيّ إلى تسع إلى عشر سنوات من المقدّمات والسّطوح ، وبعد ذلك يدخل إلى بحث الخارج ، وفي بحث الخارج لا بدّ من أن يبذل جهده في البحث والتّحقيق ، لا فقط يسمع درس الأستاذ المجتهد ثمّ يذهب إلى البيت ولا يفعل شيئًا ، ويأتي في اليوم التّالي ويسمع الدّروس فقط ، والمفروض حينما يأتي إلى البيت يراجع كلّ ما أخذه في الدّرس ويحقّق في كلّ كلمة قالها الأستاذ ، وحتّى الدّليل الّذي ذكره الأستاذ يبحث فيه ليرى أنّ هذا الدّليل صحيح أو لا ، وبهذه الطّريقة يكون الطّالب مؤهَّلًا فيما بعد لأن يكون فقيهًا مجتهدًا ، وأمّا أنّه يسمع الدّروس فقط ، ويرجع إلى البيت ، وفي اليوم التّالي يذهب إلى الدّرس ، وهكذا لمدّة عشر سنوات أو عشرين سنة أو ثلاثين سنة ، هذا لا يؤهّله لأن يكون فقيهًا ، ولكي يصير مجتهدًا يحتاج إلى كلّ هذا البحث والتّحقيق ، وبعد ذلك يعدّ تقريرات أستاذه مع تعليقاته عليها ويقدّمها إلى أستاذه ، وليس من المعقول أنّ الطّالب من أوّل حياته العلميّة في الحوزة إلى بعد ثلاثين وأربعين سنة لا يوجد عنده أيّ تعليق على أيّ كتاب ، ولا أيّ تعليق على دروس أساتذته ، وإذا كان طالبًا في بحث الخارج فلا يعقل أنّه يوافق على جميع آراء أساتذته ، وهذا لا يستحقّ أن يكون طالب بحث خارج ، كلّ كلمة لا بدّ من أن يحقّق فيها ، حتّى يرى بأنّ ما طرحه الأستاذ كان ضمن الأدلّة أو لا ، قد يكون عند الأستاذ مبنى وقاعدة معيّنة ، وهو لا بدّ من أن يحقّق في

هذا المبنى وهذه القاعدة ليرى أنّها صحيحة أو لا ، وهذه الرّواية صحيحة أو لا ، وإذا كانت صحيحة هل يمكن الاعتماد عليها أو لا ، وإذا كانت ضعيفة هل يمكن الاعتماد عليها أو لا .

ومناهج الاستنباط مناهج مختلفة ، في المنهج السّنديّ يرجعون إلى السّند ، ويوجد منهج السّند مع المتن ، فلا بدّ من أن يحدّد أوّلًا المنهج الّذي يتبنّاه ، وفي البداية لا يتبنّى طالب العلم شيئًا ، فيبحث على جميع المناهج ، وبعد ذلك إذا أراد أن يكون مجتهدًا فلا بدّ من أن يحدّد المنهج والمباني والقواعد الّتي يسير على أساسها ، ونتائج المناهج والمباني والقواعد المختلفة تكون نتائج مختلفة حتّى في استنباط الأحكام ، فبناءً على المنهج السّنديّ الرّواية الضّعيفة سندًا لا يؤخذ بها ، ولكن بجمع المتن مع السّند قد يصحّح المتن فيعتمد على هذه الرّواية الضّعيفة سندًا ، فالأوّل لا يوجد عنده دليل ، والثّاني عنده دليل ، وتختلف النّتيجة ، والحكم الّذي يستنبطه الأوّل يختلف عن الحكم الّذي يستنبطه الثّاني ، ويحاول أن يصل إلى المنهج الّذي يكون فيه رضا لله عزّ وجلّ ، وعلى أساس هذا المنهج يستنبط الأحكام .

إذن :

من يكون ضمن وظيفة بسيطة لا يمكن أن نتوقّع منه أنّه خلال سنوات قليلة يأتي ويدّعي الاجتهاد والمرجعيّة ، ولكن في زماننا هذا حاصل ، شخص لا يوجد عنده علم يطبع رسالة عمليّة ويكتب عليها (آية الله العظمى فلان الفلانيّ) ، وسيجد له بعض المقلِّدين ،

هـو ادّعـى الاجتهـاد والمرجعيّـة ، والمصيبة العظمـى أنّـه يحصـل علـى مقلِّدين حتّى لـو كـان العـدد قليلًا ، ولا أعـرف كيـف يحصـل علـى مقلِّدين ، لأنّهم يتقبّلون أيّ شيء ، فيتقبّل أن يكون الجاهل مرجعًا له ويأخـذ الأحكـام منـه ، وقـد ينتقـل مـن مـدّعي مرجعيّـة إلى مـدّعي مرجعيّة آخر ، ترك مـن يدّعي المرجعيّة ، وذهـب إلى شـخص آخـر يدّعي المرجعيّة ، بدل أن يصحّح مسيرته الّتي كان يسير فيها سابقًا ، وينتقل من شخص إلى آخر ويترك المراجع المعروفين بأنّهم ضمن خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، هـذا المرجع معروف ومشـهور ، ولا يوجد فيه أيّ شكّ ، فتترك المعلوم إلى المشكوك ، أيّ عقل هذا ؟!

إذا كـان عندك عقـل وأنـت تقطـع بعـالم معيّن وأنّه مرجع والعلمـاء يشهدون بمرجعيّته ، كيف تتركه وتذهب إلى شخص آخر مشكوك في أمره ؟!

والشّخص الّذي لا توجد عنده شهادات اجتهاد من العلماء ونعلم أنّه لم يقرأ كتابًا في حياته ولا عنده مؤلّفات يكون قطعًا خارجًا عن دائرة الأعلميّة بل خارج عن دائرة الاجتهاد .

لنأخذ مثالًا واحدًا للمجدّد الحقيقيّ ، وهو آية الله الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه ، كـان تلميذًا عنـد السّيّد الأستـاذ المحقّـق السّيّـد الخـوئيّ رضـوان الله عليـه ، وأشـاد بـه أسـتاذه كثيرًا ، وفي كتبه كثيرًا ما يكرّر السّيّد الشّهيد عبارة (السّيّد الأستاذ) ، ويقصـد أسـتاذه المحقّـق السّـيّد الخـوئيّ رضـوان الله عليـه ، وينقـل أنّ

السّيّد الخوئيّ حينما يريد أن ينزل من السّيّارة كان السّيّد الشّهيد يسرع ليفتح باب السّيّارة لأستاذه ، وكلاهما كانا مجتهدَيْنِ ومرجعَيْنِ من مراجع الأمّة من خطّ المرجعيّة الرّشيدة في زمانهما ، ومن يطعن في مراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة فهو خارج عن هذا الخطّ ، ولو كان ضمن نفس الخطّ لما طعن في شخص موجود في نفس الخطّ ، فالمنتمون لخطّ واحد لا يطعن أحدهم في الآخر ولا يتّهمه بشيء .

والسّيّد الشّهيد رضوان الله عليه مجدّد حقيقي ؛ لأنّه أتى بنظريّات جديدة في أصول الفقه ، ووجود النّظريّات الجديدة في علم الأصول معناه أنّ الأحكام الّتي يستنبطها تختلف عن استنباط العلماء الّذين عندهم مبانٍ وقواعد وأصول أخرى ، فالنّظريّات الجديدة في الأصول يظهر أثرها في الفقه العمليّ واستنباط الأحكام الشّرعيّة العمليّة ، والسّيّد الشّهيد رضوان الله عليه عنده المؤلّفات القيّمة في الفكر الدّينيّ .

وهذا مثال للمجدّد الحقيقيّ في عصرنا الحاليّ ، والعلماء يشهدون بأنّ الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر قدّس سرّه له نظريّات جديدة في الفقه والأصول ، وقد كتب في الفلسفة والاقتصاد والفكر الدّينيّ ، وناقش أفكار المدارس الغربيّة والشّرقيّة .

وعنده مسلك جديد خالف به المشهور من العلماء ، وأشير هنا إلى العناوين فقط ، والتّفصيل موجود في الحلقات الثّلاثة في علم أصول الفقه لمن يريد أن يدرسها ، فالأصوليّون قبله قالوا بمسلك قبح العقاب

بلا بيان ، والسّيّد الشّهيد الصّدر قال بمسلك حقّ الطّاعة ، والتّفصيل موكول إلى محلّه لمن يريد أن يدرس في الحوزة ، فهدفنا هنا هو ذكر العنوان فقط دون الدّخول في التّفاصيل .

والسّيّد الشّهيد يمثِّل مرحلة جديدة من مراحل تطوّر علم أصول الفقه ، ويمكنكم الرّجوع إلى مقدّمة الحلقات وكتبها أحد طلبته وهو السّيّد كاظم الحائريّ حفظه الله تعالى .

وكان السّيّد الشّهيد يكتب على مؤلّفاته (محمّد باقر الصّدر) بدون أيّ لقب ، حتّى أنّه لم يكتب (السّيّد) أثناء حياته ، ولم يكن يسطّر لنفسه مجموعةً من الألقاب ، ويكتفي بكتابة اسمه فقط .

والسّيّد الشّهيد أخذ من العلماء السّابقين وأضاف على أفكارهم شيئًا جديدًا ، وهذا هو المجدّد الحقيقيّ الّذي يضيف شيئًا جديدًا ، وقد مرّ على استشهاده خمس وثلاثون سنة تقريبًا ، وهو مثال للمجدّد في زماننا .

والسّيّد الشّهيد كانوا يسألونه : من أين عرفت نظريّات الغربيّين ؟

فيقول بأنّه يسهر ليلًا لقراءة كتبهم ، ولم يكن عنده أستاذ يدرّسه نظريّات الغرب ، فهو كان يقرأ الكتب ويفهم محتواها ويطرح نظريّاتهم على أفضل وجه ويردّ على النظرية ، لذلك بعض الماركسيّين يقولون بأنّنا نقرأ كتب السّيّد محمّد باقر الصّدر ونفهم نظريّاتنا أفضل ممّا هو مسطور في كتبنا ، وكان يعرض النّظريّات على أكمل وجه ، حتّى النّظريّات الأصولية ، فكان يعرض رأي صاحب الكفاية الآخوند

الخراسانيّ رضوان الله عليه ، فيقول طلبته بأنّنا لا نفهم هذا من الكفاية ، فيقول السّيّد الشّهيد بأنّي آخذ كلامه وأبيّنه على أفضل وجه ، وبعد ذلك أنقد رأيه ، وما يبيّنه السّيّد الشّهيد من كلمات صاحب الكفاية لم يكونوا يفهمونه من نفس كلمات الكفاية ، وهذا هو المجدّد الحقيقيّ ، وهو مثال من الأمثلة ، وكذلك باقي المراجع من خطّ المرجعيّة الرّشيدة لكلّ مرجع ميزة معيّنة .

إنّ من يقول عن نفسه إنّه محقّق أو علّامة أو حكيم أو فقيه أو آية الله العظمى لا بدّ من أن يُقَدِّمَ إنتاجه الفكريّ العلميّ ، وما قيمة اللّقب إذا لم يكن مُعَبِّرًا عن واقع الشّخص ؟!

ومراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة الّذين يصلون إلى درجة الاجتهاد والمرجعيّة لهم تاريخ طويل في الحوزات العلميّة منذ أن بدأوا الدّراسة ، ويتقنون العلوم الّتي يدرسونها ، وتكون عندهم مبانٍ ونظريّات وقواعد ومناهج معيّنة ، وعلى أساسها يستنبطون الأحكام الشّرعيّة .

وعمليّة الاستنباط ليست عمليّة عشوائيّة ، ففي البداية يحدّد الفقيه قواعده التّفسيريّة والأصوليّة والرّجاليّة والفقهيّة والعقليّة ، وبعد ذلك يدخل إلى البحث في الأدلّة من القرآن والرّوايات والعقل وسيرة المتشرّعة والسّيرة العقلائيّة وغيرها من الأدلّة ، وبعد أن يتسلّح بالقواعد يذهب لاستنباط الأحكام الشّرعيّة ، وعمليّة الاستنباط عمليّة معقّدة ، والبعض حينما يسمع فتوى معيّنة لا تعجبه فيعترض بكلّ بساطة : لماذا يقول المرجع بهذه الفتوى ؟!

لا يعرف أنّ المرجع بذل سنوات طويلة من عمره في دراسة مجموعة من العلوم البسيطة والمعقَّدة .

وعلينا أن نتحقّق دائمًا ممّن يدّعي الاجتهاد أو يدّعي المرجعية ، وأكرّر هذا الأمر دائمًا حتّى يتولّد عندنا التّحقيق في ادّعاءات الأشخاص ، ولا نقبل أيّ شخص يدّعي أيّ شيء ، خاصّة في زماننا .

وكلّ شخص يمكنه أن يطّلع على جميع المعلومات ، ونحن الآن في عصر المعلومات ، ولكن للأسف أنّ البعض لا توجد عنده معلومات مع أنّ كثيرًا من المعلومات الدّينيّة صارت بديهيّةً ، ولحدّ الآن هناك أشخاص يعترضون على التّقليد ، ويتساءلون : لماذا نحتاج إلى علماء الدين ؟

المفروض أنّ هذا أمر بديهيّ لا يحتاج إلى نقاش ، والجواب سهل وهو أنّه كما تحتاج إلى علماء في التّخصّصات الأخرى تحتاج إلى علماء الدّين .

ويتساءلون : لماذا نحتاج إلى الأعلميّة ؟

نقول إنّ الأمر بديهيّ موجود عند كلّ إنسان ، فهو يبحث دائمًا عن الأعلم حينما يصاب بمرض خطير .

وبعض المسائل الدّينيّة صارت أمورًا بديهيّةً ، مثل باب الطّهارة وباب الصّلاة وباب الصّيام من المفروض أنّ مسائل هذه الأبواب مسائل بديهيّة ، ودائمًا طوال حياتنا نكرّر هذه المسائل ، وبعض

الأشخاص يبلغون خمسين أو ستّين سنة والآن يريد أن يدرس الرّسالة العمليّة ، نسأله : خلال السّنوات الماضية ماذا كنت تعمل ؟

جيّد أنّك بدأت الآن ، ولكنّ المفروض أنّ دراسة الرّسالة العمليّة تكون في بداية تكليف الإنسان حينما يكون عمره ١٥ سنة ، والآن لا بدّ من أن تتفرّغ لأمر أكبر من دراسة الرّسالة العمليّة ، فالفكر الدّينيّ يحتاج إلى بيان ، لا فقط رسالة عمليّة .

ونحن الآن في مواجهة الفكر الغربيّ ، ونقد الفكر الرّأسماليّ يحتاج إلى شخص مثل السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه حتّى ينقد النّظريّة الرّأسماليّة ويهدم أسس هذه النّظريّة حجرًا بعد حجر ، كما فعل السّيّد الشّهيد مع الماركسيّة ، وهذا يحتاج إلى جهود من العلماء ، وحتّى جهود من المؤمنين ، ولا بدّ من أن نصعد إلى أمور أخرى ، ولا تدور جميع مجالسنا حول الرّسالة العمليّة فقط ، فالمفروض أن نطرح مواضيع أخرى ، وهذا هو دور المساجد والحسينيّات ، لا فقط معلومات نكرّرها دائمًا ، وحتّى في واقعة الطّفّ هناك تكرار كثير ، وبعض الخطباء ما زالوا يستفيدون استفادات جديدة من واقعة الطّفّ ، ويطرحونها على المنابر ، جيّد أن نأخذ الجانب التّاريخيّ لنهضة الإمام الحسين عليه السّلام ، ولكنّ الجانب التّحليليّ مهمّ أيضًا ، وهو الّذي نستفيده ، فالحسين عليه السّلام عِبْرَة وعَبْرَة ، حتّى يستفيد الإنسان من هذه الواقعة ، لا أنّه في زماننا يكون الشّخص من أعوان الظّالمين وهو لا يشعر ، وإذا أراد أن يكون

من أنصار الإمام الحسين عليه السّلام فلا بدّ من أن يعرف مواصفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام ، وهذه المواصفات هي الّتي تكون لأنصار الإمام المهديّ عليه السّلام ، نفس المواصفات ، فندرس حياة الأئمّة عليهم السّلام حتّى يمكن لنا أن نكون من الأنصار في هذا الزّمان ، وإذا ظهر الإمام عليه السّلام تكون من أنصاره ، وإذا لم يظهر فأنت من أنصاره أيضًا ، وخاصّة في زماننا دور المؤمن دور عظيم ؛ لأنّ مسئوليّات المؤمن الآن مسئوليّات عظيمة ، فكان يعيش سابقًا في قرية ، والآن هو في العالم ، والمؤمن لا يرى نفسه في قرية أو مدينة أو بلدة فقط ، المؤمن الآن في العالم ، وهناك خطط شيطانيّة رهيبة تُحَاكُ على المؤمنين والمسلمين ، والأعداء لا يفرّقون بين سنّيّ وشيعيّ ، ولكنّ المسلمين نائمون ، ولا يدركون أنّ من ضمن الخطط أنّهم يشنّون حربًا تكلّفهم ملياري دولار ، ولكنّهم يأخذون ٥٠٠ مليار دولار من أموال المسلمين ، ويبيعون الأسلحة للطّرفين ، ويقتل المسلمون بعضهم البعض ، وأعداء المسلمين هم المستفيدون من دول المسلمين ، ألا يرى المسلمون ما يُحَاكُ لهم من مؤامرات ؟! ألا يرون هذا التّخطيط الرّهيب عليهم ؟!

وإثارة الطّائفيّة تخطيط من الخارج ، ولكنّ الكثير من المسلمين من جميع الأطراف ينجرّون خلف الطائفيّة .

إذن :

يأتي شخص وفجأةً تسمع ويسمع العلماء أنّه مجتهد ومرجع ،

طالب العلم منذ أن يبدأ في دراسته الحوزويّة يعلم المحيطون به من أقرانه وزملائه أنّه سيصل إلى درجة الاجتهاد ، فالأستاذ يعرف أنّ هذا الطّالب سيكون في يوم من الأيّام من المجتهدين ، وكذلك الطّلبة الّذين يحضرون الدّرس معه عند أستاذ يعلمون أنّه سيصل إلى درجة الاجتهاد أو درجة المرجعيّة ، فمرجع التّقليد له خلفيّة تاريخيّة ، ولا يصير مرجعًا فجأةً .

ونأخذ بقول أهل الخبرة ؛ لأنّ أهل الخبرة الموجودين في الحوزة العلميّة يعرفون هذا الطالب الجادّ منذ أن بدأ بدراسته الحوزويّة ، وقد يكونون من زملائه الحاضرين معه درس أستاذهم ، فهو في الدّرس يشارك أستاذه ويتجاوب معه ويكتب تقريرات أستاذه ، وزملاؤه يرجعون إليه حينما يصعب عليهم الدّرس فيشرح لهم ويبيّن ما خفي عليهم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : عميد الدّيوانيّة الحاجّ محمد يوسف العيسى :

هل كلّ مجتهد يصير مرجعًا ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

ليس شرطًا أنّ كلّ مجتهد يصير مرجعًا للدّين ، ولو كان كذلك لصار عندنا الآن آلاف المراجع ، نعم بعض المجتهدين ضمن صفات

خاصّة يصيرون مراجع ، وطرحنا ضمن الموضوع أنّه ليس كلّ أحد يكون مؤهَّلًا لأن يصير مرجعًا ، بل لا بدّ من أن تتوفّر فيه صفات معيّنة .

سؤال : هاني صفر :

بخصوص موضوع مدّعي المرجعية ذكرتم أنّ الأشخاص ينسبون لأنفسهم بعض الألقاب ، ما هي أهداف مدّعي المرجعيّة ؟ وهل يمكن أن ينكشف هذا المدّعي أمام بعض الأشخاص ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

المفروض أنّ من يدّعي المرجعيّة يكون من البداية مكشوفًا ، والمؤمنون إذا صارت بأيديهم معرفة الطّرق الّتي يصل بها طالب الحوزة إلى درجة الاجتهاد يمكنهم أن يعرفوا أنّ هذا الشّخص مجتهد أو غير مجتهد ، وكذلك معرفة كيفيّة وصول المجتهد إلى رتبة المرجعيّة ، وإذا كانت عند المؤمنين هذه القواعد فأوّل ما يدّعي الاجتهاد أو يدّعي المرجعيّة فالمفروض أن لا يحضر عنده أحد ، المفروض هكذا ، ولكنّ المشكلة أنّ المؤمنين لحدّ الآن لا يعرفون كيف أنّ المجتهد يصير مرجعًا ونحن في هذا الزّمان .

وفي الحوزة تُعْطَى القواعد العامّة في الأصول والرّجال والاستنباط ، ولكن طالب العلم حينما يعيش وضع الحوزة لا بدّ من أن يراقب كيف أنّ هذا المجتهد صار مرجعًا ، وعلى أساسه نحضّر موضوعًا نقدّمه للمؤمنين ، لا بدّ من أن يرى كيف أنّ هؤلاء المجتهدين صعدوا

إلى مقام المرجعيّة ، وينقل ما عرفه إلى المؤمنين ؛ لكي لا ينخدعوا بمدّعي المرجعيّة .

والبعض من مدّعي المرجعيّة أمرهم مريب ومشكوك فيه ؛ لأنّ من تخطيط الاستكبار على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أنّهم يحاولون أن يزرعوا بينهم شخصًا يكون مرجعًا تابعًا لهم حتّى يحرف المسيرة ، وهذا ضمن التّخطيط الشّيطانيّ للاستكبار العالميّ ، وطبعًا لا ينجحون ولن ينجحوا في ذلك .

والبعض قد يقلِّدون مدّعي المرجعيّة ، ولكنّ الخطّ العامّ لمدرسة أهل البيت عليهم السّلام لا يمكن حرفه ؛ لأنّ المرجعيّة الرّشيدة لها رقابة على الأمّة ، نعم قد يسكت المراجع عن مدّعي المرجعيّة لأسباب يقدّرونها ، منها أنّه قد تحدث فتنة في الأمّة ، فيتركونه ، ومع الوقت هو ينتهي .

ويقول البعض : لماذا علماء الحوزة لا يصدرون بيانًا بأسماء مدّعي المرجعيّة ؟

والجواب أنّه بإصدار بيان يحصل مدّعي المرجعيّة على قيمة عند النّاس ، فالمراجع يعطونك القواعد العامّة وأنت بتطبيق القواعد تعرف أنّ هذا مرجع حقيقيّ أو مدّعي مرجعيّة ، وهذا تكليفك ، واسأل عن تاريخه وسيرته ومقامه العلميّ في الحوزة ، لا أنّه مباشرةً يكون مقبولًا من النّاس ، وفي الحوزة يمكنك أن تسأل عن أيّ شخص والعلماء يجيبونك بكلّ حرية ، والآن من السّهل أنّ الشّخص يأخذ

تذكرة سفر ويذهب إلى الحوزة ويسأل هناك ، أو يعرف شخصًا هناك يسأل و يأتي له بالجواب .

والبعض يطرح رسالة عمليّة ويريد خدمة الدّين ، لا أنّ كلّ من يطرح رسالة عمليّة يكون مدّعيًا ، ولكنّه يظنّ أنّه بهذه الطّريقة يمكنه أن يخدم الدّين ، وما دام أنّ علماء الحوزة من أهل الخبرة لم يرشّحوه للمرجعيّة فالمفروض أن لا يطرح رسالة عمليّة ولا يطرح مرجعيّته ، ولا بدّ من أن يكون ذلك تحت إشراف علماء الحوزات من أهل الخبرة حتّى تطرح أسماء معيّنة ، والمؤمنون يرجعون لهذه الأسماء ؛ لكي لا ينفتح الباب لكلّ شخص يريد أن يطبع رسالة عمليّة ، والأمر لا يقف عند حدّ ، وكلّ شخص يقول بأنّه يريد أن يخدم الدّين عن طريق طبع رسالته العمليّة ، والأفضل أن يظلّ هذا الشّخص يُدَرِّسُ في الحوزات ويثبت وجوده العلميّ عند أهل الخبرة ، وهم بطريق طبيعيّ سيرشّحونه ويختارونه ، ولا يحتاج إلى تكلّف ولا تصنّع ، وفي الحوزات جميع العلماء تحت رقابة أهل الخبرة ، ويرشّحون بعض الفقهاء ؛ لأنّ هؤلاء مؤهَّلون لمقام المرجعيّة ، ولا يختارون غيرهم ؛ لأنّهم يرون الأهليّة في هؤلاء ، والأمّة لو رجعت إلى العلماء من أهل الخبرة لسارت ضمن الخطّ المطلوب ، ولكن مدّعو المرجعيّة يخرجون ويشوّشون على بعض الأفراد ، وهؤلاء الأفراد لا يكونون أكثريّة الأمّة ، فأكثريّة المؤمنين تكون أعينهم على أهل الخبرة في الحوزات العلميّة ، فلا ينخدعون بمن يدّعي المرجعيّة ، ولكن توجد مجموعة قليلة تقلِّد مدّعي المرجعيّة ،

وهم الّذين لا يوجد عندهم اطّلاع ومعرفة ، أو أنّ لهم مصالح معيّنة في السّير خلف مدّعي المرجعيّة ، من مصالح سياسيّة أو ماليّة أو اجتماعيّة أو مصالح أخرى .

وطبعًا من يدّعي المرجعيّة لا يقول عن نفسه بأنّه مدّعٍ ، وإنّما يحاول أن يفعل بعض الأمور حتّى يجذب النّاس إلى تقليده ، مثلًا قد يسهّل الأحكام حتّى يجذب الآخرين ، وقد يوزّع أموالًا ، وينشر الدّعايات والإعلانات ، ويوزّع صوره بكثرة ، وعنده قنوات فضائيّة تروّج له ، ويعرضون صورته على القناة دائمًا ، والنّاس بسبب كثرة صوره يظنّونه مرجعًا ، وخاصة الشّباب صغار السّنّ ، فيظنّون بأنّه مرجع ، وقد يقلّدونه بناءً على ما يطرح .

مثلًا بعض المدخّنين كانوا يقولون يا ليت نجد مرجعًا يحرّم التّدخين حتّى نقلّده ونتركه ، نقول بأنّك لا تحتاج إلى مرجع حتّى تترك التّدخين ، فتكون مصلحته في تقليد شخص لأجل ترك التّدخين ، نقول استعمل عقلك واترك التّدخين ، ولا تحتاج إلى فتوى بالتّحريم ، عندك عقل يقول لك بأنّ التّدخين مضرّ ومسبّب للأمراض الخطيرة ، فلا تحتاج إلى فتوى بالتّحريم ، فتوجد لمن يقلّدون مدّعي المرجعية مصالح مختلفة .

ومدّعي المرجعيّة لا بدّ من أن يكون مكشوفًا من البداية إذا كان المؤمنون على معرفة بكيفيّة وصول العالم إلى مقام المرجعيّة ، وهذا المقدار نحاول أن نبيّنه ، وأنّ المسيرة كيف تكون ، وأنّ المجتهد كيف

يصل إلى مقام المرجعيّة ؛ لعلّ المؤمنين يستفيدون من هذه المواضيع ، وتكون بأيديهم القواعد العامّة في معرفة الأشخاص ، ونساهم بشيء للوصول إلى معرفة أنّ هذا مجتهد حقيقيّ أو مدّعي اجتهاد ، وأنّ ذاك مرجع حقيقيّ أو مدّعي مرجعيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة

والمرجعيّة الرّشيدة

(١٧)

تقليص دائرة الأعلميّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وطرحنا مثالًا للمجدّد الحقيقيّ وهو السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه ، وأشير هنا إلى السّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه .

يُنْقَلُ عن المحقّق السّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه أنّه يأخذ الدّرس في الصّباح وَيُدَرِّسُهُ عصرًا ، وسئل أنّه كيف يمكنه ذلك مع وجود إشكالات من الطّلبة على درسه ، فأجاب بأنّه يُحَضِّرُ جميع الإشكالات الّتي يمكن أن يطرحها الطّلبة ويحضّر أجوبتها قبل ذهابه إلى التّدريس ، فذهنيّته رضوان الله عليه ليست ذهنيّةً عاديّةً ، فإذا قال

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٣ شعبان ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٥/٢٢ م .

أستاذه باجتهاده وقال أهل الخبرة بمرجعيّته فلا يستغرب العلماء وطلبة العلم إذا صار السّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه مرجعًا للتّقليد ، ولا يكون شيئًا غريبًا ؛ لأنّه كان مؤهَّلًا لهذه الدّرجة قبل أن يصل إليها .

والسّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه يُعْتَبَرُ مَعْلَمًا من معالم المرجعيّة الرّشيدة ، وكذلك السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر مَعْلَمٌ أيضا ، وهناك مجموعة كبيرة من العلماء يشكّلون معالم لخط المرجعيّة الرّشيدة ، هذا الخطّ الممتدّ من زمان الغيبة إلى يومنا الحاضر وإلى المستقبل إلى ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشّريف .

وإذا جاء شخص وطعن بمرجع من مراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة فمعنى ذلك أنّ هذا الشّخص ليس ضمن هذا الخطّ ، وهذه قاعدة اجعلوها بأيديكم لأجل تمييز الأشخاص ، فإذا كان الشّخص من نفس الخطّ فلا يطعن بفرد من أفراد هذا الخطّ .

مثلًا إذا كانت عندنا دورة شبابيّة ، وكلّ شخص في الدّورة يطعن في الآخر - فهذا الطّعن ليس في مصلحة الدّورة .

تارةً يناقش آراء العلماء ، وهذه حرّيّة فكريّة ضمن نفس الخطّ ، والعلماء يناقشون آراء بعضهم البعض ضمن خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، ويردّ العالم على رأي العالم الآخر عن طريق الدّليل .

وتارةً أخرى يطعن في العالم ، كأن يقول هو كافر أو فاسق أو زنديق أو خارج المذهب مع أنّ العالم من خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، ومن

يطعن في أحد علماء خطّ المرجعيّة الرّشيدة فهو ليس من نفس الخطّ .

والآن توجد هجمة شرسة على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ؛ لأنّهم لم يستطيعوا أن يخترقوا هذه المدرسة ، ويحسّون بخطورتها ، ويحاولون أن يستغلّوا بعض الأشخاص للطّعن بالعلماء ؛ لكي يكون الطّعن من الدّاخل ، فهم لم يستطيعوا من الخارج أن يضعّفوها ، ونقول بأنّهم لن ينجحوا حتّى من الدّاخل ؛ لأنّ مراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة صمّام الأمان لهذه المدرسة ، ولم يستطيعوا أن يخترقوا ولا استطاعوا أن يزرعوا مرجعًا ضمن هذا الخطّ بحيث يحرف المسيرة ، والحرب ضارية على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام وعلى أتباعها ؛ لأنّهم لم يستطيعوا اختراقها ، ويشعرون بقوّة هذه المدرسة الآن وفي المستقبل وخطورتها على وجودهم وخططهم الشّيطانيّة .

نسأل : لماذا لا يحاربون البوذيّين ؟ لماذا لا يحاربون اليهود والمسيحيّين ؟

لأنّ مدرسة أهل البيت عليهم السّلام تشكّل خطورةً على أتباع الشّيطان الأكبر ، ولها تأثير على النّظريّة الرّأسماليّة ، فالفكر الحرّ الموجود عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لم يستطيعوا من السّيطرة عليه ، حتّى الطّفل الشّيعيّ يفكّر ويسأل ، ولا يمنع علماء المدرسة الشّيعة من التّفكير ، فللشّيعيّ الحرّيّة الكاملة في طرح أيّ سؤال ، وكلّ سؤال يحصل الجواب عليه ، وعلماؤنا لا يقولون لا تفكّر

في هذا الموضوع ، ولا أحد من العلماء تسأله سؤالًا فيقول لك : لا تفكّر في الجواب .

يمكنك السّؤال حتّى عن الله سبحانه ، فتسأل : ما هو الله ؟ وأين هو ؟ وما هو الدّليل على وجوده ؟

والجواب يناسب الشّخص السّائل ، فالطّفل يُعْطَى له الجواب على مقدار ذهنه ، ولا يمكن لأحد أن يمنع أيّ إنسان عن التّفكير .

ومدرسة أهل البيت عليهم السّلام نحن نعتقد أنّها تمثّل الإسلام الحقيقيّ ، وباقي المذاهب والمدارس مسلمون أيضًا ، ولا يخرجون خارج دائرة الإسلام ، ومن تشهّد الشّهادتين فهو مسلم ، نحن نتّبع مذهب أهل البيت عليهم السّلام ، وهم يتّبعون المذاهب الأخرى ، وهم على الإسلام ولانكفّرهم ، وندعو إلى الوحدة بين المسلمين والتّقريب بين المذاهب ، والوحدة لا تعني تنازل أيّ طرف عن عقائده ، فلا أنت تتنازل عن عقيدتك ، ولا هو يتنازل عن عقيدته ، احتفظ بكلّ عقائدك ، وتوجد مشتركات بيننا ، وهذه المشتركات نحافظ عليها ، وكلّ طرف يحافظ على آرائه واختلافاته مع الطّرف الآخر ، لا أطعن بك ، ولا تطعن بي ، ونفتح باب البحث العلميّ في المختلفات ، والمطلوب هو البحث العلميّ النّزيه ، بدون تحريف للرّوايات والآراء ، وهذا مطلوب من جميع الأطراف ، وعلماء الشّيعة لا يحرّفون أيّ شيء ، فيأتي بالمصدر ويذكر الرّواية كما هي بدون تحريف أو استقطاع لجزء منها ، وبعض المغرضين من الطّرف الآخر

عندهم حالة التّحريف والكذب والافتراء ، ولكن يظلّ باب البحث العلميّ مفتوحًا على مصراعيه .

والشّيعيّ متعوّد على البحث العلميّ داخل المذهب وخارجه ، وطبيعة الشّيعيّ هي النّقاش العلميّ ، وأتباع المذاهب الأخرى لا بدّ من أن يتعوّدوا على البحث العلميّ ، وعلى النّقاش العلميّ مع ذكر الأدلّة ، فنحافظ على المشتركات بين جميع المذاهب ، ولا يطعن أيّ طرف برموز الأطراف الأخرى ؛ لأنّه بمجرّد ما ينفتح باب الطّعن بالرّموز فمعنى ذلك أنّه ينفتح باب الطّائفيّة ، والآن الطّائفيّة هي سبب المشاكل بين المذاهب والمدارس المختلفة ، والمفروض أنّه في الوطن الواحد يكون التّعامل على أساس المواطنة ، هذا مواطن وذاك مواطن ، وحتّى الوافد لا يُتَعَامَلُ معه على أساس الطّائفيّة ، فهو جاء ليعمل ويكسب رزقه .

وبعض من يذهب لعمل في منزل كتركيب صحن القنوات الفضائيّة أو إصلاح إحدى الأجهزة يسأله صاحب المنزل : أنت شيعيّ أو سنّيّ ؟

عمله إصلاح الأجهزة ، وما دخلك في أنّه شيعيّ أو سنّيّ ؟!

أحدهم يقول لي بأنّ صاحب البيت سأله هذا السّؤال ، فقال له : أنا جئت هنا لعمل معيّن ، ولا دخل لك بديني أو مذهبي ، كنت كافرًا أو مسلمًا ، شيعيًّا أو سنّيًّا ، لماذا تسألني هذا السّؤال ؟ وما دخل ديني ومذهبي بإصلاح الأجهزة في بيتك ، تريدني أن أشتغل فأنا

أصلح لك الجهاز ، وإذا لا تريدني أن أعمل عندك فيمكنك أن تأتي بعامل آخر .

من هذه الأسئلة بأنّك سنّيّ أو شيعيّ تبدأ الطّائفيّة ، وكذلك السّؤال : أنت من أيّ عائلة ؟ من أيّ قبيلة ؟ من أيّ عشيرة ؟

من هنا تبدأ القبليّة والعشائريّة ، وهذا سبب لوقوع الخطر في المجتمعات ، كان من عائلة فلان أو من عائلة فلان ، وتبدأ الواسطات ، وهو يوظّف من يكون من عائلته ، ولا يوظّف من يكون من عائلة أخرى ، لا بدّ من أن يكون التّمييز على أساس الكفاءة ، فهذه الوظيفة تتطلّب شهادة معيّنة ، والأكفأ يأخذ هذه الوظيفة ، والمفروض أنّ من يشغل هذه الوظيفة يكون هو الأكفأ ، بدون النّظر إلى الدّين أو المذهب أو القبيلة أو العشيرة أو العائلة .

ومن ميزات الغرب أنّهم ينظرون إلى الكفاءة ، إذا يوجد عمل فلا ينظرون إلى الدّين والمذهب والعائلة ، ونرى أنّ المجتمع الغربيّ فيه جميع الأطياف من جميع الأديان والمذاهب والطّوائف والعرقيّات ، لا يقولون إنّ هذا من قبيلة فلان أو من عشيرة فلان أو من عائلة فلان ، ولا يسألون عن دينه ومذهبه ، فيشغل الوظيفة من هو الأكفأ ، وإذا كان يوجد منصب وأنت الأكفأ فإنّك تأخذ هذا المنصب ، ولكن هذه الفكرة الموجودة عندهم لا يطبّقونها على دول الخارج ، فهم يريدون أن يزرعوا الطّائفيّة بين المسلمين ، ويستغلّون المسلمين ، والمسلمون ينجرّون لتخطيطات الغرب .

ونقول للمسلم : حتّى لو جاء شخص من الخارج وحاول أن يزرع الطّائفية أنت أيّها المسلم لماذا تصير طائفيًّا ؟!

الشّخص لا يصير حاكمًا إلّا أن يكون له أتباع ، وللأسف أنّ الوعي السّياسيّ والوعي الدّينيّ لا يوجدان في المجتمعات المسلمة ، لذلك ينجرّون خلف الأفكار ؛ لأنّ المسلمين لا يملكون وعيًا دينيًّا ولا وعيا سياسيًّا ، ولا ينظرون إلى من هو الظّالم ومن هو المظلوم ، يقول : أنا مع هذا الشّخص من معارفي كان ظالما أو مظلومًا .

ويأخذون بشعار (انصر أخاك ظالما أو مظلومًا) ، وإذا أخذوا بهذا الشّعار فمعنى ذلك أنّ المجتمع سينتهي إلى دمار على المدى البعيد ، وكلّ طائفيّ لا يحسب حساب هذا الأمر ، ولا يوجد مجتمع يستمرّ بهذه الطّريقة ؛ لأنّ النّاس يريدون العدالة ، والدّين بيّن لنا طريقة العدالة الاجتماعيّة ، ونظريّة العدالة الاجتماعيّة موجودة في الإسلام ، ولكنّ المسلمين لا يطبّقون نظريّات الإسلام ، وفي الإسلام توجد النّظريّات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة ، ولكنّ المسلمين لا يطبّقونها ، والعلماء غير مقصّرين في بحوثهم في جميع المجالات ، ويوجد فارق بين الإسلام وبين تطبيق الإسلام في الواقع ، ويوجد فرق بين الإسلام والمسلمين .

على المستوى الفرديّ المسلم يصلّي ويصوم ، ولكن توجد بعض القضايا الإسلاميّة الّتي لا يطبّقها في حياته ، وينظر المسلمون إلى العبادات فقط ، وهذه العبادات تتحوّل تدريجيًّا إلى طقوس بلا أيّ

تأثير قلبيّ على المسلم ، يصلّي وحياته كما هي لا يحدث فيها أيّ تغيير ، وهذه العبادات لا بدّ من أن تغيّر النّفوس ، وإذا تغيّرت النّفوس فالمسلم يشعر بأخيه المسلم ، يوجد أغنياء وفقراء ، والغنيّ لا يشعر بالفقير ، والأغنياء يصرفون ملايين الدّنانير على الدنيا ، ولا يشعرون بأخيهم المسلم ، وإذا لم يكن عند المسلم هذا الشّعور فهو على المستوى الفرديّ لا يسعى إلى تطبيق العدالة في حياته ، ونحن متطلّعون دائمًا إلى انتشار العدالة في العالم ، المسلم على المستوى الفرديّ لا يطبّق العدالة في بيته ، الزّوج قد يظلم زوجته ، والزّوجة تظلم زوجها أو تظلم الخادمة ، والأب قد يظلم الأولاد ، والزّوجة لا تعرف حقوقها وواجباتها ، ففي الدائرة الصّغيرة لم يطبّق العدالة ، فكيف يمكن أن يطبّق العدالة في العالم ؟!

والإنسان إذا أراد أن يطبّق العدالة في العالم فأوّلًا هو لا بدّ من أن يكون عادلًا ، وغير العادل يستحيل أن ينشر العدل ، ففاقد الشّيء لا يعطيه ، فيبدأ الإنسان بتطبيق العدالة أوّلًا على المستوى الفرديّ ، يكون عادلًا مع نفسه ، يعطي نفسه حقّها ويحرمها من الأشياء الّتي هي ليست حقًّا له ، وبعد ذلك على مستوى العائلة ، ثمّ على مستوى المجتمع الصّغير ، وبعد ذلك ينطلق إلى العالم .

والآن هل المسلمون مستعدّون لتطبيق العدالة في العالم ؟

لا ، ليسوا على استعداد ، توجد دعوات وكلام وشعارات فقط ، والشّعارات لا تحلّ المشاكل ، لا بدّ من أن تتهيّأ النّفس لإعطاء

حقوق الآخرين ، أي أنّ النّفس تتقبّل العدالة .

توجد أموال بيدك هل تشعر بأنّها أمانة من الله عزّ وجلّ ؟

إذا كان عندك هذا الشّعور فأنت في أوّل خطوة من خطوات تطبيق العدالة ، وأمّا إذا قلت : أموالي وملكي – فمعنى ذلك أنّك لا تسعى إلى العدالة ، لا بدّ من أن تشعر أنّ الأموال أمانة بيدك ، وهناك حقوق وواجبات بالنّسبة إلى هذه الأموال .

نرجع إلى موضوعنا :

السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه مثال لمرجع من مراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، والسّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه مثال آخر ، والعلماء من أهل الخبرة حينما يرشّحون هؤلاء الفقهاء لمقام المرجعيّة فالعلماء في الحوزة لا يستغربون ، وهو أمر طبيعيّ ؛ لأنّه من بداية مسيرته العلميّة تحرّك بطريقة صحيحة ، وكان معروفا بدرسه ، فحينما يقال عنه بأنّه صار مرجعًا فلا يستغرب العلماء ؛ لأنّهم كانوا معه في الحوزة ويعرفون مسيرته من البداية .

وطالب العلم لأجل أن يصل إلى مقام المرجعيّة لا بدّ من أن يسلك هذا الطّريق الطبيعيّ ، لا فجأةً تسمع أنّه صار مجتهدًا وصار مرجعًا ، قد لا يعرف النّاس عنه شيئًا ، ولكنّ العلماء يعرفونه ، حتّى العالم الّذي يتخرّج من الحوزة ويذهب إلى بلده تظلّ سمعته ويعرفه علماء الحوزة ، وإذا كان عالما وعنده نشاط علميّ ففي الحوزة يسمعون عنه ويعرفونه .

إذن :

يوجد تدرّج طبيعي لطالب العلم حتّى يصل إلى درجة الاجتهاد ، وبعد ذلك يصير مرجعًا للأمّة ، والإنسان الّذي يريد أن يكون مرجعًا أمامه حركة طبيعيّة وتسلسل طبيعيّ في المسيرة العلميّة له ، وحينما يصير مجتهدًا ومرجعًا فالعلماء لا يستغربون من أنّه قد وصل إلى هذه المقامات ، وهذه النّقطة مهمّة جدًّا ولا بدّ من الانتباه إليها ، وشخص يدّعي الاجتهاد ويصير مرجعًا فجأةً ، والاجتهاد والمرجعيّة لا يحصل عليها الطّالب فجأةً بدون أيّ مقدّمات ، والحصول الفجائيّ على الاجتهاد والمرجعيّة ليس أمرًا طبيعيًّا وهو خلاف المسيرة العلميّة الطّبيعيّة .

والمسيرة الطّبيعيّة معناها أنّ طالب العلم يدرس كتبًا معيّنة ، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، وفي كلّ مرحلة يدرس الطّالب كتبًا محدّدةً إلى أن يصل إلى بحث الخارج ، ويكون في بحث الخارج طالبًا جادًّا ، وتوجد عنده علاقة جيّدة مع أستاذه ، ويقدّم له تقريرات البحث ، ويراجع الأستاذ التّقريرات ، ويعرف مستواه العلميّ ، والطّلبة يعرفون مستواه العلميّ أيضًا ، وحينما يعطيه المرجع شهادة الاجتهاد فالطّلبة الّذين كانوا معه لا يستغربون ، فتكون شهادة الاجتهاد نتيجة طبيعيّة للمسيرة العلميّة لهذا الطالب ، ولا تكون أمرًا غريبًا ، لا أنّه فجأةً يصير مجتهدًا ، والعالم منذ بدايات دراسته يعلم المحيطون به أنّه سيصل إلى درجة الاجتهاد وبعد ذلك إلى درجة

المرجعيّة في يوم ما ، فيوجد تدرّج وتسلسل طبيعيّ للوصول إلى درجة الاجتهاد ومرتبة المرجعيّة ، وتكون نتيجة طبيعيّة لمسيرته العلميّة .

وهذا كالإنسان الّذي يزرع شجرةً ، ويكون عنده اهتمام طوال العام بهذه الشّجرة ؛ لكي يحصل على الثّمار الجيّدة في موسم معيّن ، يهتمّ بها منذ أن وضعها بذرةً في الأرض ، وتنمو تدريجيًّا إلى أن تكبر وتصبح شجرةً ، وهذا هو الطّريق الطّبيعيّ للبذرة حتّى تصير شجرةً ، لا أنّه بمجرّد أن يضع البذرة في الأرض تصير شجرةً فجأةً ، لا بدّ من أن يرعى هذه الشّجرة عدّة سنوات ؛ لكي تثمر بعد ذلك ، قد يرعاها عشر سنوات ، وأهله يرونه وهو يرعاها يوميًّا صيفًا وشتاءً ، وقد يسافر شخص عدّة سنوات ويرجع ويراها شجرةً مثمرةً ، ولا يستغرب ذلك ؛ لأنّه رأى الرّعاية منه خلال سنوات قبل سفره ، وحينما يرى الثّمار فإنّه لا يستغرب .

والمجتهد والمرجع بنفس الطّريقة ، طالب العلم يرعى نفسه سنوات وسنوات حتى لو غاب شخص ورجع بعد فترة فإنّه يعرف جهده السّابق وأنّه كان يبذل جهده لأجل أن يصل إلى الاجتهاد وإلى المرجعيّة .

ونلتفت إلى التّدرّج والتّسلسل الطّبيعيّ لطالب العلم حتّى يصير مجتهدًا ومرجعًا ، وبدون هذه المسيرة العلميّة الطّبيعيّة لا يمكن أن يصل إلى درجة الاجتهاد ومقام المرجعيّة .

وحينما يدَّعي شخص الاجتهاد لا بدّ من أن نسأل أقرانه وزملاءه

في دروسه مع أستاذهم : هل كان يسير سيرًا طبيعيًّا للوصول إلى درجة الاجتهاد ؟ وما هو تاريخه العلميّ حينما كان معكم ؟

مثل طالب الجامعة تسأل زملاءه عنه ، ويعطونك تاريخه الجامعيّ ، فتسأل عن سيرة الشّخص وتاريخه ، وحينما تراه عالما بناءً على مسيرته السّابقة فإنّك لا تستغرب ، وكانت هذه هي مسيرته من البداية ، وبعض الأطفال ترى فيهم تديّنًا ، وإذا غبت عنه عشرين سنة ورأيته بعد ذلك عالما في الدّين فلا تستغرب ، تقول إنّه كان متديّنًا منذ نعومة أظفاره ، فهناك سير طبيعيّ للطّالب ، وهذا السّير الطّبيعيّ يعرفه أقرانه الّذين كانوا موجودين معه في الحوزة ، ويعرفون تاريخه وسيرته ومسيرته العلميّة ، لذلك نقول بأنّنا نرجع إلى الحوزة ونسأل العلماء عنه ؛ لأنّ هؤلاء كانوا معه ويعرفون كم درس حضر معهم ، وفي كلّ درس معه عشرون طالبًا أو أكثر ، وحينما ينتهي من الحوزة يكون أقرانه خمسمائة طالب ، ومن هؤلاء الخمسمائة بعضهم حصلت لهم ظروف فسافروا إلى بلدانهم أو لم يكملوا دراستهم ، ولنفرض أربعمائة منهم ، وبقي منهم مائة شخص في الحوزة ، فيوجد مائة عالم في الحوزة يعرفونه ، وحينما تسأل عنه بعض العلماء في الحوزة فيقولون لك بأنّهم لا يعرفونه ، ولكن إذا سألت أحد أقرانه فإنّه يشيد به ويمدحه ؛ لأنّه يعرفه من السّابق ، فتسأله : هل كانت مسيرته العلميّة طبيعيّة ؟ وهل كان يحضر الدّرس يوميًّا ؟ هل كان مهتمًّا بدروسه ؟ وهل كان طالبًا جادًّا ؟

وإذا كانت هناك درجات في الموادّ الّتي درسها فيرجعون إلى درجاته وامتحاناته ليعرفوا أنّ هذا الطّالب كان جادًّا أو لا .

وبعض الأشخاص حينما يكونون في الحوزة يعلم المحيطون به أنّه لم يكن يبذل جهده في دراسته ويحضر الدّرس أحيانًا وكان يضيّع وقته كثيرًا ، وكلّ ليلة عنده في البيت ديوانيّة يحضرها بعض الطّلبة ، وطوال اللّيل يشاهدون التّلفاز ويدخّنون الأرجيلة ، وليليًّا هذا وضعهم ، ومثل هذا الطّالب حينما يرجع إلى بلده لا تتوقّع منه أن يشارك في أيّ عمل دينيّ ، وإذا طلب بعض الطّلبة منه درسًا فإنّه يعتذر ، وإذا طلب أئمّة المساجد منه كلمة يعتذر ؛ لأنّه لم يدرس بشكل جيّد ، وكان يضيّع أوقاته ، وحينما يدرّس يكون درسه ضعيفًا ؛ لأنّه لم يبذل جهده في فهم المواد حيث لم يكن يحضر الدّروس .

وتمرّ ثلاثون أو أربعون سنةً وفجأةً يسمعون أنّه يقول عن نفسه إنّه قد وصل إلى درجة الاجتهاد أو يدّعي المرجعيّة ، وأقرانه الطّلبة الّذين كانوا معه يستغربون ، يقولون بأنّه كيف صار مجتهدًا ونحن نعرفه جيّدًا ، لم يكن مهتمًّا بدروسه لمدّة عشر سنوات ، وقطع المقدّمات والسّطوح ويريد أن يحضر بحث الخارج ، وحينما يسألون عنه يقول أقرانه بأنّه حينما كنّا في الحوزة لم يكن مداومًا على حضور دروسه ، فكيف وصل إلى بحث الخارج ؟!

هذا الشّخص غير مؤهّل لأن يكون مجتهدًا ، وبطريق أولى لا يكون مرجعًا ، لذلك نقول بالرّجوع إلى أهل الخبرة ؛ لأنّهم يعرفون

هذا الشّخص منذ أن كان معهم في الحوزة من أنّه كان طالبًا مهتمًّا بدراسته أو كان مهملًا ، فإذا ادّعى الاجتهاد أو المرجعيّة فجأةً فإنّ زملاءه يعرفون أنّه من المستحيل أن يكون مجتهدًا فضلًا عن أن يكون مرجعًا .

إنّ من يقول عن نفسه بأنّه مجتهد لا بدّ من السّؤال عن تاريخه السّابق وسيرته العلميّة في الحوزة ؛ لأنّه درس في الحوزة سنوات طويلة ، فتاريخه وسيرته ومستواه العلميّ كلّ ذلك محفوظ له ، ولا يكون شيئًا غريبًا حينما يصل إلى درجة الاجتهاد ومقام المرجعيّة .

وكذلك الخطيب الّذي يصعد المنبر الحسينيّ لا بدّ من أن نسأله : أين دَرَسْتَ ؟ وماذا دَرَسْتَ ؟

هذا لكي نرى أنّ مسيرته العلميّة كانت مسيرةً مضبوطةً ، وأنّه كان يتقن الدّروس أو لا ؛ لأنّ عطاءه العلميّ يتوقّف على مسيرته العلميّة السّابقة ، ولا يمكن أن يصير الشّخص عالما وأن يكون عنده عطاء علميّ وتكون مسيرته العلميّة السّابقة مضطربة ، لا يمكن ذلك ، فتاريخ العالم ومسيرته العلميّة السّابقة أمر مهمّ جدًّا ، وأيّ شخص يدّعي الاجتهاد فأوّل سؤال يُوَجَّهُ إليه : عند من دَرَسْتَ ؟ وماذا دَرَسْتَ ؟ ومن أعطاك شهادة الاجتهاد ؟

هذه الأسئلة لا بدّ من أن تطرحها وتحصل على أجوبتها ؛ لكي ترى أنّه مؤهَّل لأن يكون مجتهدًا أو مرجعًا أو خطيبًا .

إنّ المسيرة العلميّة للعالم والخطيب والمجتهد والمرجع أمر مهمّ ،

وهذه المسيرة لا بدّ من أن نعرفها ، ونعرف ذلك بالرّجوع إلى الحوزات العلميّة ، فإذا درس في حوزة قم المقدّسة تذهب إليها وتسأل عنه ، هذا الشّخص موجود في بلدنا ويقول عن نفسه إنّه مجتهد ، فتسأل عنه العلماء المعروفين ، وبين هؤلاء العلماء يوجد البعض ممّن يعرف هذا الشّخص ، وإذا سألت جميع العلماء وقالوا بأنّ هذا الشّخص لا نعرفه فإذا لا أحد يعرفه فيكون أمره مشكوكًا فيه ، ولو كان مجتهدًا لكان معروفًا في الحوزات العلميّة .

رجوع إلى الموضوع :

وبعد هذه المحطّات الّتي طرحنا من خلالها بعض الأمور نرجع إلى النّقطة الّتي انتهينا منها سابقًا ، وما طرحناه كان إرهاصات من تلك الأفكار .

وصلنا إلى أنّه توجد دائرة من ستّة أو سبعة أو عشرة مراجع ، وهذه هي النّقطة الأخيرة الّتي وصلنا إليها .

ومن خلال البحث وسؤال أهل الخبرة نصل إلى فقهاء معدودين لتقليدهم ، وإلى الآن صار عندنا دائرة الأعلميّة من ستّة أشخاص تُحْتَمَلُ فيهم الأعلميّة ، فهؤلاء السّتّة مؤهَّلون لأن يكونوا من مراجع الأمّة ، وباقي المجتهدين يكونون خارج هذه الدّائرة ، وفي هذه الدّائرة يختار المكلَّف واحدًا من هؤلاء السّتّة أو يحتاط بين أقوالهم إن كان يعرف كيفيّة الاحتياط بناءً على فتاواهم ، ونسأل عن المرجِّحات إن كان يوجد أيّ مرجِّح لتقديم أحدهم على الباقي ، وإذا لا يمكن

الاحتياط ولا التّرجيح يختار المكلَّف واحدًا من هؤلاء السّتّة ، والمكلَّفون الّذين يقلّدونهم تختلف أعدادهم من مرجع إلى آخر ، وهم جميعًا مراجع الأمّة من خطّ المرجعيّة الرّشيدة .

ونأتي إلى هذه الدّائرة ونسأل : هل يمكن تقليص هذه الدّائرة إلى عدد أقلّ أو لا يمكن ؟

إذا كان لا يمكن تقليص الدّائرة فيقال للمكلَّفين اختاروا واحدًا منهم لتقليده .

ونرجع للعلماء في الحوزات العلميّة ونسألهم : أنتم حسب اطّلاعكم هل يوجد بينهم من تُحْتَمَلُ فيه الأعلميّة أكثر من غيره ؟ هل يمكن أن يكون واحد من هؤلاء السّتّة أعلم من الآخر ؟

لو قالوا بأنّه تُحْتَمَلُ الأعلميّة ضمن ثلاثة فقهاء منهم فنكون قد قلّصنا الدّائرة إلى ثلاثة ، فالأمّة ترجع إلى هؤلاء الثّلاثة ، والمكلَّف بناءً على فتاواهم يختار واحدًا من هؤلاء الثّلاثة أو يحتاط بين أقوالهم إن كان يعرف موارد الاحتياط ، فأهل الخبرة حدّدوا هؤلاء الثّلاثة .

ونسأل أهل الخبرة : هل يوجد شياع بين العلماء لأحد هؤلاء الثّلاثة بحيث نرجّح أحدهم ؟

والشّياع يكون موجودًا بين العلماء لا بين النّاس ، والشّياع بين النّاس إذا كان انعكاسًا للشّياع بين العلماء فهذا الشّياع نأخذ به ، وإذا لم يكن انعكاسًا للشّياع بين العلماء فلا نعتمد عليه .

وإذا كان لا يمكن ترجيح أحدهم فبناءً على فتاواهم يختار المكلَّف

واحدًا من هؤلاء الثّلاثة ، وإذا كان يمكن ترجيح أحدهم فيكون هو المتعيّن لتقليد المؤمنين ورجوعهم إليه لأخذ الأحكام الشّرعيّة منه ، فيتمّ الرّجوع إلى من يكون فيه رجحان الأعلميّة أكثر من غيره بشهادة أهل الخبرة ، فيكون هو مرجع الأمّة ، ويتعيّن على المؤمنين تقليده ، ويكون تكليفهم هو تقليد هذا الفقيه إذا كان هو المرجَّح بين أهل الخبرة ، وأفضل حالة هي فيما إذا كان مرجع الأمّة واحدًا ، مثلًا في زمان الشّيخ الأنصاريّ رضوان الله عليه كان هو الشّيخ الأعظم بلا منازع ، فالمؤمنون كانوا يرجعون إليه ، فإذا في زمان من الأزمنة اتّفق العلماء على فقيه واحد فهذا الفقيه هو المتعيّن للتّقليد ، فدائرة الأعلميّة تشتمل على فقيه واحد .

وأمّا إذا لم يمكن التّرجيح بين الفقهاء الثّلاثة فتكون الدّائرة مشتملة على ثلاثة فقهاء ، وإذا لم يمكن ترجيح ثلاثة من ستّة فتكون الدّائرة مشتملة على ستة فقهاء .

نسأل : هذا الشّياع كيف يكون ؟

سأبيّن ذلك بمثال عرفيّ في المحاضرة القادمة إن شاء الله ، وتلاحظون أنّنا نحاول دائمًا أن نذكر أمثلةً عرفيّةً ؛ لأنّ النّفس تتقبّل الأمر العرفيّ بسهولة ، وهذا الأمر العرفيّ العامّ الموجود بين النّاس يأخذ به الدّين في أحكام الفقه العمليّ ، وهو يمثّل السّيرة العقلائيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(١٨)
الشّياع المفيد للعلم أو الاطمئنان [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وكان الكلام عن تقليص دائرة الأعلميّة ، وعن المرجِّحات لتقديم بعض الفقهاء الموجودين في الدّائرة على البعض الآخر .

ومع وجود المرجّحات الّتي يقول بها أهل الخبرة يمكن تقديم بعض الفقهاء على الآخرين ، فإذا كان عندنا دائرة من ستّة فقهاء فمن الممكن تقليص هذه الدّائرة إلى ثلاثة فقهاء ، وإذا كان يمكن تقليص هذه الدّائرة إلى فقيه واحد فيكون هو المرجع المتعيّن الّذي يقلّده المكلَّفون ويرجع إليه المؤمنون .

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٠ شعبان ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٥/٢٩ م .

ونريد أن نطرح مثالًا عرفيًّا لكيفيّة تقليص دائرة الأعلميّة ، ونقول دائمًا بأنّه يمكن إعطاء أمثلة عرفيّة للقضايا الدّينيّة ، والأمثلة العرفيّة يتقبّلها النّاس عادةً ، ومن خلال المثال العرفيّ الّذي هو مثال متعارف عند النّاس – إذا استطعنا أن نطرح الأمثلة العرفيّة – يمكن أن ننتقل إلى الأمر الدّينيّ فيكون متقبَّلًا بكلّ سهولة ، وهذا أفضل طريق ، فالاستدلال العقليّ قد يقال بأنّ هذا استدلال لا أقبله ، ولكن في الاستدلال العرفيّ يقبله الجميع ؛ لأنّهم يعيشونه ويمارسونه .

مثال عرفيّ :

نذكر مثالًا عرفيًّا من ثلاثة أطبّاء لبيان كيفيّة تقليص دائرة الأعلميّة ، لنفرض أنّه يوجد شياع بين أهل الخبرة من الأطبّاء بأنّ هؤلاء الثّلاثة هم الّذين يدخلون في دائرة الأعلميّة في علاج مرض خطير معيَّن ، والطّبيب الأعلم هو الأقدر على تشخيص المرض والأقدر على إعطاء العلاج المناسب ، وقد يوجد أطبّاء عندهم القدرة على تشخيص المرض ، ولكنّهم لا يعطون العلاج المناسب ، وقد يحتاج العلاج المناسب إلى تحليل الدّم مثلًا ، وإذا كان الشّخص فيه مرض ضغط الدّم فلا يناسبه بعض الأدوية ، وإذا فيه مرض السّكّريّ فلا يصلح له بعض الأدوية ، فالأعلم هو الأقدر على تشخيص المرض والأقدر على وصف العلاج المناسب لهذا المرض .

وفي الأمراض الخفيفة كالزّكام لا تبحث عن الأعلم ؛ لأنّ جميع الأطبّاء يعطونك البنادول أو دواء الكحّة ، ولكن لو اختلف النّاس

في الأطبّاء الّذين يرجعون إليهم في الأمراض الخطيرة نسأل : هل يوجد مرجِّح لتقديم أحد هؤلاء الثّلاثة ؟

مثلًا يرجع للطّبيب الأوّل ثلاثمائة مريض في الشّهر ، والطّبيب الثّاني يرجع إليه ألف مريض في الشّهر ، والطّبيب الثّالث يرجع إليه ألفا مريض في الشّهر .

نسأل : **هل يمكن اعتبار عدد المراجعين مرجِّحًا لأعلميّة الطّبيب الثالث ؟**

الجواب :

نعم ، عدد المراجعين يعتبر مرجِّحًا لأعلميّة الطّبيب الثّالث ؛ لأنّ النّاس حينما يسألون عن الأطبّاء يبحثون عن أفضل طبيب ، فحينما نرى أنّ عددًا أكبر من المراجعين لطبيب معيّن في علاج مرض خطير فهذا يعطينا مرجِّحًا ، فيوجد رجحان للرّجوع إلى الطّبيب الثّالث ، ويكون احتمال الأعلميّة في الطّبيب الثّالث أكثر من غيره ، ويكون اطمئنان النّاس له أكثر ، فيشيع بين النّاس أنّ هذا الطّبيب هو الأفضل ، وهذا الشّياع بين النّاس تارةً يُسَبِّبُ اليقين والعلم والقطع ، وتارةً أخرى يُسَبِّبُ الاطمئنان ، وهذا هو الشّياع المفيد للعلم أو الاطمئنان .

سؤال : ما هو الفرق بين اليقين والاطمئنان ؟

الجواب :

في الرّسالة العمليّة تقرأون اليقين والاطمئنان أو العلم والاطمئنان ،

والعلم واليقين والقطع بمعنى واحد ، وهو نسبة ١٠٠% ، والاطمئنان هو الظّنّ العالي ، مثلًا ٩٨% ، ولا نسمّيه يقينًا مع أنّه قريب من اليقين ، وإنّما نسمّيه اطمئنان ، ونسبة ٦٠% أو ٧٠% نسمّيه ظنًّا ، فالاطمئنان هو الظّنّ العالي ، وعادةً في العرف ينزّلون الاطمئنان منزلة اليقين ، ويتعاملون معه على أساس أنّه يقين ، والنّاس حينما يحصل عندهم اطمئنان بشيء فإنّهم يعتبرونه مثل اليقين ، والدّقّة ليست موجودةً عند النّاس ، فلا ينظرون إلى نسبة ٢% ، وينزّلونها منزلة الصّفر ، ونقرأ في الرّسالة العمليّة أنّ من طرق تعيين الأعلم هو الشّياع المفيد للعلم أو الاطمئنان .

ويحصل الشّياع بين النّاس أنّ هذا هو الطّبيب الأفضل ، وهذا الشّياع يُسَبِّبُ لهم اليقين أي نسبة ١٠٠% ، أو يُسَبِّبُ لهم الاطمئنان أي نسبة عالية من الظّنّ ، وهذه النّسبة العالية يتعامل معها العرف كأنّها نسبة اليقين ، لذلك فهذا الشّياع يمكن الأخذ به في تعيين الأعلم .

وهذا الشّياع قد يكون بين الأطبّاء ، وقد يكون بين النّاس نتيجةً لتجاربهم الشّخصيّة ، ولكن في الأمور الدّينيّة لا يمكن أن نرجع للنّاس ، ففي القضايا العرفيّة يمكن أخذ آراء النّاس ، ولكن في القضايا الدّينيّة لا نرجع إلى النّاس ، فإذا كان يوجد شياع بين النّاس في الأمور الدّينيّة فنسأل : هل أنّ هذا الشّياع بين النّاس انعكاس للشّياع الموجود بين العلماء أو لا ؟

إذا كان الجواب نعم – فيمكن الاعتماد على الشّياع بين النّاس ؛ لأنّه انعكاس للشّياع بين العلماء ، وأمّا إذا لم يكن الشّياع بين النّاس انعكاسًا للشّياع بين العلماء فلا يؤخذ بهذا الشّياع .

إذن :

للأخذ بالأعلم في القضايا الدّينيّة نرجع إلى الشّياع الموجود بين العلماء ، ونرى بأنّ هذا الشّياع إذا صار له انعكاس بين النّاس فنأخذ بهذا الشّياع الموجود بين النّاس ؛ لأنّه نتيجة لانعكاس الشّياع الموجود بين العلماء ، وهذا يفيدنا في تحديد الأعلم .

والمريض إذا أراد أن يرجع إلى الطّبيب الأفضل فيسأل النّاس عن عدد المرضى المراجعين عند كلّ طبيب ، فيأخذ بالطّبيب الأفضل الّذي يأتي إليه في الشّهر ألفان من المرضى ، وهكذا يرجع إلى الطّبيب الأفضل .

وكذلك في القضايا الدّينيّة ترى في التّقليد بأنّ بعض المراجع بعد دخولهم في دائرة الأعلميّة يقلّده ناس أكثر من مقلِّدي المرجع الآخر ، مثلًا المرجع الأوّل يقلّده ٨٠٪ من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، والمرجع الثّاني يقلّده ٣٪ ، والثّالث يقلّده ٢٪ .

تسأل : **لماذا هذا الفرق بين عدد المقلِّدين لكلّ مرجع ؟**

الجواب :

إذا كان الشّياع الموجود بين النّاس هو نتيجة للشّياع الموجود بين العلماء – فهذا الشّياع يمكن الاعتماد عليه ، وأمّا إذا كان الشّياع بين

النّـاس نتيجـة الإعـلام والإعـلانات والفضـائيّات وكثـرة نشـر الصّـور فيطمئنّ الناس إليه فيقلّدونه – فهذا الشّياع لا يمكن الأخذ به .

وبعـض النّـاس عنـدهم أمـر غريـب ، يـرى شـكل المرجع فيقلّـده ، ويقـول بأنّ هـذا يـدخل قلبي وذاك لا يـدخل قلبي ، ولكـن هـذا لـيس مقياسًـا شرعيًّا في اختيار المرجع ، والنّاس قد يتعاملون مع هذا الأمر في القضـايا العرفيّـة ، ولكـن في القضـايا الشّـرعيّة لا نتعامـل مـع مـن دخـل قلـبي ومـن لم يـدخل قلـبي ، بـل لا بـدّ مـن أن يسـأل عـن مواصفات المرجع ، فإذا كان عدد مقلّديه أكثر فيسأل : لماذا مقلّدو هذا المرجع أكثر من باقي المراجع ؟

هـذا بشرط أن يكـون جميع المراجع ضـمن دائرة الأعلميّة بشـهادة أهل الخبرة ، ومن يكون خارج الدّائرة لا يدخل في الحساب .

لنفـرض شخصًـا خـارج دائـرة الأعلميّة وقلّـدوه ٩٠% فهـذا لـيس مقياسًـا ، فـأوّلًا نحـدّد الـدّاخلين في دائـرة الأعلميّـة ، وبعـد ذلـك ننظـر إلى عدد المقلّدين ، فإذا كان الشّياع انعكاسًا للشّياع بين العلماء فهذا يُعْتَبَـرُ مرجِّحًـا ، ويمكـن الاعتمـاد علـى هـذا المـرجِّح ، فيكـون عنـدنا الشّـياع المفيـد للعلـم أو الاطمئنـان ، والشّـياع بـين العلمـاء صـار لـه انعكاس بين النّاس ، فيمكن الأخذ بهذا الشّياع .

وبالنّسبة للأطبّاء إذا أصيب الشّخص بمرض خطير فإنّه يرجع إلى الطّبيب الثّالث ويترك الطّبيبين الأوّلين ؛ لأنّه الأعلم في تشخيص هذا المرض وإعطاء العلاج المناسب ، والشّياع الموجود بين النّاس هو أنّهم

لا يثقون بأطبّاء بلدهم ، لذلك يذهبون إلى الخارج ؛ لأنّه يوجد شياع يقينيّ بأطبّاء الخارج ، ففي الأمراض الخطيرة لا يمكن الاعتماد على أطبّاء البلد إلّا نادرًا ، وأحيانًا يوجد طبيب متخصّص من أبناء البلد والنّاس يرجعون إليه ، وهذا الطّبيب استثناء ، وهي حالة نادرة ، لذلك في الأمراض الخطيرة يذهبون بهذا المريض إلى الخارج ؛ لأنّهم يعتقدون اعتقادًا يقينيًّا بأنّ الطّبيب الأعلم يوجد في الخارج ، لذلك يسافر كثير من المرضى المصابين بأمراض خطيرة إلى الخارج للعلاج ، ولا يرجعون لأيّ شخص يدّعي الطّبابة ، فاحتمال الأعلميّة أو القطع بالأعلميّة يكون للأطبّاء خارج البلد ، ولو لم يرجع المريض إلى الطّبيب الأعلم للامه النّاس وذمّوه ووبّخوه .

وبالنّسبة للمرجعيّة فبعض المراجع موجودون في النّجف الأشرف ، وبعضهم في قم المقدّسة ، نعم سابقًا كان يوجد مراجع في مناطق أخرى مثل كربلاء والحلّة وبغداد وأصفهان ومشهد ، والآن الحوزات المعروفة هي حوزة النّجف الأشرف وحوزة قم المقدّسة .

ونرى أنّ بعض المراجع ضمن خطّ المرجعيّة الرّشيدة يقلّدهم من المؤمنين أعداد أكبر ، وحتّى من يقلّدون مراجع خارج خطّ المرجعيّة الرّشيدة أو يقلّدون مدّعي المرجعية يسألون في أيّ قضيّة : ماذا يقول المرجع الأعلم ؟

مثلًا في هلال شهر رمضان أو هلال العيد ينتظر جميع مقلّدي المراجع الآخرين قول (مرجع الأمّة) حتّى لو أنّ جميع المراجع تكلّموا

عن الهلال ، كأنّ المرجعيّة محدّدة ضمن فقيه واحد ، والشّياع المفيد للعلم أو الاطمئنان لهذا المرجع موجود بين المؤمنين ، وإذا قلتم بأنّه يوجد اثنان من أهل الخبرة يشهدان بمرجعيّة فقيه من الفقهاء – فنقول بأنّه يوجد شياع بين المؤمنين ، وهو شياع مفيد للعلم أو الاطمئنان ، وهذا الشّياع الموجود بين المؤمنين انعكاس للشّياع بين أكثريّة العلماء في العالم ، والآن المرجعيّة الرّشيدة محدّدة بفقيه واحد ، ويمكن أن يرجع جميع المؤمنين إلى هذا الفقيه الواحد ، وبذلك تتوحّد المرجعيّة في فقيه واحد ، ونرى بأنّ جميع المؤمنين ينتظرون كلمةً أو بيانًا من هذا الفقيه في أيّ مناسبة أو حدث يَلُمُّ بالأمّة ، وهذا يعطيك اليقين أو الاطمئنان العالي بأنّ هذا الفقيه هو المتعيّن لتقليد جميع أفراد الأمّة .

النّتيجة النّهائيّة :

نصل إلى النّتيجة النّهائيّة لعدّة محاضرات سابقة ، وهي أنّه نحتاج إلى التّقليد وهو رجوع الجاهل إلى العالم ، وهذا موجود في جميع العلوم بما فيها العلم الدّينيّ ، وهذا ردّ على من ينكر التّقليد في العلم الدّينيّ .

ومن ناحية نظريّة يوجد تفاوت في العلم الواحد بين النّاس حتّى في العلم الدّينيّ ، وهذا التّفاوت في العلم بين الأشخاص بديهيّ واضح لا يمكن إنكاره ، ومثاله التّفاوت بين تلاميذ المدارس وبين طلبة الجامعات وبين الأطبّاء وبين المدرّسين ، وهذا ردّ على من ينكر الأعلميّة .

وقلنا من الإشكالات بأنّه لا يوجد شيء اسمه (الأعلميّة) ، فنقول

إنّ قضيّة التّفاوت في العلم وأنّه يوجد أعلم وأقلّ علمًا من الأمور البديهيّة ، والأمور البديهيّة لا تحتاج إلى إثبات ولا يمكن إنكارها ، والأمر البديهيّ واضح لجميع النّاس ، ومن ينكر هذه البديهة يقال بأنّ لديه شبهة في مقابل البديهة ، فمن ناحية نظريّة يوجد بين النّاس تفاوت في العلم .

ومن ناحية عمليّة يمكن للعلماء من أهل الخبرة تعيين الأعلم في جميع العلوم سواء العلوم الدّينيّة أم العلوم الدّنيويّة ، وتعيين الأعلم ليس من اختصاص النّاس ، ولا يدخل في دائرة عمل النّاس ، بل يدخل في دائرة عمل العلماء ، فالعلماء من أهل الخبرة هم الّذين يمكنهم أن يحدِّدوا الأعلم من الفقهاء أو يحدِّدوا مجموعةً من الفقهاء الّذين تُحْتَمَلُ فيهم الأعلميّة ، وهذا ردّ على من ينكر إمكانيّة تحديد الأعلم .

إذن :

نحتاج إلى التّقليد في العلم الدّينيّ ، والتّقليد هو رجوع الجاهل إلى العالم ، وهذا موجود في جميع العلوم .

وقلنا بأنّه يوجد مستويان للنّقاش ، والمستوى الأوّل من ناحية نظريّة وهو إنكار الأعلميّة ، والمستوى الثّاني من ناحية عمليّة وهو إمكانيّة تحديد الأعلم لمن يسلّم بالأعلميّة ، ولكنّه يُشْكَلُ بأنّه لا يمكن تحديد الأعلم من ناحية عمليّة .

من ناحية نظريّة نردّ على من ينكر الأعلميّة بأنّه يوجد أعلم وأقلّ

علما ، وهذا على المستوى الأوّل ، ومن ناحية عمليّة نردّ على من ينكر إمكانيّة تحديد الأعلم بأنّه يمكن لأهل الخبرة تحديد الأعلم إمّا أن يكون واحدًا أو ضمن مجموعة ، وهذا على المستوى الثّاني .

نأتي الآن إلى سؤال مهمّ ، وهو :

هل يُشْتَرَطُ أن يكون من يحدِّد الأعلم أعلم من الأعلم ؟

الجواب :

لا يُشْتَرَطُ أن يكون من يحدّد الأعلم أعلم من الأعلم ، وهنا يوجد ردّان على القول السّابق :

الرّدّ الأوّل :

أنتم تقولون إنّ الأعلم يحدّد الأعلم ، يعني أنّ الأعلم الأوّل يحدّد الأعلم الثّاني ، نسأل : الأعلم الأوّل من الّذي حدّد أنّه الأعلم ؟

حسب كلامكم يُشْتَرَطُ أن يحدّده الأعلم منه ، فصعدنا فوق الأعلم الأوّل ، فيوجد أعلم منه ، ونأتي إلى هذا الأعلم الموجود فوق ذاك الأعلم ونسأل : من الّذي حدّد أنّه الأعلم ؟

تجيب الأعلم الّذي فوقه ، فنسأل : من الّذي حدّد أنّه الأعلم ؟

وهذه السّلسلة من الأسئلة لا تنتهي ، وهذا هو الّذي يسمّى (التّسلسل) ، والتّسلسل معناه إلى ما لا نهاية ، وهذا هو الرّدّ الأوّل لأنّ تحديد الأعلم يؤدّي إلى التّسلسل ، والتّسلسل باطل .

الرّدّ الثّاني :

تقولون بأنّ الأعلم يحدّد الأعلم ، فنرجع إلى الأعلم الأوّل فيكون

هو المرجع ، ولا نرجع إلى الأعلم الثّاني ، فيكون الأعلم الأوّل هو المتعيّن للتّقليد ، ولا يحتاج لأن يقول بأنّ هذا الّذي هو أقلّ علمًا منّي هو الأعلم ، فالأوّل هو الأعلم فترجع مباشرةً إلى هذا الأعلم ، ولا تحتاج للرّجوع إلى الأقلّ علما .

إذن :

في الرّدّ الأوّل تحديد الأعلم يؤدّي إلى التّسلسل ، والتّسلسل باطل ، وفي الرّد الثاني يقال إنّ الأعلم يحدّد الأعلم ، فنقول إنّ المحدِّد هو الأعلم فنرجع إليه ولا نحتاج أن نبحث عن الأعلم المحدَّد الّذي هو الأقلّ علمًا .

قد يقال :

إنّ غير الأعلم لا يستطيع أن يحدّد الأعلم ، وأنّه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأعلم ، وأنّ المعصومين عليهم السّلام هم الوحيدون القادرون على تحديد الأعلم ؛ لأنّهم أعلم من الجميع ، وفي زماننا الإمام الحجّة المهديّ عليه السّلام هو الوحيد القادر على تعيين الأعلم ، ولا يمكننا نحن البشر تحديد الأعلم .

ردّ القول السّابق :

الرّدّ على هذا القول أنّ تحديد الأعلم من قِبَلِ غير الأعلم ممكن ، ودليلنا هو الوجدان ، والوجدان ليس هو الضّمير بتعبير عصرنا الحاليّ ، وإنّما معنى الوجدان هو أنّك تجد بنفسك أنّ غير الأعلم يمكنه أن يحدّد الأعلم ، وما تجده بنفسك يعطيك اليقين ؛ لأنّه أمر

بديهيّ واضح بالنّسبة لك ، فالطّالب في المدرسة أو الجامعة يعرف أنّ هذا الأستاذ أعلم من ذاك الأستاذ مع أنّ الطّالب أقلّ علمًا من الأساتذة ، لذلك فالطّالب المستجدّ يسأل الطّالب القديم عن الأساتذة حينما يريد أن يَدْرُسَ مادّة معيّنة ، فيقول له : ادْرُسْ عند هذا الأستاذ ؛ فهو أحسن وأفضل من ذاك الأستاذ .

والأحسن والأفضل معناه الأعلم ، والطّالب حتمًا هو أقلّ علمًا من الأستاذ ، ولكن مع ذلك يستطيع الطّالب أن يعيّن الأعلم من بين الأساتذة في التّخصّصات المختلفة من الّذين دَرَسَ عندهم ، فالطّالب القديم يُعْتَبَرُ من أهل الخبرة في تعيين الأستاذ الأعلم ، فيقول إنّ هذا الأستاذ في الرّياضيّات أفضل وأفهم من الأستاذ الآخر ، ومعنى الأفضل والأفهم هو الأعلم .

ونرى أنّ بعض الأمور العرفيّة يمكننا الاستدلال بها في المسائل الدّينيّة ، ولا نحتاج إلى الاستدلال العقليّ ، والاستدلال العقليّ لا يكون واضحًا لجميع النّاس ، ويمكن إنكاره ، وتقول إنّ هذا استدلال عقليّ ، فيردّ عليك بأنّ عقلي لا يقول بذلك ، ولكن إذا أتيت بدليل عرفيّ فيسلّم به ولا يمكنه إنكاره ، وإذا قلت بأنّ هذا أمر وجدانيّ تجده وتراه بنفسك فلا يمكنه رفض الأمر الوجدانيّ ؛ لأنّه بديهيّ واضح بالنّسبة له ولجميع النّاس .

إذن :

القول بأنّ تعيين الأعلم من الفقهاء غير ممكن ؛ لأنّ من يعيِّن

الأعلم لا بدّ أن يكون أعلم من الأعلم ، والأقلّ علمًا لا يمكنه تحديد الأعلم – مردود ، فالأقلّ علمًا يمكنه تعيين الأعلم من الفقهاء إذا كان غير الأعلم من أهل الخبرة ، والدّليل هو الوجدان ، فكلّ واحد منّا يرى بنفسه أنّه يمكن للأقلّ علمًا معرفة الأعلم بشرط أن يكون غير الأعلم من أهل الخبرة في هذا التّخصّص ، ولا نحتاج هنا إلى دليل عقليّ ؛ لأنّ الدّليل العقليّ يمكن أن ينكره البعض ، وأمّا الدّليل الوجدانيّ فلا يمكن لأحد إنكاره لأنّه موجود عنده ، ولا نحتاج إلى تدخّل المعصومين عليهم السّلام ، ولا أن يقول الإمام المهديّ عليه السّلام للمؤمنين بأن يقلّدوا الفقيه الفلانيّ ولا يقلّدوا الفقيه الآخر ، والإمام عليه السّلام لا يتدخّل في هذا الأمر مباشرةً ، فأرجع المؤمنين إلى تقليد الفقهاء بشكل عام ، وهذه هي القاعدة العامّة .

تسأل : **إلى أيّ فقيه أرجع ؟**

الجواب :

أوّل خطوة هي ما ورد عن الإمام العسكريّ عليه السّلام أنّه قال : "فأمّا مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائنًا لنفسه ، حافظًا لدينه ، مخالفًا لهواه ، مطيعًا لأمر مولاه – فللعوامّ أن يقلّدوه ، وذلك لا يكون إلّا (في) بعض فقهاء الشّيعة لا جميعهم" (١) .

تقول إنّ الإمام عليه السّلام أرجعنا إلى الفقهاء ، فهل نأخذ من جميع الفقهاء ؟

---

(١) التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص٣٠٠ .

نقول من غير المعقول أن ترجع إلى كتب جميع الفقهاء في كلّ مسألة تحتاجها ، الإمام عليه السّلام بيّن لنا أصل التّقليد ، فكأنه قال : أيّها المكلّفون ، عليكم بالتّقليد وأخذ الأحكام من الفقهاء ، فنسأل : مَنْ مِنَ الفقهاء نأخذ منه ؟

وللجواب على هذا السّؤال نأتي إلى الأدلّة القرآنيّة والرّوائيّة والعقليّة والعرفيّة الّتي تدلّ على وجوب تقليد الأعلم ، فالإمام عليه السّلام بيّن لنا أصل التّقليد ، ولمعرفة تفاصيل التّقليد نرجع إلى أدلّة أخرى ، وتوجد أدلّة شرعيّة دالّة على الرّجوع إلى الأعلم ، وبعض الرّوايات وردت فيها كلمة (الأفقه) ، وسأبيّن فيما بعد كيفيّة الاستدلال بهذه الرّوايات .

الإمام عليه السّلام لا يتدخّل في تعيين المراجع بشكل مباشر ما دام أنّه غائب ، نعم قد يتدخّل بشكل مباشر في بعض القضايا المهمّة ، ولكن لا نعلم متى يتدخّل ، ولكنّه عليه السّلام لا يتدخّل في أوضاع المؤمنين بشكل عامّ .

مثلًا في الهجمة العالميّة على المسلمين والمؤمنين لا يتدخّل عليه السّلام بشكل مباشر ؛ لأنّ الأوامر الإلهيّة والنّبويّة في كيفيّة مواجهة الأعداء موجودة في القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة .

منها قوله تعالى :

"وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ . . ." [1] .

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

الآيات القرآنيّة والرّوايات الشّريفة تقول للمسلمين أنّه لا بدّ من أن تكونوا أقوياء ، ويمكنكم أن تكونوا أقوياء في مهاجمة الأعداء ، فكما استطاع العلماء أن يكونوا أقوياء فأنتم تكليفكم أن تكونوا أقوياء أيضًا ، والأمر ممكن ولا يحتاج إلى معجزة ، والإمام عليه السّلام لا يتدخّل بمعجزة ؛ لكي يحوّل أحوال المسلمين من ضعف إلى قوّة ، فخذوا بالوسائل الّتي تؤدّي بكم إلى القوّة ، وبذلك تكونون أقوياء .

وتقليد الفقهاء يتمّ عن طريق الرّجوع إلى أهل الخبرة الّذين يمكن لهم تعيين الأعلم من بين الفقهاء ، ونرى في الحوزات العلميّة طالب بحث الخارج – إذا كان ضابطًا لموادّ المقدّمات والسّطوح ودرس عند عدّة أساتذة – أنّه يمكنه أن يحدّد أنّ هذا الأستاذ أعلم من ذاك الأستاذ ، وبحث الخارج عبارة عن توسعة لما درسه سابقًا ، إذا كان قد درس أصول الفقه ففي بحث الخارج يأخذ بحثًا أكثر وأطول وأدقّ ، وكذلك في الفقه العمليّ يأخذ بحثًا أوسع في آراء العلماء ومناقشتها ، ويمكن لهذا الطّالب أن يميّز أنّ هذا الفقيه أعلم من الفقيه الآخر .

وفي الأسبوع القادم سأذكر لكم خلاصةً للمحاضرات السّابقة حتّى نتذكّر المطالب بشكل مختصر جدًّا على شكل نقاط ، وبعد ذلك ندخل في النّقطة العاشرة ؛ لأجل أن نصل إلى أجوبة الأسئلة التّالية :

لماذا نرجع إلى الأعلم في الأمور الدّينيّة ؟

وما هو الهدف من وراء الرّجوع في أخذ الأحكام من الفقيه الأعلم ؟

ولماذا لا نرجع إلى أيّ فقيه حتّى لو لم يكن هو الأعلم ؟

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

في الرّوايات الموجودة في كتاب (الكافي) يحدّد الإمام عليه السّلام المسئوليّات ، مثلًا أبان بن تغلب ويونس بن عبدالرحمن في الفقه ، وهشام بن الحكم يناقش المتكلّمين ، وشخص يتكلّم في المسجد ويجيب عن أسئلة النّاس .

والبعض يسأل الإمام عليه السّلام : لماذا هذا الشّخص يكون في المسجد وليس شخصًا آخر ؟

فيجيب الإمام عليه السّلام بأنّ مؤمن الطّاقّ يسقط ويطير ، وأنت تسقط ولا تطير ، فالإمام عليه السّلام يوزّع المسئوليّات .

فهل هذه الرّوايات دليل على الأعلميّة ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

نعم هذه الرّوايات الشّريفة تبيّن الأعلم في هذا التّخصّص أو ذاك التّخصّص ، مثلًا هشام بن الحكم يُرْجَعُ إليه في المسائل العقائديّة ، لذلك نرى أنّ رواياته عقائديّة ، وزرارة يُرْجَعُ إليه في المسائل الفقهيّة العمليّة ، لذلك فإنّ رواياته تتناول الفقه العمليّ ، والإمام عليه السّلام كان يبيّن نظام التّخصّص في المجالات الدّينيّة المختلفة ، فيوزّع

التّخصّصات والمهمّات على أصحابه ، طبعًا حسب ميولهم ، وهذا موجود أيضًا عند العلماء ، ترى عالما متخصّصًا في الفقه العقائديّ ، وعالما ثانيًا متخصّصًا في الفقه العمليّ ، وعالما ثالثًا متخصّصًا في الفقه الأخلاقيّ ، وهذه التّخصّصات موجودة في الحوزات العلميّة ، ونظام التّخصّص نظام مطلوب ؛ لأنّه لا يمكن للشّخص أن يتخصّص في جميع المجالات ، وهذا موجود حتّى من ناحية عرفيّة ، تجد طبيبًا مختصًّا بالعين ، وطبيبًا آخر مختصًّا بالأذن والحنجرة ، وطبيبًا ثالثًا مختصًّا في الأمراض الباطنيّة ، وطبيبًا مختصًّا بالجراحة ، وطبيبًا آخر في القلب ، فهذه التّخصّصات موجودة حتّى في العلوم الدّنيويّة .

تقول : إنّ بعض العلماء السّابقين كانوا متخصّصين في جميع المجالات .

نقول : نعم ، في ذاك الوقت لم تكن توجد التّفريعات الكثيرة ، فالعالم يدرس كتاب معالم الدّين للشّيخ حسن ابن الشّهيد الثّاني المشتمل على أربعمائة صفحة فيصير مجتهدًا في الفقه العمليّ ، وينتهي من الكتاب في ستّة أشهر ، والآن يحتاج طالب العلم أن يحضر بحث الخارج عدّة سنوات ، ولا يوجد ضمان أن يصير مجتهدًا ، فرق بين الزّمانين ، وأصول الفقه لم توجد فيها التّفريعات الكثيرة الموجودة اليوم ، فهناك قواعد جديدة لم تكن موجودةً عند العلماء السّابقين ، وفي علم الرّجال توجد توسعة كثيرة ، وسابقا كان هذا العلم في مجلّد واحد ، والآن تجد علم الرّجال في خمسة عشر مجلّدًا .

إنّ العلم بطبيعته يتّسع مع تقدّم الزّمان ، ولا يبقى على حاله ، وهذا موجود في العلوم الدّينيّة وفي العلوم الدّنيويّة ، وسابقًا كان الطّبيب يختصّ بعلاج جميع الأمراض ، والآن وجد نظام التّخصّص ؛ لأنّ الطّبيب يحتاج إلى بذل جهد أكبر وسنوات أكثر في الدّراسة في أمراض العين فقط ، فيأخذ تشريح العين ، وأنواع أمراض العين وعلاجاتها ، وتوجد تطوّرات كثيرة في علاج أمراضها ، وقبل كان من الصّعوبة إجراء عمليّة للعين ، والآن عمليّة العين عمليّة سهلة تستغرق دقائق معدودة ، وفي زماننا يمكنهم تغيير لون العين ، فيسحبون اللّون ويضعون لونًا آخر ، وهذا لم يكن موجودًا سابقًا ، وعلاج أمراض العين في السّابق كان صعبًا ، ومن الممكن أن يصاب المريض بالعمى ، والآن العمليّات سهلة .

والعلوم تتطوّر سواء العلوم الدّينيّة أم العلوم الدّنيويّة ، وتوجد بحوث كثيرة في العلوم الدّينيّة ، سابقًا كان علم الأخلاق في كتاب واحد ، والآن توجد عدّة مجلّدات ، وكذلك في علم العقائد ، فنظام التّخصّص موجود حتّى في يومنا هذا .

وقلنا في أوّل المحاضرات إنّنا نحتاج إلى ثلاث رسائل : رسالة عقائديّة ورسالة أخلاقيّة ورسالة عمليّة ؛ لأنّه لا يمكن لعالم واحد أن يتخصّص في العلوم الثّلاثة بسبب ضيق الوقت ، وعمر الإنسان يتراوح بين خمسين وثمانين ، وإذا زاد يصل إلى المائة ، واحسب من الأربعين أو الخمسين تبدأ الأمراض ، فلا يستطيع أن يتخصّص

الإنسان في جميع العلوم ، كان ابن سينا يعالج جميع الأمراض بالأعشاب ، ولو جاء إلى زماننا لا يمكنه أن يكون طبيبًا لجميع الأمراض ، والفقيه في السّابق إذا أتى إلى زماننا لا بدّ من أن يدرس القواعد الجديدة في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم ؛ لكي يصير فقيهًا ، فالفقيه في ذاك الزّمان ليس فقيهًا في زماننا الحاليّ ، فلا بدّ من أن يدرس عند فقهاء زماننا حتّى يحصل على شهادة الاجتهاد .

ومن الطّبيعيّ أن تتطوّر جميع العلوم ، وتوجد حاجة إلى التّخصّص في كلّ فرع من فروع العلم ، كما كان نظام التّخصّص في زمان الإمام الصّادق عليه السّلام ، وفي زماننا الحاجة إلى التّخصّص أكبر من السّابق .

سؤال : محمّد سلمان الحدّاد :

إذا وجد فقيه فيه صفة الأعلميّة وهو متصدّي ، وبعض العلماء يشيدون به ، ولكنّه يخالف خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، فهل يجوز تقليده ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

إذا كان بشهادة العلماء ودخل في دائرة الأعلميّة فيجوز تقليده ، وقد يكون عالما ، ولكنّ العلماء لم يدخلوه في دائرة الأعلميّة ، فيكون خارج الدّائرة ، حتّى لو كان عنده نظريّات جديدة ، ونظريّاته لا بدّ من أن تحصل على توقيع العلماء من أهل الخبرة ، وقد يوجد عالم عنده نظريّات ، والنّظريّات تحتاج إلى تصديق من باقي العلماء إذا

كان يوجد عليها أدلّة تثبتها ، وأمّا النّظريّات الّتي تكون بلا دليل فلا تكون مقبولةً ، لا لمجرّد أنّها نظريّة جديدة فمعنى ذلك أنّها صحيحة ، لا بدّ من وجود الدّليل الّذي يثبت صحّة النّظريّة .

والعلماء في الحوزات يبحثون في النّظريّات الجديدة ويناقشونها ويشكلون عليها إلى أن تثبت صحّتها فيقبلها العلماء حتّى لو كانت خلاف النّظريّات المشهورة ، ويكون مجدِّدًا باعتراف العلماء ، ولا يكون مجدِّدًا باعتراف مؤسّسة أو حسينيّة أو مسجد ، أو يقول عن نفسه : أنا مجدد ، فهذا لا يكفي ، فلا بدّ من أن يكون بشهادة العلماء من أهل الخبرة .

وإذا كان داخلًا في دائرة الأعلميّة بشهادة أهل الخبرة فالمؤمنون يرجعون إليه في التّقليد ، وإذا كان لحدّ الآن خارج دائرة الأعلميّة ففي السّنوات القادمة قد يدخل في الدّائرة ، وكلّه بشهادة أهل الخبرة في الحوزات العلميّة ، وبذلك لا ينفتح الباب بأن يأتي شخص في كلّ فترة ويقول عندي نظريّات جديدة ، وتكون بلا دليل لإثباتها ، لذلك إذا وافق أهل الخبرة على هذه النّظريّات فتكون مقبولةً ، وإذا لم يوافقوا فتكون تحت التّجربة إلى أن تثبت صحّتها .

مثلًا طبيب يأتي ويقول : عندي دواء جديد لمرض معين ، فيحتاج إلى تجربة من الأطبّاء من أهل الخبرة ، فيجرون التّجارب أوّلًا على الحيوانات ، ثمّ يجرّبون على عيّنة من البشر ؛ لكي يروا أنّه توجد أعراض جانبيّة أو لا توجد ، لا لمجرّد أنّه يقول : عندي دواء جديد –

فيصير هو الأعلم ، قد يثبت فيما بعد أنّ هذا الدّواء لا يصلح لاستعمال البشر .

مثلًا قبل خمسين سنةً إذا أصيب الإنسان بالزّكام كان الأطبّاء يصفون له العلاج بالأسبرين ، والآن لا يصفون الأسبرين لمرضى الزّكام ؛ لأنّهم اكتشفوا أنّ الأسبرين يساهم في تسييل الدّم ، لذلك من يأخذ الأسبرين كان يحصل عنده سيلان في الدّم ، فإذا أصيب بجرح فالدّم لا يتوقّف ، والآن الأسبرين دواء لتخثّر الدّم لمن يصاب بالجلطة ، وقد يكتشفون أنّ بعض الأدوية لها أعراض جانبيّة مضرّة .

وهذا يجري في جميع العلوم الدّنيويّة ، وكذلك في العلوم الدّينيّة ، فمن عنده نظريّة جديدة ينتظر موافقة العلماء ، ولا تقل بأنّ هذه النّظريّة الجديدة فوق مستوى العلماء ، فهم علماء نثق بهم ، وعندهم القدرة على تشخيص أنّ هذه النّظريّة صحيحة أو غير صحيحة ، ولنفرض أنّه الآن ثبت عدم صحّتها ، قد يأتي في المستقبل بعض العلماء ويجيبون على جميع الإشكالات الّتي تَرِدُ على هذه النّظريّة ، وتصير النّظريّة صحيحةً ومقبولةً عند العلماء .

وهكذا تتطوّر العلوم الحوزويّة ، فإن قُلْتَ قُلْتُ في الإشكال والجواب ساهم في تطوير العلوم الدّينيّة ، فنظريّة سابقة كانت مقبولةً ، وورد عليها إشكالات فَرُفِضَتْ وجاء محلّها نظريّة جديدة ، وهذا موجود في العلوم الدّنيويّة وفي العلوم الدّينيّة .

وننتظر شهادة أهل الخبرة بأنّ هذا الفقيه يدخل في دائرة الأعلميّة

أو لا يدخل ، وإذا لم يدخل لحدّ الآن فننتظر إلى أن يدخله العلماء في الدّائرة ، وحينذاك إذا قالوا بأنّه مؤهَّل للمرجعيّة فالمؤمنون يرجعون إلى تقليده .

سؤال : عميد الدّيوانيّة الحاجّ محمد يوسف العيسى :

يوجد مجتهدون كثيرون ، فهل المجتهد يقلّد المراجع أو يقلّد نفسه ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

المجتهد يقلّد نفسه ، ولكنّ المؤمنين لا يقلّدونه ، وإذا شهد العلماء بأنّه يدخل في دائرة المرجعيّة الرّشيدة فيجوز للمؤمنين تقليده ، فالمجتهد يقلّد نفسه فقط ، ولا بدّ من أن تكون عنده شهادة اجتهاد من العلماء والمراجع ، ويمكن له أن يحتاط بين فتاواه وفتاوى المراجع .

مثلًا عنده فتوى بالاستحباب ويرى أحد المراجع يقول بالحرمة ، فيحتاط بترك العمل .

وقد يحتاط بتكرار العمل ، مثلًا يجمع بين القصر والتّمام في صلاة الظّهر .

وأمّا إذا لم يكن عنده شهادة اجتهاد فلا يحقّ له أن يقلّد نفسه .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(١٩)
الرّجوع إلى الأعلم في المسائل الدّينيّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

خلاصة المحاضرات السّابقة :

قبل الدّخول في نقطة جديدة أقدّم لكم خلاصةً لما مضى حتّى نعرف أين وصلنا وإلى أين نسير .

المرجع له تاريخ طويل في الحوزة في النّواحي العلميّة والتّقوائيّة ، لا أنّه معروف بعلمه فقط ، بل معروف بتقواه أيضًا ، وحينما نناقش مسألة (الأعلميّة) فنحن فارغون من مسألة التّقوى ، وأمّا إذا كان شخص لا يوجد عنده تقوى فهذا أصلًا لا ننظر إلى علمه ، لذلك إذا كان يوجد شخص منحرف – حتّى لو كان أعلم العلماء – فلا

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٧ شعبان ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٦/٥ م .

نرجع إليه في المسائل العلميّة ، ولا يؤخذ منه شيء ، لنفرض مدّعي مرجعيّة ومن أعلم العلماء فلا يؤخذ منه أيّ مسألة علميّة ؛ لأنّنا لا ننظر إلى العلم فقط ، بل الجانب التّقوائيّ يدخل في الموضوع ، وحينما نناقش الأعلميّة فإنّنا نفترض أنّ الفقهاء الّذين دخلوا دائرة الأعلميّة هم من حيث التّقوى متّفق على تقواهم ، والعلماء اختاروهم بعد الفراغ من تقواهم ، فله سيرة وتاريخ في الحوزة من بداية دراسته ، والمحيطون به يعرفون أنّه إنسان متّقي من خلال العشرة ، والمراجع متّقون ، وبعد ذلك نناقش من هو الأعلم .

والشّخص لا يمكن أن يصير مرجعًا من دون أن يكون معروفًا عند العلماء في رتبة سابقة ، فهو قبل أن يكون مرجعًا كان مجتهدًا ، وكان أستاذًا في الحوزة ، وله مجموعة من الطّلبة الّذين يحضرون دروسه ويشهدون له بالعلم ، وهو معروف بدرسه ، وعادةً من يصل إلى مقام المرجعيّة يكون من السّابق معروفًا بدقّته العلميّة في دروسه .

وإذا سمعنا عن شخص مجهول أنّه صار مرجعًا فجأةً من دون مقدّمات ومن دون أن يكون معروفًا عند العلماء في الحوزات العلميّة وليس له حضور في الحوزات فاعلموا أنّ أمره مريب ، شخص غير معروف ويدّعي المرجعيّة فأمره مشكوك ، والشّخص لا يصير مرجعًا فجأةً ، ينام في اللّيل ويقوم في الصّباح وقد صار مرجعًا ، ليس بهذه الطّريقة ، بل لا بدّ من أن يكون له تاريخ طويل في الحوزات تمتدّ إلى أربعين أو خمسين سنة أو أكثر من ذلك .

ولا بدّ من أن نسأل : لماذا يدّعي المرجعيّة ؟ وما هو الهدف الّذي يريد أن يصل إليه ؟

إذا كان الهدف تقوية الدّين فلا تكون عن طريق ادّعاء المرجعيّة ، وهو خلاف الهدف ، وإذا كان يعتقد أنّه يستحقّ المرجعيّة فهذا لا يتحقّق إلّا بشهادة العلماء ، لا أنّ الشّخص يقول عن نفسه بأنّه أعلم العلماء .

أنت تطرح آراءك والعلماء يقيّمونها ، فقد تكون الآراء الّتي تطرحها آراءً مبنيّةً على أدلّة ضعيفة ، وأنت تعتقد أنّها أدلّة قويّة ، فالعلماء يدرسون البحوث الّتي تقدّمها ، وعلى أساسها يقيِّمون الأشخاص ، قد لا يقولون عنه أنّه عالم .

شخص لم يدرس جيّدًا ، ويطرح بعض الآراء ، مثلًا طالب في سنة أولى أو ثانية في الحوزة يتكلّم بآراء أكبر ممّا درس ، نقول له اصبر ولا تستعجل ، وأحيانا بعض الطّلبة في أوّل فصل دراسيّ يحضر دروس بحث الخارج ، وعندما يجلس مع الطّلبة القدامى يطرح بعض الأفكار الّتي تُدْرَسُ في بحث الخارج ، هذا البحث لا يناسبه ، لذلك لا بدّ من أن نكون حذرين في التّعامل مع أمثال هذا الشّخص .

الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رضوان الله عليه في كتابه ينقل هذه القصّة ، يقول في مرّة كان يناقش أحد المراجع ، ويأخذ ويعطي معه ، فالمرجع سأله : كيف تعرف هذه الأمور ؟

والشّيخ محمّد جواد مغنيّة كان معروفًا بقوة الحافظة .

فقال – بهذا المعنى – بأنّه البارحة قرأ كتابًا ، والآن يتكلّم بألفاظ ولا يعرف معانيها ، لا أنّه متمكن من هذه الأمور ، فكان يناقش ويطرح ما قرأه ؛ لأنّ ذاكرته كانت قويّة .

والشّيخ محمّد عليّ الأراكيّ رضوان الله عليه صار مرجعًا وكان عمره مائة سنة ، وكان معروفًا من السّابق بعلمه ، وكان مرشَّحًا للمرجعيّة ، ولكن بسبب التّقوى الموجودة عنده كان يحضر دروس العلماء ؛ لكي لا يرشّحونه للمرجعيّة مع أنّه مؤهَّل لها ، وطوال حياته كان يهرب من المرجعيّة ، ولكنّ المرجعيّة جاءت إليه في أواخر حياته ، وعلماؤنا لم يكونوا يبحثون عن المرجعيّة ؛ لأنّهم يدركون أنّ المرجعيّة عبارة عن مسئوليّة الفتوى ومسئوليّة المؤمنين الّذين يقلّدونه .

كما أنّ الشّجرة تحتاج إلى سنين ؛ لكي تنمو وتثمر ، كذلك المرجع يحتاج إلى سنوات طويلة من الدّراسة والبحث والتّحقيق ؛ لكي يكون مثمرًا نافعًا للمؤمنين .

وأمّا المدّعي للمرجعيّة الّذي لا يكون معروفًا عند العلماء فإنّ هناك ألف علامة استفهام عليه ، ولا بدّ من أن نحذر من هؤلاء الّذين يدّعون الاجتهاد ويدّعون المرجعيّة ؛ فإنّهم قطّاع طريق المؤمنين ؛ لأنّ المؤمنين يريدون الوصول إلى الله تعالى بواسطة الأشخاص الّذين يمكن أن يأخذوا بأيديهم ، وهذا المدّعي يأتي ويقطع الطّريق عليهم ، وهو يحصل على مقلِّدين ، ولكنّ مقلِّديه يطرحون بعض القضايا الّتي لا تتناسب مع الدّين بناءً على أفكاره ، ويتبنّون بعض الأفكار الّتي لم

يركّز عليها الدّين ، ويعتبرونها من أهمّ ركائز الدّين ، ولا أريد أن أذكر أمثلةً ؛ لأنّ المستمعين سيقتصرون على هذه الأمثلة .

مثلًا صلاة ليلة الرّغائب ، لا توجد حاجة لأن نركّز عليها ، الدّين لم يركّز عليها ، ويأتي بهذه الصّلاة برجاء المطلوبيّة ، ورجاء المطلوبيّة لا يحتاج إلى تجميع المؤمنين والدّعوة إليها والقيام بها بصورة جماعيّة مع أنّه لم يَرِدْ في الشّرع أنّ العبادة الفرديّة تؤدّى بصورة جماعيّة ، ولو ورد شيء في الشّرع لكان الأولى أنّ صلاة اللّيل تصلّى بشكل جماعيّ ، فصلاة اللّيل استحبابها ثابت ، والأولى تجميع المؤمنين لصلاة اللّيل ، ولم يَرِدْ أنّها تصلّى بشكل جماعيّ ، وهو ما يسمّى بالمتابعة ، نعم تجوز المتابعة ، ولكن حينما يشرّع الدّين النّوافل فهو يريد من المؤمن أن يتحرّك تحرّكًا ذاتيًّا لأدائها لا بسبب الجوّ المحيط به ، أنت تصلّي لوحدك وإن كنت في المسجد ، تتحرّك بنفسك لأداء النّوافل لوحدك لا لأنّك ضمن جماعة يصلّون فأنت تصلّي ، وأحد الأشخاص يقول لي إنّه كان يصلّي معهم في صلاة ليلة الرّغائب ضمن الجماعة ، وأحسّ بتعب ، ولكنه خجل من قطعها والخروج ، وهو استمرّ في الصّلاة حياءً لا رغبة في أدائها ، وهذا خلاف الغاية من تشريع النّوافل ، ففي النّوافل المطلوب منك أن تتحرّك تحرّكًا ذاتيًّا ، ويعتمد على الفقه الأخلاقيّ ، لا فقط أنّه يجوز ، والجواز يكون بناءً على الفقه العمليّ ، ولكن إذا أخذنا بالفقه الأخلاقيّ فأنت تريد أن تتكامل بواسطة الصّلاة ، والنّاحية الأخلاقيّة تدخل في تقييم هذه

الصّلاة ، تريد أن تتقرّب إلى الله فتتحرّك بناءً على التّحرّك الذّاتيّ ، لذلك تقييم العمل لا يتمّ بناءً على الفقه العمليّ فقط ، ونحن الآن تفكيرنا فقه عمليّ فقط ، فإذا كان يجوز فيؤدّي العمل ، ولكن بناءً على الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ نظرتك كمؤمن تختلف حينما تنظر إلى أيّ عمل ، لا فقط أنّه يجوز أو لا يجوز ، بل يجوز ويساهم في تكاملي فأقوم به ، وإذا كان لا يساهم في تكاملي فهذا العمل أتركه ؛ لأنّه سيأخذ جزءًا من جهدي ووقتي بلا فائدة ، فالنّظرة ستختلف ، لذلك أنت تريد أن تحصل على التّكامل من كلّ عمل ، ونحن نضيّع أوقاتنا في كثير من الأعمال ، ولو نراجع أنفسنا ونسأل : هل هذا العمل يساهم في تكاملي أو لا ؟

وسيرى أنّه ضيّع كثيرًا من الأوقات في لا شيء ؛ لأن ليس له مردود أخرويّ ، فلا بدّ من أن ننظر إلى جميع الأعمال بطريقة أخرى .

والمفروض أن لا تأخذ من مدّعي الاجتهاد والمرجعيّة شيئًا ، ولا تسمع لهم شيئًا ، وطالما أنّه غير متمكّن من العلم فإنّه سيطرح بعض القضايا الّتي لا يوافق عليها علماء الحوزة .

مثلًا رواية ضعيفة يصحّحها ؛ لأنّ عنده فكرة يريد أن يؤيّدها بهذه الرّواية الضّعيفة ، فيقول إنّ العلماء نقلوا هذه الرّواية في كتبهم ، وذلك لأجل أن يقول بصحّتها ، ولكن نقل العلماء للرّواية ليس دليلًا على صحّتها ، فالعلماء ينقلون الرّوايات ، والعلّامة المجلسيّ في

كتابه (بحار الأنوار) ينقل الرّواية ، وفي كتابه (مرآة العقول) يقول : رواية ضعيفة ، فنفس المؤلّف ينقل الرّواية ثمّ يضعّفها .

عن الإمام موسى الكاظم عليه السّلام قال لهشام بن الحكم : يا هشام ، أوحى الله إلى داود : قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالما مفتونًا بالدّنيا فيصدّهم عن ذكري وعن طريق محبّتي ومناجاتي ، أولئك قطّاع الطّريق من عبادي (وفي رواية أخرى : قطّاع طريق عبادي) ، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة عبادتي ومناجاتي من قلوبهم [1] .

من يقطع طريق المؤمنين أقلّ شيء أنّه لا يشعر بلذّة العبادة ، ولا يحس بحلاوة المناجاة ؛ لأنّه تبوّأ مقامًا ليس من حقّه ، وهذا الكلام موجّه لنا جميعًا ، فقد نأخذ منصبًا ليس لنا .

مثلًا يُعْطَى لك منصب وتعلم أنّه لا يمكن لك أن تقوم بمسئوليّات هذا المنصب ، المفروض أن لا تقبل ، لا أن تقبل لأجل أن تحصل على الوجاهة سواء في العمل الدّنيويّ أم في العمل الإسلاميّ ، إذا لم تكن مؤهّلًا فلا تأخذ هذا المنصب ؛ لأنّ الشّخص المناسب لا بدّ من أن يكون في هذا المنصب ، فإذا كان الشّخص غير مناسب ويأخذ هذا المنصب فمعنى ذلك أنّه أخذ محلّ شخص آخر ، لا بدّ من أن يرى أنّ عنده إمكانات لأداء مسئوليّات هذا المنصب أو لا .

مثلًا في الدّورات الشّبابيّة يجعلون شخصًا مسئولًا عن الدّورة أو منسِّقًا أو مديرًا لها ، لا بدّ من أن يرى أنّ عنده الإمكانات أو لا ،

---

[1] بحار الأنوار ج١ ص١٥٤ .

وإذا كان يعرف أنّ شخصًا آخر أفضل منه فلا بدّ من أن يقدّمه لتولّي هذا المنصب ، ولايقول : سأتولّى هذا المنصب وأحصل على ثواب .

المهمّ هو هل أنت مؤهَّل أو غير مؤهَّل ، فإذا كنت تعلم أنّ شخصًا آخر أفضل منك فلا تحصل على ثواب لأنّك أخذت محلّه .

وضربنا مثالًا للمجدّد الحقيقيّ في زماننا الحاليّ ، وهو آية الله العظمى السّيّد الشّهيد السّعيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه ، وهو يستحقّ هذه الألقاب بشهادة العلماء من أهل الخبرة ، وقد عثروا على جثمانه الطّاهر ولم يصبه أيّ تحلّل بل كأنّه مقتول في هذه اللّحظة .

وننتبه إلى أنّ الألقاب يعطيها علماء الحوزات العلميّة للشّخص ، لا أنّ المسجد أو الحسينيّة تعطي الألقاب ، ولا علماء غير معروفين ، فالحوزات تعطي الألقاب ؛ لكي يكون لها قيمة ، ومدّعي المرجعيّة يعطونه ألقابًا كثيرة ، ترى على كتابه آية الله العظمى فلان الفلانيّ ، ويسطّرون الألقاب الكثيرة ؛ لكي يروّجوا له بواسطة الألقاب ، وترى أشخاصًا عاديّين يعطون الألقاب لمدّعي المرجعيّة ، أو ترى ورقةً من مسجد أو حسينيّة أو مؤسّسة يجعلون فيها ألقابًا كثيرةً لهذا الشّخص ، وهذا أمر طبيعيّ ؛ لأنّهم يريدون أن يروّجوا لمرجعيّته الزّائفة .

السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه حينما كان يصدر

له كتاب كان يكتب عليه اسمه فقط (محمّد باقر الصّدر) حتّى بدون (السّيّد) ، ومن عنده الكتب القديمة له سيرى ذلك ، وبعد استشهاده بدأوا يضعون له الألقاب .

وقلنا بأنّه صار عندنا دائرة الأعلميّة ، وهي محصورة بستّة فقهاء مثلًا ، وقلنا بأنّه إذا وجدت مرجِّحات لتقديم البعض فإنّ الدّائرة تتقلص إلى ثلاثة فقهاء مثلًا ، وطبعًا المرجِّحات تكون بأيدي العلماء من أهل الخبرة ، وإذا لم يمكن تقليص الدّائرة فإنّ المكلَّف يختار واحدًا منهم لتقليده ؛ لأنّه يصعب الاحتياط على النّاس بين أقوال الثّلاثة بسبب صعوبة معرفة موارد الاحتياط من قِبَلِ النّاس ، وإذا وجدت مرجِّحات لتقليص الدّائرة إلى شخص واحد فهذه أفضل حالة ؛ لأنّ الأمّة سترجع إلى مرجع واحد .

وقلنا إنّه لا يشترط لمن يعيّن الأعلم أن يكون أعلم من الأعلم ، وضربنا لذلك مثالًا وجدانيًّا لا يحتاج إلى دليل لإثباته ، وهو أنّ الطّلبة في المدرسة والجامعة يستطيعون تعيين أعلم الأساتذة في جميع التّخصّصات ، فيقول إنّ هذا الأستاذ أفضل من ذاك الأستاذ ، وهذا تحديد للأعلم مع أنّه ليس أعلم من الأساتذة .

وهذا المثال لا يمكن إنكاره ؛ لأنّه مثال وجدانيّ يجده كلّ شخص بنفسه ، فالأقلّ علمًا يمكنه أن يحدِّد الأكثر علمًا .

مثلًا عالم كان في الحوزة مدّة أربعين سنة هو قطعًا أعلم من طالب العلم في السّنة الأولى ، وعنده يقين بذلك مع أنّه لم يدرس في الحوزة

ولا عنده اطّلاع على العلوم الحوزويّة ، وهو ليس أعلم من العالم ولا من الطّالب ، وهذا الأمر وجدانيّ .

ونأتي إلى من لا يعترف بوجود شيء اسمه (الأعلميّة) ، يقول بأنّه لا يمكن تعيين الأعلم من الأقلّ علمًا ، فنسأله سؤالًا بسيطًا : هل أنت أعلم أو الشّيخ مرتضى الأنصاريّ رضوان الله عليه ؟

وسيجيب مباشرةً بدون أيّ تردد أنّ الشّيخ مرتضى الأنصاريّ هو الأعلم ، وجوابه يتضمّن أمرين : أوّلًا اعترافه بالأعلميّة ، وثانيًا أنّه يمكن لغير الأعلم تعيين الأعلم ، فيقال له إنّك قبل قليل قلت بأنّك لا تعترف بشيء اسمه (الأعلميّة) ، وقلت بأنّه لا يمكن تعيين الأعلم ، فكيف استطعت أن تعيّن أنّ الشّيخ الأنصاريّ أعلم منك مع أنّك أقلّ علمًا ؟!

إنّ كلامك دليل على أنّه يوجد شيء اسمه (الأعلميّة) ، وأنّه يمكن تعيين الأعلم من قِبَلِ الأقلّ علمًا ، وهذا دليل وجدانيّ آخر ، فتعيين الأعلم من قِبَلِ الأقلّ علمًا أمر ممكن .

وبعد هذه الخلاصة لما سبق نأتي إلى النّقطة العاشرة .

النّقطة العاشرة : لماذا الرّجوع إلى العالم بل إلى الأعلم في القضايا الدّينيّة ؟

الجواب :

الجواب سهل ؛ لأنّه متخصّص في الدّين ، فالمتخصِّص في الدّين هو الّذي يستطيع أن يجيب على أسئلتك في القضايا الدّينيّة ، كما

أنّ المتخصِّص في الطّبّ يستطيع أن يجيب على أسئلتك في الأمور الطبّيّة ، والمتخصِّص في الهندسة يجيب على أسئلتك الهندسيّة ، وكلّهم ينطبق عليهم نفس القاعدة ، ولا توجد قاعدة جديدة للمتخصّص في الدّين ، فترجع لعالم الدّين لأنّه متخصّص ، وترجع لعالم الطّبّ لأنّه متخصّص ، وترجع للمهندس لأنّه متخصّص .

والقاعدة هي رجوع الجاهل إلى المتخصِّص في العلم الّذي يحتاج إليه هذا الجاهل ، وكلّما كان الشّخص أعلم في مجاله كان أنفع لك في الإجابة ، وهذه قاعدة فطريّة وقاعدة عقليّة وقاعدة عرفيّة ، وهي أنّ الجاهل يرجع إلى العالم ، بل يرجع إلى الأعلم إذا وُجِدَ .

وسنأتي فيما بعد إلى أدلّة وجوب تقليد الأعلم ، ولو سألناك : يوجد أعلم وعالم فإلى من ترجع ؟

ستجيب مباشرةً : أرجع إلى الأعلم .

واطرح هذا السّؤال على جميع النّاس ، والجميع سيجيب : الأعلم .

إن هذا الأمر فطريّ ، والجواب يأتي مباشرةً بلا أيّ تفكير عميق ، فيكون الدّليل دليلًا فطريًّا .

وإذا أردت أن تستدلّ باستدلال عقليّ فيمكن ذلك عن طريق ترتيب مقدّمات ونتيجة ، فيكون الدّليل دليلًا عقليًّا .

وكذلك في العرف ترى أنّ النّاس يرجعون إلى الأعلم في الأمور الخطيرة ، فيكون الدّليل دليلًا عرفيًّا .

فأمر الرّجوع إلى الأعلم أمر فطريّ وعقليّ وعرفيّ .

وسأبيّن بالتّفصيل هذه الأدلّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

سؤال : **هل يحقّ لكلّ شخص أن يتكلّم في الطّبّ ؟**

لو سألت الأطبّاء هذا السّؤال لأجابوا بالنّفي ، فالّذي يجيب عن الأسئلة الطّبّيّة هو الطّبيب المتخصّص فقط ، ولكن هذا الطّبيب الّذي يعترض تراه يتكلّم في القضايا الدّينيّة مع أنّها ليست من تخصّصه ، وفي الواقع نرى أنّ كلّ شخص يتكلّم في الدّين حتّى لو كان جاهلًا في الأمور الدّينيّة ، ولكن ليس مسموحًا لكلّ شخص أن يتكلّم في الطّبّ ، فالأطبّاء لا يقبلون من غير المتخصِّصين في الطّبّ أن يتكلّموا في الطّبّ ، فيقولون بأنّ الجاهل بالطّبّ ليس من حقّه أن يبدي رأيًا في القضايا الطّبّيّة .

نقول : نفس القاعدة طبّقها على نفسك .

ولكنّنا نراهم أو غيرهم من المتخصِّصين في العلوم الأخرى نرى أنّهم يتكلّمون في الدّين مع أنّ علوم الدّين علوم تخصّصية كغيرها من العلوم الأخرى الّتي تحتاج إلى تخصّص ودراسة سنوات طويلة حتّى يمكن للشّخص أن يتكلّم في الدّين كما هو الحال في التّخصّصات الأخرى .

فالطّبيب المتخصّص في علاج أمراض العين قضى سنوات طويلة في دراسته من الطّبّ العام ثمّ إلى التّخصّص في أمراض العين ، وهو يتابع التّطوّرات الجديدة في علاج الأمراض ؛ لكي يكون مواكبًا للتّطوّرات الحاصلة .

والفقيه المتخصّص في الدّين يحتاج إلى سنوات طويلة من الدّراسة ، فيطّلع بالتّفصيل على الكتاب الكريم وسنّة المعصومين عليهم السّلام ، ويعرف كيفيّة استنباط الأحكام الشّرعيّة ، ويدرس علم العقائد وعلم الأخلاق وعلم أصول الفقه وعلم الحديث وعلم الرّجال وعلوم اللّغة من النّحو والبلاغة والصّرف والمنطق والفلسفة ، ومجموعة من العلوم الّتي تصبّ في فهم معارف الدّين الموجودة في الكتاب والسّنّة ، ويكون مطّلعًا على جميع جوانب الدّين ، والهدف من الدّراسة الحوزويّة هو فهم الكتاب الكريم والسّنّة الشّريفة ، ويتابع المسائل المستحدَثة المستجِدَّة في حياة النّاس ؛ لكي يعطي رأيه فيها بناءً على الاستنباط ، وبذلك يكون متخصِّصا في علوم الدّين .

ومن يريد أن يكون متخصِّصًا في المسائل الدّينيّة يذهب إلى الحوزة ويدرس سنوات طويلة ، ويمكنه أن يتخصّص في الفقه العقائديّ أو الفقه الأخلاقيّ أو الفقه العمليّ أو في أيّ مجال آخر من مجالات الدّين .

ومن يحتاج إلى مسألة عقائديّة يرجع إلى المتخصّص في العقائد ، وكذلك في باقي التّخصّصات ، وهذا مثل الطّبيب المختصّ بالكلى فإنّه إذا أصيب بمرض في عينه فإنّه يرجع إلى طبيب العيون ولا يعالج نفسه ، ومرجع الدّين يمرض فيرجع إلى الطّبيب ، وهذا ليس عيبًا ؛ لأنّه ليس متخصّصا بالطّبّ ، فهو عالم بعلمه جاهل بالطّبّ ، والطّبيب إذا احتاج إلى مسألة دينيّة فإنّه يرجع إلى عالم الدّين .

وكلّ شخص يحتاج إلى الأشخاص الآخرين ، فهو يكون مُسَخَّرًا لخدمة الآخرين ، والآخرون يكونون مُسَخَّرِينَ له .

مثلًا الطّبيب ومن يصبّ له الشّاي ، فالطّبيب يحتاج إلى هذا العامل ليأتي له بكوب من الشّاي ، فهو في خدمة الطّبيب ، وهذا العامل إذا مرض يحتاج إلى الطّبيب ، فيكون الطّبيب في خدمته ، فالمنافع متبادلة بين أفراد البشريّة ، أنت تحتاجه وهو يحتاجك ، والنّاس يحتاجون إلى بعضهم البعض في تسيير أعمالهم ، وهذه حاجة فطريّة عند كلّ إنسان من أنّه يحتاج إلى أخيه الإنسان .

ولا ننظر إلى الطّائفيّة ، أنت تحتاج إلى أخيك الإنسان من أيّ دين أو مذهب كان ، ولا دخل لكونه مسلمًا أو يهوديًّا أو مسيحيًّا أو بوذيًّا أو سنّيًّا أو شيعيًّا .

مثلًا مريض مسلم يذهب إلى طبيب يهوديّ أو مسيحيّ ، ومريض مسيحيّ يذهب إلى طبيب مسلم ، ومريض سنّيّ يذهب إلى طبيب شيعيّ ، وبالعكس .

وحينما ترجع إلى المتخصّص لا تسأل عن دينه أو مذهبه ، وقلنا في مثال من يحتاج إلى إصلاح السّتلايت إنّ بعض أصحاب البيوت يسألونه : أنت شيعيّ أو سنّيّ ؟

والعامل يجيبه : أنت لا شغل لك بديني ومذهبي ، أنا أصلح لك السّتلايت ، وهذا لا دخل له بكوني سنّيًّا أو شيعيًّا ، لا تسألني عن ديني ومذهبي ، حتّى لو كنت بوذيًّا ، أنا جئت لأنجز لك عملًا ،

وهذا العمل ليس له دخل بالدّين والمذهب ، تريد أن أصلح لك الجهاز سأفعل ، وإذا لا تريدني سأذهب .

والبعض يدخل الطّائفيّة في كلّ شيء ، لا نحتاج إلى إدخال الطّائفيّة في كلّ أمر ، إذا أردت مسألة دينيّة ترجع إلى علماء دينك أو مذهبك لأخذ الجواب ، كما أنّ الشّخص الآخر يرجع إلى علماء دينه أو مذهبه .

إذن :

مجالات التّخصّص موجودة في العلوم الدّينيّة كما هو الحال في العلوم الدّنيويّة ، فالإنسان الجاهل يرجع إلى العالم بل إلى الأعلم الّذي يكون محيطًا بالمواضيع بشكل أفضل .

وبعض الّذين يحملون شهادات جامعيّة في تخصّصات مختلفة يعترضون ويقولون بأنّنا لا نحتاج إلى علماء الدّين ، فلا نحتاج إلى التّقليد والرّجوع إلى عالم الدّين لأخذ الأحكام الدّينيّة منه ، فنحن عرب ونفهم القرآن والرّوايات .

وقولهم يخالف قاعدتهم الّتي يعتقدون بها ويعملون على أساسها ، وهي الرّجوع إلى المتخصّص .

والبعض من الّذين يأخذون بالتّقليد يقولون بأنّنا لا نحتاج إلى الأعلم ، وإنّما نرجع إلى أيّ عالم ، ولكن هذا لا يطبّقه في الطّبّ .

وبناءً على كلامهم فالمفروض أنّ الناس لا يرجعون إلى الأطبّاء ؛ لأنّهم لا يحتاجون إلى العلماء في الطّبّ ، وهذا نفس اعتراضهم على

أصل التّقليد والحاجة إلى علماء الدّين المتخصّصين .

وفي الأمراض الخطيرة المفروض أن لا يذهبوا للعلاج في الخارج ؛ لأنّهم لا يحتاجون إلى الطّبيب الأعلم ، وهذا نفس اعتراضهم على الحاجة إلى الأعلم في القضايا الدّينيّة .

إنّ القواعد الفطريّة والعقليّة والعرفيّة موجودة عند الأطبّاء أيضًا ، ولكنّهم يطبّقونها على المتخصّص في الطّبّ ، ولا يطبّقونها على المتخصّص في الدّين .

والدّين صار مثل البقّالة ، وكلّ شخص يفتح له محلًّا ويتكلّم فيه ، فهو يعترض على الأشخاص الّذين يتكلّمون في تخصّصه ، ولكن يعطي لنفسه الحقّ في إبداء رأيه في مسائل ليست من تخصّصه .

وكلّ من يكتب يبدي رأيًا في القضايا الدّينيّة في أعمدة الجرائد والمجلّات ، وفي أيّ نقاش دينيّ كلّ شخص يتكلّم ويعترض على المراجع ، ويقول : كما أنّ المرجع له رأي فأنا عندي رأي أيضًا .

والمفروض أنّ غير المتخصّص في أيّ علم من العلوم لا يبدي رأيًا في أيّ مسألة منها ، وإنّما ينتظر آراء المتخصّصين ليأخذ بها ، فالجاهل بالطّبّ يأخذ آراء الأطبّاء ، والجاهل بالمسائل الدّينيّة يأخذ آراء المتخصّصين في الدّين .

والمحاضرات القادمة ستكون عن (أدلّة وجوب تقليد الأعلم) ، وهو البحث الأهمّ ، وكلّ ما أخذناه سابقًا يصبّ في هذا البحث .

لماذا نقلّد الأعلم ؟ وما هي الأدلّة على وجوب تقليد الأعلم ؟

وطرحنا سابقًا بعض الأدلّة بشكل سريع ، وكانت الأسئلة :

كيف يمكن الاستفادة من الدّليل الفطريّ ؟

وكيف يمكن الاستفادة من الدّليل العقليّ ؟

والدليل العقليّ الّذي يُسْتَعْمَلُ في الفقه العقائديّ لإثبات وجود الله هو نفس الدّليل الّذي يثبت وجوب تقليد الأعلم .

والبحث نافع وبشكل مبسّط ، والأمر بديهيّ عند كلّ إنسان من أنّه يقلّد الأعلم .

ومسألة تقليد غير الأعلم هي مسألة عقائديّة بالأصل ، وهي أنّه : هل يجوز تقديم المفضول على الفاضل وتقديم الفاضل على الأفضل أو لا يجوز ؟

وهذا في الأصل بحث عقائديّ في الإمامة ثمّ انتقل إلى الفقه العمليّ ، ومن يقول بجواز تقليد غير الأعلم غير ملتفت إلى أنّ البحث بحث عقائديّ بالأصل ، فإذا قال في الفقه العمليّ أنّه يجوز تقليد غير الأعلم فمعنى ذلك أنّه يجوز تقدّم المفضول على الفاضل وتقدّم الفاضل على الأفضل في الفقه العقائديّ ، فلا يستطيع أن يقول بأحقّيّة أمير المؤمنين عليه السّلام في الحكم .

والبحوث العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة كلّها مرتبطة ببعضها البعض ، وسنستفيد من الفقه الأخلاقيّ في إثبات وجوب تقليد الأعلم ، فالبحث العقائديّ والبحث الأخلاقيّ مرتبطان ببحوث الفقه العمليّ ؛ لأنّ العلوم الثّلاثة عبارة عن منظومة واحدة تشكّل الدّين .

وحينما نريد أن نقيّم أيّ شيء من الأشياء فلا بدّ من أن نأتي إلى المنظومة الدّينيّة لا إلى الفقه العمليّ فقط وأنّه يجوز أو لا يجوز ، فالإسلام يحتوي على منظومة واحدة متكاملة ، وكلّ هذه المنظومة تأتي لتقييم جميع الأشياء ، وهذه المنظومة تعطيك جميع الجوانب : الجانب السّياسيّ والجانب الاقتصاديّ والفقه الفرديّ والفقه الاجتماعيّ وغيرها ، وكلّها من خلال النّظرة الشّموليّة للدّين ، وهذه النّظريّة الشّموليّة للدّين لو صارت بأيدينا لكان تقييمنا لجميع الأشياء تقييمًا آخر .

مثلًا حينما يدخل إلى الصّلاة يتعامل معها بطريقة أخرى ، لا على أساس الفقه العمليّ فقط ، فيكون حريصًا على أن ينطق الكلمة بطريقة معيّنة فقط ، ومشكلة الوسواسيّ هي أنّه يتعامل مع الصّلاة بناءً على الفقه العمليّ فقط ، ولا ينظر إلى تكامله من خلال الصّلاة ، فينشغل بإعادة البسملة عدّة مرّات ، ويعيد الوضوء عدّة مرّات ، ويكرّر الكلمات عدّة مرات ؛ لأنّه يريد أن يضبطها على أساس الفقه العمليّ ، فينشغل في داخل دائرة الفقه العمليّ ، ولا يلتفت إلى تكامله وتقرّبه إلى الله ، وفي نهاية الصّلاة وبعد جهد جهيد يطمئنّ بأنّ الصّلاة صحيحة من ناحية الفقه العمليّ ، مع أنّه من الممكن أنّه قد أبطل هذه الصّحة بطريقته الوسواسيّة مع الصّلاة .

نعم المطلوب منه صحّة الصلاة ، ولكنّ الأهم هو قبول الصّلاة من الله عزّ وجلّ ، فيتعامل مع الأشياء بناءً على الفقه العمليّ ،

ويدور داخل الرّسالة العمليّة فقط دون النّظر إلى الرّسالة الاعتقاديّة والرّسالة الأخلاقيّة ، وبنظرته القاصرة لا يحقّق الهدف من الصلاة ؛ لأنّ الصّلاة معراج المؤمن ، والمعراج معناه الصّعود إلى الله سبحانه ، وهذا هو الهدف ، لا الفقه العمليّ فقط .

تريد أن تتقرّب إلى الله بناءً على الفقه العقائديّ ، وتريد أن تتكامل بناءً على الفقه الأخلاقيّ ، وتريد أن تحافظ على صحّة العمل بناءً على الفقه العمليّ ، وبذلك تكون عندك النّظرة الشّموليّة للدّين ، وتتعامل مع جميع الأشياء حتّى الأشياء العاديّة الدّنيويّة تتعامل معها بطريقة أخرى ، فتريد أن تتقرّب إلى الله وتتكامل بواسطة هذه الأشياء الدّنيويّة ، وتكون مطبّقًا لقاعدة "الدّنيا مزرعة الآخرة" ، لا فقط الدّنيا من أجل الدّنيا ، بمعنى أنّ كلّ ما تفعله في هذه الدّنيا فأنت تزرعه في الدّنيا لأجل أن تحصد الثّمار في الآخرة ، والنّتاج في الآخرة متوقّف على الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ، والحساب في البرزخ والقيامة متوقّف على الأنواع الثّلاثة من الفقه : عقائدك وباطنك وأعمالك الخارجيّة ، لا أنّ الحساب يكون بناءً على العمل الخارجيّ فقط ، وإنّما بناءً على العمل الخارجيّ والتّكامل الباطنيّ والعقائد الرّاسخة ؛ لكي يضمن الإنسان من أنّه يحصل على النّتيجة من هذه الدّنيا حينما ينتقل إلى عالم البرزخ وعالم القيامة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة

والمرجعيّة الرّشيدة

(٢٠)

مقدّمة لأدلّة تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وانتهينا من النّقطة العاشرة ، وندخل في النّقطة التّالية .

النّقطة الحادية عشرة : ما هي الأدلّة على وجوب تقليد الأعلم ؟

الجواب :

هذا هو البحث الأهمّ ، وفي هذه المحاضرة سأطرح مقدّمة لهذه الأدلّة ، وفي المحاضرات القادمة سأدخل في تفاصيل الأدلّة .

في طيّات كلامنا في المحاضرات السّابقة ذكرنا بعض الأدلّة ، وفي إجابات أسئلة الحاضرين كنّا نشير إلى بعض هذه الأدلّة ، ولكن ليس

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٤ شعبان ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٦/١٢ م .

بالتّفصيل ، والأدلّة سأتناولها بالتّفصيل ، وأبيّن لكم بطريقة سهلة أدلّة وجوب تقليد الأعلم ، وهذا التّفصيل نأخذه بما يتناسب معنا كعوامّ لا كمتخصّصين ؛ لأنّ العلماء يدخلون في نقاش أدلّة وجوب تقليد الأعلم بالتّفصيل بين أخذ وردّ بما يتناسب مع مستواهم العلميّ ، ونحن كعوامّ نحتاج إلى مقدار معيّن ، وهذا المقدار سأعرضه عليكم .

وقبل الدّخول في الأدلّة أقدّم مقدّمة مهمّة حتّى يمكن لنا أن نأخذ هذه المقدّمة كتمهيد للدّخول في أدلّة تقليد الأعلم .

نعلم أنّ الأدلّة الشّرعيّة هي : الكتاب الكريم ، والسّنّة الشّريفة ، وإجماع العلماء ما قبل المحقّق الحلّيّ رضوان الله عليه ، والدّليل العقليّ القطعيّ دون الظّنّيّ .

فيستدلّ العلماء بالأدلّة العقليّة القطعيّة فقط ، وأمّا الأدلّة العقليّة الظّنّيّة فلا يستدلّون بها ، والأصل في الظّنّ هو عدم الحجّيّة ، مثل القياس ، فالفقيه يقيس أمرًا على أمر معيّن معروف الحكم ، فيكون للأمر الأوّل حكم الأمر الثّاني بسبب وجود المشابهة بينهما ، والقياس يعطي ظنًّا ، والقياس ليس حجّةً ؛ لأنّه دليل عقليّ ظنّيّ ، والقياس لا نأخذ حتّى لو وجدت روايات تدلّ على عدم حجّيّة القياس ؛ لأنّ القياس تحت القاعدة العامّة وهي عدم حجّيّة الظّنّ .

وبناءً على هذه الأدلّة الشّرعيّة فالفقيه أوّلًا يرجع إلى القرآن الكريم ، فيبحث في آيات القرآن .

مثلًا إذا كانت عندك مسألة مستحدَثة فإنّك ترسل سؤالًا إلى مرجع

التّقليد ، فيبدأ بالبحث في القرآن الكريم لعلّه يجده جوابًا قرآنيًّا عن هـذا السّـؤال ، وإذا لم يجـد دلـيلًا قرآنيًّـا يأتي دور السّـنّة الشّـريفة ، فيبحـث في الـرّوايات ، وإذا لم يجـد دلـيلًا مـن سنّة المعصـومين عليـهم السّلام يرجع إلى إجماع الفقهاء الّذين كانوا قبل المحقّق الحلّيّ رضوان الله عليه صاحب كتاب شرائع الإسلام ، والمحقّق الحلّيّ هـو خـال العلّامة الحلّيّ رضوان الله عليهما ، والإجماع هو اتّفاق جميع الفقهاء على حكم معيّن ، والفقيه يعتمد على هذا الإجماع ، وبعض العلماء يعتمـدون على الشّـهرة بين الفقهـاء السّـابقين ، والشّـهرة هـي اتّفـاق أغلب الفقهاء على حكم معيّن ، والبعض يقول بحجّيّة الشّهرة ويفتي على أساسها ، والبعض لا يقول بحجّيّتها .

ويرجع الفقيه أيضًا إلى الدّليل العقليّ القطعيّ ، وإذا لم يجد أيّ دليل من الأدلّة السّابقة فإنّه يرجع إلى الأصول العمليّة من البراءة والاستصحاب والاحتياط والتّخيير .

ويوجد دائمًا جواب لكلّ سؤال ، فالأصل العمليّ يقول : أنا موجود دائمًا .

ومع فقد الأدلّة يكون الأصل العمليّ جاهزًا للجواب ، ولكلّ أصل عمليّ شروط معيّنة لأجل تطبيقه .

والمنهج هو أنّه إذا ورد سؤال إلى مرجع التّقليد فهو لا يبحث في آية واحدة أو رواية واحدة فقط ، وإنّما يكون البحث بحثًا موضوعيًّا في الآيات والرّوايات الّتي تتحدّث عن نفس الموضوع ، وهذا يفيدكم

سواء كنتم في الحوزات العلميّة أو في الدّورات الشّبابيّة ، وأنت كمسلم إذا أردت أن تبحث في موضوع معيّن فلا تأخذ بآية واحدة أو رواية واحدة ، وتبني عليها .

وتوجد حالة عند بعض المؤمنين ، وهي أنّه يقول بوجود رواية تقول كذا ، ولكن لا بدّ من أن يلتفت إلى أنّ هناك آيات أو روايات أخرى تتكلّم عن نفس الموضوع ، فالبحث لا بدّ من أن يكون بحثًا موضوعيًّا ، فتجمع جميع الآيات والرّوايات وأقوال العلماء في المسألة ، وبعد ذلك تأتي بجواب نهائيّ ، والعمليّة ليست سهلةً ، وبعض الشّباب حينما يقوم بتحضير موضوع معيّن يرجع إلى كتاب لأحد العلماء ، وهذا يشكّل رأي العالم لا رأيه ، ولكنّ العالم حينما يأتي برأي فإنّه يكون قد بحث بحثًا موضوعيًّا في جميع الآيات والروايات الّتي تتناول هذا الموضوع .

مثلا حينما تريد أن تبحث في موضوع الصّيام تذهب إلى القرآن وتأخذ جميع الآيات الّتي تتحدّث عن الصّيام ، قد توجد آيات مباشرة ، وقد توجد آيات لها علاقة بالصّيام بطريق غير مباشر ، وتجمع أيضًا الرّوايات الّتي تتحدّث عن الصّيام بطريق مباشر أو غير مباشر ، وقد تجد عشرات أو مئات الرّوايات الّتي تتحدّث عن موضوع الصّيام ، وترجع أيضًا إلى أقوال العلماء ؛ لترى ماذا قالوا عن الصّيام ، وكلّ هذه الأمور تجمعها ، ثمّ تأتي بموضوع متكامل عن الصّيام أو عن جانب معيّن من الصّيام .

إذا أردت أن تبحث عن صفات الإنسان المؤمن تذهب إلى جميع الآيات والرّوايات الّتي تتحدّث عن المؤمن وعن الإيمان ، قد تجد المئات أو الآلاف منها ، وتأتي إلى المواضيع الّتي طرحها العلماء عن صفات المؤمن ، وبعد ذلك يمكنك أن تُحَضِّرَ موضوعًا عن الإيمان وصفات المؤمن ، وقد يستغرق البحث أسابيع ، وحينما يتكلّم العالم عن موضوع فإنّه يتناول الموضوع خلال ربع أو نصف ساعة ، ولكن خلف هذا الوقت ساعات من التّحضير والبحث والتّفكير .

في فهم الدّين لا نكتفي بآية واحدة فقط أو رواية واحدة فقط ، وبعض المؤمنين يأتون برواية ويقولون بأنّها على خلاف الحكم الشّرعيّ الموجود في الرّسالة العمليّة .

فنقول بأنّ البحث في الأدلّة الشّرعيّة – ومنها الرّوايات – ليس من وظيفة العوامّ ، بل هو وظيفة الفقيه حتّى يصل إلى الحكم الشّرعيّ ، ونحن كعوامّ نستلم المسألة الشّرعيّة من الفقهاء جاهزة سواء كانت من الفقه العمليّ أم الفقه الأخلاقيّ أم الفقه العقائديّ أم أيّ جانب آخر من الدّين ، فنأخذ النّتيجة النّهائية في أيّ مسألة من العالم ، وينشر ما وصل إليه من نتائج في مؤلّفاته .

إذا أردت أن تبحث عن (البداء) تذهب إلى كتب العقائد وتبحث عن معنى (البداء) ، والعالم يعطيك النّتيجة الّتي وصل إليها ، ويستدلّ ببعض الآيات والرّوايات ، ويجمع بينها ، وبعد ذلك يعطيك معنى (البداء) .

والبعض من الشّباب يرى روايةً واحدةً فيقول بأنّ مرجع التّقليد لماذا يقول بهذه الفتوى مع أنّها خلاف هذه الرّواية ؟

مثلًا يذهب إلى كتاب تحف العقول الّذي يحتوي على روايات بلا إسناد ، ويجد روايةً ويرى بأنّ الفقيه يفتي على خلاف هذه الرّواية ، لا تقل مباشرةً بأنّ الفقيه قد أخطأ ، والبعض عنده هذه الحالة .

نقول له : بل أنت المخطئ ، فإذا وجدنا روايةً على خلاف الحكم الموجود في الرّسالة العمليّة فمعنى ذلك أنّ هذا الفقيه لا يأخذ بهذه الرّواية لسبب معيّن ، ومن الأسباب ضعف السّند ، أو أن تكون الرّواية مرسلةً بدون سند ، وقد تكون الرّواية صحيحة ، ولكنّ المتن لا يدلّ على هذا الحكم ، أو يوجد خلل في المتن بحيث لا يمكن أن يأخذ الفقيه بهذا المتن ، أو بسبب تعارضها مع روايات أخرى أقوى منها .

والبحوث التّفصيليّة في الأدلّة الشّرعيّة من وظيفة الفقهاء لا وظيفة العوامّ ، وأمّا العوامّ مثلنا فنأخذ النّتيجة – وهي الحكم الشّرعيّ – من مرجع التّقليد حتّى لو لم نعرف الأدلّة الّتي تدلّ على هذا الحكم ، والعلماء يرجعون إلى الآيات والرّوايات والإجماع والشّهرة ، وسيرة المتشرّعة وهم المتديّنون في عصر المعصومين عليهم السّلام ، والسيرة العقلائيّة أي الأعراف الّتي كانت موجودةً في عصر المعصومين عليهم السلام ، والدّليل العقليّ ، والأصول العمليّة ، ويأخذ الفقيه بجميع هذه الأدلّة حتّى يعطينا النّتيجة النّهائيّة وهي الحكم الشّرعيّ .

مثال عرفيّ :

تلاحظون أنّنا نطرح الأمثلة العرفيّة ؛ لأنّها قريبة إلى الأذهان ، فحينما يذهب المريض إلى الطّبيب ، والطّبيب يشخّص المرض ويعطي الدّواء المناسب ، ويقول للمريض : اذهب إلى الصّيدليّة وخذ الدّواء .

نسأل : هل يوجد مريض يسأل الطّبيب عن الدّليل على أنّ هذا الدّواء مناسب لعلاج هذا الدّاء ؟

لا يوجد مريض يسأل الطّبيب هذا السّؤال ، ولكن حينما نأتي إلى القضايا الدّينيّة ويطرح العالم حكمًا فقهيًّا معيّنًا فبعض النّاس يسألون : ما هو دليلك ؟

والمفروض كما هو حال المريض أن لا يسأل عن الدّليل ، نعم يمكنك أن تسأل عن الدّليل من باب الاطّلاع والمعرفة ، ولكن كيفيّة الاستدلال لا يمكن أن يفهمها العوامّ بشكل تفصيليّ ، نعم طالب الحوزة يسأل عن الدّليل ؛ لأنّه يعرف كيفيّة الاستدلال ، ولكن يسأل عن الدّليل لا للاعتراض ، وإنّما للمعرفة ، وأمّا شابّ عمره خمس عشرة سنة يريد أن يسأل العالم عن الدّليل على حكم معيّن فنقول له : لا يوجد عندك اطّلاع كافٍ على القضايا الشّرعيّة حتّى تسأل عن الدّليل ، ففي هذا العمر تأخذ الأحكام الشّرعيّة جاهزة ، نعم إذا ذهبت بعد ذلك إلى الحوزة وصارت عندك المعلومات الكافية من أصول الفقه والقواعد الفقهيّة والاستدلال الفقهيّ فيمكنك أن تسأل عن الدّليل حتّى تعرف كيفيّة الاستدلال به .

مثال :

فقيه يصله سؤال : هل يجوز أكل لحم الأرنب ؟

فيأتي جواب الفقيه بأنّه لا يجوز .

والبعض يقول بأنّه لا توجد آية قرآنيّة تدلّ على حرمة أكل لحم الأرنب ، فيشكل بأنّ القرآن الكريم لم يحرّم فلماذا أنتم الشّيعة تقولون بحرمته ؟

الجواب :

نسأل : هل الأحكام الشّرعيّة موجودة في القرآن فقط أو في القرآن وروايات المعصومين عليهم السّلام ؟

إذا لم توجد آية كريمة فالفقيه يرجع إلى الرّوايات ، والرّوايات تدلّ على حرمة أكل لحم الأرنب ، والدّين مبنيّ على القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السّلام ، وقد أرجعنا النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى القرآن والعترة الطّاهرة كما في حديث الثّقلين .

فإذا لم يوجد الحكم في القرآن الكريم فنرجع إلى السّنّة الشريفة ؛ لكي نرى أنّ هذا الحكم موجود في السّنّة أو غير موجود ، فحرمة أكل لحم الأرنب غير موجودة في القرآن ، ولكنّها موجودة في الرّوايات ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله أرجعنا إلى القرآن والعترة الطّاهرة لا إلى القرآن والسّنّة ، فمصادر استنباط الأحكام الشّرعيّة : القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والعترة الطّاهرة ، والعترة الطّاهرة هم أهل البيت عليهم السّلام ، وأهل البيت هم الأئمّة الاثنا عشر وسيّدة

نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليهم السّلام .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إنيّ مُسْتَخْلِفٌ فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض" [1] .

وعنه صلّى الله عليه وآله :"إنيّ تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لم تضلّوا" [2] .

وعن زيد بن أرقم قال : لـمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن ثمّ قال : "كأنيّ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إنيّ قد تركت فيكم الثّقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؛ فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض . . ." [3] .

ولم يقل النّبيّ صلّى الله عليه وآله : كتاب الله وسنّتي .

وسنّة النبيّ صلّى الله عليه وآله موجودة عند العترة الطّاهرة ، فنرجع إلى عترة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

عن الإمام الرّضا عليه السّلام كتب في جواب بعض المسائل : وَحُرِّمَ الأرنب لأنّها بمنزلة السِّنَّوْر ، ولها مخاليب كمخاليب السِّنَّوْر

---

[1] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٦ .

[2] المصدر السّابق .

[3] السّنن الكبرى للنّسائي ج٥ ص٤٥ ح٨١٤٨ .

وسباع الوحش فجرت مجراها . . . [1] .

السِّنَّوْر هو القطّ البرّيّ ، وجمعه سَنانِير ، والإمام عليه السّلام بيّن الحكم وسبب الحكم ، فكما أنّه لا يجوز أكل لحم القطّ البرّيّ وسباع الوحش ، كذلك لا يجوز أكل لحم الأرنب ، فلهما نفس الحكم .

وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يعتقدون بعترة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأمّا المذاهب الأخرى فلا يعتقدون بهم ، فيرجعون إلى الصّحابة ، وهذا مبناهم ، لذلك هم لا يبنون على حرمة أكل لحم الأرنب ، ولا نعترض عليهم ، وإذا أردنا أن نحاورهم فنناقش الأصل ولا نناقش المسائل الفرعيّة ، نعم في مذهبنا نبني على حرمة أكل لحم الأرنب ، وهم يبنون على حلّيّة أكل لحم الأرنب ، والنّقاش لا يكون في المسألة الفرعيّة ، وإنّما النّقاش يكون في الأصل ، وهو مسألة الإمامة ، وإذا انحلّت المشكلة في مسألة الإمامة فجميع المسائل الفرعيّة يكون لها حلّ ، وإذا لم يقتنعوا بالإمامة فهم يسيرون على مذهبهم والشّيعة يسيرون على مذهبهم ، بلا طعن ولا تكفير ، والجميع مسلمون ، فالقاعدة هي : (من تشهّد الشّهادتين فهو مسلم) ، ليس مسلمًا ظاهريًّا فقط ، فمن تشهّد فهو مسلم حقيقيّ ، فالشّيعيّ مسلم حقيقيّ ، والسّنّيّ مسلم حقيقيّ ، نعم هو لا يعتقد بالإمامة ، ولكنّه مسلم لأنّ الإسلام مبنيّ على الشّهادتين ، نعم إذا أردت أن تكون مسلمًا شيعيًّا فتعتقد بالإمامة ، وإذا لم تعتقد بالإمامة

[1] وسائل الشّيعة ج١٦ ص٣١٥-٣١٦ ح١١ .

فأنت مسلم سنّيّ ، ويوجد مسلمون آخرون ، مثل المسلم الزّيديّ والمسلم الإسماعيليّ والمسلم الإباضيّ وغيرهم من المسلمين ، لا فقط شيعة وسنّة ، بل يوجد زيديّة وإسماعيليّة وإباضيّة وغيرهم حتّى لو كانت عندهم عقائد أخرى في الإمامة ، فالتّوحيد والنّبوّة والمعاد هي الأصل ، فمن يعتقد بالتّوحيد والنّبوّة والمعاد فهو مسلم حقيقيّ ، وفي يوم القيامة يحشرون على أنّهم مسلمون ، والحساب على الله تعالى .

نسأل : أنت كشيعيّ هل يوجد عندك ضمان أنّك تدخل الجنّة ؟

وأنت كسنّيّ هل يوجد عندك ضمان أنّك من أهل الجنة ؟

وكذلك بالنّسبة لباقي المدارس والمذاهب هل تضمنون أنّكم تدخلون الجنّة ؟

والحساب يكون لكلّ فرد لوحده ، وَيُحْشَرُ الإنسان فردًا ، وَيُحَاسَبُ على أساس عقائده وصفاته القلبيّة وأعماله الخارجيّة ، فأنت كشيعيّ تُحَاسَبُ على عقائدك ، وكلّ فرد من المسلمين يُحَاسَبُ على عقائده ، ويدخل في الحساب كون الفرد قاصرًا أو مقصِّرًا ، فالمقصّر غير معذور ، والقاصر معذور ، ولا يوجد فرد من المسلمين قسيم الجنّة والنّار ؛ لكي يقول فلان في الجنّة وفلان في النّار .

هل يمكن للشّيعيّ أن يقول : كلّ شيعيّ يدخل إلى الجنّة ؟

وهل يمكن للسّنّيّ أن يقول : كلّ سنّيّ يدخل إلى الجنّة ؟

وكذلك بالنّسبة لباقي المدارس والمذاهب من الزّيديّة والإسماعيليّة والإباضيّة وغيرهم ، هل عندهم ضمان لدخول الجنّة ؟

هل المسلم الفاسق الظّالم القاتل للنّفس المحترَمة والمختلِس للأموال يدخل الجنّة ؟

لا يوجد أحد من المسلمين يمكن أن يدّعي أنّ لديه ضمانًا أنّه من أهل الجنّة ، وإنّما يحاسبك الله كفرد كما يحاسب غيرك من المسلمين وغير المسلمين .

يقول الشّيعيّ : عندي ولاية أهل البيت عليهم السّلام .

نقول : نعم ، ولكن بشرط أن تكون متمسِّكًا بالولاية عمليًّا لا نظريّا فقط ، ولا يكفي أن يكون الاعتقاد اعتقادًا نظريًّا ، بل لا بدّ من أن يكون للولاية انعكاس على حياتك ، وأمّا إذا لم يكن لها انعكاس فمعنى ذلك أنّه لا أثر لها ، والعقيدة لا تكون عقيدة نظريّة في عالم التّصوّر فقط .

هل تعتقد وتقف أو تعتقد وتعمل ويكون للاعتقاد انعكاس عمليّ على حياتك ؟

إذا لا يوجد له انعكاس عمليّ فمعنى ذلك أنّ هذه العقيدة ليست حقيقيّة راسخة عنده ، وإنّما عنده صورة ذهنيّة لها ، مثلما تتصوّر أيّ شيء آخر ، نعم ولاية أهل البيت عليهم السّلام بشرطها ، كما في حديث الإمام الرّضا عليه السّلام حينما أخرج رأسه من المحمل ، وشرطها هو أن يعلم مستلزمات الولاية ولوازم الإمامة ؛ لأجل أن يعمل بهذه اللّوازم ، فليس أنّه شيعيّ لأنّه يعتقد بالإمامة فقط ويقف ، لا بدّ من أن يكون للإمامة انعكاس عمليّ على حياته ،

وبدون هذا الانعكاس لا يكون معتقدًا بالإمامة اعتقادًا حقيقيًّا ، وأقلّ شيء من مستلزمات الولاية ولوازم الإمامة هو أنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة .

فنسأل : هل تطلب العلم أو لا ؟

هذا أقلّ شيء من مستلزمات الولاية ولوازم الاعتقاد بالإمامة ، تطلب العلم حتّى تعرف الطّريق الصّحيح في حياتك ، ولكي تضمن دخولك إلى الجنّة .

إذن :

مصادر التّشريع أربعة ، وهي :

١- القرآن الكريم .

٢- النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السّلام ، وسنّة المعصومين الأربعة عشر ، والسّنّة هي أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم ، والتّقرير هو السّكوت عن فعل معيّن ، وسكوت المعصوم عليه السّلام يعتبر دليلًا شرعيًّا ، وأقوال سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام وأفعالها وتقريراتها تعتبر أدلّة شرعيّة ، فهي عليها السّلام معصومة ، كما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام معصومون .

٣- إجماع الفقهاء .

٤- العقل .

هذه هي الأدلّة الّتي يرجع إليها الفقهاء .

وستأتي بعد ذلك أدلّة وجوب تقليد الأعلم بشكل تفصيليّ بما يناسب الحاضرين .

موضوع مهمّ :

أشير هنا إلى موضوع آخر ، وهو مهمّ جدًّا ، وهو أنّ الهدف من محاضرات الدّيوانيّة هو تشكيل المنظومة الفكريّة للإنسان المؤمن ، والمواضيع المختلفة خلال السّنوات الماضية كانت تصبّ في هذا الهدف ، وكلّ موضوع عبارة عن حلقة من حلقات المنظومة الفكريّة .

سؤال : لماذا نحتاج إلى المنظومة الفكريّة ؟

الجواب :

لأنّ كلّ إنسان سواء كان مؤمنًا أم ملحدًا يتحرّك بناءً على منظومته الفكريّة ، أنت وفكرك واحد لا اثنان ، وأيّ مسألة تواجهك وتريد أن تتّخذ موقفًا عمليًّا منها فإنّك ترجع إلى الفكر الموجود عندك ، فتتّخذ موقفًا على أساس المعلومات الذّهنيّة ، حتّى الإنسان الملحد عنده منظومة فكريّة يتحرّك على أساسها ، وهذه المنظومة الفكريّة تتكوّن عند الإنسان منذ أن يكون طفلًا ، فيكتسب معلومات منذ الطّفولة ، والمعلومات الذّهنية عند الإنسان معلومات مبعثرة ، تسمع محاضرات في مسجد أو خطب في حسينيّة أو كلمات في ديوانيّة وتشاهد برامج تلفزيونيّة وتحضر برامج في مراكز مختلفة ، فأنت تكتسب معلومات ، وهذه المعلومات تدخل في تشكيل منظومتك الفكريّة ، ولكنّها معلومات مبعثرة ، وإذا لم يستطع

الإنسان أن يجعل هذه المعلومات المبعثرة ضمن نظام واحد فتجد أنّ مواقفه العمليّة مواقف مختلفة ، وليس ضمن نسق واحد ، فتارةً يتّخذ موقفًا معيّنًا ، وتارةً أخرى يتّخذ موقفًا مضادًّا ؛ لأنّ الموقف الأوّل كان بناءً على معلومة معيّنة ، والموقف الثّاني كان بناءً على معلومة أخرى ، فعنده معلومات مبعثرة في الذّهن ، وليست ضمن منظومة واحدة ونظام واحد ونسق واحد ؛ لكي تكون المواقف الّتي يتّخذها في الموارد المختلفة ضمن نسق واحد ، ولا يوجد بين المواقف تعارض وتضادّ ، ونقول في كلامنا إنّ فلانًا عنده مواقف متضادّة ، فمرّة يقول نعم ، ومرةً يقول لا ، فهو يتعامل مع معلوماته الذّهنيّة كأشياء مبعثرة لا ضمن نظام واحد ونسق واحد .

وبالنّسبة للإنسان المؤمن لا بدّ من أن تكون عنده منظومة فكريّة ضمن نظام ونسق واحد ، وهذه المنظومة الواحدة والنّظام الواحد والنّسق الواحد تشكّل منطلق حركته ، فعلى أساس منظومته الفكريّة يتحرّك ويعمل ويتّخذ المواقف ، وهذه المنظومة مبنيّة على الدّين ، مبنيّة على عقائد معيّنة ، ومبنيّة على الفقه العمليّ والرّسالة العمليّة ، ومبنيّة على معلومات أخرى اكتسبها من مصادر مختلفة ، وإذا لم يعرف كيفيّة الرّبط بين هذه المعلومات فمواقفه ستكون مواقف متضادّة ، وحتّى من ناحية العمل ، مرّةً يجد من نفسه في الصّلاة أنّه يتفاعل معها ، ومرّةً يجد أنّه لا يتفاعل معها ، وهذا أمر وجدانيّ يلاحظه في نفسه ، فلماذا تارةً يتفاعل مع الصّلاة وتارةً أخرى لا

يتفاعل معها ؟

لا بدّ من أن يرجع إلى منظومته الفكريّة ، يوجد خلل في مكان ما في هذه المنظومة .

إذا سمع محاضرة أخلاقيّة يرى أنّه يتفاعل مع الصّلاة ، وبعد يومين ينتهي مفعول هذه المحاضرة ، فيرى أنّه لا يتفاعل مع الصّلاة .

إذا استمع إلى هذه المحاضرة فلا بدّ من أن تدخل ضمن منظومته الفكريّة ، فإذا دخلت ضمن المنظومة فتفاعله مع الصّلاة يستمرّ ، سمع معلومةً وتأثّر بها لحظيًّا ، وبعد يومين هذه المعلومة تنفقد من المنظومة ، فلا يتفاعل مع الصّلاة .

نحتاج إلى مواضيع تشكّل المنظومة الفكريّة للإنسان المؤمن ، وهذه المنظومة موجودة في القرآن الكريم وروايات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السّلام .

ويحتاج المؤمن لأن يبحث عن مفردات هذه المنظومة ، والدّين موجود ضمن نظام واحد ، والدّين لا يعطينا معلومات مبعثرة متفرّقة لا رابط بينها ، فهناك رابط بين المعلومات الّتي لا بدّ من أن يكتسبها الإنسان المؤمن ، وإذا لم يوجد هذا الرّابط عند المؤمن فتكون المعلومات في ذهنه معلومات متفرّقة .

مثال عرفيّ :

في المدرسة حينما يدرس الطّالب أيّ مادة من الموادّ – مثل الرّياضيّات – فإنّه يأخذ أبوابًا مختلفةً من هذه المادّة ، وينتهي من

الكتاب ، وإذا أعطيته مسألةً رياضيّةً فإنّه لا يعرف كيفيّة حلّها ، مع أنّه أخذ المعلومات ، والطّالب الممتاز تعطيه أيّ مسألة فيعرف كيف يحلّها ، وقد استعمل معلومةً من الباب الأوّل ومعلومةً أخرى من الباب الثّاني ، ومعلومةً ثالثةً من الباب الثّالث ، والطّالب الّذي لم يحلّ المسألة عنده نفس المعلومات ، ولكنّها معلومات متفرّقة لا يعرف الرّابط بينها ، ويظنّ أنّ المسألة ضمن قوانين الباب الأوّل فقط ، فيذهب إلى الباب الأوّل وتكون المعلومات ناقصةً فلا يستطيع حلّ المسألة .

وبالنّسبة للأجهزة الحديثة ، مثلًا اختراع الكاميرا يحتاج إلى جهود مجموعة من العلماء من تخصّصات مختلفة ، وفي آخر المطاف يقدّمون لنا الكاميرا .

وصنع السّيّارة في المصنع يحتاج إلى جهود مجموعة من العاملين ، وتجد عاملًا وظيفته أن يضع مسمارًا لولبيًّا (أي برغيًّا) واحدًا في مكانه المناسب ، وتنتقل السّيّارة إلى العامل الثّاني الّذي وظيفته أن يقوم بعمل صغير آخر ، وفي نهاية المطاف تخرج السّيّارة من المصنع بكامل معدّاتها وأجزائها ، وهذه السّيّارة من بداية صناعتها إلى نهايتها تستغرق دقائق أو ثواني معدودة ، وهذا أمر عجيب .

سألني أحد الموظّفين في إحدى شركات السّيّارات عن وقت صناعة السّيّارة ، فقلت له : أحتمل ربع ساعة .

فقال لي : بأنّها ثوانٍ معدودة .

وكل واحد من العاملين يقوم بعمل معيّن ، والآن يستعملون في صنع السّيّارات الرّوبوتات الآليّة .

والكاميرا لكي تصوّر تحتاج إلى نظام ، ولا تقوم صناعتها على جهد شخص واحد ، وقبل خمسين سنة كانت الكاميرا عبارة عن صندوق يصنعها شخص واحد ، والآن تحتاج إلى جهود من عدّة أشخاص ، ونظام الكاميرا يحتاج إلى مجموعة من المعلومات ، ولكن معلومات ضمن نظام واحد لإنتاج الكاميرا ، ولو كانت المعلومات متفرّقة والعمّال متفرقين لما أنتجوا السّيّارة أو الكاميرا اللّتين تعملان بدقّة متناهية .

وأنت لكي تنتج لا بدّ من أن تكون عندك منظومة فكريّة واحدة ونظام ونسق فكريّ واحد ، لا فقط معلومات ذهنيّة مبعثرة ، وهذا النّظام الفكريّ الواحد لا بدّ من أن تحصل عليه بحيث يكون عندك ترابط بين المعلومات .

مثال :

شخص يقسم بالله تعالى أنّه يريد أن يقوم بعمل معيّن ، يبعث سؤالًا إلى المرجع ، يقول : أنا أقسمت وخالفت قسمي فماذا أفعل ؟

يأتيه الجواب بأن يدفع الكفّارة بإطعام عشرة مساكين ، وهو يطعم عشرة مساكين ويشعر بالرّاحة ، ويعتقد أنّ مفعول القسم انتهى ولا شيء عليه .

نقول : هذه الكفّارة مرتبطة بالفقه العمليّ ، ولكنّ الكفّارة لا

تتحدّث عن الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ ، أنت أقسمت بالله ، بهذا الاسم العظيم ، وبكلّ سهولة تخالف هذا القسم ، اعرف أنّك تتعامل مع الله تعالى .

يقول : أنا أطعمت عشرة مساكين ماذا تريدون منّي أكثر من هذا ؟

نقول : هذا بناءً على الفقه العمليّ ، وأمّا بناءً على الفقه العقائديّ ارتباطك بالله كيف يكون ؟

أنت أقسمت باسم العظيم ، والقسم بالله ليس أمرًا هيّنًا ، قيمته ليست عشرة دنانير تطعم بها بعض المساكين وتنتهي المشكلة ، فالمشكلة لا تنتهي بهذه السّهولة ، أنت خالفت قسمك بالله ، وهذا مرتبط بجانب الفقه العقائديّ ، وهو ليس أمرًا بسيطًا ينتهي بدفع عشرة دنانير ، يصبح عند الإنسان استهانة بهذا القسم ، وهذا مرتبط بجانب الفقه الأخلاقيّ من أنّ الإنسان يستهين بمن أقسم به ، وهذا يؤدّي إلى نوع من التّسافل الباطنيّ ، ويحدث عنده تساهل بالدّين ، وقد يؤدّي بالإنسان إلى أن يقسم في المحكمة لأنّه استهان بالقسم ، فيشهد على موضوع معيّن زورًا وكذبًا ، وإذا تعوّد الإنسان على أن يكسر قسمه فإنّ القسم في المحكمة يكون عنده هيّنًا ، لذلك يوجد شهود زور يذهبون إلى المحكمة ويقسمون بالله كذبًا ؛ لأنّ تعاملهم مع الله لا قيمة له ، وتعاملهم مع اسم الله أمره هيّن ، وذلك لأنّ ارتباطه العقائديّ بالله أمره هيّن .

إنّ الارتباط بالله من خلال التّوحيد له أهمّيّة كبيرة في حياة الإنسان

المؤمن ضمن المنظومة الفكريّة الّتي يمتلكها ، وهذا الارتباط بالله يجعل عند الإنسان صفات قلبيّة معيّنة ، وهذه الصّفات القلبيّة تعطيه عملًا خارجيًا ، وبمقدار ارتباطه بالله تنشأ عنده صفات قلبيّة حسنة ، وعلى أساس هذه الصفات القلبيّة يتحرّك ويؤدّي أعمالًا خارجيّة .

إنّ الفقه العمليّ إذا لم يكن انعكاسًا لعقائد الإنسان وباطنه فإنّه يتعامل مع الفقه العمليّ على أساس أنّه عمل خارجيّ ليس له ارتباط لا بالعقائد ولا بالصّفات القلبيّة ، فيقوم بأعمال خارجيّة فقط ، ووضع هذا الشّخص يظلّ ثابتًا على وضعه سنةً بعد أخرى ، ولا يتغيّر حاله ؛ لأنّ نظره يكون إلى العمل الخارجيّ فقط ، ولا ينظر إلى العمل الخارجيّ المرتبط بالعقائد والأخلاق ، فالعمل الخارجيّ يسبّب ارتباطًا أكبر بالله ، ويسبّب صفة قلبيّة حسنة من حيث التّكامل .

ونرى الآن أنّ أوضاع المسلمين متغيّرة ، ولكن ليس إلى الأفضل بل إلى الأسوأ ، مع أنّ المسلمين يؤدّون كثيرًا من الأعمال الخارجيّة ، يصلّون يوميًّا خمس صلوات ، ويصومون شهرًا في السّنة ، ويحجّون في كلّ سنة ، وبعض المؤمنين يذهبون إلى زيارة المراقد المشرّفة أسبوعيًّا ، ولكن حينما ترى هذا المسلم أو المؤمن لا ترى عليه آثار التّغيّر إلى الأفضل ؛ لأنّ التّغيّر لا يحصل على أساس العمل الخارجيّ فقط ، فالتّغيّر في واقعه يحدث في القلب ، والتّغير تغيّر قلبيّ باطنيّ ، والقلب يتغيّر بناءً على ارتباط الإنسان بالعقائد وبالصّفات القلبيّة الحسنة ، فيتغيّر القلب إلى الأفضل ، وإذا تغيّر القلب إلى الأفضل فإنّ الإنسان

يتكامل ، وإذا تكامل تلاحظ عليه التّغيّر الخارجيّ ، ولكن نظرة الإنسان تكون إلى الفقه العمليّ فقط أي الأعمال الخارجيّة غير المرتبطة بالعقائد والأخلاق الباطنيّة ، فيرتبط بـ (يجوز أو لا يجوز) من حيث العمل الخارجيّ ، (أفعل أو لا أفعل) ، (حلال أو حرام) ، وتكون علاقته مع الدّين من خلال الرّسالة العمليّة فقط ، وكأنّ الدّين ينحصر في الفقه العمليّ فقط ، والارتباط بالعمل الخارجيّ لوحده لا يغيّر الإنسان إلى الأفضل ، فهو خالف القسم فدفع عشرة دنانير كفّارة إطعام عشرة مساكين فيرتاح ويظنّ بأنّ المشكلة انتهت ، مع أنّ المشكلة لا تنتهي بهذه السّهولة ، فعنده علاقة بالله تعالى ، وهذه العلاقة بالله لا بدّ من أن لا تنكسر .

مثلًا في قضاء شهر رمضان يجوز أن يفطر قبل الزّوال ، وبعد الزّوال لا يجوز أن يفطر ، وإذا أفطر بعد الزّوال فالحكم هو وجوب إطعام عشرة مساكين ، فإذا عجز يصوم ثلاثة أيّام .

قال : أصوم قضاء يوم من شهر رمضان قربةً إلى الله تعالى .

يريد أن يتقرّب إلى الله بهذا الصّيام ، فعلاقته لا تكون مع الصّيام كعمل خارجيّ فقط ، وإنّما علاقته تكون مع الله عزّ وجلّ ، فالله سبحانه موجود في المعادلة ، وعنده تقرّب أي يوجد تكامل وحركة قلبيّة .

شخص بعد زوال الشّمس رأى النّاس يأكلون ، وقال : أنا أقضي صيام شهر رمضان .

وأكل معهم وأفطر بلا أيّ عذر .

هو حينما قال : أقضي قربةً إلى الله تعالى - أوجد علاقةً مع الله في هذا القضاء ، فلا يجوز له أن يكسر هذه العلاقة بكلّ سهولة وبلا عذر .

يقول : رجعت إلى الرّسالة العمليّة ، ورأيت أنّ الكفّارة كذا .

أخذ الحكم بناءً على الفقه العمليّ ، ويظنّ بأنّه لا توجد أيّ مشكلة مع الله تعالى ومع صفاته القلبيّة ، مع أنّ هذا سيؤثّر عليه ، ويحصل عند تساهل في علاقته مع الله تعالى ، والتّساهل في التّعامل مع الأحكام الدّينيّة .

إذن :

توجد منظومة فكريّة عند كلّ إنسان ، والآن المنظومة الفكريّة عند المؤمنين قائمة على أساس الرّسالة العمليّة فقط ، وإذا كنت تطرح محاضرةً عقائديّةً أو تُدَرِّسُ الرّسالة العمليّة ترى أنّ المؤمنين يحضرون درس الرّسالة العمليّة ولا يحضرون المحاضرة العقائديّة ، وتدعو لدروس عقائديّة أو أخلاقيّة فترى أنّ الحاضرين قليلون ، ولكنهم مستعدّون لحضور دروس الرّسالة العمليّة .

إنّ المنظومة الفكريّة لا بدّ من أن تكون شاملةً لجميع أحكام الدّين من الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة ، وكلّها تشكّل للمؤمن منظومته الفكريّة .

وحينما يريد أن يُقْدِمَ على أيّ عمل فلا بدّ من أن يسأل أوّلًا :

ماذا يريد الله عزّ وجلّ منّي ؟

وثانيًا يسأل : ما هو تأثير هذا العمل على قلبي وباطني ؟

ويسأل ثالثًا : ما هو الحكم العمليّ ؟

ولا يكتفي بالسؤال الثّالث فقط ، وعلى أساس هذه الأسئلة الثّلاثة يصل إلى الحكم النّهائيّ ، ويتحرّك على أساس هذا الحكم النّهائي لا بناءً على الحكم العمليّ فقط .

والمسلمون والمؤمنون لم يتعوّدوا على كيفيّة التّعامل مع الأحكام الدّينيّة بهذه الطّريقة ، فهم ينتقلون مباشرةً إلى الحكم العمليّ فقط ، ولا يربطون العمل الخارجيّ بالعقائد والأخلاق .

إنّ المنظومة الفكريّة عند الإنسان لا بدّ من أن تقوم على هذه الأمور الثّلاثة مع معرفة كيفيّة الارتباط بين الثّلاثة ؛ لأنّه يوجد تفاعل متبادل بين النّواحي الثّلاثة ، فلا بدّ من أن يعرف كيفيّة الارتباط بين الثّلاثة حينما يريد أن يُقْدِمَ على أيّ عمل أو يتوقّف عن أيّ عمل .

إنّ محاضرات الدّيوانيّة تصبّ في تكوين المنظومة الفكريّة للمؤمنين ، وأوّل موضوع بدأنا به هو (العلوم الواجبة على الإنسان المؤمن) ، ونفس هذا الكلام قلته قبل إحدى عشرة سنة ، وسرنا في مواضيع مختلفة ، منها (تكاليف المؤمن في عصر الغيبة) ، ورددنا على بعض الشّبهات على الأئمّة عليهم السّلام ، منها كثرة زواج الإمام الحسن عليه السّلام ، وفي بعض المناسبات طرحنا كيفيّة الاستفادة من هذه المناسبات ، وذكرنا مجموعةً من المواضيع ، وكلّها تصبّ في تكوين

المنظومة الفكريّة للمؤمن ، ويمكنكم الرّجوع إلى المحاضرات السّابقة ، ومن يريد أن يعرف هذه المنظومة فلا بدّ من أن يسمع المحاضرات من البداية ، وبذلك يعرف ماذا نريد أن نطرح في هذه الدّيوانية بما يساهم في تشكيل المنظومة الفكريّة للمؤمن .

وعندي فكرة أن نذهب إلى فكر الشّهيدين : السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر والشّيخ الشّهيد مرتضى المطهّريّ رضوان الله عليهما ؛ لأجل أن نعرف ماذا يريدان أن يصلا إليه من خلال طرحهما في مؤلّفاتهما ، فقد طرحا مواضيع متفرّقة ، ولكنّهما أرادا تشكيل الفكر الدّينيّ عند المؤمنين ، ونحاول أن نطرح فكر الشّهيدين ، ونتناول بعض المواضيع الّتي طرحاها ، ولكن نعرضها بطريقة أخرى بحيث تكون متناسبة مع الحاضرين وبطريقة سهلة ومبسّطة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

السّؤال الأوّل : متى بدأ تاريخيًّا مسألة تقليد الأعلم ؟

السّؤال الثّاني : ما هي المساحة للتّقليد في العقائد ؟

السّؤال الثّالث : ما هي مساحة الفقه الأخلاقيّ الفرديّ والجماعيّ المرتبط بفقه الواقع ؟

السّؤال الرّابع : فقه الواقع هل يعتمد على تقليد الأعلم أو يعتمد

على الجهد الشّخصيّ ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

جواب السّؤال الأوّل :

في مسألة تقليد الأعلم طرحنا في البداية أنّه كان من المسلَّمات عند الشّيعة ؛ لأنّ رجوع الجاهل إلى الأعلم من البديهيّات ، وموجود عند كلّ إنسان ، طبعًا في الأمور الخطيرة ، فإذا احتجت إلى طبيب عند الإصابة بالرّشح والزّكام فلا تبحث عن الأعلم ، وتذهب إلى المستوصف ويعطي الطّبيب العامّ دواءً للرّشح والزّكام ، ولكن في الأمراض الخطيرة يبحث الإنسان عن الطّبيب الأعلم ؛ لأنّه من بديهيّات الإنسان البحث عن الأعلم ، وذكرنا أنّه من مسلَّمات الشيعة ، وذكرنا بعض أقوال العلماء في المسألة ، ولكن بعد ذلك جاءت الإشكالات : لماذا نرجع إلى الأعلم ؟ وهل يجوز تقليد غير الأعلم ؟

جوا السّؤال الثّاني :

في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ لا بدّ من أن يدرس المؤمن كتابًا عقائديًّا وكتابًا أخلاقيًّا مع أحد الأساتذة ، وإذا قرأ الشّخص لوحده في العقائد من الممكن أن تحصل عنده اشتباهات ، والآن الدّروس متوفّرة بكثرة في الإنترنت ، ونحاول أن نطرح بعض الدّروس العقائديّة والدّروس الأخلاقيّة ودروسًا في الفقه العمليّ ، وتجدونها على الموقع واليوتيوب ، وهذه الدّروس تكون ضمن العلوم الثّلاثة ،

والاستماع إلى هذه الدّروس يساهم في تشكيل المنظومة الفكريّة عند المستمع .

جواب السّؤالين الثّالث والرّابع :

في جميع العلوم لا بدّ من الرّجوع إلى العلماء ، ولا يمكن لأحد أن يعتمد على جهده الفرديّ للوصول إلى المعرفة الكاملة ، فلا بدّ من أن يرجع إلى العلماء حتّى في دراسة العقائد والأخلاق ، بل في كلّ علم لا بدّ من الرّجوع إلى العلماء سواء العلوم الدّينيّة أم العلوم الدّنيويّة .

وحينما نقول الأخلاق فلا نقصد منه العمل الخارجيّ ، بل المقصود من الأخلاق هو الصّفات القلبيّة الباطنيّة للإنسان ؛ لأنّ العمل الخارجيّ يكون ضمن الفقه العمليّ .

مثلًا الصّبر عند المصائب مستحبّ ، هذا هو الصّبر الخارجيّ المرتبط بالعمل الخارجيّ .

وحينما نقول أخلاق فمعناه أنّ الصّبر يكون من الصّفات القلبيّة الباطنيّة للإنسان ، وحينما يصاب الإنسان بمصيبة فإنّه يحتاج إلى الصّبر القلبيّ لكي يصبر كعمل خارجيّ ، وهذه الصّفة القلبيّة يكون لها انعكاس من حيث العمل الخارجيّ ، فكلامنا في الأخلاق هو عن الصّفات القلبيّة الباطنيّة .

والمطروح اليوم أنّ الأخلاق عبارة عن الأعمال الخارجيّة ، فمن تكون عنده أعمال خارجيّة حسنة يقال بأنّ لديه أخلاقًا حسنةً ،

ومن تكون أعماله الخارجيّة سيّئة يقال بأنّ أخلاقه سيّئة .

وفي علم الأخلاق لا نبحث عن العمل الخارجيّ ، وإنّما نبحث عن الصّفات الباطنيّة ، ويمكن التّفرقة بينهما بأنّ الصّفات القلبيّة الباطنيّة هي الأخلاق ، والأعمال الخارجيّة هي الأخلاقيّات ، والأخلاقيّات تدخل ضمن الفقه العمليّ ، فنفرّق بين الأخلاق والأخلاقيّات .

وحينما يناقشون فقه الواقع في الأخلاق الفرديّة والأخلاق الجماعيّة يكون نظرهم إلى الأعمال الخارجيّة ، والدّين يذهب إلى أصل العمل وجذره ، وأصل الأعمال وجذرها هو قلب الإنسان وباطنه .

والقوانين الوضعيّة ليس لها دخل بقلب الإنسان ، وأمّا القوانين الدّينيّة فلها شغل بقلب الإنسان ؛ لأنّ الدّين يريد أن ينشئ الإنسان الصّالح ، ولا يريد أعمالًا صالحةً فقط ، لا العمل الخارجيّ الصّالح فقط ، وإنّما يريد إنسانًا صالحًا ، والإنسان الصّالح يأتي بالعمل الصّالح ، وأمّا إذا كان نظرنا إلى الأعمال الصّالحة فقط فمعنى ذلك أنّنا لا ننظر إلى قلب الإنسان .

مثلًا شخص فاسق ، ولكن عنده بعض الأعمال الصّالحة ، وفي الغرب عندهم أعمال صالحة ، فإنسان لا يعتقد بوجود الله ، وربحه في السّنة سبعة مليارات دولار ، كمالك الإنترنت ، ولكن يتبرّع بمليار دولار للفقراء ، وإنسان مسلم صالح قد لا يتبرّع بهذا المقدار ، فذاك من ناحية قلبيّة لا يعتقد بوجود إله ، ولكن من ناحية العمل الخارجيّ تبرّع بمليار دولار للفقراء ، هو أتى بعمل صالح ، ولكن باطنه ليس

صالحًا ، فهو يسمح بالمواقع الإباحيّة في الإنترنت ، فمن جهة عنده أعمال صالحة ، ومن جهة أخرى عنده أعمال طالحة ؛ لأنّ هدفه ليس إصلاح بواطن النّاس ، ولو كان أهداف المخترعين هو قلب الإنسان لكان المفروض أنّ جميع الاختراعات لا تستعمل إلّا في الأعمال الصّالحة ، فالغرب ليس هدفهم صلاح قلب الإنسان ، وإنّما هدفهم الكسب الماليّ ؛ لأنّهم يعتقدون بالرّأسماليّة .

والنّظريّة الرّأسماليّة تحتاج إلى نقاش ؛ لكي نبيّن المساوئ الّتي أصيبت بها البشريّة بسبب النّظام الرّأسماليّ ، والمشاكل والأمراض القلبيّة والأعمال الخارجيّة السّيّئة الّتي يعاني منها العالم اليوم كلّها بسبب الرّأسماليّة ، ونحتاج إلى نقاشها ؛ لأجل أن ننقض النّظريّة الرّأسماليّة المسيطرة على العالم اليوم ، كما نقض السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه الماركسيّة .

إذن :

الحصول على المنظومة الفكريّة يحتاج إلى علماء في العلوم الثّلاثة ، وتدرس مع العلماء ، والاعتماد على القراءة والجهد الفرديّ لا يؤدّي إلى بناء منظومة فكريّة صحيحة ، ونحن لسنا في زمان يقرأ الإنسان فيه الكتب لوحده ، هذا الأمر كان موجودًا قبل مئات أو آلاف السّنين ، مثل ابن سينا كان يقرأ الكتب بنفسه ويستوعبها ، والسّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر كان يعتمد على جهده الذّاتيّ ، فكان يقرأ كتب الماركسيّة ، وبناءً على جهده الذّاتيّ أعطانا النّقوض على

الماركسيّة ، ولكن الآن في مواجهة الغرب نحتاج إلى جهد جماعيّ ، فلا بدّ من أن يكون المؤمنون أقوياء في مختلف المجالات ، ونحن لحدّ الآن لم نستطع أن نبيّن للفرد المؤمن كيف يتعامل مع الأشياء على أساس فرديّ قبل أن يكون ضمن مجموعة ، والآن كلّ مؤمن يتحرّك لوحده ، ولا يوجد عندنا تخطيط جماعيّ في مواجهة النّظام الرّأسماليّ ، نريد أن نواجه الرّأسماليّة بالنّظام الإسلاميّ ، والمؤمنون ضمن البيت الواحد الشّيعيّ لحدّ الآن لم يحلّوا مشاكلهم ، فما بالك مع البيت السّنّيّ ؟ ومع البيت الزّيديّ ؟ ومع البيت الإسماعيليّ ؟ ومع البيت الإباضيّ ؟

أي ضمن البيت الإسلاميّ ككلّ ؛ لكي يمكننا أن نواجه الغرب ، وما زالت المشكلة عند المسلمين في مواجهة بعضهم البعض ، وهذا هو واقعنا اليوم ، فالإرهابيّون لا يواجهون الغرب ، وإنّما يواجهون المسلمين ، ولا يفرّقون بين سنّيّ وشيعيّ وزيديّ وإسماعيليّ وإباضيّ ، فالإرهابيّ يفجّر الجميع ، وبمجرّد ما أن يعترض سنّيّ عليه يأتي إليه بالذّبح والنّحر والقتل .

والإرهابيّون يشغلون المسلمين عن مواجهة الأعداء الحقيقيّين للإسلام ، وهذا بتخطيط من الغرب المستكبر ؛ لكي ينشغل المسلمون داخليًّا ، ولا يتفرّغون لمواجهة الغرب ، ولا تحصل خطورة على الغرب ، لذلك لا يهتمّون أن يقتل المسلم أخاه المسلم ، نعم إذا وصل إلى الغرب شيء يبدؤون بمواجهة المسلمين .

ونحتاج إلى جهود العلماء ، والمؤمن لا يمكن أن يتحرّك بمفرده ، يحتاج دائمًا إلى العلماء المتخصّصين في هذه العلوم ؛ لكي يأخذ منهم المعلومات الصّحيحة ، لا فقط أن تحصل على المعلومة ، وإنّما المعلومة ممّن تأخذها ، لذلك فالمنظومة الفكريّة لا تأخذها من أيّ شخص ، بل لا بدّ من أن تختار العلماء الثّقات من خطّ المرجعيّة الرّشيدة ؛ لكي تأخذها منهم ، وبعض الأشخاص يعطونك معلومات متفرّقة ، وهناك بعض المعلومات يعطيها معمّمون ليسوا من خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، فلا يعطون المعلومات الصّحيحة ، فتنتبه أوّلًا إلى أنّ المعلومة ممّن تأخذها ، وكتب مَنْ مِنَ العلماء تقرأ ، فتكون عندك أسماء معيّنة لعلماء تستمع لمحاضراتهم وتقرأ كتبهم ، ولا تأخذ المعلومات من أيّ شخص ، لا تستمع إلى أيّ محاضرة ، بل لا بدّ من أن تعرف من هو المحاضِر ، وكذلك تعرف الخطيب الّذي تحضر عنده ، ومصدر المعلومات مهمّ جدًّا ؛ لكي تبني المنظومة الفكريّة الصّحيحة ضمن النّظام الإسلاميّ المطلوب ، وعلى أساسها تكون مواقفك مواقف صحيحة ، وأمورك تكون أمورًا صحيحة ، سواء على المستوى الفرديّ أم المستوى الاجتماعيّ أم المستوى السّياسيّ ، وحتّى في المواقف السّياسيّة تحتاج إلى منظومة فكريّة ؛ لكي تتّخذ موقفًا سياسيًّا معيّنًا .

إذن :

الرّجوع إلى العلماء وأهل التّخصّص مهمّ جدًّا لجميع النّاس ؛ لكي

يمكنهم أخذ المعلومات الصّحيحة .

سؤال : سيّد حسن عبد المطلب :

شخص يسمع محاضرةً أخلاقيّةً أو يشاهد أمرًا أخلاقيًّا يتأثّر ، ولكن مع مرور الوقت ينسى أو يتجاهل ، فكيف يمكن المحافظة على تأثّره ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

حينما يكتسب شخص معلومةً معيّنةً فإنّها تنتقل إلى عالم التّصوّر في ذهنه ، فتكون عنده صورة ذهنيّة عن هذه المعلومة ، وإذا ظلّت المعلومة في عالم التّصوّر فمع مرور الوقت يفقدها الإنسان ، فلا بدّ من أن تتحوّل المعلومات إلى مَلَكات عند الإنسان ، فتنتقل من الذّهن إلى القلب .

سؤال : كيف يعرف الإنسان أنّها انتقلت من الذّهن إلى القلب ؟

الجواب :

تنتقل المعلومة من الذّهن إلى القلب إذا اقتنع بها وصارت حاضرةً عنده دائمًا ، وحينما يتحرّك ويؤدّي أعماله الخارجيّة تكون هذه المعلومة أساسًا للتّحرّك ، وإذا صارت المعلومة جزءًا منه فلا يفقدها مع مرور الوقت ، ويظلّ التّأثّر القلبيّ مستمرًّا معه ؛ لأنّها تحوّلت إلى مَلَكَة وصفة قلبيّة نفسانيّة راسخة ، ولكنّ المعلومات عند النّاس تكون على شكل تصوّرات في عالم الذّهن ، وبعد يوم يكتسب معلومات أخرى فيفقد تصوّر المعلومات السّابقة ، ولكن إذا جعَلَ

المعلومة أساسًا في حياته فإنّه لا يفقدها ؛ لأنّها تتحوّل إلى جزء منه ، وتظلّ موجودةً معه دائمًا .

والمعلومات العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة اجعلها ثابتةً معك بحيث تتحوّل إلى جزء من قلبك وشخصيّتك ، وإذا صارت جزءًا منك فإنّها لا تذهب ، ولكنّ المشكلة أنّ المعلومات عند النّاس تكون معلومات مؤقّتة ؛ لأنّهم يتعاملون معها على أساس أنّها أشياء مؤقّتة ، ولكن إذا تحوّلت إلى جزء من شخصيّة الإنسان فإنّه لا يفقدها ، ويظلّ لها تأثير عليه طوال حياته .

مثل الإنسان حينما يصاب بمشكلة كبيرة ، فإنّ المصيبة إذا استمرّت معه فإنّ التّفاعل يظلّ موجودا ، ولكن إذا انتهت المشكلة فهذا التّأثّر والتّفاعل يذهب عنه ، فإذا استمرّ أمر مع الإنسان فإنّ التّأثّر يستمرّ معه .

شخص يعتقد بوجود الآخرة والمعاد ويوم الحساب ، تارةً يغفل عن ذلك ، والمعاد لا يشكّل جزءًا منه ومن شخصيّته ، فحينما يُقْدِمُ على أيّ عمل لا يسأل عن التّأثير الأخرويّ لهذا العمل ، وتارةً أخرى إذا لم يغفل عن المعاد ويعلم بأنّ العمل له تأثير أخرويّ فإنّه يُقْدِمُ على العمل ونظره إلى الآخرة ، فالمعاد له تأثير في حياته ، وأمّا إذا أتى بالعمل بلا تفكير بأنّ هذا العمل له نتيجة أخرويّة فالمعاد لا يشكّل شيئًا عنده ، ولا يكون جزءًا من شخصيّته ، ولا جزءًا من منظومته المعرفيّة ، ويكون المعاد في عالم التّصوّر الذّهنيّ فقط ، نعم بالكلام

يقول : أنا أعتقد بالمعاد ، ولكن اعتقاده ليس جزءًا من منظومته الفكريّة ، والمنظومة الفكريّة لها تأثير على أيّ عمل يقوم به الإنسان ، فإذا كان للمعاد تأثير على حياته فالمعاد بالنّسبة له أصل من أصول دينه ، وإذا لم يكن له تأثير في حياته فالمعاد بالنّسبة له ليس أصلًا من أصول دينه ؛ لأنّه لو كان أصلًا من أصول دينه لأثّر على حياته ، وإذا كان يعتقد بأنّه أصل فالمفروض أن يكون موجودًا معه دائمًا ، فالمعلومات لا بدّ من أن يحوّلها الإنسان إلى أصول ، وحتّى الفقه العمليّ وفروع الدّين تكون بالنّسبة له أصولًا ؛ لأنّه يبني حياته على الفقه العمليّ .

فراجع نفسك الآن ، واسأل نفسك : ما هي المحرِّكات في حياتي ؟

أي ما هي الأشياء الّتي تحرّكك في اتّخاذ المواقف بحيث تجعلها جزءًا من حياتك وتفكيرك ؟

هذه الأشياء لا بدّ من أن تدخل في حسابه ، أي تكون أصولًا بالنّسبة له ، وأمّا الأمور المؤقّتة عند الإنسان فلا تشكّل أصولًا بالنّسبة له ، وراجع جميع المعلومات الموجودة عندك ، وحتّى التّوحيد ، حينما تريد أن تُقْدِمَ على أيّ عمل هل تفكّر بأنّ الله يراك أو لا تفكّر ؟

إذا كان لا يفكّر بالله تعالى فالتّوحيد لا يشكّل أصلًا بالنّسبة له ، وإذا كان لا يشكّل أصلًا عنده فالاعتقاد لا يكون راسخًا ، مجرّد كلام وصورة ذهنيّة ، وإذا كان التّوحيد أصلًا عنده فحينما يريد أن يُقْدِمَ على أيّ عمل يسأل : الله تعالى ماذا يريد منّي في هذا العمل ؟

هذه هي نتيجة الاعتقاد بالتّوحيد ، وأمّا إذا لم يشكّل التّوحيد أيّ عامل في حركته فمعنى ذلك أنّ هذا الإنسان لا يوجد عنده اعتقاد راسخ بالتّوحيد ، وحينما ينتقل إلى عالم البرزخ وعالم الآخرة ينتقل بلا اعتقاد بالتّوحيد .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : ". . . فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر ، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله" [١] .

بعض النّاس يكونون في الدّنيا مؤمنين ، ولكنّهم يُحْشَرُونَ يوم القيامة كفّارا ؛ لأنّ التّوحيد لم يكن يشكّل عاملًا في حياتهم ، بل لا بدّ من أن يكون هو العامل الرّئيس .

ومن المهمّ أن يراجع الإنسان منظومته الفكريّة ؛ لأجل أن يرى ما هي الأشياء الّتي يعتمد عليها وعلى أساسها يتحرّك ويعمل ، وأين مكان التّوحيد في هذه المنظومة ، والنّبوة أين مكانها ، والإمامة أين مكانها ، والمعاد أين مكانه ، وبالنّسبة لقلب الإنسان أين مكانه ، وهل حينما يعمل يفكّر أنّ هذا العمل الخارجيّ له تأثير على قلبه إيجابًا أو سلبًا ، وإذا كان لا يفكّر بذلك فعلم الأخلاق ليس له دور في حياته ، ولا يشكّل جزءًا من منظومته الفكريّة ، فالفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ لا بدّ من أن تكون جزءًا من المنظومة الفكريّة للإنسان .

---

[١] الكافي ج٢ ص٣٩ ح٨ .

وحينما يريد أن يأتي بأيّ فعل فلا بدّ من أن يفكّر ما هي الأحكام العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة لهذا الفعل ، والمؤمنون بشكل عامّ ينظرون إلى الفقه العمليّ ، ولكنّهم يغفلون عن الجانب العقائديّ والصّفات القلبيّة ، ويكون تحرّكهم تحرّكًا خارجيًّا فقط بلا أيّ علاقة بالجانب العقائديّ ، وبلا أيّ تأثير في قلبه ، فيأتون بالأعمال الخارجيّة فقط ، ويقول : أتقرّب إلى الله تعالى ، ولكنّه من أوّل الصّلاة إلى آخرها ينتقل فكره شرقًا وغربًا ، ولو كان الإنسان جادًّا في قوله : أصلّي قربةً إلى الله - لالتفت إلى أنّ الله يراه ، ويرى قلبه ، وحتّى تفكيره يعلم الله به ، وما يفكّر به الإنسان أثناء صلاته أمر مهمّ جدًّا ؛ لأنّ الله يعلم بم يفكّر ، وإذا كان الله يشكّل عاملًا في حياته فإنّه يلتفت إلى الله دائمًا ، ويستفيد من الصّلاة في التّكامل ، فالصّلاة معراج المؤمن ، والعروج هو الصّعود والتّكامل .

وإذا كان يصلّي مدّة سنوات وسنوات ، ولكنه ثابت على وضعه - فمعنى ذلك أنّه لم يَسْتَفِدْ من الصّلاة ، فقد يأتي يوم القيامة وإذا صحيفة أعماله خالية من كلّ صلاة أو محتوية على نسبة من الصّلوات ، مثلًا ١٠% أو ٢٠% .

فيقول : يا ربّي ، أنا كنت أصلّي فأين صلواتي ؟

فيقال له : صلواتك لم تكن ملتفتًا إليها ولم تحافظ عليها .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إِنَّ مِنَ الصَّلاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمُسُهَا إِلَى العُشْرِ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ

الثَّوْبُ الخَلِقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ" (١) .

فالصّلاة تُلَفُّ كالثوب البالي ، وَتُرْمَى في وجه صاحبها ، فإذا كان من أوّل الصّلاة إلى آخرها يفكّر في أمور أخرى بلا أيّ تأثّر قلبيّ بالصّلاة فلا تُحْسَبُ له هذه الصّلاة .

إنّ الآيات والرّوايات تساهم كثيرًا في تشكيل المنظومة الفكريّة ، وإذا شكّل الإنسان منظومته الفكريّة فلا بدّ من أن يراجعها دائمًا ، وإذا وجد فيها خطأً فيعدّلها حتّى يصل إلى آخر حياته وتكون المنظومة كاملة عنده .

وبعض المؤمنين يصلون إلى عمر السّتّين سنة فيقول : الآن سأدرس الرّسالة العمليّة .

المفروض أنّه في عمر الخمس عشرة سنة يكون قد انتهى من دراسة الرّسالة العمليّة .

وقد تجد شخصًا عمره سبعون سنة ولحدّ الآن يكذب ، ويسير في حياته على الكذب ، وبعض الأشخاص يكون الكذب مَلَكَةً عنده ، ولا يمكن أن يتخلّى عن الكذب ، ويكذب في كلّ جملة يقولها ، وهو يصلّي ويصوم ويذهب إلى الحجّ في كلّ سنة ، ولكن بلا أيّ تأثّر قلبيّ بأعماله .

وفي جميع الأمور لا بدّ من أن يراجع الإنسان نفسه دائمًا ؛ لأجل

---

(١) بحار الأنوار ج٨١ ص٢٦٠ ح٥٩ .

أن يكون عمله مضبوطًا من ناحية فكريّة ومن ناحية عمليّة ، وحينما يكون على فراش الموت تكون جميع أموره مع الله عزّ وجلّ مضبوطةً .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوهَا قبل أن تُوزَنُوا ، وتَجَهَّزُوا للعَرْضِ الأَكْبَرِ" [١] .

حينما ينتقل إلى عالم البرزخ وعالم القيامة يمكنه أن يقول : يا ربّي ، أنا حاسبت نفسي وانتهيت فعلى ماذا تحاسبني ؟

فيقال له : أنت حاسبت نفسك ، فلا تحتاج إلى حساب .

فينتقل إلى الجنّة مباشرةً بلا حساب ؛ لأنّه كان يحاسب نفسه في كلّ لحظة في الدّنيا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[١] بحار الأنوار ج٦٧ ص٧٣ ح٢٦ .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢١)
الدّليل الفطريّ
على تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وطرحنا هذا الموضوع ؛ لأنّ هناك مجموعتين من المؤمنين :

مجموعة تقول بأنّنا لا نحتاج إلى التّقليد ؛ لأنّه يمكننا أن نرجع إلى القرآن بأنفسنا ، ونفهم القرآن فنحن عرب ، ويمكننا معرفة الأحكام الشّرعيّة بدون الرّجوع إلى علماء الدّين .

والمجموعة الثّانية تقول بأنّه نعم نحتاج إلى التّقليد ، ولكن لا يجب الرّجوع إلى الأعلم ، فيمكن الرّجوع إلى أيّ فقيه .

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٢ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٨/٢٨ م .

ومن خلال البحث حاولنا أن نردّ على هاتين المجموعتين من المؤمنين ، طبعًا أيّ مؤمن يمكنه أن يطرح إشكالًا ، وليس بالضّرورة أن نحمله على محمل سوء ، وأحيانا توجد عندهم شبهة ، وحتّى في العقائد عندهم شبهات ، وبعض الملحدين لا يعتقدون بوجود الإله نتيجة لشبهات موجودة عندهم ؛ لأنّه لا يستطيع أن يجيب على هذه الشّبهات فيقول : أنا لا أعتقد بوجود الله .

وقبل كم يوم أحد المؤمنين بعث رسالةً يقول فيها بأنّ أحد أقربائه يعتقد بوجود خالق للكون ، ولكن لا يعتقد أنّ هذا الخالق هو الله الّذي يعتقد به المسلمون ، يعتقد بإله خالق الكون ، وهذا الخالق ليس هو الله ؛ لأنّكم تقولون بأنّ من أحكام دينكم أنّ من يرتكب المعاصي يصير خالدًا في نار جهنّم ، ويقول بأنّ هذا العقاب لا يناسب المعصية .

هذا الإشكال يكون نتيجةً لشبهة ، ويمكننا أن نقول في المقابل بأنّ الثّواب لا يتناسب مع العمل ، فالإنسان يكون خالدًا في الجنّة نتيجة بعض الأعمال ، والمفروض أن نشكل حتّى على هذا الأمر .

وهم لا يوجد عندهم تصوّر عن أجوبة لهذه الشّبهات العقائديّة ، فيصلون إلى نتيجة ، وهي عدم الاعتقاد بوجود الله .

والبعض يقول بأنّه غير مستعدّ للنّقاش ، وأنّه راضٍ ومرتاح بوضعه ، ولا تقولوا لي بأن أناقش المشايخ ، فهذه عقيدتي وأنا راضٍ بها .

فأرسلوا سؤالًا بأنّه ماذا نفعل معه ، فقلت له : متى ما يكون

مستعدًّا للنّقاش نناقشه .

وقلت له بأنّ هذه نتيجة شبهات منتشرة ، وتطرح بين النّاس ، وفي بعض المحاضرات سنجيب عن هذه الشّبهات العقائديّة وإشكالات الملحدين إن شاء الله تعالى .

والجواب سهل جدًّا ، فبعض الأمور الفطريّة والعقليّة موجودة عند الملحد ، ولكنّه لا يطبّقها ؛ لكي يصل إلى معرفة أجوبة هذه الشّبهات والإشكالات .

وفي بحوثنا نحاول أن نثبت وجود أمور فطريّة وعقليّة عند من يشكل ، ولكنّه لا يطبّقها في موضوع التّقليد والأعلميّة ، وهذا ما سنبيّنه في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى .

أدلّة وجوب تقليد الأعلم :

وصلنا إلى الأدلّة على وجوب تقليد الأعلم ، والأدلّة هي : الدّليل الفطريّ ، والدّليل العقليّ ، والدّليل القرآنيّ ، والدّليل الرّوائيّ ، والدّليل العرفيّ أي السّيرة العقلائيّة .

ونبدأ بالدّليل الفطريّ :

الدّليل الأوّل : فطرة الإنسان :

نبدأ بالسّؤال التّالي :

ما هي الفطرة ؟

الجواب :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : " . . . **فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ**

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ . . . " [1] .

حينما خلق الله الإنسان أودع فيه بعض القوانين والقواعد من بداية خلقته ، ويطلق عليها القواعد الفطريّة ، وهذه القواعد موجودة في النّفس البشريّة في كلّ زمان ومكان ، ومتّفق عليها بين جميع النّاس ، وهذه القواعد غير قابلة للتّغيير والتّبديل ؛ لأنّها مخلوقة من الله تعالى .

مثال :

نذكر مثالًا لأمر فطريّ موجود عند جميع النّاس ، هو حبّ المعرفة ، كلّ إنسان عنده حبّ المعرفة ، حتّى الطّفل يوجد عنده هذا الأمر ، بمجرّد ما ترى شيئًا تسأل : هذا من أين أتيت به ؟ أيّ دولة أنتجته ؟

هذه أسئلة فطريّة موجودة عند كلّ إنسان ، لذلك إذا سأل طفلك أيّ سؤال لا تقل له : لا تسأل .

هذه أسئلة فطريّة ، وجميع الناس يسألون هذه الأسئلة ؛ لأنّه يوجد عند كلّ إنسان حبّ المعرفة والفضول إلى العلم ، فالإنسان يريد أن يعرف جميع الأشياء ، تقول إنّ هذا الأمر موجود في الغرب والشّرق أكثر ممّا عند المسلمين ، نقول إنّ هذا الأمر الفطريّ هم طبّقوه واستفادوا منه ، ومناهج التّدريس في بلدان المسلمين لا تنتج هذا الأمر ، ولكنّ حبّ المعرفة أمر فطريّ موجود عند كلّ إنسان عبر الزّمان والمكان .

وفي الأمور الفطريّة لا تستدلّ باستدلالات عقليّة ، فلا تقول : بما

---

[1] الرّوم : ٣٠-٣١ .

أنّ كذا وبما أنّ كذا إذن كذا .

هذا استدلال عقليّ مكوّن من مقدّمات ونتيجة ، وهذا سيأتي في الدّليل العقليّ على وجوب تقليد الأعلم ، وأمّا الأمور الفطريّة فلا تحتاج إلى استدلال عقليّ لإثباتها .

نسأل : **لماذا يوجد عند الإنسان حبّ المعرفة ؟**

الجواب :

الأمر فطريّ موجود مع خلقة الإنسان ، ولا تستدلّ باستدلال عقليّ ، فلا تقول : بما أنّ الله خلقني ، وبما أنّه أودع في خلقتي حبّ المعرفة ، إذن الإنسان يحبّ المعرفة .

هذا استدلال عقليّ ، وهذا مثل السّؤال عن حلاوة السّكّر ، فتسأل : لماذا السّكّر حلو ؟

نقول إنّ من طبيعة السّكّر أن يكون حلوًا .

تقول : أريد أن أنزع الحلاوة من السّكّر .

نقول إنّ هذا ليس سكّرًا .

تسأل : لماذا الملح مالح ؟

نقول إنّ طبيعة الملح أن يكون مالحًا .

تسأل : لماذا الإنسان يحبّ المعرفة ؟

نقول إنّ من طبيعة الإنسان أنّه يحبّ المعرفة ، كما أنّه من طبيعة السّكّر أنّه حلو ، ومن طبيعة الملح أنّه مالح ، وإذا نزعنا الحلاوة من السّكّر فلا يكون سكّرًا ، وإذا نزعنا الملوحة من الملح فلا يكون

ملحًا .

وبنفس الطريقة إذا نزعنا حبّ المعرفة من الإنسان فلا يكون إنسانًا ، والله خالق الكون أودع حبّ المعرفة في كلّ إنسان مع خلقة الإنسان ، فخلقة الإنسان معجونة بحبّ المعرفة ، وحبّ المعرفة جزء من الإنسان ، وإذا فُقِدَ الجُزْءُ فُقِدَ الكُلُّ ، مثلًا الماء يتكوّن من أوكسجين وهيدروجين ، والأوكسجين جزء من الماء ، فإذا فُقِدَ الأوكسجين فُقِدَ الماء .

وحبّ الجمال من فطرة الإنسان أيضًا ، فحينما ترى شيئًا تقول عنه إنّه جميل ، والإنسان يحبّ الجمال ، لذلك يحبّ التّناسق بين الألوان ؛ لأنّ فيه جمالًا ، وحينما تريد أن تؤثّث بيتك تنظر إلى النّاحية الجماليّة ، وتجعل تناسقًا بين الأثاث والسّجاد والسّتائر ، وهذا أمر فطريّ موجود عندك ، لذلك إذا دخلت بيتًا لا يوجد فيه تناسق بين الألوان تقول إنّ هذا البيت ليس جميلًا ، ولكنّ دور الإنسان أن لا يبالغ في هذا الأمر ، فلا يضع آلاف الدّنانير على التّنسيق ، وبعض الأشخاص متخصّصون في تنسيق الألوان ، ولكن قد يطغى عندهم ، ويدفع النّاس أموالًا كثيرةً على الجمال ، ويصل إلى حدّ الإسراف .

وأنت قبل أن تخرج من البيت تنظر في المرآة ؛ لأجل أن تكون جميلًا ، ولنفرض أنّك موجود على جبل لوحدك ولا يوجد معك أحد فهل تنظر إلى نفسك في المرآة أو لا تنظر ؟

نقول : نعم تنظر إلى نفسك في المرآة ، وتريد أن تكون جميلًا مع أنّه لا يوجد معك أحد ؛ لأنّك تريد أن ترى نفسك جميلًا ، وحبّ الجمال أمر فطريّ عند كلّ إنسان .

ويمكن تعداد مجموعة من الأمور الّتي تكون من فطرة الإنسان .

الرّجوع إلى موضوعنا :

إذا رجعت إلى فطرتك بدون أيّ استدلال عقليّ تجد أنّك تبحث دائمًا عن الأفضل في الأمور الدّنيويّة .

مثلًا في الوظيفة لماذا تحب أن تتدرّج في المناصب من موظّف إلى رئيس قسم إلى مراقب إلى مدير إلى وكيل وزارة وترغب في أن تكون وزيرًا ؟

الجواب المتعارف هو حبّ الكمال ، فحبّ الكمال أمر فطريّ عند كلّ إنسان ، وفي الواقع هو ليس حبّ الكمال ، بل هو حبّ الأكمل ؛ لأنّ الموظّف إذا صار رئيس قسم فقد وصل إلى الكمال ، والمفروض أن لا ينظر إلى المنصب الأعلى ، فينظر إلى المنصب الأعلى لأنّه يحبّ الأكمل ، وليس هو حبّ الكمال ، والمقولة المعروفة هي حبّ الكمال .

نقول : لا ، بل هو حبّ الأكمل ، والموجود في فطرة الإنسان هو حبّ الأكمل لا حبّ الكمال ، وهذا الأمر الفطريّ موجود عند جميع النّاس ، ولكنّ تطبيقهم يكون تطبيقًا خاطئًا .

لو سألت : في أيّ شيء يكون الإنسان أكمل ؟

أكثر النّاس يجيبون : كلّما ازداد ماله صار أكمل .

وهذا تطبيق خاطئ ؛ لأنّ الله أودع فيك حبّ الأكمل لأهداف معيّنة ، لا لأجل أن تطبّق في الأمور الدّنيويّة فقط ، كما أنّك تريد أن تصل إلى الأكمل في القضايا الدّنيويّة ، كذلك لا بدّ من أن تصل إلى الأكمل في القضايا الأخرويّة ، لا تبحث عن الدّنيا فقط ، والبعض يقول بأنّه يكفي أن أجلس عند باب الجنّة .

هو يطبّق حبّ الأكمل في الأمور الدّنيويّة ، ولكنّه لا يطبّقه في الأمور الأخرويّة ، وإذا دخل الجنّة فإنّه سينظر إلى الأعلى أيضًا ، يرى صديقه في درجة أعلى منه فيقول : يا ليتني كنت هناك .

هذا التّمنّي يعبّر عن حبّ الأكمل .

في القضايا الدّنيويّة إذا صرت بين أمرين فأنت تختار الأفضل بحسب نظرك ؛ لأنّ حبّ الأكمل موجود في فطرتك ، فعندك الشّيء الأوّل أكمل من الشّيء الثّاني فتختار الأوّل ، وشخص آخر يختار الأفضل بحسب نظره ، فيختار الثّاني على الأوّل ، وهذا أمر عامّ موجود عند جميع البشر ، ولكن يختلف الأفراد في تطبيق حبّ الأكمل على المصاديق ، ووجهات النّظر تختلف بين النّاس فيما هو الأفضل والأكمل ، وقد يخطئون في تشخيص مصداق الأكمل ، ولكنّ الأساس هو أنّ حبّ الأكمل موجود في فطرة كلّ إنسان .

إذن :

إذا كان جميع البشر بجميع أديانهم ومذاهبهم واتّجاهاتهم متّفقين على

أمر فهذا الأمر يكون أمرًا فطريًّا .

والإسلام لم يهمل فطرة الإنسان ، وجميع الأحكام الإسلاميّة الواقعيّة تتوافق وتتناسب مع فطرة الإنسان ، فإذا عُرِضَ الحكم على الفطرة فإنّ النّفس تقبله ، وإذا رأينا أنّ هناك حكمًا ظاهريًّا بحسب استنباط الفقهاء لا يتوافق مع فطرة الإنسان فهذا الحكم ليس حكمًا إلهيًّا .

مثلًا العبادات جزء من الدين ، اعْرِضْ أيّ عبادة على النّفس هل تقبل النّفس هذه العبادة أو لا ؟

قد يكون الجواب : لا أدري .

نقول لك : لنراجع التّاريخ ، منذ بداية الخلق وإلى يومنا هذا نرى أنّ الآثار تدلّ على وجود المعابد عند جميع الشّعوب ، والأديان مختلفة ، شخص يضع صنمًا ويعبده ، ولكن يوجد عنده معبد ، حتّى الشّعوب القديمة عندها معابد .

نسأل : لماذا هذه الشّعوب عندها أماكن للعبادة ؟

الجواب هو لأنّ العبادة تتناسب مع فطرة الإنسان ، ولكنّ التّطبيق يكون خاطئًا ، كانوا يريدون أن يعبدوا خالق الكون ، ولكنّهم لم يستطيعوا أن يتصوّروا الخالق مجرَّدا عن المادّة ، فجعلوا لهذا الخالق رمزًا وهو الصّنم ، أو جعلوا شخصًا الرّمز مثل المسيح عليه السلام ، فهو رمز عن الله سبحانه ، فجعلوه ابن الله ؛ لأنّهم لم يستطيعوا أن يتصوّروا الله المجرّد عن المادّة ، فجعلوا للخالق رمزًا بشريًّا ، وجعلوا الإله مركّبًا

من الأب والابن وروح القدس ، فعندهم أنه يوجد إله خالق للكون ، ولكنّهم لم يستطيعوا أن يتصوّروا الإله المجرَّد عن المادة ، فجعلوا الإله في جسم إنسان أو في جماد ، فحوّلوا الإله إلى شيء مادّي ، وبعض مذاهب المسلمين تقول بأنّ الله عبارة عن جسم ؛ لأنّهم لم يستطيعوا أن يتصوّروا أنّ خالق الكون مجرَّد عن المادة .

الإمام الباقر عليه السّلام قال لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : شَرِّقَا وَغَرِّبَا فلا تجدان علمًا صحيحًا إلّا شيئًا خرج من عندنا أهل البيت [1] .

إنّ الابتعاد عن أهل البيت عليهم السّلام يسّبب تلك الحالة ؛ لأنّه لا توجد عندهم روايات أهل البيت عليهم السّلام في أنّ الله سبحانه ما هو ، وطبيعة الإنسان طبيعة مادّيّة ، فيذهب إلى أنّ الله سبحانه جسم ، وتفكير الإنسان تفكير مادّيّ ، فيظنّ بأنّ الله جسم ، ولكنّه يضيف إضافةً فيقول : جسم لا كالأجسام .

لا يستطيع أن يقول إنّ الله له جسم مثل جسم الإنسان ، فيضيف قيد "لا كالأجسام" .

يقول : نعم هو جسم ، ولكنّه ليس كجسم الإنسان .

فنقول : ولكن بمجرّد ما تقول إنّه جسم فيكون جسما مادّيًّا .

ويقول : الله ليس له يد يمنى ويسرى بل كلتا يديه يمين .

فنقول : فهو يظلّ جسما .

---

[1] الكافي ج١ ص٣٩٩ ح٣ .

ويقول : وسع كرسيّه السّماوات والأرض فيكون حجمه كبيرًا .

فنقول : وما زلنا في الجسميّة .

نسأل : لماذا يقول بأنّه لا كالأجسام ؟

لأنّه يعلم من القرآن أن ليس كمثله شيء .

و(ليس كمثله شيء) عبارة عن قاعدة عقليّة ، والقرآن يشير إلى هذه القاعدة العقليّة .

الفطرة وعقائد الإنسان :

طرحنا حبّ الأكمل في القضايا الدّنيويّة ، ونأتي الآن إلى العقائد في القضايا الدّينيّة ، والفطرة تأتي أيضًا في اعتقاداتك .

نسأل : **لماذا يبحث الإنسان عن خالق لهذا الكون ؟**

الجواب :

وهذا جواب على شبهات الملحدين ، فالإنسان يبحث عن خالق الكون ؛ لأنّه يوجد عنده أمر فطريّ وهو البحث عن الأفضل والأكمل ، فنفس القاعدة الّتي يطبّقها في القضايا الدّنيويّة يطبّقها أيضًا في القضايا الدّينيّة في مجال العقائد ؛ لأنّه أمر فطري ، والأمر الفطريّ يُطَبَّقُ في جميع المجالات ، فيبحث عن الخالق بسبب وجود هذا الأمر الفطريّ وهو البحث عن الأكمل وحبّ الأكمل ، وقلنا ليس هو حبّ الكمال بل حبّ الأكمل ، وتقول إنّ هذا الشّخص أكمل من الشّخص الآخر ، ولكنّه ليس خالق الكون ، فتصعد وتصل إلى شيء معين ، وتسأل : هل يوجد أكمل من هذا الشّيء ؟

نقول : نعم .

وتسأل : هل يوجد شيء أكمل من هذا الشّيء المعيّن ؟

وتصعد إلى أن تصل إلى الأكمل الّذي ليس فوقه أكمل ، وهذا الأكمل الأخير هو الإله خالق الكون ، ونسميه باللّغة العربيّة الله عزّ وجلّ ، وفي الإنجليزيّة يسمّونه God ، وفي كلّ لغة له اسم معيّن .

إذن :

يصل كلّ إنسان إلى وجود خالق للكون بسبب وجود أمر فطريّ عنده ، وهو البحث عن الأكمل ، وهذا الأمر الفطريّ موجود عند جميع النّاس حتّى الإنسان الملحد الّذي ينكر وجود خالق للكون ، ولكنّ الملحد يطبّق القاعدة في القضايا الدّنيويّة ، ولا يطبّقها في العقائد ، فالاعتقاد بوجود خالق للكون أمر فطريّ ، وهذا الأمر الفطريّ يجري في جميع المجالات وفي كلّ باب من أبواب العلوم ، ونطبّقه على مصاديق الدّنيا ومصاديق الدّين ومصاديق الآخرة .

إنّ الاعتقاد بوجود خالق للكون لا يُفْرَضُ على الإنسان ، بل هو موجود في خلقة الإنسان ، والبحث عن الأكمل يؤدّي بالإنسان إلى الاعتقاد بالإله خالق الكون ، والبحث عن الأكمل أمر فطريّ ، فيكون الاعتقاد بخالق الكون أمرًا فطريًّا ، لذلك نقرأ في الرّوايات بما معناه : (فطرهم على التّوحيد) ، وستأتي الرّوايات بعد قليل .

(فطرهم) أي موجود في خلقتهم ، ففي خلقتهم يوجد البحث عن الأكمل ، وهو أمر فطريّ ، لذلك يعتقدون بوجود خالق للكون

بسبب الفطرة ، ومن ينكر وجود خالق الكون نقول عنه بأنّه يخالف فطرته ، ففطرة الإنسان تدعوه إلى الاعتقاد بالتّوحيد .

ولو قدّمنا الإسلام للنّاس على أساس فطرتهم فهذا الدّين يكون مقبولًا عند جميع النّاس ، ومنهم الإنسان الشّرقيّ والغربيّ ، ولكنّ المشكلة هي أنّ المسلمين لا يقدّمون الدّين للنّاس بشكل صحيح ، إمّا جهلا بالدّين ، فلا يعرفون الأحكام الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام ، وإمّا تشويها للدّين بسبب الإرهابيّين .

نسأل : **هل يوجد كمال فوق كمال الله تعالى ؟**

الجواب :

لو كان يوجد كمال فوق كمال الله تعالى لكان ذاك الأكمل هو الإله والمعبود .

سؤال : **هل الأكمل واحد أو متعدّد ؟**

الجواب :

الأكمل يكون واحدًا غير متعدّد ، فالاعتقاد بالتّوحيد أمر فطريّ عند جميع النّاس ، لذلك نعتقد بالله تعالى وأنّه واحد لا شريك له .

وهذه الفطرة تأتي في جميع العقائد والأحكام الشّرعيّة ، فالتّوحيد والعقائد لا تُفْرَضُ على الإنسان فرضًا ، وإنّما نبيّن له أنّها تتناسب مع فطرته ، فيكون الدّين الإسلاميّ مقبولًا عند جميع النّاس في العالم ، ولكنّ المشكلة هي أنّ المسلمين يقدّمون الإسلام إلى العالم مُشَوَّهًا ، فهم لا يعرفون أحكام الإسلام أوّلًا ، وثانيًا لا يُطَبِّقُونَ الإسلام على

حياتهم ، فهم نظريًّا يؤمنون بالإسلام ، ولكنّهم من ناحية عمليّة يعملون على أساس الفكر المادّيّ الّذي لا يعتقد بوجود الآخرة ويوم الحساب ، فالمسلمون بشكل عامّ عندهم نظريّات إسلاميّة ، ولكن في واقعهم العمليّ لا يعيشون بناءً على النّظريّات الإسلاميّة ، وإنّما يعيشون بناءً على النّظريّات المادّيّة من أوّل ما يستيقظون من النّوم صباحًا إلى أن يناموا ليلًا .

نسأل : **متى تتكون علاقة مع الله تعالى ؟!**

يأتي الجواب مباشرة :

تتكوّن العلاقة مع الله تعالى بواسطة الصّلاة .

نقول : أنت تقول أصلّي قربةً إلى الله ، وأصوم قربةً إلى الله ، وأحجّ قربةً إلى الله ، ويذهب إلى زيارة مراقد الأئمّة عليهم السّلام وينسى القربة إلى الله .

نسأل : هل يوجد أحد يقول : أزور قربةً إلى الله ؟

الجواب :

في قرارة نفسه الزّيارة موجودة ، ولكنّها غير مقترنة بنيّة التّقرّب ، لذلك تراهم ساعةً في الحرم وثلاثة أيّام في السّوق ، إذا كان قد ذهب إلى الزّيارة قربةً إلى الله فالمفروض أن يكون في زيارة الإمام عليه السّلام أكثر من وجوده في السّوق ، والنّساء بشكل عامّ بالعكس إلّا القليل منهنّ ، واللّاتي تلتفتن إلى النيّة وقت الزّيارة ، فتكون في الحرم أكثر من وجودها في السّوق أو أنّها لا تذهب إلى السّوق أصلًا .

حينما يذهب إلى الزّيارة لا يلتفت إلى أنّ زيارته قربةً إلى الله ، وهذه النّيّة لا تكون إلّا عند المؤمنين النّادرين .

والمسلمون يعرفون النّظريّات الدّينيّة ، ولكنّهم من حيث العمل يعيشون النّظريّات المادّيّة ، لذلك تفكيرهم مادّيّ طوال اليوم .

ادخل إلى أيّ ديوانية سترى أحاديث الحاضرين أحاديث مادّيّة ، وإذا زادت المعاشات الشّهريّة يكون كلّ كلامهم عن الزّيادات ، أو ترى أنّ بعضهم عندهم قسائم يريدون بناءها ، ويدور كلّ كلامه عن قسيمته وكيفيّة بنائها ، ويسأل : ماذا أشتري ؟ وماذا أفعل ؟ وما هو نوع الحجر ؟ وما هو أفضل أثاث ؟

ويسمّيه بيت العمر ، نعم هو بيت يدوم بدوام عمره في الدّنيا ، وبعد ذلك يبيع الورثة هذا البيت ويتقاسمون الميراث بعد كلّ هذا التعب منه .

نسأل : أين موقع الله سبحانه في جميع هذه الأحاديث ؟

أنت إنسان مؤمن تعتقد بالله أليس المفروض أنّك من أوّل ما تستيقظ من النّوم إلى أن تنام تتذكر الله ؟

وحتّى في نومك يمكنك أن تتقرّب إلى الله ، إذا كنت تعتقد بالله فالمفروض أنّه في كلّ عمل تتقرب إلى الله عزّ وجلّ حتّى حينما تخرج إلى الوظيفة .

في الصّباح تقول : آخذ أولادي إلى المدرسة قربةً إلى الله تعالى ، وأذهب إلى الوظيفة قربةً إلى الله تعالى .

لا بدّ من أن نلتفت في جميع أعمالنا إلى نيّة التّقرّب ؛ لأنّ كثيرًا من الأمور نقوم بها بدون نيّة التّقرّب ، والمفروض أن نتقرّب بجميع أعمالنا إلى الله ؛ لأنّنا نعتقد بوجود الإله الخالق للكون ، والعمل العباديّ غير مقتصر على الصّلاة والصّيام والحجّ ، فجميع الأعمال الّتي تقوم بها لا بدّ من أن تتقرّب بها إلى الله ؛ لأنّك عبد لله ، فكلّ ما تعمله إذا كان مقترنًا بنيّة التّقرّب إلى الله يكون عملًا عباديًّا ، وتمارس عبوديّتك لله في كلّ خطوة تخطوها ، ولكنّ المشكلة هي أنّنا من الغافلين ، والله لا يحبّ الغافلين .

لا بد من أن يذكّر الإنسان نفسه دائمًا بوجود الله ، ويكون عدّاد الحسنات متحرّك دائمًا ، لا أنّ العدّاد يتحرّك أثناء الصّلاة فقط ، وبمجرّد ما ينتهي من الصّلاة يتوقّف العدّاد إلى الصّلاة التّالية ، يمكنك أن تجعل العدّاد مستمرًّا في الحركة طوال اليوم .

إذن :

يوجد أمر فطريّ عند الإنسان وهو البحث عن الأكمل والأفضل والأعلم ، فالبحث عن الأعلم أمر فطريّ ، وبنفس هذه الفطرة يبحث المؤمن عن المرجع الأعلم حينما يريد أن يقلِّد ويأخذ أحكام الدّين ، فيبحث عن الأكمل أي الأعلم ، والبحث عن الأعلم من فطرة الإنسان ، فكما طبّقنا القاعدة في القضايا الدّنيويّة ، وطبّقناها في القضايا الدّينيّة ، ووصلنا إلى الاعتقاد بوجود خالق واحد للكون ، كذلك نحن نبحث عن الأعلم بين الفقهاء تطبيقًا لنفس القاعدة

الفطريّة الموجودة عند جميع النّاس ، ونحن نعتقد بالأئمّة عليهم السّلام لأنّهم الأفضل في أزمنتهم ، فالاعتقاد بالأئمّة عليهم السّلام تطبيق لنفس القاعدة الفطريّة أيضًا .

يقول البعض بأنّه لا توجد رواية تقول بوجوب تقليد الأعلم .

نقول بأنّ الدّليل الشّرعيّ ليس مقتصرًا على الرّوايات ، فالأدلّة الشّرعيّة قد تكون آية قرآنيّة ، أو رواية ، أو أمرًا فطريًّا ، أو أمرا عقليًّا ، أو أمرًا عرفيًّا أي السّيرة العقلائيّة ، وفي أصول الفقه يمكننا بيان الفرق بين العرف والسّيرة العقلائيّة ، وهنا نقول إنّ السّيرة العقلائيّة هي العرف العامّ ، وهذه السّيرة تكون موجودةً في زمان المعصوم عليه السّلام ويوافق عليها ، وعرف جميع النّاس في كلّ زمان ومكان أنّهم يبحثون عن الأعلم ، وقد يكون الدّليل أمرًا متشرّعيًا أي سيرة المتشرّعة ، وهي أنّ المتديّنين في عصر المعصومين عليهم السّلام كانوا يقومون بعمل معيّن ، ويكون عندنا يقين بأنّ المعصوم عليه السّلام كان راضيًا بعملهم .

ونقرأ هنا بعض الرّوايات الشّريفة :

عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قلت : **"فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا"** (١) ؟ قال : التّوحيد (٢) .

حينما تقرأ الرّواية تسأل : **كيف تكون الفطرة هي التّوحيد ؟**

---

(١) الرّوم : ٣٠ .

(٢) الكافي ج٢ ص١٢ ح١ .

الجواب :

بيّنت قبل قليل بأنّ الفطرة تؤدّي إلى التّوحيد ، وأنّ البحث عن الأكمل من فطرة الإنسان ، فالبحث عن الأكمل يؤدّي إلى الاعتقاد بوجود إله واحد خالق للكون .

عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : "**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا**" [1] ، ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد ، قال : "**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**" [2] ، وفيه المؤمن والكافر [3] .

إنّ الإسلام يتناسب مع فطرة الإنسان ؛ لأنّه الدّين الأكمل والشّريعة الأكمل ، إذا بحثت بين الأديان في العالم فإنّك ستصل إلى أنّ الإسلام هو الدّين الأكمل ، فيعتقد بالإسلام نتيجة لهذا البحث ، والاعتقاد بالإسلام أمر فطريّ ، فمع بداية الخلق في عالم الذّرّ جعل فيهم البحث عن الأكمل ، ومصداق الأكمل بين الآلهة هو الإله الأكمل وهو الله عزّ وجلّ ، ومصداق الأكمل بين الأديان هو الدّين الأكمل وهو الإسلام ، فالمؤمن والكافر فيهم هذا الأمر الفطريّ ، وهم بعد ذلك في الدّنيا صاروا منكرين لوجود الإله خلافًا لفطرتهم الّتي تدعوهم إلى التّوحيد .

---

(١) الرّوم : ٣٠ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣) الكافي ج٢ ص١٢ ح٢ .

عن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : "**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا**" [1] ، قال : فطرهم جميعًا على التّوحيد [2] .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

كيف نعزّز في المجتمع ثقافة الأكمل والأفضل ؟ بأيّ معيار ؟ وما هي الأدوات ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

إذا طرحنا مسألة (البحث عن الأكمل) على أساس أنّه أمر فطريّ فلا يمكن لأحد أن ينكره ، ونرى أنّ كلّ إنسان يمارس في حياته البحث عن الأكمل ، فإذا طرحنا الأشياء بناءً على فطرة الإنسان فالأمر يصبح مقبولًا من جميع النّاس ، ووسائل الاتّصالات الحديثة يمكن استعمالها في نشر ثقافة (البحث عن الأكمل) ، ومن خلالها يمكن طرح المسائل الدّينيّة ، ونبيّن بأنّ المسائل الدّينيّة تتناسب مع فطرتك أيّها الإنسان ، ولكن مشكلتنا في الأشخاص الّذين يطرحون الدّين ، يطرحون بعض المسائل الّتي تخالف فطرة الإنسان ، لذلك لا

---

(1) الرّوم : ٣٠ .

(2) الكافي ج٢ ص١٢ ح٣ .

يُتَقَبَّلُ الإسلام الآن ، وتوجد بعض المحاضرات من أشخاص معروفين ، وهم يطرحون المواضيع لا على أساس فطرة الإنسان ، ويطرحون بعض المسائل الّتي تكون على خلاف الفطرة ، لذلك لا يتقبّل النّاس الدّين ، ولو نعرض جميع المسائل الدّينيّة على الشّرق والغرب بشكل يتناسب مع فطرتهم فإنّهم سيقبلون الإسلام ، ولكن طرحنا الآن يتناسب مع القرية الصّغيرة ، فنحن نظنّ بأنّنا ما زلنا نعيش في قرية صغيرة ، وكأنّ كلّ من يسمعنا من الشّيعة المتديّنين ، فنطرح المواضيع بشكل يتناسب مع الشّيعة فقط .

مثلا لو سألنا : لماذا تعتقد بالتّوحيد ؟

لكان الجواب أنّ الإمام عليه السّلام قال : "فطرهم جميعا على التّوحيد" .

لا بدّ من أن نبيّن ما هي فطرة الإنسان ؟ وكيف أنّ الفطرة تؤدّي إلى التّوحيد ؟

يمكن أن نعرض الدّين الإسلاميّ بشكل يتقبّله الإنسان الشّرقيّ والغربيّ ، وحتّى مع المذاهب الأخرى ، وأفكار أهل البيت عليهم السّلام يمكن عرضها بنفس الطّريقة ، وسيتقبّلها أتباع المذاهب الأخرى .

مثلًا لو سألنا : هل الإمامة تكون بالتّعيين أو بالشّورى ؟

الجواب هو أنّ كلّ حاكم يمارس مسألة الإمامة ، فهو يعيّن خليفةً من بعده ، وفي كلّ دول العالم الرّئيس يكون موجودًا ووليّ العهد أو

نائب الرّئيس موجود أيضًا ، والنّاس يتقبّلون هذا الأمر الفطريّ ، وهو أنّهم يحتاجون إلى حاكم يدير شئون حياتهم ، وأنّ الحاكم يعيّن خليفته من بعده ، والنّبيّ صلى الله عليه وآله عيّن خليفته من بعده ، وهذا أمر فطريّ موجود عند كلّ إنسان ، فالخلافة والإمامة أمران فطريّان ، وكلّ إنسان يحتاج إلى إمام حتّى في أموره الدّنيويّة ، يحتاج إلى سيّارة وهو لا يستطيع أن يصنعها فيذهب إلى من يصنعها ويأخذ منه السّيّارة ، هذه صورة من صور الإمامة ، فالشّيء الّذي لا يوجد عندك يوجد عند فلان ، فيكون إمامًا بالنّسبة لك في أمر دنيويّ ، وقس على ذلك كلّ أمر آخر ، فالإمامة أمر فطريّ عند الإنسان ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله كان إمامًا في زمانه ، ونسأل : من هو الإمام بعد زمانه صلّى الله عليه وآله ؟

نحن نقول إنّ الأئمّة عليهم السّلام وهم عليّ بن أبي طالب وأولاده المعصومين هم أئمّة بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأتباع المدارس الأخرى يقولون بإمامة أشخاص آخرين .

أرسلت عائشة بنت أبي بكر لعمر بن الخطّاب : لا تَدَعْ أمّة محمّد بلا راعٍ ، اسْتَخْلِفْ عليهم ، ولا تَدَعْهُمْ بَعْدَكَ هملًا ، فإنّي أخشى عليهم الفتنة [1] .

هي كانت تعبّر عن أمر فطريّ عندها ، والإنسان أحيانًا يعبّر عن فطرته ، وإذا قيل بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يستخلف فهذا

---

[1] الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٢٢ .

القول خلاف الفطرة ، ونذهب إلى جميع أحكام الدّين ونعرضها بشكل يتناسب مع الفطرة ، نعرض الصّلاة والصّيام والحجّ بشكل يتلاءم مع الفطرة ، وبذلك تصبح الأحكام الدّينيّة مقبولةً من جميع النّاس ، مثلًا الصّيام موجود في جميع الأديان حتّى الأديان الوضعيّة ، يصومون في جزء من النّهار ، والآن يطرح الصّيام على أساس الرّيجيم والمحافظة على الرّشاقة ، ويصوم لكي يحافظ على صحّته ، حتّى البدن يحتاج إلى الصّيام ، لا فقط الرّوح تحتاج إلى الصّيام .

والآية الكريمة : ". . . **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** . . ." [١] ، والرّواية الشّريفة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "صُومُوا تَصِحُّوا" [٢] تتناسبان مع أمر فطريّ عند الإنسان ، والأطبّاء ينصحون بصيام بعض الأيّام .

إذن :

الإسلام يتناسب مع فطرة الإنسان ، ودورنا أن نعرض هذا الدّين على أساس أنّه يتناسب مع الفطرة ، من الفقه العقائديّ بدءًا بالتّوحيد ونزولًا إلى الفقه الأخلاقيّ وإلى آخر أحكام الفقه العمليّ .

سؤال : هل وجود الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام يتناسب مع الفطرة أو لا ؟

في بحث النّبوّة والإمامة سنبيّن أنّهما تتناسبان مع الفطرة ، وكذلك العدل والمعاد يتناسبان مع الفطرة ، فالأحكام العقائديّة تتناسب مع

---

[١] البقرة : ١٨٤ .

[٢] بحار الأنوار ج٩٣ ص٢٥٥ ح٣٢ .

فطرة الإنسان ، وكذلك الأحكام الأخلاقيّة والعمليّة تتناسب مع الفطرة .

وإذا عرضنا الإسلام على أنّه يتناسب مع الفطرة فجميع النّاس يصيرون مسلمين ، فأسلوب عرض الإسلام لا بدّ من أن يكون أسلوبًا آخر ، ولا نفترض أنّنا نعيش في قرية صغيرة وجميع الموجودين هم من أتباع أهل البيت عليهم السّلام ، فإذا قلت : قال الإمام الصّادق عليه السّلام - تقبّلوا مباشرةً ، والآن حتّى من الشّيعة من لا يقبل بعض الرّوايات ، وهؤلاء يمكن التّكلّم معهم على أساس الفطرة .

قلنا إنّ الأحكام تتناسب مع الفطرة ، وكذلك بعض الأحكام تتناسب مع عقل الإنسان ، ويمكن أن نعرض التّوحيد على أساس الدّليل العقليّ ، فتوجد فطرة وعقل ، ومن يقبل القرآن تأتي إليه من طريق القرآن ، ومن يقبل الرّوايات تأتي إليه من طريق الرّوايات ، والأدلّة والوسائل مختلفة لجميع الأحكام الدّينيّة ، فإذا استطعنا أن نقدّم الدّين بهذه الطّرق المختلفة فإنّ جميع سكّان العالم سيدخلون الإسلام ، وهذا ما يحدث بعد الظّهور ، فالإمام عليه السّلام يقدّم الدّين بما يتناسب مع فطرة الإنسان وعقله ، لذلك سيعتقدون به كإمام ، ولا يحتاج إلى السّيف ، فالإمام عليه السّلام لا يمارس القوّة ؛ لكي يتحوّل النّاس إلى الإسلام ، وإنّما يأتي إليهم عن طريق الفطرة والعقل ، فالنّاس سيسلمون ، ويدخلون في دين الله أفواجًا .

ورأيت في بعض الرّوايات أنّ الشّعب اليابانيّ سيكون أوّل الدّاخلين في الإسلام ؛ لأنّهم الآن يطبّقون أحكام الإسلام ، ولكن بدون ذكر اسم الإسلام ، فالنّظام الدّقيق الموجود عندهم يدعو إليه الدّين .

في وصيّة أمير المؤمنين للحسن والحسين عليهم السّلام لما ضربه ابن ملجم : . . . أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم . . . (١) .

هم يطبّقون هذا الحكم بنظم الأمر ، وحينما يظهر الإمام عليه السّلام ويقول للنّاس كونوا منظّمين فالخطاب ليس مُوَجَّهًا إلى اليابانيّين ، وإنّما يكون مُوَجَّهًا للمسلمين الّذين يعيشون في فوضى ، فهناك شعوب ستعتقد به عليه السّلام مباشرةً ؛ لأنّهم سيرون أنّ الإسلام يتناسب مع فطرتهم وعقولهم .

ولا بدّ من أن نثبت أيضًا أنّ الدّين صالح لكلّ زمان ومكان بجميع أحكامه العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة ، والآن المشكلة موجودة في الفقه العمليّ من أنّ بعض النّظريّات الدّينيّة لا تُقْبَلُ ؛ لأنّنا لا بدّ من أن نراعي الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ، وهذه الظّروف تدخل في بعض الأحكام ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله جاء بالأحكام المناسبة لزمانه .

وهذه الظّروف تدخل في بعض آيات القرآن الكريم ، مثلًا : "**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**" (٢) .

---

(١) نهج البلاغة شرح الشّيخ محمّد عبده ج٣ ص٧٦ .

(٢) الغاشية : ١٧ .

هـذه الآيـة تتناسـب مـع مـن يعيش مـع الإبـل ، شـخص يقـول للإنسان الغربيّ الّذي لم يَرَ الإبل في حياته أبدًا : ألا تنظر إلى الإبل كيف خلقت ، هذا الخطاب لا يتناسب مع الإنسان الغربيّ ، ففي القرآن بعض الآيات متناسبة مع الشّعوب الموجودة في ذاك الزّمان ، والإبل من باب المثال ، لا أنّها هي فقط وفقط ، وقال القرآن : الإبل - بسبب وجود مواصفات خاصّة فيها ، والعرب كانوا يعرفون هذه المواصفات ، منها أنّ الإبل تظلّ أيّام بلا ماء ؛ لأنّه يوجد عندها مخزون من الماء ، فالقرآن يتكلّم مع إنسان يعرف الإبل ، وأنت تتكلّم مع الإنسان الشّرقيّ بما يتناسب مع أوضاع بيئته ، ومع الإنسان الغربيّ بما يتناسب معه ، مثلًا في الصّين ترى ما هو الشّيء الّذي يعرفونه ، مثل حيوان معيّن ، فتقول لهم : انظروا إلى عجائب هذا الحيوان الذي تعرفونه .

وفي كلّ مجتمع يوجد حيوان أو طير أو نبات معيّن ، فبعض الخطابات القرآنيّة موجّهة للإنسان العربيّ ، وبعض الرّوايات تتناسب مع الإنسان في ذلك الزّمان ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله في بعض رواياته يتحدّث بما يتناسب مع المعاصرين له في زمانه ، والإمام الرّضا عليه السّلام كان يتكلّم مع المعاصرين له .

نعم توجد أحكام ثابتة لجميع النّاس في كلّ زمان ومكان ، مثل أحكام الصّلاة الثابتة ، فصلاة الظّهر أربع ركعات في الحضر وركعتان في السّفر ، فهذا الحكم ثابت لا يتغيّر ، ولكن هناك بعض الأحكام

الّتي تتناسب مع الزّمان والمكان ، وهذا الدّين نعرضه على أساس الأحكام الّتي تتناسب مع الزّمان والمكان ، فالإنسان الشّرقيّ أو الغربيّ سيرى أنّ الفقه العمليّ يعطيه الحكم الّذي يتناسب مع زمانه ومكانه .

مثلًا في القضايا الاقتصاديّة ينظرون إلى التّضخّم ، فالدّينار في السّنة القادمة لا يشتري نفس البضائع الّتي تشتريها في هذه السّنة حيث تنزل قيمته السّوقيّة ، فقبل سنوات كان إيجار الشّقّة مائتي دينار ، والآن تؤجّر نفس الشّقّة بخمسمائة دينار ، فالدّينار سابقًا تشتري به بضائع أكثر من اليوم ، فيوجد تضخّم ، ومن حيث الأحكام الفقهيّة العمليّة الاقتصاديّة لم يوجد تضخّم في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالدّينار والدّرهم كانت قيمتهما ثابتة ، والآن حينما يريد الفقيه أن يعطي حكمًا لا بدّ من أن يدخل عامل التّضخّم في استنباطه له ، فتوجد بعض الأحكام الجديدة الّتي تتناسب مع الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة التي نعيشها اليوم .

مثال :

نذكر مثالًا توضيحيًّا ، وقلنا إنّ بحوثنا نظريّة ولا نعطي فتاوى ، تضع أموالك في البنك ، ويعطيك البنك ربحًا سنويًّا بنسبة ١٠% ، أنت وضعت ١٠٠ دينار ، بعد سنة تستلم ١١٠ دنانير ، إذا كان نسبة التّضخّم ٢٠% فالمائة دينار تكون قيمتها ٨٠ دينار ، وقد استلمت ١٠ دنانير ، وهذه العشرة قيمتها بعد التّضخّم ٨ دنانير ،

فصار عندك ٨٨ دينار مع أنّك وضعت في البنك ١٠٠ دينار ، فأنت لم تحصل على ١٠٠ دينار ، فالرّبح ١٠% والتّضخّم ٢٠% ، ففي الواقع أنت خسرت ١٢ دينار من قيمة مالك ، فالبنك أعطاك أقلّ من المبلغ الّذي وضعته ، أنت وضعت ١٠٠ دينار واستلمت ٨٨ دينار بسبب التّضخّم ، فهل يوجد ربا أي زيادة أو لا يوجد ؟

لا توجد زيادة فلا يوجد ربا ، فإذا أدخلنا عامل التّضخّم في الحساب فلا يوجد ربا مع أنّه استلم من حيث العدد ١١٠ دنانير ، ولكن من حيث القيمة السّوقيّة هذا المبلغ يساوي ٨٨ دينار ، فهو استلم أقلّ من المبلغ الّذي وضعه في البنك ، فلا توجد زيادة ، فلا يوجد ربا ، والفقيه الّذي يلاحظ عامل التّضخّم يقول بجواز هذه المعاملة ، وأمّا الفقيه الّذي لا ينظر إلى عامل التّضخّم فإنّه يفتي بحرمة هذه المعاملة ، وهذا مثل أن تعطي لشخص ١٠٠ دينار ، وتقول له أرجع لي بعد سنة ٨٨ دينار مع فرض الحفاظ على القيمة السّوقيّة للمبلغ وعدم وجود التّضخّم ، وهذا جائز لأنّه لا توجد زيادة وأنت رضيت بمبلغ أقلّ ، ولم تقل له أرجع لي ١١٠ ؛ لكي يكون ربا .

هذا المثال تطبيق لدخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في تغيّر الأحكام الاقتصاديّة بسبب عامل التّضخّم ، وكلّ فقيه يفتي بناءً على القاعدة والنّظريّة الّتي يتبنّاها ، يتبنّى قاعدة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام أو لا يتبنّاها ، فمن يتبنّى القاعدة يفتي بالجواز ، ومن لا يتبنّى القاعدة يفتي بالحرمة ، والفقيه يعمل بفتواه ، وكلّ مكلّف يأخذ الأحكام من

مرجعه ، فالمكلّف الأوّل يجوز له أخذ الأرباح ، والمكلّف الثّاني يحرم عليه أخذ الأرباح .

تقول : كيف يكون جائزًا وحرامًا في نفس الوقت ؟!

نقول : تأخذ الحكم من مرجعك الّذي قلّدته بحسب الطّرق الشّرعية ، والقواعد والنّظريّات مختلفة عند المراجع ، وبناءً على اختلاف القواعد والنظريّات تختلف الفتاوى ، فأنت تعمل بتكليفك بحسب فتوى مرجعك ، وذاك يعمل بتكليفه بحسب فتوى مرجعه .

ونرى هنا كيف أنّ الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة تدخل في تغيّر الأحكام ، وقس على ذلك القضايا الاقتصاديّة الأخرى في العالم ، وكذلك القضايا السّياسيّة والقضايا الاجتماعيّة ، فَيُنْظَرُ إلى دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة .

وبعض الأحكام الاجتماعيّة تتغيّر بسبب تغيّر العوامل الاجتماعيّة ، مثلًا في الزّواج يوثّقون أوراق عقود الزّواج في المحكمة لأجل حفظ الحقوق ، وهذه الورقة لم تكن موجودةً في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّه في ذاك الزّمان من يتزوّج لا ينكر أنّ هذه المرأة زوجته ولا المرأة تنكر أنّ هذا زوجها ، ولكن في زماننا إذا لم يوثّق عقد الزّواج فمن الممكن أنّ هذا الرّجل ينكر أنّ هذه زوجته أو هذه المرأة تنكر أنّ هذا زوجها ، لذلك نحتاج إلى توثيق عقود الزّواج .

وقد يفتي الفقيه بوجوب توثيق جميع العقود ؛ لأجل حفظ حقوق

جميع الأطراف مراعاةً للظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة في زماننا .

ونرى أنّ اختلاف الأحكام يترتّب على اختلاف الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ، فمن يلاحظ دخالة الزّمان والمكان في الأحكام يختلف فتواه عمّن لا يلاحظ دخالتهما .

وهذا يأتي أيضًا في كيفيّة الخطاب مع الآخرين ، فنراعي ظروف الزّمان والمكان حينما نتكلّم مع الأطراف الأخرى ، فطريقة كلامك مع شخص شيعيّ تختلف عن طريقة كلامك مع شخص سنّيّ ، فالشّيعي تقول له : قال الإمام الصّادق عليه السّلام ، والسّنّيّ تقول له : قال أحد الرّواة ، الّذين يكونون ثقةً عنده ، فتتكلّم معه على أساس المباني الّتي يتبنّاها ، وفي كلامك مع إنسان مسيحيّ لا تقول : قال القرآن الكريم ، بل تأتي إلى الإنجيل وتتكلّم معه على أساس ما يعتقد ، وكلامك مع الإنسان الملحد يكون على أساس العقل أو الفطرة ، ولا تقول : قال الله تعالى في كتابه الكريم .

إنّ قضيّة الخطاب وكيفيّة الكلام مع الآخرين تكون على حسب الشّخص ؛ فلكلّ مقام مقال ولكلّ شخص كلام ، ولا بدّ من أن يختلف الخطاب الدّينيّ الّذي نقدّمه للعالم في زماننا عن الخطاب في الأزمنة السّابقة ؛ لكي نعرض ديننا بما يتناسب مع الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة الحاليّة ، ولا بدّ من أن يكون خطابنا خطابًا عالميًّا مُوَجَّهًا لكلّ العالم ، فلا بدّ من أن يكون عندنا خطاب جديد في طريقة عرض الإسلام .

وهذا مثلما تكون جالسًا في مجلس للعلماء فتتكلّم بما يناسب هذا المجلس ، وهنا في الدّيوانيّة لا نأتي بمصطلحات حوزويّة إلّا نادرًا ؛ لأنّ كلامنا هنا ليس مع طلبة الحوزة ، وأحيانًا نشير إلى مصطلح ونبيّن معناه ، ولكن قليل جدًّا ، بدل أن أقول : علّة ومعلول – أقول : سَبَب وَمُسَبَّب ، أو سبب ونتيجة .

وكيفيّة الخطاب أمر مهمّ جدًّا في عرض الدّين على العالم ، ونحتاج إلى طريقة جديدة في الخطاب الدّينيّ حتّى يتقبّل العالم الإسلام .

تعليق : المهندس فوزي الصّرّاف :

توجد بعض الآيات الّتي تتحدّث عن الموضوع ، منها :

"وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" (١) .

"وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا . . ." (٢) .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

سأذكر بعض الآيات القرآنيّة في المحاضرات القادمة ، وبعض الآيات تذكر بعض الأمور نتيجةً للفطرة الموجودة عند الإنسان .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

(١) الزّمر : ٥٥ .

(٢) الأعراف : ١٤٥ .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٢)
تابع الدّليل الفطريّ
على تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في أدّلة وجوب تقليد الأعلم ، والدّليل الأوّل هو فطرة الإنسان ، فتوجد مجموعة من القواعد في نفس الإنسان ، وهذه القواعد موجودة مع الإنسان منذ بداية خلقته ، ومن القواعد حبّ الجمال ، فالإنسان يحبّ أن يرى الأشياء الجميلة ، ومن القواعد البحث عن الأكمل والأفضل ، وهذه القاعدة الفطريّة يستعملها الإنسان في القضايا الدّنيويّة ، ويستعملها في القضايا العقائديّة ، وفي القضايا العمليّة ، وفي القضايا الأخلاقيّة ، وسأبيّن كيف يستعمل

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٩/٤ م .

الإنسان هذه القاعدة الفطريّة في القضايا الأخلاقيّة .

وصلنا إلى مجموعة من الرّوايات ، قرأنا بعضها ، ونقرأ بعضًا منها أيضًا :

في الرّواية الأولى الّتي قرأناها في المحاضرة السّابقة سئل الإمام الصّادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : "**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا**" (١) ، قال عليه السلام : التّوحيد (٢) .

وفي الرّواية الثّانية سئل الإمام عليه السّلام عن نفس الآية فقال : هي الإسلام (٣) .

وفي الرّواية الثّالثة قال الإمام عليه السّلام : فطرهم جميعًا على التّوحيد (٤) .

التّوحيد والإسلام يعتبران من الأمور الفطريّة عند الإنسان ، وهذا يحتاج إلى بيان كما مرّ سابقًا .

نأتي إلى الرّواية الرّابعة :

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : "**حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**" (٥) ؟ قال : الحنيفيّة من الفطرة

---

(١) الرّوم : ٣٠ .

(٢) الكافي ج٢ ص١٢ ح١ .

(٣) المصدر السّابق ح٢ .

(٤) المصدر السّابق ح٣ .

(٥) الحجّ : ٣١ .

الّتي فطر الله النّاس عليها ، لا تبديل لخلق الله . قال : فطرهم على المعرفة به . قال زرارة : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : "**وِإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**" [1] ؟ قال : أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ فعرّفهم وأراهم نفسه ، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه . وقال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : كلّ مولود يُولَدُ على الفطرة ، يعني المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه ، كذلك قوله : "**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**" [2] [3] .

إنّ معرفة الله ومعرفة أنّه عزّ وجلّ خالقه من الأمور الفطريّة عند الإنسان .

عن محمّد الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ : "**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا**" [4] . قال عليه السّلام : فطرهم على التّوحيد [5] .

إنّ التّوحيد والإسلام ومعرفة الله ومعرفة أنّ الله هو الخالق من فطرة

---

(1) الأعراف : ١٧٢. أراهم نفسه : الرّؤية ليست رؤيةً مادّيّةً .

(2) لقمان : ٢٥ .

(3) الكافي ج٢ ص١٢-١٣ ح٤ .

(4) الرّوم : ٣٠ .

(5) الكافي ج٢ ص١٢-١٣ ح٥ .

الإنسان .

فيأتي السّؤال التّالي :

كيف يكون الاعتقاد بالتّوحيد أمرًا فطريًّا ؟

الجواب :

مرّ بيانه سابقًا ، وأبيّنه مرّة أخرى لأجل أن يتّضح أكثر ، لا بدّ من أن توجد في الفطرة – أي خلقة الإنسان – قواعد أوجدها الله ؛ لكي ترشد الإنسان إلى الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون ، وهذا الخالق هو الإله الّذي يعتقد به المسلمون ، وهو الله عزّ وجلّ .

وهذه القاعدة الفطريّة ليست هي (البحث عن الكمال) ، بل هي (البحث عن الأكمل) ، ونسمع دائمًا أنّ الإنسان يطلب الكمال ، ولكنّ الصّحيح هو أنّ الإنسان يطلب الأكمل ، والقاعدة الفطريّة الصّحيحة هي (البحث عن الأكمل) ، وإذا كان الإنسان باحثًا عن الكمال فحينما يصل إلى درجة من الكمال فالمفروض أن يقف ؛ لأنّه وصل إلى الكمال ، ولكنّه إذا كان باحثًا عن الأكمل فإنّه إذا وصل إلى درجة من الكمال فإنّه يتحرّك باتّجاه الحصول على الأكمل فيصعد إلى درجة أخرى أكمل من الدّرجة الأولى ، وهكذا يصعد من درجة إلى درجة أكمل ، وعندما يرى الأكمل فإنّه يتحرّك إليه ، وإذا رأى أكمل من الأكمل الأوّل فإنّه يتحرّك إلى الأكمل الثّاني .

سؤال : هل الأكمل ينتهي ؟

الجواب :

الأكمل لا ينتهي ؛ لأنّ فوق كلّ كمال أكمل منه ، ويتحرّك الإنسان إلى أن يصل إلى الله الّذي لا يوجد كمال فوق كماله ، فهو الأكمل المطلق ، ففي فطرة الإنسان البحث عن الأكمل إلى أن يصل إلى الأكمل المطلق .

لنفرض أنّه كان يعبد صنمًا من حجر ، فنسأل : هل يوجد شيء أكمل من هذا الحجر ؟

الجواب : نعم ؛ لأنّ هذا الحجر لم يخلق نفسه ، فلا بدّ من أن يوجد صانع لهذا الصّنم .

ويستمرّ السّؤال والجواب ، ويصعد ويصعد ويصعد إلى أن يصل إلى الأكمل الّذي لا يوجد فوقه كمال ، وهذا الأكمل المطلق الّذي لا ينتهي هو الله تعالى .

إذن :

الله هو الأكمل المطلق الّذي لا يوجد فوقه كمال ، وبالفطرة يصل الإنسان إلى وجود خالق للكون ، وهذا الخالق هو أكمل ما يوجد في عالم الوجود ، هو الّذي ليس له حدّ ولا نهاية ، وليس له حدّ ؛ لأنه الأكمل الّذي لا ينتهي ، وإذا كان الشّيء ينتهي فيكون مخلوقًا لا خالقًا .

"وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" [1] .

---

(1) يوسف : ٧٦ .

(ذو علم) أي (صاحب علم) ، فيوجد شيئان : صاحب وعلم ، وهذا العلم يُضَافُ إلى صاحبه ، كان جاهلًا ، وأضيف إليه العلم فصار عالما ، فيوجد شيئان لا شيء واحد ، صاحب العلم كطالب العلم ، وفوقه الأعلم منه وهو أستاذه ، والأستاذ هو ذو علم أيضًا ، والأستاذ فوقه أستاذه الأعلم منه ، وهو ذو علم أيضًا ، وهذه السّلسلة تستمرّ إلى أن نصل إلى العليم الّذي لا يكون ذا علم ، والعليم هو الّذي علمه عين ذاته .

كأنّ الآية تريد أن تقول أنت تبحث عن صاحب العلم ، ولكن يوجد هناك مصدر ومنبع للعلم وهو العليم ، والله هو العليم ، وكلّ ما عدا الله فهو ذو علم ، وفوق كلّ ذي علم عليم ، وهذه السّلسلة تنتهي إلى العليم وهو الله الّذي يكون العلم صفةً ذاتيّةً له ، والعلم عين ذاته لا شيء مضاف عليه ، فمن صاحب العلم ننتقل إلى صاحب العلم ، وفي نهاية المطاف لا بدّ من أن ننتهي إلى الموجود الّذي يكون العلم صفةً ذاتيّةً له .

وهذا نصل إليه بواسطة الفطرة ، ترى إنسانًا عالما فتعرف أنّه إنسان مضاف إليه العلم ، فتسأل : من أتى هذا الإنسان بعلمه ؟

فالجواب أنّه أتى بعلمه من أستاذه .

وهكذا تنتقل من أستاذه إلى الأستاذ الثّاني ، ومن الأستاذ الثّاني إلى الأستاذ التّالي ، ويوجد في نهاية السّلسلة من يكون العلم عين ذاته ، وهو الله تعالى .

مثال عرفيّ :

أذكر لكم مثالًا عرفيًّا ، تشرب الشّاي الحلو ، تقول هذا شاي حلو الطعم .

نسأل : هل الحلاوة صفة ذاتيّة للشّاي أو مضافة عليه ؟

الجواب :

الحلاوة مضافة عليه ، فتقول : يوجد في هذا الشّاي سكّر .

نسأل : هل الحلاوة في السّكر صفة إضافيّة أو صفة ذاتيّة له ؟

الجواب :

الحلاوة صفة ذاتيّة للسّكر ، فإذا نزعنا الحلاوة من السّكر فلا يكون سكّرًا .

وهذا مثال عرفيّ لتقريب الصّورة ، فالله صفاته عين ذاته أي نفس ذاته ، وليست صفات مضافة على ذاته ، وإذا قلنا بأنّ العلم صفة إضافيّة على الله ، والله موجود منذ الأزل ، فمعناه أنّ الله سبحانه كان جاهلًا ثمّ علم ، ويستحيل أن يكون خالق الكون جاهلًا ؛ لأنّ الجاهل بشيء لا يمكنه أن يصنع هذا الشّيء ، أو تقول إنّ الله عالم منذ الأزل ، وكان العلم معه ، فيوجد شيئان أزليّان : الله والعلم ، والخالق لا بدّ من أن يكون شيئًا واحدًا لا شيئين ، وإذا قلنا بوجود شيئين أزليّين فيوجد شريك لله سبحانه ، وإذا قلنا إنّ صفات الله زائدة عليه فيوجد مجموعة من الشّركاء لله تعالى ، لذلك فالله واحد لا شريك له ولا حدّ له ولا مُنْتَهَى له ، وصفاته هي نفس الذّات وعين

الذّات وليست زائدة على الذّات ، وقد أثبتنا سابقًا صفة التّوحيد لله عن طريق الفطرة ، فلا يوجد أكمل من خالق هذا الكون الّذي هو الله تعالى .

والإنسان يبحث دائمًا عن الأكمل ، ففي حياته الدّنيويّة يحاول الحصول على الأكمل والأفضل في معاشه وبيته وسيّارته ، يشتري سيّارةً فخمةً ويسير في الشّارع ، وحينما يرى سيّارةً أفضل من سيّارته يقول : يا ليت هذه السّيّارة لي ؛ لأنّه يبحث عن الأفضل والأكمل ، وإذا رأى بيتًا أفضل من بيته يقول : يا ليت هذا البيت بيتي .

ونفرض أنّه حصل عل السّيّارة الأفضل ، فيرى سيّارةً ثالثةً أفضل فيتمنّى الحصول عليها ، ويرى سيّارةً رابعةً أفضل فيتمنّى الحصول عليها ، والأمر لا ينتهي عند هذا الحدّ ، فكلّما رأى سيّارةً أفضل فإنّه يتمنّى الحصول عليها ، إلى أن ينتهي إلى السّيّارة الأفضل الّتي لا يوجد فوقها أفضل ، ولكن متى يصنعون السّيّارة الأفضل ؟!

وهكذا في القضايا الدّنيويّة يبحث عن الأفضل ، ففي الوظيفة يبحث عن المنصب الأفضل والأعلى ، والموظّف يتمنّى أن يصير رئيس قسم ، وإذا حصل على رئاسة القسم فإنّه يتمنّى المنصب الأعلى ، ولا يقف عند حدّ ، ولو كان يبحث عن الكمال فقط فإنّه يقف عند رئاسة القسم ؛ لأنّها كمال بالنّسبة للموظّف العاديّ ، ولكنّ الإنسان يبحث عن الأكمل والأفضل ، فيريد أن يصل إلى منصب المراقب ، وإذا حصل عليه يريد أن يكون مديرًا ، وإذا صار

مديرًا يريد أن يكون الوكيل المساعد ، وإذا حصل عليه يريد أن يكون وكيل وزارة ، وإذا حصل عليه يريد أن يكون وزيرًا ، ثمّ رئيس مجلس الوزراء ، ويتمنّى أعلى من ذلك بأن يكون حاكم الدّولة .

والبحث عن الأكمل من طبيعة الإنسان وموجود في فطرته ، ولكنّ مشكلة الإنسان أنّه يخطئ في تشخيص مصداق الأكمل ، ويظنّ بأنّ الأكمل يكون في المال والسّيّارة والوظيفة ، هو أخطأ في المصداق ، وهذا هو البحث عن الأكمل في الأمور الدّنيويّة .

وكذلك يبحث عن الأكمل من حيث التّوجّه إليه بالعبادة ، ولا يجد الأكمل إلّا في خالق هذا الكون ، فالمصداق الحقيقيّ المطلق للأكمل هو الله تعالى ، وباقي المصاديق مصاديق نسبيّة ، وكلّ شيء أكمل بالنّسبة لما تحته ، وكمال بالنّسبة لما فوقه ، ويكون الأكمل فوقه ، وهذا الأكمل كمال بالنّسبة لما فوقه ، وتستمرّ السّلسلة إلى أن نصل إلى الأكمل المطلق الّذي لا يوجد فوقه أكمل ، وهو الله عزّ وجلّ .

والبحث عن الأكمل هو الّذي يرشد الإنسان للبحث عن الإله الخالق ، ففي البحث عن الأكمل لا بدّ من أن يبحث عن الله وعن الصّفات المطلقة لله عزّ وجلّ .

هذا الشّخص لديه علم ، ويقول بأنّه يريد أن يكون عالما مثل ذاك المرجع ، وإذا وصل إلى علم المرجع يقول بأنّه يريد أن يكون عالما كأمير المؤمنين عليه السّلام ، ويقول بأنّه لا يكتفي بذلك ، بل يريد

أن يكون علمه كعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله .

نسأل : هل يوجد علم فوق علم رسول الله صلّى الله عليه وآله أو لا يوجد ؟

الجواب :

نعم يوجد ، وهو علم الله عزّ وجلّ .

نسأل : علم رسول الله صلّى الله عليه وآله علم محدود أو مطلق ؟

الجواب :

علم محدود ، نعم علم رسول الله صلّى الله عليه وآله أفضل درجات الكمال من حيث العلم ، ولكن يظلّ علمًا محدودًا ؛ لأنّ العلم المطلق هو علم الله ، وحينما يريد الإنسان أن يبحث عن الأكمل فلا بدّ من أن يبحث عن المطلق لا عن المحدود ، والمحدود عبارة عن مرحلة وسطى بينك وبين المطلق ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله مرحلة وسطى بينك وبين الله ، تقول بأنّ قدوتي هو الرّسول صلّى الله عليه وآله ، نقول نعم ، ولكنّه صلّى الله عليه وآله مرحلة وسطى بينك وبين الله .

ويبحث الإنسان عن الأكمل في القضايا العقائديّة ، ومن خلال بحثك عن الأكمل تصل إلى الله تعالى .

سؤال : من يكون في قمّة الكمال – أي الأكمل – هل يكون متعدّدًا أو واحدًا ؟

الجواب :

من يكون في قمّة الكمال واحد لا يتعدّد ، لذلك نعتقد أنّ الإله

الخالق لهذا الكون واحد لا يتعدّد ، والله تعالى واحد ، وفطرة الإنسان تقول بأنّ الإله واحد لا يتعدّد ؛ لأنّه الأكمل ، والأكمل لا يوجد فوقه أكمل ، والأكمل واحد غير متعدّد .

والله فطر جميع النّاس على التّوحيد من خلال القاعدة الموجودة في فطرة كلّ إنسان ، وفطرهم على المعرفة به ، وفطرهم على أنّه خالق الكون ، وكلّها قضايا فطريّة ، فالقضايا العقائديّة المتعلّقة بالله عزّ وجلّ كلّها عبارة عن قضايا فطريّة عند الإنسان من خلال البحث عن الأكمل .

وحينما تتحدّث مع إنسان غربيّ أو شرقيّ تقول له : أنت مفطور على معرفة الله .

يقول لك : أنا لا أعرف الله .

فتأتي إليه من القضيّة الفطريّة ، ومن خلال هذه القضيّة الفطريّة تبيّن له كيف يكون الاعتقاد بالله أمرًا فطريًّا عند كلّ إنسان ، من خلال القاعدة الفطريّة الموجودة عند كلّ إنسان في كلّ زمان ومكان ، فالقضايا الفطريّة قواعد فطريّة خلقها الله مع الإنسان ، وهذه القضايا الفطريّة موجودة مع الإنسان في كلّ زمان ومكان ، فأبونا آدم عليه السّلام كا يبحث عن الأكمل ، وأنت تبحث عن الأكمل ؛ لأنّها قضيّة فطريّة .

وأمّا إذا وجدت قضيّةً من القضايا عند مجموعة من النّاس دون مجموعة أخرى فهذه القضيّة ليست قضيّة فطريّة ، فالقضيّة الفطريّة

مستمرّة مع كلّ إنسان منذ بداية الخلق وإلى أن يتوفّاه الله ، وحتّى في عالم البرزخ ويوم القيامة يبحث الإنسان عن الأكمل ، ففي يوم القيامة يعبد الله ؛ لأنّها قضيّة فطريّة موجودة معه دائمًا .

وكذلك في الجنّة أنت تحبّ الجمال ، لذلك نعيم الجنّة لم تسمع بها أذن ولم تَرَهَا عين ، والجمال الدّنيويّ ما تراه بعينك في الدّنيا ، وأمّا الجمال الأخرويّ فلا يقاس به أيّ جمال ، لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا يمكن لأحد أن يتصوّر الجمال الموجود في الجنّة ، ومهما تتصوّر فهناك درجات أعلى من الجمال .

إذن :

الاعتقاد بالتّوحيد قضيّة فطريّة من خلال القاعدة الفطريّة أي البحث عن الأكمل ، وهذه القاعدة الفطريّة موجودة حتّى عند الإنسان الملحد الّذي يقول بأنّه لا يعتقد بوجود إله خالق للكون ، فالمؤمن بالإله والملحد والكافر واليهوديّ والمسيحيّ والبوذيّ هذه القاعدة موجودة عندهم جميعا ، فمن يعبد البقرة أو يقدّسها ومن يعبد القرد أو يقدّسه فهذه القاعدة موجودة عنده ، ولكنّه أخطأ في تشخيص مصداق الأكمل ، فيظن بأنّ القرد هو الأكمل ، ولكن لو سأل نفسه : هذا القرد من أين جاء ؟

يقول : جاء من الأمّ .

نسأل : والأمّ من أين جاءت ؟

يقول : جاءت من الجدّة .

وتستمرّ السّلسلة إلى أن يصل إلى القرد الأوّل .

نسأل : هذا القرد الأوّل من أين جاء ؟

لا بدّ من أن يكون القرد الأوّل مخلوقًا ؛ ونقول بأنّه مخلوق ؛ لأنّه لم يكن موجودًا ثمّ وُجِدَ ، لم يكن شيئًا فصار شيئًا ، كان معدومًا ثمّ وُجِدَ ، ومن كان معدومًا ثمّ وُجِدَ لا يمكن أن يكون هو الأكمل ؛ لأنّ الأكمل موجود دائمًا ، وبمجرّد ما يكون معدومًا يكون ناقصًا ، والنّاقص يستحيل أن يكون الأكمل ، وهذا البحث بحث عقائديّ والموضوع عميق ، ولكن قدّمناه بعبارات سهلة .

لنطبّق هذه القاعدة الفطريّة - أي البحث عن الأكمل - في قصّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام ، ونرى بوضوح هذه القاعدة في قصّته عليه السّلام ، وهذه القصّة تعلّمنا (الطّريقة الإبراهيميّة) في التّفكير ؛ لأجل الوصول إلى معرفة خالق الكون ، إبراهيم عليه السّلام كان يعتقد بالله ؛ لأنّه نبيّ ، ولكنّه أراد أن يعلّم قومه كيف يفكّرون بطريقة فطريّة ؛ لأجل الوصول إلى معرفة الخالق المعبود .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [1] .

عالم الملكوت هو عالم الغيب والباطن ، وهو العالم الّذي لا نراه ، ويعلم به الله تعالى ، وفي مقابله عالم المُلْك والظّاهر والشّهادة ، وهو العالم الّذي نراه ، والله عالم الغيب والشّهادة ، ومن يريد أن يكون من الموقنين فاطّلاعه على عالم الملك لوحده لا يكفي ، بل لا بدّ من أن يكون عنده اطّلاع على عالم الملكوت أيضًا ، أي لا بدّ من أن يكون عنده اطّلاع على عالم الشّهادة والغيب أي عالم الظّاهر والباطن .

مثلًا من يصلّي الصّلاة الظّاهرية يعرف ظاهر الصّلاة في عالم المُلْك ، ولكي يستفيد من الصّلاة لا بدّ من أن يعرف باطن الصّلاة في عالم الملكوت ، فالصّلاة من عالم الملك ، وهذه الصّلاة لها عالم ملكوتيّ ، وإذا أراد أن يصل إلى درجة اليقين لا يكفي أن يأتي بالصّلاة الظّاهرية ، بل لا بدّ من أن يعرف كيف يستفيد من باطن الصّلاة وروح الصّلاة ، قد يصلّي سنوات طويلة ، ولكن لا يستفيد منها ؛ لأنّ تركيزه فقط على حركات وأقوال الصّلاة ، ويركّز على مخارج الحروف وكيفيّة الرّكوع والسّجود ، يركّز على الحركات والأقوال فقط ، ولا ينتبه إلى أنّ الصّلاة لها باطن كما أنّ لها ظاهرًا ، فالصّلاة لها عالمان : عالم الملك وعالم الملكوت ، وإذا أراد أن يستفيد من الصّلاة فلا بدّ من أن يعرف ظاهرها وباطنها ، لا بدّ من أن يعرف

---

[1] الأنعام ٧٥-٧٩ .

الجانب المعنويّ للصّلاة ، وإذا عرف هذا الجانب يمكنه أن يستفيد من الصّلاة ، قد يصلّي سنوات طويلة ، ولكنّه لا يستفيد منها ؛ لأنّ تركيزه على ظاهر الصّلاة فقط ، ومشكلة الوسواسيّ أنّه يركّز على ظاهر الصّلاة ، ويغفل عن باطنها ، فتحصل عنده حالة الوسواس ، يريد أن ينطق مخارج الحروف بكلّ دقّة ، فيكرّر الكلمة عدّة مرّات ، هو يظنّ أنّه لم ينطق الكلمات بشكل صحيح ، هو قرأ البسملة ، ولا بدّ من أن ينتقل إلى ما بعدها ، ولكنّه يشكّ في أنّه قرأ البسملة بشكل صحيح ، ويظلّ يدور في عالم الملك والظّاهر ، ولا ينتقل إلى عالم الملكوت والباطن ، فلا يستفيد من الصّلاة ، وعلى العكس تصبح الصّلاة عاملًا سلبيًّا بالنّسبة له بدل أن يستفيد منها وتكون عاملًا إيجابيًّا لتكامله .

في البداية رأى سيّدنا إبراهيم عليه السّلام كوكبًا بعيدًا غير بازغ أي بدون نور فقال : هذا ربّي .

هو عليه السّلام يعتقد بالله تعالى ، ويريد أن يعلّم قومه كيفيّة التّفكير ؛ لكي يصلوا إلى ربّ الكون .

فلمّا غاب الكوكب قال : لا أحبّ الغائبين .

إذا غاب فهذا ليس ربًّا ؛ لأنّ ربّ الكون لا يكون غائبًا ، بل هو حاضر موجود دائمًا ، والكوكب لم يكن بازغًا أي لم يكن له نور ، فلمّا رأى القمر بازغًا ذا نور رأى فيه صفة كمال ، وأنّه أكمل من الكوكب ؛ لأنّ الكوكب بلا نور والقمر له نور ، وما له نور هو

أكمل ممّا لا نور له .

فقال : هذا ربّي .

وغاب القمر أيضًا .

فقال : لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضّالين .

إذن :

سيّدنا إبراهيم عليه السّلام يعتقد بوجود ربّ خالق الكون ، والخالق هو الأكمل ، ويطلب من هذا الأكمل الهداية إليه ، وإذا لم يَهْدِهِ فإنّه يكون ضالًّا عن معرفة الرّبّ الحقيقيّ ، ولكن في البداية قال بأنّ الكوكب هو مصداق الأكمل ، ولكن أفل فلا يكون الكوكب مصداقًا للأكمل ، والقمر أفل فلا يكون مصداقًا للأكمل ، ثمّ رأى الشّمس فقال إنّ هذا ربّي ؛ لأنّه أكبر أي أكمل ، والشّمس والقمر فيهما صفة البزوغ والنّور ، ولكنّ الشّمس أكمل ؛ لأنّها أكبر ، فهي أكمل من حيث الحجم ، فما يكون حجمه أكبر يكون هو الأكمل ، وغابت الشّمس أيضًا فلا تكون مصداقًا للأكمل ، فلمّا أفلت قال : يا قومي ، إنّي بريء ممّا تشركون ، أنتم تشركون بالله تعالى ، فالبعض يعبد الكواكب ، والبعض يعبد القمر ، والبعض يعبد الشّمس ، والرّبّ لا بدّ من أن يكون موجودًا دائمًا ، فإذا كان موجودًا فإبراهيم عليه السّلام يبرأ ممّا يشركون مع الرّبّ الأكمل .

النّتيجة :

النّتيجة النّهائية للطّريقة الإبراهيميّة في التّفكير هي : **إِنِّي وَجَّهْتُ**

وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" .

والإله الرّبّ لا يغيب ؛ لأنّه الأكمل المطلق الّذي لا يوجد فوقه كمال ، فوصل سيّدنا إبراهيم عليه السّلام إلى نتيجة وهي أنّه يوجّه وجهه إلى خالق السّماوات والأرض وأنّه لا يشرك به ، فهو واحد غير متعدّد وليس له شريك ؛ لأنّ الأكمل شيء واحد لا يتعدّد ، وإبراهيم عليه السّلام توجّه إلى الأكمل المطلق .

سؤال : هل يمكننا تحديد الأكمل المطلق ؟

الجواب :

نعم يمكن ، فالأكمل ليس كوكبًا ولا قمرًا ولا شمسًا ، ولا يكون من الآفلين ، وإنّما يكون موجودًا دائمًا ، والإنسان بواسطة فطرته يمكن أن يصل إلى بعض صفات الأكمل ، فخالق الكون هو الأكمل المطلق ، وأنت تبحث عن الأكمل ، فالإنسان بفطرته يصل إلى الإله الرّبّ خالق الكون ، والمسلمون يسمّونه الله عزّ وجلّ ، فالفطرة تدلّ على الله تعالى ، لذلك في الرواية : "فطرهم جميعًا على التّوحيد" .

وهذه القاعدة الفطريّة – أي البحث عن الأكمل – موجودة حتّى عند الإنسان الملحد الّذي لا يعتقد بوجود خالق للكون .

تسأله : هل أنت تعتقد بقاعدة (البحث عن الأكمل) ؟

يجيب : نعم ، أنا أبحث عن الأكمل .

والملحد لا يصل إلى هذا الأكمل فيقول لا أعتقد بوجود خالق للكون ، فهو يغالط نفسه ؛ لأنّه يطبّق هذه القاعدة في أموره الدّنيويّة

المادّيّة ، ويغفل عن تطبيقها في الأمور المعنويّة .

تسأله : من الّذي أوجد هذا الكون ؟

يوجد كون ونرى أنّ بعض الأشياء تفنى ، وبعض الأشياء توجد بعد عدم ، والانتقال من العدم إلى الوجود يحتاج إلى ناقل ، فنسأل : من هذا الّذي ينقله من العدم إلى الوجود ؟

والملحد لا بدّ من أن يجيب عن هذا السّؤال .

يقول : الطّبيعة أوجدت نفسها .

نسأله سؤالًا بسيطًا : الطّبيعة قبل أن تُوجِدَ نفسها كانت موجودةً أو معدومةً ؟

فإذا كانت الطّبيعة معدومةً فيستحيل أن تُوجِدَ نفسها ؛ لأنّ المعدوم لا يفعل شيئًا .

وإذا كانت الطّبيعة موجودةً فلا تحتاج إلى أن تُوجِدَ نفسها ؛ لأنّ الأمر تحصيل للحاصل .

مثلًا أنت الآن موجود وتقول : أريد أن أُوجِدَ نفسي .

فنقول : أنت موجود ، ولا تحتاج إلى إيجاد .

إذن :

لأجل انتقال الشّيء من العدم إلى الوجود يحتاج إلى ناقل ، وهذا الكون كان معدومًا في زمن ما ، ثمّ وُجِدَ ، فمن نقله من العدم إلى الوجود ؟

لا بدّ من أن يكون هناك شيء عنده القدرة على نقل الكون من

العدم إلى الوجود ، فمن صفات الخالق القدرة ، ويمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة مجموعة من صفات الخالق ، ومن الصّفات العلم ، فمن يخلق الكون لا بدّ من أن يكون عالما به ، والجاهل بالشّيء يستحيل أن يخلق هذا الشّيء ، ومن الصّفات الحكمة ، فهو يضع كلّ شيء في موضعه المناسب ، فالكواكب الّتي تدور حول الشّمس لها مدارات معيّنة ، ويقولون بأنّه لو اقتربت الشّمس من الأرض مقدارًا معيّنًا لاحترقت الأرض ، ولو ابتعدت مقدارًا معيّنًا لتجمّدت الأرض ، فالشّمس لها مسافة معيّنة عن الأرض ، وكلّ كوكب له مدار معيّن ، وفي بعض الفيديوات نرى أنّ مجرّة تدخل في بطن مجرّة أخرى ثمّ تخرج من الجهة الأخرى من غير أن تصطدم النّجوم والكواكب في المجرّتين .

هذه هي الطّريقة الإبراهيميّة في التّفكير بناءً على فطرة الإنسان في البحث عن الأكمل ، ونستفيد من هذه القاعدة الفطريّة في القضايا العقائديّة والقضايا الدّنيويّة والقضايا الفقهيّة العمليّة حينما نبحث عن الأعلم ، وهو بحثنا هنا في التّقليد والأعلميّة ، فنفس القاعدة الّتي تدعوك إلى الاعتقاد بالله تدعوك أيضًا إلى الأخذ بكلام الأعلم في مختلف العلوم بما فيها العلوم الدّينيّة ، وفي القضايا الأخلاقيّة تبحث عن الأكمل فتصعد في درجات الكمال بنفس القاعدة ، فهذه القاعدة الفطريّة الموجودة عند كلّ إنسان يُسْتَفَادُ منها في جميع مجالات الحياة .

سؤال : لماذا طوّر العلماء الاختراعات ؟

الجواب :

انطلاقًا من نفس القاعدة الفطريّة وهي البحث عن الأكمل ، فهذه القاعدة الفطريّة تجري في جميع الأمور الدّينيّة والدّنيويّة ، وهي قاعدة فطريّة واحدة ، ويستفاد منها في جميع مجالات الدّين والدّنيا ، وطبعًا توجد قواعد فطريّة أخرى عند الإنسان .

إذن :

الدّليل الأوّل على وجوب تقليد الأعلم هو فطرة الإنسان ، والقاعدة الفطريّة هي (البحث عن الأكمل) .

وتوجد أدلّة أخرى على وجوب تقليد الأعلم ، وسنأتي إلى الدّليل الثّاني وهو العقل ، فالأدلّة هي فطرة الإنسان وعقل الإنسان ، فالفطرة والعقل يدعوان الإنسان إلى البحث عن الأكمل ، بالإضافة إلى أدلّة أخرى ستأتي في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٣)
الدّليل العقليّ
على تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في الأدلّة الّتي تدلّ على وجوب تقليد الأعلم ، وأخذنا الدّليل الأوّل وهو فطرة الإنسان ، ونأتي إلى الدّليل التّالي .

الدّليل الثّاني : عقل الإنسان :

سؤال : ما هو المقصود من الدّليل العقليّ ؟

الجواب :

هو أن تأتي بمقدّمات بحيث تصل إلى النّتائج على أساس إعمال العقل ، فالعقل يرتّب بعض المقدّمات ، وفي علم الرّياضيّات نقول

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٤ ذو الحجّة ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥/٩/١٨ م .

عـن المقدّمـة (بمـا أنّ) ، وفي النّتيجـة نقـول (إذن) ، وهـذا اسـتدلال عقلـيّ ، وأمّـا في الفطـرة فالإنسـان لا يحتـاج إلى تفكـير اسـتدلاليّ ، بمجرّد ما تُعْرَضُ الأمر على النّفس فالنّفس تقبل أو ترفض ، وهـذه هي الفطرة بدون تفكير استدلاليّ ، والتّفكير الاستدلاليّ فيه ترتيب المقدّمات لأجل الوصول إلى نتيجة ، فتقول (بما أنّ كذا) و(بما أنّ كذا) (إذن كذا) ، وهذا استدلال عقليّ ؛ لأنّه قائم على مقدّمات ونتيجة ، والعقل يرتّب بين المقدّمات ، والتّفصيل موجود في (علم التّفكير) أو ما يسمّى بـ (علم المنطق) .

توجد قاعدة عقليّة قطعيّة تقول بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم أوّلا ، وثانيًا عدم جواز رجوع الجاهل إلى العالم مع وجود الأعلم ، نعم ترجع إلى العالم ، ولكن إذا وجد الأعلم فترجع إلى الأعلم ، وإذا لم يوجد الأعلم فترجع إلى العالم ، وهذان أمران نتيجتهما النّهائيّة هي (وجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم) .

وهذه قاعدة عقليّة ، اعرضها على النّاس واسألهم : إذا وُجِدَ الأعلم وَوُجِدَ العالم فإلى من ترجع ؟

وسيكون جوابهم بالاتّفاق أنّهم يرجعون إلى الأعلم .

ذكرنا في الدّليل الأوّل وجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم بناءً على الفطرة ، وأمّا هنا في الدّليل الثّاني فيكون على أساس العقل ، فالعقل يقول :

المقدّمة الصّغرى : بما أنّ هذا الشّخص أعلم من ذاك الشّخص .

والمقدّمة الكبرى : بما أنّه يجب الرّجوع إلى الأعلم بحسب ما يقول به العقل .

النّتيجة : إذن يجب الرّجوع إلى هذا الأعلم .

توجد مقدّمات ونتيجة ، وهذا استدلال عقليّ ، فوجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم قاعدة عقليّة ، بالإضافة إلى أنّها قاعدة فطريّة .

وتوجد قاعدة تقول بأنّ القاعدة العقليّة غير قابلة للتّخصيص في مجال دون مجال ، بمعنى أنّه لو كانت هناك قاعدة عقليّة فإنّها تجري في جميع المجالات ، ولا يمكن أن نأخذ بها في مجال دون مجال ، فتكون القاعدة العقليّة مطلقة عامّة ، فلا تُقَيَّدُ ولا تُخَصَّصُ بمجال معيّن .

لذلك لا يمكن أن نأخذ بالقاعدة العقليّة القطعيّة الّتي تقول بوجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم في العقائد ولا نأخذ بها في الفقه العمليّ ، ففي العقائد نقول بعدم جواز تقدّم المفضول على الفاضل ولا تقدّم الفاضل على الأفضل ، فإذا قلنا في مجال العقائد بجريان هذه القاعدة العقليّة فنفس هذه القاعدة تجري أيضًا في أحكام الفقه العمليّ ، وإذا قلنا بعدم جريان القاعدة في الفقه العمليّ فنكون قد خصّصنا القاعدة العقليّة في مجال معيّن ، ولا يجوز تخصيص القواعد العقليّة ، فالقواعد العقليّة غير قابلة للتّخصيص ، فتجري في جميع المجالات .

إذن :

القواعد العقليّة القطعيّة لا يمكن تخصيصها ، وهذا الأمر ينفعنا في كثير من البحوث .

مثلًا في البحوث العقائديّة :

هل يمكن للنّبيّ صلّى الله عليه وآله أن يخطئ في القضايا العاديّة غير التشريع والتّبليغ كأن توجد قضيّة شخصيّة بينه صلّى الله عليه وآله وشخص آخر ويكون النّبيّ صلّى الله عليه وآله مخطئًا ؟

الجواب :

نسأل : ما هي القاعدة العقليّة الّتي تحكم هنا ؟

القاعدة العقليّة تقول بأنّه لا يجوز الخطأ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، والقاعدة العقليّة لا يمكن تخصيصها ، فهذه القاعدة لا يصحّ تخصيصها في مجال التّبليغ فقط ، وبذلك يمكن للنّبيّ صلّى الله عليه وآله أن يخطئ في قضاياه الحياتيّة في غير التّبليغ .

والبعض قد يقول : وما هو الضّرر من أن يخطئ النّبيّ صلّى الله عليه وآله في قضاياه الحياتيّة فوجود خطأ أو خطأين لا يضرّ بعصمته صلّى الله عليه وآله ؟

نقول : بل يضرّ بالعصمة .

نسألأ : هل النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى أو لا ينسى ؟

أوّلًا نثبّت القاعدة العقليّة ، وهي عدم جواز النّسيان على النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذه قاعدة عقليّة ، والقاعدة العقليّة غير قابلة للتّخصيص ، فالنبي صلّى الله عليه وآله لا ينسى في أمور التّبليغ والتّشريع ، ولا ينسى في قضاياه الحياتيّة أيضًا .

إذا سألت النّبيّ صلّى الله عليه وآله عن شيء معيّن أراد أن يأتي به

معه – فيقول صلّى الله عليه وآله : نسيت أن أجلبه معي .

نقول إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يصدر منه هذا الكلام ؛ لأنّه تخصيص للقاعدة العقليّة .

إذن :

القواعد العقليّة القطعيّة لا تُخَصَّصُ ، فمن يقول بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا ينسى في قضايا التّبليغ فقط ، ولكنّه ينسى في أموره الحياتيّة – نقول بأنّه قام بتخصيص القاعدة العقليّة ، والقاعدة العقليّة غير قابلة للتّخصيص ، ومن يقول بهذا القول لا يلتفت إلى وجود القاعدة العقليّة ، وهي عدم جواز السّهو والنّسيان والخطأ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله مطلقًا وفي جميع المجالات ، ولا تجري القاعدة العقليّة في مجال دون مجال .

لنقرأ قولًا للسّيّد أبي القاسم الخوئيّ رضوان الله عليه :

فيستقلّ عقل العامّيّ بوجوب تقليد الأعلم وعدم جواز الرّجوع إلى غيره [1] .

العامّيّ هو غير المجتهد ، والعوامّ هم غير المجتهدين في المسائل الدّينيّة أي الّذين لا يعرفون كيفيّة استنباط الأحكام الدّينيّة ، وهذا تعبير واصطلاح .

وقد يعترض البعض على هذه الكلمة ويقول : طبيب متخصّص نسمّيه عامّيًّا !

---

(١) كتاب الاجتهاد والتّقليد ص١٣٥ .

نقول : نعم ؛ لأنّه ليس متخصّصا في الأحكام الدّينيّة ، واعكس الأمر ، عالم الدّين عامّيّ بالنّسبة لتخصّص الطّبيب ، فالإنسان عالم بما يعلم وجاهل بما يجهل ، وهذا الطّبيب عالم بالطّبّ جاهل بالأحكام الدّينيّة ، والعالم عالم بالأحكام الدّينيّة جاهل بالأحكام الطّبّيّة ، فيكون عامّيًّا في القضايا الطّبّيّة ، فالعامّيّ مجرّد تعبير عن غير المتخصّص في أيّ علم من العلوم ، ولا يوجد فيه تنقيص أو إهانة .

والعقل يستقلّ في وجوب تقليد الأعلم وعدم جواز الرّجوع إلى غير الأعلم ، فالعقل بنفسه يدلّ على ذلك بدون الاستدلال بالدّليل الشّرعيّ ، فالدّليل العقليّ يدلّ على ذلك قبل الرّجوع إلى الأدلّة الشّرعيّة ، ويكون الدّليل الشّرعيّ من باب الإرشاد والإشارة إلى الدّليل العقلي .

ويقول السّيّد أبو القاسم الخوئيّ رضوان الله عليه :

النّتيجة وجوب تقليد الأعلم حسب ما يدركه عَقْلُ العامّيّ واجتهادُهُ (١) .

يدركه عقلُ العامّيّ واجتهادُه ، تقول : كيف يكون عامّيًّا ومجتهدًا ؟

الجواب :

أي اجتهاده العقليّ ، الاجتهاد القائم على أساس القواعد العقليّة ، والقواعد العقليّة غير مختصّة بعلماء الدّين ، فكلّ إنسان عنده هذه القواعد العقليّة .

---

(١) كتاب الاجتهاد والتّقليد ص١٣٥ .

اسأل أيّ شخص لم يدرس شيئًا من العلوم الدّينيّة : لو وُجِدَ العالم والأعلم إلى من ترجع ؟

يجيبك مباشرةً : أرجع إلى الأعلم .

وهذا الرّجوع إلى الأعلم يكون بحسب ما يدركه عقل العامّيّ واجتهاده العقليّ القائم على أساس العقل ، وليس المقصود من الاجتهاد استنباط الأحكام الدّينيّة من الأدلّة الشّرعيّة .

إشكال :

يقال بأنّ الدّليل العقليّ لا يدلّ على وجوب تقليد الأعلم ؛ لأنّ العقل يقول أيضًا بصعوبة معرفة الأعلم إذا كان المجتهدون كثيرين ، فيصعب على المكلّفين تعيين الأعلم من بين هؤلاء ، وديننا دين يسر وسهولة ، والله تعالى لم يجعل في الدّين حرجًا ، فإذا طلب الله من المكلّفين البحث عن الأعلم فيوجد عليهم حرج وصعوبة .

الجواب :

الدّليل العقليّ يدلّ على وجوب تقليد الأعلم ، وهذه القاعدة العقليّة ثابتة ، وهذا هو المقتضي ، ولكنّ الإشكال يقول بأنّه يوجد مانع من معرفة الأعلم ، لذلك لا نأخذ بالقاعدة العقليّة ، ونقول بأنّه لا يوجد مانع من تطبيق القاعدة ؛ لأنّ الاعتماد على أهل الخبرة في تعيين الأعلم ليس صعبًا ، وليس المطلوب من المكلّف أن يعيّن الأعلم بنفسه ، وإنّما يرجع إلى أهل الخبرة ، وخلال العصور السّابقة لم يكن هناك عسر وحرج وصعوبة في تعيين الأعلم من قِبَلِ العلماء من أهل

الخبرة ، والأعلم قد يكون واحدًا أو ضمن مجموعة من العلماء تُحْتَمَلُ فيهم الأعلميّة .

والعقل القطعيّ يقول بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم في جميع أموره ، وهذه القاعدة العقليّة تجري في جميع التّخصّصات في كلّ زمان ومكان ، والعقل يقول أيضًا بعدم جواز الرّجوع إلى العالم مع وجود الأعلم ، وفي جميع التّخصّصات أيضًا لا في القضايا الدّينيّة فقط ، وهذه قاعدة عقليّة ، وهذه القاعدة العقليّة تجري في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة ، فيجب رجوع الجاهل إلى الأعلم ، ومع وجود الأعلم لا يجوز الرّجوع إلى العالم والأقلّ علمًا ، ولا يجوز عقلًا تقديم المفضول على الفاضل ، ولا تقديم الفاضل على الأفضل ، فلا يجوز تقليد الأقلّ علمًا وتقديمه على الأكثر علمًا ، ولا تقديم الأكثر علمًا على الأعلم ، وتقليد العالم مع وجود الأعلم يستلزم تقديم المرجوح على الرّاجح ، والرّاجح هو ما يكون فيه الرّجحان وهو الأعلم ، والطّرف المقابل هو المرجوح وهو الأقلّ علمًا ، وتقديم المرجوح على الرّاجح في القضايا الدّينيّة والدّنيويّة قبيح فطرةً وعقلًا وعرفًا ، فيكون المتعيِّن هو تقليد الأعلم ، وإذا لم يمكن تعيين الأعلم يتمّ الرّجوع إلى من تُحْتَمَلُ فيهم الأعلميّة ، وهذا الاحتمال يكون بشهادة أهل الخبرة لا باحتمال العوامّ .

إذن :

تقليد الأعلم لا يؤدّي إلى الحرج والعسر والصّعوبة على المكلّفين ؛

لأنّه أوّلًا معنى الأعلم محدَّد معروف ، والأعلم هو الّذي عنده علم العالم وزيادة ، والقدرة على التّطبيق وزيادة ، وثانيًا تعيين مصداق الأعلم لا توجد فيه صعوبة إذا رجعنا إلى أهل الخبرة ، وبشهادة أهل الخبرة إمّا أن يتمّ تعيين الأعلم وإمّا أن يُحْصَرَ في مجموعة من الفقهاء .

إشكال :

يقال بأنّه لا توجد رواية تدلّ على وجوب تقليد الأعلم ، فرواية (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا) [(١)] ، ورواية (فأمّا مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه فللعوامّ أن يقلّدوه) [(٢)] لم تذكرا شيئًا عن الأعلم ، ومع عدم وجود رواية دالّة على وجوب تقليد الأعلم فالنّتيجة هي أنّه لا يجب تقليد الأعلم ، ويجوز الرّجوع إلى أيّ فقيه حتّى مع وجود الأعلم .

الجواب :

من يقول بعدم وجود رواية دالّة على وجوب تقليد الأعلم نقول إنّ الدّليل الفطريّ والدّليل العقليّ والدّليل العرفيّ كلّها كافية لإثبات وجوب تقليد الأعلم ، والدّليل الشّرعيّ ليس مقتصرًا على الرّوايات ، والدّليل الرّوائيّ ليس هو الدّليل الشّرعيّ الوحيد ، فأوّلًا نرجع إلى القرآن الكريم ، وهذا هو الدّليل الأوّل ، وبعد ذلك نرجع إلى الرّوايات ، وحينما نقول (الرّوايات) فالمقصود الرّوايات المنقولة إلينا ؛

---

(١) وسائل الشّيعة للشّيخ الحرّ العامليّ ج١٨ ص١٠١ ح٩ .

(٢) التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص٣٠٠ .

لأنّه قد توجد رواية لم تصل إلينا ، فعبر الزّمان هناك روايات كثيرة مفقودة ، وكثير من الكتب مفقودة ، وبعض العلماء في مؤلّفاتهم يقولون بأنّه يوجد كتاب كذا ، مثلًا الأصول الأربعمائة في الرّوايات وصل إلينا منها ستّة عشر أصلًا فقط ، فتوجد روايات كثيرة مفقودة ، فقد تكون هناك رواية تتحدّث عن وجوب تقليد الأعلم ، ونقول بأنّه لا توجد بين أيدينا مثل هذه الرّواية ، والفقهاء لا يقتصرون في الأدلّة على الرّواية ، فأوّلًا القرآن الكريم ، وثانيًا الرّوايات ، وثالثًا العقل ، ورابعًا السّيرة العقلائيّة ، وخامسًا السّيرة المتشرّعيّة ، وغيرها ، فتوجد أنواع أخرى من الأدلّة الّتي تدلّ على الأحكام الدّينيّة ، وإذا لم توجد رواية دالّة على وجوب تقليد الأعلم فإنّنا نرجع إلى الأدلّة الأخرى ، وقد ذكرنا الدّليل الفطريّ ، وإذا كان عندنا الدّليل الفطريّ فقط فهذا الدّليل يكفي للحكم بوجوب تقليد الأعلم ، وذكرنا أيضًا الدّليل العقليّ ، وهذا الدّليل يكفي أيضًا ، وليس بالضّرورة أن توجد رواية دالّة على وجوب تقليد الأعلم .

ولنفرض أنّه توجد رواية دالّة على وجوب تقليد الأعلم ، نقول بأنّ هذه الرّواية لا تؤسّس حكمًا جديدًا ، وإنّما هي رواية إرشاديّة ترشد وتشير إلى حكم الفطرة وحكم العقل القطعيّ ، وهذان الحكمان موجودان في رتبة سابقة ، فتأتي الرّواية وتؤيّد حكم الفطرة وحكم العقل ، وتريد أن تنبّه الإنسان إلى وجود القاعدة الفطريّة والقاعدة العقليّة عنده ، وفي الرّواية أنّ دور الأنبياء عليهم السّلام هو

أن يثيروا دفائن العقول [١] ، والعقل على قسمين : عقل فطريّ وعقل استدلاليّ .

والآيات القرآنيّة والرّوايات الشّريفة على قسمين :

القسم الأول :

آيات وروايات مولويّة تأسيسيّة تؤسّس حكمًا جديدًا .

مثلًا : صلاة الصّبح ركعتان ، ففي مرتبة سابقة لا يوجد حكم بعدد ركعات الصّلاة ، وإنّما تؤسّس حكمًا جديدًا بأنَّ صلاة الصّبح ركعتان .

نسأل : هل توجد قاعدة فطريّة أو قاعدة عقليّة تقول بأنّ صلاة الصّبح ركعتان ؟

نقول : لا توجد ، والرّواية تؤسّس حكمًا جديدًا ، ولا تشير إلى حكم فطريّ أو حكم عقليّ سابق .

القسم الثاني :

آيات وروايات إرشاديّة ترشد وتشير إلى حكم فطريّ أو حكم عقليّ موجود في رتبة سابقة ، ولا تؤسّس هذا الحكم .

مثلًا الآية الكريمة : **"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا"** [٢] .

هذه الآية إشارة إلى قاعدة عقليّة ، ولا تؤسّس شيئًا جديدًا ، وإنّما تشير إلى أمر موجود عند الإنسان ، فلو وُجِدَ إلهان في الكون

---

(١) نهج البلاغة الخطبة الأولى .

(٢) الأنبياء : ٢٢ .

لفسد الكون ؛ لأنّه سيقع الصّراع بينهما ، وكلّ إله سينفرد بما خلق ، ويحاول أن يعلو على الإله الآخر .

يقول القرآن الكريم : ". . . **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** . . ." [1] .

سؤال : ما الّذي يدلّ على وجود خالق للكون ؟ هل لأنّ القرآن يقول بوجود خالق ؟

الجواب :

الفطرة والعقل يقولان بوجود خالق للكون ، ترى الكون فتقول بأنّه لا بدّ من وجود خالق ، ولنفرض أنّه لا توجد آيات ولا روايات تقول بوجود خالق ، ولكن مع ذلك نقول بوجود الخالق ؛ لأنّ هذه الآيات والرّوايات ترشد وتشير إلى حكم فطريّ أو حكم عقليّ موجود عند كلّ إنسان .

سؤال : هل الدّليل الفطريّ والدّليل العقلي حجّتان أو لا ؟

الجواب :

الدّليل الفطريّ والدّليل العقليّ حجّتان ويعتمد عليهما في استنباط الأحكام الدّينيّة ، وكلّ ما يكون فيه قطع يكون حجّة ؛ لأنّ القطع حجّة بذاته وبنفسه ، فإذا قطعت بشيء فهذا القطع حجّة عليك ، وقطعك تجريه حتّى في أمورك الدّنيويّة ، فترتّب الآثار على قطعك ، مثلًا إذا قطعت بوجود أسد خلف الباب فإنّك لا تخرج من هذا

---

[1] المؤمنون : ٩١ .

الباب ، وإذا أردت السّفر وقطعت بوجود خطر في طريق معيّن فإنّك لا تسلك هذا الطّريق ، وكلّ إنسان يرتّب الآثار على قطعه ، مثلًا مائة شخص يقولون لك بأن لا تذهب من هذا الطّريق بسبب وجود الخطر فإنّك لا تذهب من هذا الطّريق .

وكذلك في القضايا الشّرعيّة ، إذا قطع الفقيه بحكم فإنّه يحكم به ، وأنت إذا قطعت بوجود حكم وجوب صلاة الصّبح فإنّك تقوم إلى هذه الصّلاة ، وإذا قطعت بأنّ صلاة الظّهر أربع ركعات فإنّك تصلّيها أربعًا ، ووجود وجوب صلاة الصّبح وكونها ركعتين وكون صلاة الظّهر أربع ركعات تُعْتَبَرُ من الأمور البديهيّة في الإسلام ، وكلّ مكلَّف يقطع بهذه الأحكام ، ولا تحتاج فيها إلى دليل ولا إلى تقليد .

والأمر البديهيّ في الدّين هو الأمر الواضح الانتساب إلى الدّين ، فلو قال لك شخص بأنّ صلاة الظّهر ثلاث ركعات فإنّك لا تأخذ بقوله ؛ لأنّه خلاف البديهة الدّينيّة ، وجميع المسلمين يقطعون بأنّ صلاة الظّهر أربع ركعات ، ولنفرض أنّه توجد رواية منقولة تقول بأنّ صلاة الظّهر ثلاث ركعات - فإنّ الفقيه لا يأخذ بها .

ولو وردت رواية تقول بأنّ عدد الأئمّة ثلاثة عشر إمامًا - فلا نأخذ بها ؛ لأنّها تخالف القطع الموجود عندنا بأنّ عدد الأئمّة اثنا عشر .

إنّ الرّوايات الّتي تكون على خلاف ما تقطع به إذا كانت تعطي ظنًّا فالقطع مُقَدَّمٌ على الظّنّ ، حتّى في أمورك الحياتيّة إذا قطعت

بشيء وظننت بشيء آخر مخالف فإنّك تأخذ بقطعك ولا تهتمّ بالظّنّ المخالف ، والأدلة القطعيّة كما تجريها في حياتك الاعتياديّة كذلك تجريها في القضايا الشّرعيّة وتكون حجّة .

إذن :

يعتمد الفقيه على الدّليل الفطريّ والدّليل العقليّ ، وكذلك يعتمد على الأدلّة القرآنيّة والأدلّة الرّوائيّة ، ويعتمد أيضًا على سيرة المتشرّعة أي عمل المتديّنين المقرّبين من النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ، فإذا قام المتشرّعة بشيء وكانوا متّفقين عليه فسيرتهم تُعْتَبَرُ دليلًا شرعيًّا كاشفًا عن وجود دليل شرعيّ موجود بأيديهم لم يصل إلينا ، ووصلت إلينا سيرتهم ، فيعتمد على سيرة المتشرّعة المتديّنين الموجودين في زمان المعصومين عليهم السّلام ، كما يعتمد على العرف والسّيرة العقلائيّة إذا أيّدها المعصوم عليه السّلام .

والدّليل الشّرعيّ ليس مقتصرًا على الرّواية ، ولا يوجد اختلاف بين النّاس في الأدلّة الفطريّة والعقليّة والعرفيّة ، وهذا الأمر الفطريّ أو العقليّ أو العرفيّ مرتكز في أذهان جميع النّاس .

وتقديم الأعلم موجود في فطرة الإنسان وفي عقل الإنسان وفي عرف النّاس والسّيرة العقلائيّة وفي سيرة المتشرّعة ، والفطرة والعقل والسّيرة العقلائيّة والسّيرة المتشرّعيّة أدلّة قطعية ، والقطع حجّة على الإنسان في القضايا الدّينيّة وغير الدّينيّة .

وقرأنا سابقًا بعض الآيات القرآنيّة عن موضوع (الأعلم) ، ولنقرأ

هنا رواية عن حجّيّة العقل على الإنسان :

عن الإمام موسى الكاظم عليه السّلام : يا هشام ، إنّ لله على النّاس حجّتين : حجّة ظاهرة وحجّة باطنة ، فأمّا الظّاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمّة عليهم السّلام ، وأمّا الباطنة فالعقول [1] .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : بدر الشّطّيّ :

السّؤال الأوّل :

في بداية الموضوع قلتم : لا يجوز ترك الأعلم إلى العالم ، (لا يجوز) هو حكم أو بمعنى الأفضل أنّك لا تترك الأعلم ؟

السّؤال الثّاني :

هل الفطرة الدّالّة على الأخذ من الأعلم حجّة ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

جواب السّؤال الأوّل :

بعض العلماء يقولون بالاحتياط الوجوبيّ بتقليد الأعلم ، وبعض العلماء يفتون بوجوب تقليد الأعلم ، ومعناه أنّه لا يجوز تقديم العالم على الأعلم ، فلا يجوز تقديم العالم مع وجود الأعلم ، وبناءً على هذا الرّأي لا يجوز ترك الأعلم إلى العالم .

---

[1] الكافي ج١ ص١٦ .

جواب السّؤال الثّاني :

أرجو الرّجوع إلى المحاضرتين السّابقتين عن الدّليل الفطريّ ، والفطرة عبارة عن قواعد موجودة عند جميع النّاس في كلّ زمان ومكان ، أوجدها الله في خلقة الإنسان .

فإذا سألنا أيّ شخص : مع وجود الأعلم هل ترجع إلى العالم ؟

سيجيبك مباشرةً : لا أرجع إلى العالم مع وجود الأعلم .

وهذه القاعدة الفطريّة أنت تطبّقها في القضايا الدّنيويّة ، فتبحث دائمًا عن الأفضل ، وكما أنّك تبحث عن الأفضل في القضايا الدّنيويّة كذلك تبحث عن الأفضل في القضايا الدّينيّة ، فالقاعدة الفطريّة (البحث عن الأفضل) موجودة دائمًا مع الإنسان ، وقلنا بأنّ القاعدة الفطريّة هي (البحث عن الأكمل) ، وهي موجودة عند جميع النّاس ، والفطرة تدعوك إلى البحث عن الأعلم ؛ لأنّه الأكمل .

سؤال : الشّيخ عليّ مناحي :

هل هناك دليل على عدم تخصيص القاعدة العقليّة ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

إذا كان عندنا أيّ قاعدة عقليّة ، لنأخذ مثال قاعدة (البحث عن الأكمل) ، لنقل بأنّ هذه القاعدة نطبّقها في القضايا الدّينيّة ولا نطبّقها في القضايا الدّنيويّة ، هل يُقْبَلُ منك ذلك ؟

إذا لم تطبّق القاعدة العقليّة في القضايا الدّنيويّة فلا يُقْبَلُ منك ؛ لأنّه ما دام أنّها قاعدة عقليّة فلا يمكن تخصيصها في مجال دون مجال ،

سواء في المجال الدّينيّ أم في المجال الدّنيويّ ، فطبيعة القاعدة العقليّة أنّها تجري في جميع المجالات ، والعقل يقول : لا أقبل بتخصيص قواعدي ؛ لأنّ قواعدي كلّيّة عامّة شاملة لجميع المجالات .

إذا أتيت في المجال الأوّل وقلت بأنّك لا تريد أن تطبّق القاعدة العقليّة – فالعقل يقول لك : لا أقبل بعدم تطبيق قواعدي في هذا المجال ، فقواعدي كلّيّة عامّة ، وتأتي للمجال الثّاني والعقل يقول لك بأن تطبّق القاعدة .

إنّ الدّليل على عدم التّخصيص هو نفس العقل ، فالعقل لا يقبل تخصيص القاعدة العقليّة ، وكذلك العرف لا يقبل تخصيص القاعدة العقليّة ، فإذا لم يطبّق شخص القاعدة في مجال يقول له العرف : لماذا لا تستعمل عقلك فأنت عندك قاعدة عقليّة فطبّقها في هذا المجال أيضًا ؟

ففي العقائد نطبّق قاعدة (البحث عن الأكمل) ، فإذا قلت بجواز تقديم الفاضل على الأفضل وتقديم المفضول على الفاضل فالنّتيجة هي أنّك ستقول بعدم إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام وعدم استحقاقه الخلافة ، فأمير المؤمنين عليه السّلام هو أعلم الموجودين في زمانه بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، بالإضافة إلى الصّفات الأخرى ، فهو عليه السّلام أعلمهم وأتقاهم وأقضاهم وأشجعهم وأزهدهم ، فجميع الصّفات الحسنة موجودة في أمير المؤمنين عليه السّلام ، فالأكمل متجسّد فيه عليه السّلام ، لذلك لا يجوز تقدّم

أحد على أمير المؤمنين عليه السّلام ، فهذه القاعدة العقليّة نطبّقها في الفقه العقائديّ .

ونأتي إلى الفقه العمليّ والبعض يقول بجواز تقليد غير الأعلم ، وقاعدة (البحث عن الأكمل) لا بدّ من أن تجري في الفقه العمليّ أيضًا ؛ لأنّ العقل يقول : كما أنّ القاعدة تجري في القضايا العقائديّة فلا بدّ من أن تجري في القضايا الفقهيّة العمليّة أيضًا .

ويقولون بأنّه لا توجد رواية دالّة على وجوب تقليد الأعلم ، فنقول إنّ القاعدة العقليّة القطعيّة كافية ، ولا نحتاج إلى رواية ، لذلك من يقول بجواز تقليد غير الأعلم يقول بأنّه لا توجد رواية ، ولا يأخذ بالقاعدتين العقليّة والعرفيّة ، والقاعدة العقليّة لا تقبل التّخصيص لا في القضايا الدّنيويّة ولا في القضايا الدّينية ولا في أيّ مجال آخر .

شخص مريض بمرض خطير يقول بأنّه لا يريد أن يبحث عن الطّبيب الأفضل الأعلم ، وإنّما يريد أن يذهب إلى أيّ طبيب حتّى الطّبيب غير المتخصّص ، فيذهب إلى الطّبيب العامّ في المستوصف الّذي درس سبع سنوات فقط ، فعقلك لا يقبل قبل أن نرجع إلى العرف وعدم قبول النّاس ، فأنت لا تقبل أن تأخذ هذا المريض إلى الطّبيب غير الأعلم ، ففي هذا الأمر الدّنيويّ عقلك لا يقبل ، فما بالك بالأمر الأخرويّ ؟!

وطبعًا لا بدّ من أن نثبت أنّها قاعدة عقليّة قطعيّة ، فإذا ثبت أنّها قطعيّة فالقطع حجّة ، وتجري القاعدة في جميع المجالات ، وهي غير

قابلـة للتّخصـيص في مجـال دون مجـال ، وفي موضـع دون موضـع ، وطبيعـة القواعـد العقليّـة أنّهـا قواعـد كلّيّـة عامّـة شـاملة ، والعـرف لا يخصّـص القواعـد العقليّـة ، ولكـن حينمـا نأتي إلى القضـايا الدّينيّـة يقولـون بأنّـه لا يوجد دليـل ، فنقـول إنّ هـذا الـدّليل العقليّ القطعيّ موجود فكيف تقولون بعدم وجود الدّليل ؟

يقولون بأنّه لا توجد رواية ، فنقول بأنّ الأدلّة الشّرعيّة لا تقتصر على الرّوايات ، والدّليل العقليّ القطعيّ يؤخذ به في أصول الفقه وفي استنباط الأحكام الفقهيّة العمليّة .

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

أين هي القاعدة العقليّة في موضوع نسيان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

لنفرض أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى في القضايا الحياتيّة ولا ينسى في القضايا التّبليغيّة التّشريعيّة ، فحينما يقوم صلّى الله عليه وآله بعمل هل يرفع لافتة يقول بأنّه الآن هو في القضايا التّشريعيّة أو يرفع لافتة أخرى ويقول بأنه الآن هو في القضايا الحياتيّة ؟

النبي صلّى الله عليه وآله لا يرفع لافتة ، وهو صلّى الله عليه وآله يقوم بأعمال ، والمسلمون يرون النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقوم بعمل معيّن ، فإذا كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى أو يخطئ أو يسهو في أمر معيّن وسئل عن مسألة شرعيّة وأجاب فالمسلم الّذي يعتقد أنّ

النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى في القضايا الحياتيّة يأتي إليه احتمال نسيان النّبيّ صلّى الله عليه وآله للحكم الشّرعيّ أو خطئه في الحكم الشّرعيّ ، فإذا احتملنا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى في القضايا الحياتيّة فهذا الاحتمال يسري إلى القضايا التّشريعيّة التّبليغيّة وإن كان على نحو الاحتمال ، فإذا قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله إنّ صلاة الصّبح ركعتان ، واحتملنا أنّه صلّى الله عليه وآله نسي أو أخطأ وكان المفروض أن يقول ثلاث ركعات ، ولكنّه نسي أو أخطأ أو سها وقال ركعتان – فهذا الاحتمال يأتي ؛ لأنّك لا تستطيع أن تحدّد أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله في أيّ مجال يكون .

والقاعدة العقليّة القطعيّة هي أنّه لا يجوز السّهو والنّسيان والخطأ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وإذا أردت أن تجعل القاعدة في القضايا التّشريعيّة دون القضايا الحياتيّة فنقول بتخصيص القاعدة العقليّة ، والقواعد العقليّة غير قابلة للتّخصيص ، فاحتمال السّهو والنّسيان والخطأ في القضايا الحياتيّة سيسري إلى القضايا التّشريعيّة ، فحينما يقول النّبيّ صلّى الله عليه وآله شيئًا فيأتي احتمال أنّه قد سها أو نسي أو أخطأ ، فبدل أن يقول إنّ صلاة الصّبح ثلاث ركعات فإنّه قال ركعتان ، وهذا الاحتمال سيجري في القضايا التّشريعيّة ، لذلك لا نقبل القصّة الّتي تقول بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله أخطأ في موضوع تأبير النّخل ، وخلاصة القصة هي أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله سئل عن تلقيح النّخل ، فقال بأنّها لا تحتاج إلى تلقيح ، وبعد

ذلك فسد النّاتج ، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله لهم : أنتم أعلم بدنياكم .

إنّ هذه القصّة غير مقبولة ؛ لأنّها تجعل خطأً للنّبيّ صلّى الله عليه وآله في القضايا الدّنيويّة ، وما دام أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يخطئ في القضايا الدّنيويّة فمن المحتمل أنّ هذا الخطأ يسري إلى القضايا الشّرعيّة ، فيأتي احتمال خطأ النّبيّ صلّى الله عليه وآله في القضايا التّشريعيّة ، وهذا تخصيص للقاعدة العقليّة ، والقاعدة العقليّة غير قابلة للتّخصيص .

وحينما يسأل النّاس النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يقول إنّ هذا في القضايا التّشريعيّة أو هذا في القضايا الحياتيّة ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يحمل لافتةً تدلّ على أيّهما ، والمسلمون يرون النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه إنسان يُوحَى إليه ، فلا يفرّقون بين القضايا التّشريعيّة والقضايا الحياتيّة ، فحتّى في القضايا الحياتيّة حينما يقوم النّبيّ صلّى الله عليه وآله بعمل معيّن فالفقيه يستنبط منه حكمًا شرعيًّا ، وحينما يتعامل النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع زوجاته بطريقة معيّنة فالفقيه يستنبط حكمًا شرعيًّا مع أنّها قضيّة حياتيّة ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله يأكل بطريقة معيّنة ، وهذه قضيّة حياتيّة ، والفقيه يستنبط الحكم من كون النّبيّ صلّى الله عليه وآله يأكل بيده اليمنى ، فيقول إنّ الأكل باليد اليمنى مستحبّ ، مع أنّها قضيّة حياتيّة ، ولكن يترتّب عليها حكم شرعيّ .

إذن :

لا يوجد فصل بين القضايا التّشريعيّة والقضايا الحياتيّة ، وحياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله كلّها عبارة عن تبليغ وتشريع ، والأدلّة الشّرعيّة عبارة عن قول المعصوم وفعله وتقريره ، ففعل المعصوم عليه السّلام يشكّل دليلًا شرعيًّا حتّى في القضايا الحياتيّة ؛ لأنّه لا يمكن الفصل بين القضيّة التّشريعيّة والقضيّة الحياتيّة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فأفعال النّبيّ صلّى الله عليه وآله حجّة على المسلمين ، فإذا قام النّبيّ صلّى الله عليه وآله بعمل معيّن فالفقيه يستنبط حكمًا من هذا العمل سواء كان عملًا تشريعيًّا أم عملًا حياتيًّا ، وعلى الأقلّ يقول الفقيه بجواز العمل .

لنفرض أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله أكل لحمًا ، مع أنّه أمر حياتيّ وليس تشريعًا ، فالفقيه يقول بجواز أكل اللّحم ، وإذا نام النّبي صلّى الله عليه وآله على جنبه الأيمن فيقول الفقيه بجواز النّوم بهذه الطّريقة ، فالفقيه يستنبط أحكامًا شرعيّةً من القضايا الحياتيّة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وعلى الأقل يقول بالجواز ، والجواز حكم شرعيّ ، وجميع الأعمال الّتي قام بها النّبيّ صلّى الله عليه وآله يستنبط منها الفقيه أحكامًا شرعيّةً .

والأحكام الشّرعيّة على أنواع ، يوجد حكم شرعيّ ثابت من بداية حياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى يوم القيامة ، وهناك أحكام شرعيّة متناسبة مع زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

لنفرض أنّ نبيًّا بعثه الله إلى الدّول الغربيّة ، هم يجعلون الطّعام على الطّاولة ويجلسون على الكراسي ، فيقول لهم هذا النّبيّ : اجلسوا على الأرض .

هم لن يتقبّلوا منه هذا الحكم ؛ لأنّ عرفهم وعاداتهم أنّهم يجلسون على الكراسي أثناء الطّعام .

أو يدخل إلى المدارس ويقول : تخلّصوا من الطّاولات والكراسي ، وليجلس الطّلبة على الأرض .

الجلوس على الأرض وبعض العادات الأخرى تتناسب مع البيئة الّتي كانت في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فكان عرف العرب أنّهم يجلسون على الأرض ويأكلون بأيديهم ، فبعض الأحكام الشّرعيّة تتناسب مع الظّروف الزّمانيّة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله .

وكذلك بعض الآيات القرآنيّة تتناسب مع بيئة العرب ، مثلًا قوله تعالى : "**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**" (١) ، والإبل موجودة في بيئة العرب في ذاك الزّمان ، فكانوا يرون أمورًا عجيبةً في الإبل ، منها أنّها تتحمّل السّير في الصّحراء لعدّة أيّام .

ولنفرض نبيًّا بُعِثَ إلى قوم لا يعرفون الإبل ، فيقول لهم : ألا تنظرون إلى الإبل ؟

فيسألونه : ما هي الإبل لكي تكون آيةً تدلّ على وجود الله عزّ وجلّ ؟

---

(١) الغاشية : ١٧ .

يأتي لهم النّبيّ بمثال لحيوان معروف عندهم ، ويقول : انظروا إلى عجائب هذا الحيوان .

مثلًا بعض الدّول عندها النّسر ، فيقول : أفلا ينظرون إلى النّسر كيف خلق .

إنّ بعض الأحكام مطلقة ، وبعض الأحكام مقيّدة بظروف الزّمان والمكان .

سؤال : عليّ عبدالعزيز :

ورد إلى ذهني أنّه لا خلاف بين الحياة العامّة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وبين الأحكام الشّرعيّة ، هذا ما فهمته ، وما تربّيت عليه أنّه لا يجوز مطلقًا أن أفرّق بين الحياة اليوميّة للرّسول صلّى الله عليه وآله وبين الأحكام الشّرعيّة ، أرجو التّوضيح وبيان أنّ هذا صحيح أو خاطئ ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

قلنا بأنّه لا يوجد هذا الفرق ؛ لأنّ الحياة العاديّة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله يستنبط الفقهاء منها الأحكام الشّرعيّة ، ولا يوجد فعل إلّا وله حكم شرعيّ حتّى الأفعال العاديّة ، وبالنّسبة لأيّ إنسان يقوم بفعل عاديّ فلفعله حكم شرعيّ .

مثلًا أنت تأتي إلى الدّيوانية ثمّ تخرج من هنا ، وفي الطّريق تشتري شيئًا لأولادك ، هذه الأفعال كلّها ضمن الأحكام الشّرعيّة .

والإنسان حينما يقوم بأيّ عمل فهذا العمل إمّا أن يكون واجبًا

وإمّا مستحبًّا وإمّا حرامًا وإمّا مكروهًا وإمّا مباحًا ، فيوجد حكم لأيّ عمل ضمن الأحكام الخمسة ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يقوم بأفعال محرّمة ، وإذا قام صلّى الله عليه وآله بعمل فهذا العمل إمّا واجب وإمّا مستحبّ وإمّا مباح .

والفقيه حينما يرى بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قام بعمل عباديّ كصلاة ركعتين ، والصّلاة إمّا واجبة وإمّا مستحبّة ، ولا توجد صلاة مباحة ، فالعبادات إمّا واجبة وإمّا مستحبّة - فإنّه يبحث بأنّ الصّلاة الّتي صلّاها النّبيّ صلّى الله عليه وآله هل هي واجبة أو مستحبّة ؟

فإذا كانت ضمن الصّلوات الخمسة فهي واجبة ، وإذا صلّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله صلوات أخرى تطوّعًا فتكون صلوات مستحبّة .

مثلًا إذا صلّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ركعتين السّاعة العاشرة صباحًا فنقول إنّ هذه الصّلاة مستحبّة ؛ لأنّه في العاشرة صباحًا لا توجد صلاة واجبة .

إنّ فعل النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون ضمن الأحكام الخمسة سواءً كان فعلًا عباديًّا أم غير عباديّ ، ولا يوجد أيّ فعل خارج الأحكام الخمسة .

إذن :

لا يوجد تفرقة بين القضايا التّبليغيّة والقضايا الحياتيّة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله في أموره يوحى إليه ، فحينما يأتي بعمل معيّن فيكون ضمن الوحي الإلهيّ على تفصيل يأتي

في محلّه المناسب .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٤)
القرآن الكريم
أساس استنباط الأحكام الدّينيّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

الهدف من المحاضرات في هذه الدّيوانية هو إعطاء الفكر الإسلاميّ بمختلف جوانبه ؛ لكي يكون المؤمن على اطّلاع على هذا الفكر ، وبالتّالي يمكنه أن يتحرّك إلى الله تعالى ، والمواضيع المختلفة هدفها حركة المؤمن ، وأن يتكامل في حياته من ناحية علميّة ومن ناحية عمليّة ، فمن ناحية علميّة يكتسب العلم الكافي لكي يتحرّك ، وبعد اكتساب العلم يحوّل هذا العلم إلى عمل ، لا فقط أنّ المعلومات تظلّ في عالم الذّهن ، ولا تنتقل إلى قلب الإنسان ، فمن المهمّ أن

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٤/٨ م .

يكتسب الإنسان المؤمن العلم أوّلًا ، وثانيًا أن يعمل بهذا العلم .

كان بحثنا في موضوع (التّقليد والأعلميّة والمرجعيّة الرّشيدة) ، وأخذنا فيه ثلاث وعشرين محاضرة ، ونكمل إلى أن ننتهي من هذا البحث ، وأنتظر منكم الاقتراحات للبحوث القادمة وإن كان في ذهني بعض المواضيع المهمّة الّتي تمسّ حياة الإنسان المؤمن خاصّةً ، وحياة الإنسان المسلم عامّةً ، ونتكلم عن الإسلام بشكل عامّ .

خلاصة للمحاضرات السّابقة :

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (1) .

في هذه الآية الكريمة يريد الله عزّ وجلّ من كلّ فرقة في كلّ بلد أن يكون هناك منهم طائفة يتفقّهون في دين الله ، وبعد أن يتفقّهوا يرجعون إلى قومهم ؛ لكي ينذروهم ، ونتيجة هذا الإنذار هي أخذ الحذر من العقاب .

نرى في هذه الآية التّفقّه في الدّين ، يعني أنّ هناك متخصّصين يبذلون جهودهم في فهم الدّين كأيّ تخصّص من التّخصّصات الأخرى ، وحتّى في العلوم الحديثة نحتاج إلى متخصّصين في جميع العلوم كما نحتاج في الطّبّ والهندسة ، وكذلك نحتاج إلى متخصّصين

---

(1) التّوبة : ١٢٢ .

في الدّين ، وهم الّذين يمثّلون طبقة الفقهاء وعلماء الدّين ، فمثلما يوجد علماء في الطّبّ وعلماء في التّاريخ وعلماء في الجغرافيا نحتاج أيضًا إلى علماء متخصّصين في الدّين ، والتّخصّص في الدّين حاله كحال باقي التّخصّصات .

والبعض يشكل بأنّه لماذا يوجد علماء في الدّين ، فنجيب عليه بأنّه كما نحتاج إلى علماء في الطّبّ والهندسة وباقي التّخصّصات ، كذلك نحتاج إلى علماء في الدّين أي متخصّصون في الدّين ، والأمر بديهيّ ، فكما نحتاج إلى علماء في باقي التّخصّصات ، كذلك نحتاج إلى علماء في الدّين ، والأمر بديهيّ لا يحتاج إلى إثبات .

وهؤلاء العلماء يكونون فقهاء في دين الله تعالى ، أي يبذلون جهودهم في استنباط الحكم الشّرعيّ ، الحكم الّذي يريده الله ، ولكن بحسب فهم الفقيه .

نعم المعصوم عليه السّلام يستطيع أن يقول إنّ هذا هو حكم الله ، ولكنّ الفقيه يقول إنّ هذا حكم الله كما أفهمه ، فعلى حسب فهمه يستنبط الأحكام ، والأفهام تختلف من شخص لآخر .

وهذا جارٍ أيضًا في باقي العلوم ، فهذا الطّبيب حينما يواجه مرضًا معيّنًا فإنّه يشخّص هذا المرض ويعطي الدّواء المناسب ، وقد يأتي طبيب آخر ويشخّص المرض ، ولكن يعطي دواءً آخر ، فهو على حسب المعطيات والفحوصات يشخّص المرض ويعطي العلاج المناسب ، والطّبيب الآخر يشخّص على أنّه مرض آخر فيعطي

علاجًا آخر .

وكلّ إنسان يتعامل مع المعطيات على حسب فهمه وحسب المعلومات الموجودة عنده ، وعلى المنظومة العلميّة الفكريّة المعرفيّة الموجودة عنده .

وإذا كان طبيبًا في بداية حياته العمليّة فلا تكون عنده الخبرة الكافية الّتي يمكن على أساسها أن يشخّص الأمراض بشكل دقيق ، ولكنّ الطّبيب الّذي عمل في هذا المجال ثلاثين أو أربعين سنة يستطيع أن يشخّص المرض بدقّة ويعطي العلاج المناسب بشكل أفضل ، والطّبيب الثّاني يكون أعلم من الطّبيب الأوّل ، وهكذا في علم الدّين بنفس الطّريقة .

سؤال : هل نحتاج إلى التّقليد أو لا نحتاج ؟

الجواب :

الجواب بديهيّ ، فكما أنّ الجاهل بالطّبّ يرجع إلى العالم المتخصّص في الطّبّ ، كذلك الجاهل بأحكام الدّين يرجع إلى العالم المتخصّص في أحكام الدّين ، والأمر بديهيّ .

سؤال : هل نحتاج إلى الأعلم أو لا نحتاج ؟

الجواب :

كما ترجع إلى الطّبيب الأعلم كذلك ترجع إلى الفقيه الأعلم ، والأمر بديهيّ أيضًا ، والأمر عرفيّ موجود عند كلّ إنسان ، فكلّ إنسان يتحرّك على أساس هذا الأمر العرفيّ .

سؤال : هل العقل يقول بالرّجوع إلى العالم مع وجود الأعلم ؟

الجواب :

العقل يقول ارجع إلى الأعلم ، ولا تحتاج إلى آية ولا إلى رواية تقول ارجع إلى الأعلم ، وهذا دليل عقليّ قطعيّ لا ظنّيّ ، تقطع بأنّه يجب أن نرجع إلى الأعلم ، فلا ترجع إلى العالم مع وجود الأعلم ، والأمر عقليّ وفطريّ بديهيّ عند كلّ إنسان .

إذن :

أوّلًا تحتاج إلى الفقهاء أي ترجع إلى المتخصّصين في الدّين ، وثانيًا تحتاج إلى الأعلم كما هو الحال في العلوم الأخرى حيث ترجع إلى الأعلم في كلّ علم ، وهذان الأمران من الأمور البديهيّة .

وفي الأمور الدّينيّة نرجع أوّلًا إلى القرآن الكريم ، والقرآن ثابت لا تحريف فيه ، والقرآن يتناسب مع فطرة الإنسان وعقل الإنسان .

تسأل : وكيف هي الرّوايات ؟

الجواب :

الرّوايات مختلف فيها ، فأتباع كلّ مذهب وكلّ مدرسة يعتمدون على روايات معيّنة ، ولا يأخذون من المدارس الأخرى ، وفي هذه المدرسة يعتبرون ذاك الرّاوي من الوضّاعين ، وفي المدرسة الأخرى يعتبرونه من الثّقات ، فالرّوايات يقع فيها الاختلاف بين المدارس والمذاهب ، وحينما نقول الرّوايات فالمقصود الرّوايات المنقولة الّتي وصلت إلينا عن طريق الرّواة ، فنحن لم نسمع النّبيّ صلّى الله عليه

وآله أو الإمام عليه السّلام مباشرةً ، وإنّما نُقِلَتْ إلينا الرّوايات ، وهذا الرّاوي قد يكون ثقةً وقد يكون وضّاعًا ، والوضّاع يقول سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وهو لم يسمعه ، وإنّما وضع الكلام على لسان النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام ، أو قد يضع الكلام على لسان أحد الثّقات مع أنّه لم يسمع هذا الثّقة ، والوضّاع عادةً ما يكون عالما بالأسانيد ، وتكون عنده فنّيّة في وضع الرّوايات ، ويعرف أنّ هذا السّند المعيّن سند قويّ ، فيجعل كلامًا بهذا السّند القويّ ، ويعرف كيفيّة تنسيق الكلمات لتكون متوافقةً مع نسق الرّوايات ، فيضع كلامًا تتناسب مع ألفاظ النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام ، فالوضّاع لا يكون جاهلًا بالأسانيد ، فيأتي بالأسانيد القويّة والألفاظ الّتي تتناسب مع ألفاظ النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام .

وسأشير بعد ذلك إلى بعض الملاحظات عن القرآن الكريم ، وفي المحاضرات المستقبليّة سنتّجه إلى البحوث القرآنيّة .

سؤال : هل نحتاج إلى علماء الدّين في المجتمع أو لا نحتاج ؟

الجواب :

الأمر بديهيّ ، فكما تحتاج إلى الطّبيب تحتاج إلى عالم الدّين ، والطّبيب يعطيك أحكام الطّبّ على أساس فهمه لأحكام الطّبّ ، وعالم الدّين يعطيك أحكام الدّين بناء على فهمه لأحكام الدّين ، وتختلف الأفهام بين النّاس ، لذلك تختلف الأحكام بين الفقهاء

بسبب اختلاف أفهامهم ، فعند أحد الفقهاء هذا العمل مستحبّ ، وعند الفقيه الآخر نفس العمل واجب .

تسأل : هل هذا اختلاف في الدّين ؟

الجواب :

لا ، ليس اختلافًا في الدّين ، وإنّما هو اختلاف في فهم الفقهاء للنّصوص الدّينيّة ، والأفهام تختلف ، فالإسلام واحد ، ولكنّ أفهام العلماء للإسلام تختلف ، فحينما تقرأ القرآن يوجد عندك فهم للآيات ، وشخص آخر عنده فهم آخر لنفس الآيات ، وطبعًا كلّ شخص يفهم على حسب مستواه العلميّ ، فأنت تقرأ الآية وتخرج بمعنى معيّن ، والعالم يقرأ الآية فيخرج بعشرة معانٍ ؛ لأنّ المنظومة العلميّة المعرفيّة للعالم أوسع من المنظومة العلميّة المعرفيّة للإنسان العاديّ ، فيكون فهم العالم أكثر من فهم الإنسان العاديّ ، وأنت تنظر إلى آية واحدة ، والعالم ينظر إلى بقيّة الآيات الّتي لها علاقة بهذه الآية .

مثلًا الآية الكريمة : "**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً** . . ." [1] .

يأتي شخص من الأديان الأخرى ويشكل عليك بأنّ الإسلام دين القتل والقتال ، هو نظر إلى جزء من آية ، وهذه الآية لها علاقة بأجزائها الأخرى وبآيات أخرى تتحدّث عن القتال .

نقرأ الآية كاملة :

---

[1] التّوبة : ٣٦ .

"وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الـمُتَّقِينَ" [1] .

والمعنى هو : قاتلوا المشركين كما يقاتلونكم .

وفي آية أخرى : **"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الـمُعْتَدِينَ"** [2] .

هاتان آيتان تتحدّثان عن القتال ، وبربط الآيتين ببعضهما نصل إلى النّتيجة التّالية : قاتلوا المشركين الّذين يقاتلونكم .

لا بمجرّد أن ترى شخصًا كافرًا تقول بأنّه يجب قتاله وقتله ، فلا بدّ من أن تأخذ الآيات القرآنيّة المترابطة ، أي يكون عندك بحث موضوعيّ في القرآن ، وتصل إلى أنّ الإسلام ليس دين القتل والقتال بلا سبب ، كما هو الحال في كلّ دولة في العالم ، فهم يدافعون عن أنفسهم ويقاتلون من يقاتلهم ، وبنفس الطّريقة في الإسلام ، المسلمون لهم حقّ الدّفاع عن النفس ، كما أنّ المسيحيّين يدافعون عن أنفسهم ، واليهود يدافعون عن أنفسهم ، والبوذيّين يدافعون عن أنفسهم ، بشرط أن لا يعتدوا على الآخرين .

وفي الآية : **"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الـمُعْتَدِينَ"** ، وبربط الآيتين نصل إلى النّتيجة التّالية وهي : قاتلوا الّذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ولا تقاتلوا غير المعتدين ؛ لأنّ الله لا يحبّ المعتدين .

---

[1] التّوبة : ٣٦ .

[2] البقرة : ١٩٠ .

بهذه النّظرة الشّموليّة للقرآن الكريم يمكننا أن نقدّم الإسلام للعالم بما يتناسب مع فطرة الإنسان وعقله وأعرافه وإنسانيّته ، وهكذا نقدّم الإسلام للعالم بطريقة أخرى .

نقرأ في القرآن أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله رحمة للعالمين .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (١) .

ونقرأ في كتب التّاريخ قصّةً عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قتل من اليهود ٥٠٠ أو ٧٠٠ أو ١٠٠٠ شخص .

نقول إنّ هذه القصّة مكذوبة ؛ لأنّها تتعارض مع رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله المذكورة في القرآن الكريم .

والعرض على القرآن أمر مهمّ جدًّا سواء كانت هناك أحداث تاريخيّة أم روايات .

نقرأ رواية : "من بدّل دينه فاقتلوه" ، ونعرض هذه الرّواية على القرآن ، والقرآن يقول : **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"** (٢) .

فلا يجوز أن تجبر أحدًا على اتّخاذ دين معيّن ؛ لأنّ الإسلام يدعو إلى (حرّيّة الاعتقاد) .

يقول القرآن الكريم :

"وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" (٣) .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) الكهف : ٢٩ .

ليس من حقّ أيّ أحد أن يقتل شخصًا يتّخذ دينًا آخر غير دينه .

تقول : هو مسلم خرج من الإسلام .

نقول : الآية تقول : "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**" .

وأيّ رواية تأتي خلاف (حرّيّة الاعتقاد) فهذه الرّواية لا يؤخذ بها ؛ لأنّها تعارض القرآن ، والقرآن هو الأصل والأساس ، ويتمّ عرض جميع الرّوايات والأحداث التّاريخية على القرآن ، والقرآن هو المقياس ، فإذا أراد الشّخص أن يكون ملحدًا فليس من حقّك أن تقتله ، نعم من حقّك أن تناقشه ، فتفتح باب النّقاش العلميّ معه ، وتسأله عن الأسباب الّتي جعلته يخرج من الإسلام ، قد يكون بسبب ممارسات المسلمين ، فالشّخص حينما يرى بأنّ المسلمين يقتلون بعضهم بعضًا ويقولون بأنّ الإسلام دين الإرهاب ، فهل نتوقّع من النّاس أن يدخلوا في الإسلام ؟!

يبقى على مسيحيّته أو ينتقل إلى المسيحيّة ؛ لأنّه يظنّ بأنّ المسيحيّة دين السّلام بسبب دعوته النّظريّة إلى السّلام .

ويرى ممارسات المسلمين فيقول : ما دام أنّ الإسلام بهذه الطّريقة فأنا لا أؤمن بهذا الخالق الّذي يدعو إلى قتل الآخرين .

ويأتون بالآيات الّتي تدعو إلى القتل والقتال ، فيدخل إلى الإلحاد ، أو أنّه يقول بوجود خالق لهذا الكون ، ولكن لا يعتقد بالنّبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّ الإرهابيّين يقولون عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله بأنّه قتّال ، بدل أن يكون رحمةً للعالمين .

والإنسان الشّرقي أو الغربيّ حينما يرى بأنّ واقع المسلمين واقع سيّئ فمن الطّبيعي أنّه لا يدخل الإسلام .

وأنت افرض نفسك من الخارج وترى بأنّ التّخلّف موجود في بلاد المسلمين ، وأكثر الشّعوب تخلّفًا الشّعوب المسلمة ، فالطّائفيّة منتشرة ، والفقر موجود ، والأمّيّة منتشرة ، ولا يوجد حبّ العلم عند المسلمين ، ولا يوجد أيّ اختراع ، وتريد من الشّخص الشّرقي والغربيّ أن يتحوّلا إلى الإسلام ؟!

قل لشخص يابانيّ : ادخل إلى الإسلام .

واليابانيّ يحب العلم ، سيسألك : ماذا عندكم من العلم ؟

والمفروض أنّ صفة طلب العلم تكون في الإنسان المسلم ؛ لأنّ أوّل آية نزلت هي : "**اقْرَأْ** . . ." [1] .

وللأسف أنّ المسلمين ليسوا من القرّاء ، وليسوا من طلبة العلم ، فأمّة (اقْرَأْ) لا تقرأ .

والمدار ليس على الاسم ، فالله حينما يحاسب في عالم البرزخ أو في يوم القيامة يسألك : ما هو دينك ؟

تقول : أنا مسلم .

نسأل : هل الحساب يكون على الهويّة ؟

تأخذ معك جنسيّتك أو جوازك أو شهادة الميلاد ومكتوب فيها (مسلم) ، فتقول الملائكة لك : تفضّل إلى الجنّة بلا حساب .

---

[1] العلق : ١ .

الأمر ليس هكذا ، فالله عزّ وجلّ يحاسب الإنسان على واقعه ، أنت مسلم فأيّ صفة من صفات المسلمين أخذت بها ؟

أوّلًا : هل أنت من قرّاء القرآن ؟

وثانيًا : ما هي القيم العليا الموجودة في القرآن والّتي حقّقتها في نفسك ؟

هذا هو واقع الإسلام ، والإنسان يُحَاسَبُ على واقعه لا على الهويّة واللّفظ والشّعار .

ذاك الإنسان اليابانيّ يكون اسمه بوذيًّا ، ولكنّه قد يحمل تعاليم الإسلام أكثر من المسلمين ، والّذي اسمه مسلم ويقتل المسلمين يكون مستحقًّا للجنّة ، وذاك الإنسان الّذي يسعى إلى السّلام وينشر السّلام في العالم يدخل إلى النّار ؟!

هل هذا يتناسب مع عدل الله تعالى ؟

الله عزّ وجلّ عادل ، وينظر إلى واقع الإنسان لا إلى عنوان الإنسان وشعاراته ، واقعك ما هو ؟

قد يوجد إنسان لا يعتنق الإسلام ، ولكنّه يستحقّ الدّخول إلى الجنّة ، والّذي اسمه مسلم لا يستحقّ الجنّة ، فالمدار ليس على الاسم والعنوان ، وإنّما المدار على واقع الإنسان .

أنت مسلم فماذا حقّقت من واقع الإسلام في نفسك وأعمالك ؟

حينما ينظرون إلى واقع المسلمين فمن الطّبيعيّ أنّ غير المسلم لا يدخل إلى الإسلام ؛ لأنّ واقع المسلمين سيّئ ، فهذا الشّخص يكون

معذورًا أو غير معذور ؟

ويمكن له يوم القيامة أن يقول : يا ربّي ، إنّ المسلمين أساءوا إلى هذا الدّين ، فأنا لم أسلم ؛ لأنّ واقع المسلمين سيّئ .

فيكون معذورًا ؛ لأنّه قاصر لا مقصّر ، والله بعلمه يعرف أنّ هذا الشّخص صادق ، وأنّه رأى واقع المسلمين السّيّئ ، بخلاف بعض المسلمين الّذين يفترون ويكذبون على الأديان والمذاهب الأخرى ؟

هذا المسلم المفتري الكذّاب ، وذاك غير المسلم الصّادق ، فكيف نقول بأنّ الله يدخل المفتري الكذّاب إلى الجنّة ، ويدخل الصّادق إلى النّار ؟!

هذا لا يتناسب مع عدل الله تعالى .

قد يكون اسمه الظّاهري ملحدًا ، ولكنّه يعتقد بتعاليم الإسلام ويطبّق تعاليم الإسلام ، وهذا الإلحاد قد يكون نتيجة شبهات بسبب واقع المسلمين السّيّئ .

وشخص قد يعتقد بوجود خالق ، ولكنّه لا يعتقد بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّ المسلمين لم يطبّقوا تعاليم النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إذن :

كلّ ما يتعارض مع القرآن الكريم لا نأخذ به ، ومن يحقّق تعاليم القرآن يكون مسلمًا واقعًا ، وإذا لم يحقّق تعاليم القرآن يكون مسلمًا بالاسم والعنوان ، ولكنّه لا يكون مسلمًا في الواقع .

الآية الكريمة تقول :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [1] .

لم تقل الآية كرّمنا المسلمين فقط ، بل كرّمنا جميع بني آدم ، وبنو آدم يعني كلّ إنسان ، فكلّ إنسان له كرامة ، أنت كمسلم إذا أهنت الخادمة في بيتك فأنت لم تطبّق هذه الآية ، وإذا تعاملت مع شخص غير مسلم بتعالٍ وتكبّر فأنت لم تطبّق دعوة القرآن الكريم إلى كرامة الإنسان .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : . . . فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين وإمّا نظير لك في الخلق . . . [2] .

كلّ إنسان مثلك في الخلق ، وجميع النّاس ينتهي نسبهم إلى أبينا آدم عليه السّلام ، فجميعهم إخوة وأخوات ، وكلّ إنسان له الحقّ في أن يعيش بعزّة وكرامة ، والمسلم لا بدّ من أن يحقّق هذه الكرامة لنفسه وللآخرين ، فتتعامل مع غير المسلم على أنّه ذو كرامة ، ولا يتعالى المسلم على غيره ، فيقول : أنا مسلم ، وفي نفس الوقت يتكبّر على الآخرين ، والتكبّر خلاف تعاليم القرآن الكريم .

يقول القرآن الكريم :

". . . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" [3] .

---

[1] الإسراء : ٧٠ .

[2] شرح نهج البلاغة للشّيخ محمّد عبده ج٣ ص٨٢-١١١ .

[3] غافر : ٣٥ .

"**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**" [1] .

عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا : "لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كِبْرٍ" [2] .

وإذا كان لكلّ إنسان كرامة فلا يجوز الاعتداء عليه ، وهذه الأحكام نفهمها من القرآن ، وهي أحكام إنسانيّة ، فالإنسان الشّرقيّ والغربيّ إذا سمع بتعاليم القرآن الّتي تتناسب مع فطرة الإنسان وإنسانيّة الإنسان فإنّه يُسْلِمُ ، وإذا عرضنا القيم القرآنيّة للعالم فالعالم بطبيعته سيسلم حتّى لو كان واقع المسلمين سيّئًا ، وسيتحوّلون إلى مسلمين حقيقيّين واقعيّين ، كما هو حال الأشخاص من الأديان المختلفة الّذين يدخلون إلى الإسلام ، ويصيرون مسلمين أفضل من المسلمين ، حتّى لو كانت ممارسات المسلمين سيّئةً ، ولكنّه يصير مسلمًا صالحًا ؛ لأنّه يأخذ التّعاليم من القرآن الكريم .

وأطرح مسألةً من الفقه العمليّ ؛ لنرى أنّ هذه المسألة تتناسب مع الآية الكريمة : "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**" أو لا تتناسب ، لن أستنبط حكمًا شرعيًّا ، وإنّما نريد أن نعرف أن بعض الأحكام المطروحة تتناسب مع كرامة الإنسان أو لا تتناسب ، وهي مسألة نجاسة الكافر ، والمسألة موجودة في الرّسائل العمليّة ، هل الإنسان طاهر ذاتًا أو يوجد بعض النّاس النّجسون ذاتًا ؟

---

(1) غافر : ٧٦ .

(2) الكافي ج٢ ص٣١٠ ح٦ .

الآية تقول بكرامة الإنسان ، فإذا قلنا بوجود إنسان نجس ، فهل هذا القول يتناسب مع كرامة الإنسان ؟

الجواب هو أنّ هذا القول لا يتناسب مع كرامة الإنسان ، ونحن هنا لا نستنبط حكمًا شرعيًّا ، وجميع الأحكام لا بدّ من أن تُعْرَضَ على القرآن ، فنعرض الرّوايات والأحداث التّاريخيّة على القرآن ، وكذلك نعرض الأحكام الّتي يستنبطها الفقهاء على القرآن ؛ لأجل أن نرى أنّ هذه الأحكام تتوافق مع القرآن أو لا تتوافق ، فالنّجاسة الذّاتيّة لأيّ إنسان لا تتناسب مع كرامة كلّ إنسان .

تحكم بنجاسة إنسان وتريد أن تدعوه إلى الإسلام ، فيقول لك : أنت تقول بنجاستي فكيف تدعوني إلى الإسلام ؟!

وبعض الفقهاء عندهم أنّ جميع النّاس طاهرون ذاتًا ، بما فيهم الكافر الّذي لا يعتقد بوجود الله ، سواء كان بوذيًّا أم كان يعبد بقرةً أو قردًا أو يقدّسهما أم كان يعبد أيّ شيء كأن يعبد صنمًا ، هذا الإنسان من ناحية ظاهريّة طاهر ، نعم توجد نجاسة باطنيّة معنويّة ، والنّجاسة الباطنيّة المعنويّة لا تدور مدار الاسم والعنوان والشعار ، لا لأنّه مسلم ظاهرًا فيكون باطنه نظيفًا طاهرًا ، بل لا بدّ من أن يكون مسلمًا حقيقيًّا ؛ لأجل أن يكون باطنه طاهرًا ويكون طاهرًا معنويًّا ، وقد يوجد شخص عنوانه بحسب هويتّه (مسلم) ، ولكنّه نجس باطنيًّا ؛ لأنّه قاتل للنّفس المحترمة ومختلس للأموال ومجرم من مجرمي زمانه .

إذن :

كلّ ما يوجد عندنا لا بدّ من أن يُعْرَضَ على القرآن ؛ لكي نقول إنّ هذا يتناسب مع القرآن وذاك لا يتناسب .

مثلًا إذا كان القرآن يدعو إلى حرّيّة الاعتقاد فيكون كلّ إنسان حرًّا في اختيار عقيدته ، نعم ينفتح باب النّقاش العلميّ بين الأديان والشّرائع والمذاهب والمدارس المختلفة .

ويكون النّقاش مع من لا يعتقد بالإسلام ومع الملحدين نقاشًا علميًّا على أساس الدّليل ، وباب النّقاش معناه الاحترام ، فإذا أردت أن تبدأ نقاشك مع أحد فلا تبدأ كلامك بقولك : أنت نجس ؛ لأنّه لن يتقبّل النّقاش معك ، وإذا بعد النّقاش لم يقتنع بأدلّتك فهو حرّ ، وحساب الجميع على الله كما أنّ حسابك على الله ، هو حرّ ، وليس من حقّك أن تطعن في عرضه أو تسلب ماله أو تعتدي عليه .

وإذا كان عندك جار غير مسلم فيجب أن تحسن إليه ، وقصّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع جاره اليهوديّ الّذي كان يؤذيه ، ومرض فزاره النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأسلم اليهوديّ بسبب المعاملة الحسنة الّتي صدرت من النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إنّ المعاملة الإنسانيّة تؤثّر على النّاس ، ولو أنّ المسلمين عندهم المعاملة الحسنة مع جميع النّاس لكان النّاس يتأثّرون بالإسلام ، ولقالوا إنّ التّعاليم الإنسانيّة الموجودة في الإسلام من أفضل التّعاليم ، ولكنّ المشكلة هي أنّ المسلمين لا يطبّقون هذه التعاليم ، فالعيب ليس في

الإسلام ، وإنّما العيب في المسلمين .

وبعض الّذين يخرجون من الإسلام ليسوا ملحدين ، فهم واقعًا يبحثون عن الحقّ ، ولكن بسبب ممارسات المسلمين يخرجون من الإسلام ، فعندهم البحث عن الحقّ ، ولكنّهم يخطئون الطّريق ؛ لأنّهم يرون ممارسات المسلمين فيظنّون أنّ هذه الممارسات جزء من الإسلام .

ولو ذهب غير المسلمين إلى القرآن لرأوا تعاليم القرآن ، وإذا نظروا إلى تعاليم القرآن لعلموا أنّها تتناسب مع فطرة الإنسان ومع الأخلاق الإنسانيّة العامّة ، وإذا عرف ذلك فمن الطّبيعيّ أن يدخل إلى الإسلام ، ويصير أفضل من باقي المسلمين ؛ لأنّه دخل الإسلام بدراسة واقتناع لا وراثة .

والشخص حينما يدعو إلى الإسلام لا بدّ من أن يلتزم بهذه التّعاليم ، لا يأخذ آية واحدة فقط ويريد أن يطبّق الدّين ، لا بدّ من أن ينظر إلى الموضوع ضمن الآيات القرآنيّة المختلفة ، فتوجد آيات تتحدّث عن نفس الموضوع ، يأخذ جميع هذه الآيات ثمّ يستنتج ويخرج بالنّتيجة النّهائيّة .

والقرآن الكريم لا بدّ من أن يكون له دور في حياتنا ، وهو محور حياتنا ، وجميع البحوث تأتي من خلال البحث القرآني أوّلًا ، حتّى بحث (التّقليد والأعلميّة) ، كم من الآيات تتحدّث عن وجود التّفاوت في العلم .

مثلًا : "**قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ**" [١] .

"**بَسْطَةً فِي العِلْمِ**" أي هو الأعلم ، لذلك نشترط أنّ النّبيّ عليه السّلام يكون أعلم أهل زمانه ، والإمام المعصوم عليه السّلام يكون أفضل أهل زمانه ؛ لأنّ مسألة الأعلميّة أمر بديهيّ موجود عند كلّ إنسان .

وبعد الانتهاء من بحث (التّقليد والأعلميّة والمرجعيّة الرّشيدة) سنذهب إلى القرآن الكريم ، ونحتاج مواضيع كثيرة عن القرآن ؛ لكي نتعرّف على القرآن ، والمواضيع الفكريّة موجودة ، وسنطرح مجموعةً من هذه المواضيع ، ونحاول أن يكون منطلقنا منطلقًا قرآنيًّا ، فنأتي بالآيات القرآنيّة الّتي تتحدّث عن هذه المواضيع ؛ لكي نحيي القرآن الكريم في حياتنا .

يقول القرآن الكريم على لسان النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

"**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْءَانَ مَهْجُورًا**" [٢] .

والآن المسلمون عندهم قراءة القرآن والتّركيز على الحفظ والتّجويد فقط ، ويوجد اقتراح بأنّ (دور تحفيظ القرآن الكريم) تتغيّر إلى (دور تدبّر القرآن الكريم)، لا التّركيز على الحفظ والتّجويد فقط ، فالحفظ ليس أهمّ من التّدبّر ومعرفة معاني القرآن ، فتتحوّل دور حفظ القرآن

---

(١) البقرة : ٢٤٧ .

(٢) الفرقان : ٣٠ .

إلى دور تدبّر القرآن ؛ لكي نبيّن للمشاركين ما هو القرآن ، لا فقط أنّ الطفل يحفظ ألفاظ القرآن ولا يعرف المعاني ، يحفظ القرآن وفي نهاية المطاف يصير إرهابيًّا ، فهم يحفظون القرآن بشكل جيّد ، ولكنّهم لا يفهمون القرآن لعدم وجود التّدبّر عندهم .

لا بدّ من أن نتّجه إلى معرفة القرآن وفهمه ، وهذا دور جميع المسلمين ، نبدأ بقراءة القرآن ، الخمسون آية المستحبّة يوميًّا ، ولكن لا فقط لقلقة لسان وأنت تفكّر في مواضيع أخرى ، حاول أن تتدبّر فيما تقرأ ، والآيات نتدبّر فيها حتّى يمكن لنا أن نفهم القرآن .

نسأل : أيّها المسلم ، ماذا يريد منك القرآن ؟

ويمكننا أن نستخرج التّعاليم والقيم القرآنيّة المختلفة ، ونعرضها على العالم ، وتأكّدوا بأنّ العالم سيدخل الإسلام ، ولا نقصد زيادة عدد المسلمين ، وإنّما زيادة الإسلاميّين أي الّذين يطبّقون الإسلام بدقّة ، ويكونون انعكاسًا لهذا الدّين ، لا فقط زيادة العدد ، والآن الحرص فقط على أن يتشهّد الشّخص الشّهادتين ، ويكون الحرص على زيادة العدد ، ويظلّ على وضعه لا يختلف بشيء ، وكذلك يركّز على الصّلاة الظّاهريّة فقط ، ونسأل : أيّها المسلم ، لماذا تصلّي ؟

يأتي بأقوال وأفعال الصّلاة فقط ، وبعد الصّلاة ينتهي الأمر بدون أيّ تأثير للصّلاة على حياته ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم :

". . . **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**" (١) .

---

(١) طه : ١٤ .

فالهدف من الصّلاة هو ذكر الله عزّ وجلّ .

ويقول تعالى :

"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالـمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" [1] .

إنّ الغاية من الصّلاة هي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر أي الانتهاء عن المعاصي .

هذه هي قيم القرآن حتّى في العبادات ، وانظر إلى الآيات الكريمة الّتي تتحدّث عن العبادات وستجد أنّها تربط العبادات بأمور أخرى عقائديّة وأخلاقيّة .

يقول القرآن الكريم :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [2] .

ربط القرآن الكريم الصّيام بالتّقوى ، ربط بين مسألة عمليّة وأمر أخلاقيّ .

لا بدّ من أن نطرح القيم لا التّركيز على الفقه العمليّ فقط ، بل ربط الفقه العمليّ بالفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، لذلك في محاضراتنا نحاول أن نربط بين المواضيع المختلفة ، نعم عندنا بحث (التّقليد والأعلميّة) ، ولكن ربطنا هذا البحث بالعقائد والتّوحيد ،

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) البقرة : ١٨٣ .

والانطلاقة تكون من أصل العقائد ، وبدأنا من وجود خالق للكون وانتهينـا إلى التّقليـد والأعلميّـة ، وأتينـا بـبعض القواعـد العقائديّـة وطبّقناها في الفقه العمليّ ، والبحث عن الأعلم مصداق من مصاديق البحث عن الأكمل ، وحينما نبحث عن الأكمل نصل إلى الله عزّ وجلّ ، فنعتقد بالتّوحيد بسبب وجود قاعدة فطريّة وقاعدة عقليّة عند كلّ إنسان ، وهي البحث عن الأكمل ، ويوجد ارتباط عقائديّ مع الفقـه العملـيّ ، فـالبحوث الفقهيّـة العمليّة مرتبطـة بالبحـوث الفقهيّة العقائديّة والبحوث الفقهيّة الأخلاقيّة .

ولا بدّ من أن نقدّم الإسلام على أساس المنظومة الشّموليّة للدّين ؛ لأنّ الآية الكريمة تقول : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" (١) .

نتظر إلى الدّين على أنّه منظومة واحدة كاملة شاملة لحلّ مشاكل البشريّة ، لا فقط حكم عباديّ تصلّي وتصوم ، فلا بدّ من أن يقدّم الدّين منظومة لحلّ مشاكل النّاس في العالم ، فالفقر المنتشر في العالم لا بدّ من أن يقدّم الدّين له حَلًّا ، والمشاكل السّياسيّة لا بدّ من أن يقـدّم الـدين لهـا حَـلًّا ، والمشـاكل بـين المـؤمنين وبـين المسـلمين ، والمشاكل في العالم بين النّاس الدّين يقدّم لها حَلًّا ، لا بدّ من أن يعطي الدّين حلولًا لجميع المشاكل الفرديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة وأيّ نوع آخر من المشاكل .

وهذا هو دور علماء الدين بأنّهم يأتون إلى القرآن وما ثبت من

---

(١) التّوبة : ١٢٢ .

الرّوايات بعد عرض الرّوايات على القرآن ، فنعرض الرّوايات على القرآن ونأخذ الرّوايات الّتي تتناسب مع القرآن ، والرّوايات تدور مدار القرآن ، فالأصل هو القرآن ، والرّوايات الصّحيحة تدور مع القرآن ، فتكون عندنا منظومة شاملة مكوّنة من القرآن والرّوايات الّتي تتوافق مع القرآن ، والرّوايات الّتي تخالف القرآن مرفوضة ؛ لأنّه عندنا منهج عرض الرّوايات على القرآن ، فإذا الرّواية خالفت القرآن فاضربوا بها عرض الحائط ، وهي زخرف لا قيمة لها ، كما يقول النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام .

خطب النّبيّ صلّى الله عليه وآله بمنى فقال : أيّها النّاس ، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله [1] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله :إذا جاءكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاقبلوه ، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط [2] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه [3] .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسّنّة ،

---

(1) الكافي ج١ ص٦٩ ح٥ .

(2) مجمع البيان للشّيخ الطّبرسيّ ج١ ص١٣ .

(3) الكافي ج١ ص٦٩ ح١ .

وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف [1] .

وفي الأسبوع القادم نكمل بحث التّقليد والأعلميّة ، وحينما ننتهي ننتظر اقتراحاتكم عن المواضيع الّتي يمكن أن نطرحها ، وتوجد عندي مجموعة من الأفكار ، ونستفيد من المواضيع الّتي نحتاجها ، ونحاول قدر الإمكان أن تمسّ هذه المواضيع حياتنا ، ونطرح بعض البحوث القرآنيّة لنعرف أنّ القرآن إلى ماذا يدعونا ؟ وما هي القيم القرآنيّة ؟

ويمكن أن نبدأ عن التّوحيد في القرآن ، والنّبوّة في القرآن ، والإمامة في القرآن ، والمعاد في القرآن ، والمسائل الأخلاقيّة في القرآن ، وتوجد آيات كثيرة تتحدّث عن المسائل الأخلاقيّة ، وتوجد آيات كثيرة تتحدّث عن العقائد ، ويقال بأنّه توجد عن المعاد فقط ألف وأربعمائة آية ، وآيات الأحكام في الفقه العمليّ خمسمائة آية تقريبًا ، والآن تركيزنا على الفقه العمليّ أي الرّسالة العمليّة .

ونحتاج أوّلا إلى رسالة عقائديّة ، وثانيًا رسالة أخلاقيّة ، وثالثًا رسالة عمليّة ؛ لكي تكون عندنا النّظرة الشّموليّة للدّين ، ونتعامل مع الأشياء على أساس النّظرة الشّموليّة ، فكلّ عمل تريد أن تقوم به يوجد له حكم عقائديّ وحكم أخلاقيّ وحكم عمليّ ، وهذه الأحكام الثّلاثة لا بدّ من أن تسير معك جنبًا إلى جنب لا الحكم العمليّ فقط ، فالمكلّف يتعلّم كيفيّة الصّلاة ، ولكنّه لا يتعلّم الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ للصّلاة ، وهو يقول : أصلّي قربةً إلى

---

[1] الكافي ج١ ص٦٩ ح٣ .

الله تعالى ، (أصلّي) مرتبط بالفقه العمليّ ، و(قربةً) مرتبطة بالفقه الأخلاقيّ ، و(إلى الله تعالى) مرتبط بالفقه العقائديّ ، فنحتاج في جميع الأعمال إلى الأنواع الثّلاثة من الفقه ، والمواضيع ستأتي إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : فالح غزال :

ذكرتم في المحاضرة عن (حرّيّة الاعتقاد) ، ونفهم أنّ كلّ شخص حرّ في عقيدته ، ويوجد حكم حدّ الرّدّة ، فما هو تعليقكم ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

سأتناول هذا الأمر في موضوع مستقلّ إن شاء الله في بحوث الفقه العمليّ ، وسنبيّن قضيّة الرّدّة وهل قتل المرتد يتناسب مع القرآن أو لا يتناسب ، وفي محاضراتنا لا نستنبط أحكامًا شرعيّةً ، ولكن نحاول أن نعرض الرّوايات على القرآن الكريم لنرى أنّها تتوافق مع القرآن أو لا ، وبحوثنا بحوث نظريّة لا بحوث فتوائيّة ، والبعض يعترض ويقول بأنّك تطرح فتاوى خلاف فتاوى الفقهاء .

والجواب هو أنّني لا أطرح فتاوى ، وإنّما أبحث بحثًا نظريًّا في أنّه هل يمكن أن نفهم من القرآن الكريم والرّوايات فهمًا آخر غير الفهم المتعارف ، وطبعًا مع وجود الدّليل على ما نطرح ، والدّليل قد يكون

السّياق القرآنيّ للآية ، والرّوايات تُعْرَضُ على القرآن ، وقد توجد في الرّواية بعض الكلمات الّتي تكون قرينةً على الفهم الآخر ، وكلّها بحوث نظريّة ، ولا أطرح فتاوى لِيُشْكَلَ بأنّها خلاف فتاوى الفقهاء .

تعليق : حسين سلمان الحدّاد :

بالنّسبة للمشركين غير الكتابيّين طرحتم عدم نجاستهم ، والمعروف هو نجاستهم .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

قلنا بأنّه لا نستنبط أحكامًا شرعيّةً ، وكلّ شخص يرجع إلى مرجعه لأخذ الحكم ، ولكن مثل هذه المسألة لو عرضناها على القرآن فإنّه توجد آية تتحدّث عن (كرامة بني آدم) ، فنسأل : هل نجاسة الإنسان تتناسب مع كرامته وأن الله كرّمه أو لا ؟ ماذا تجيبون ؟

النّجاسة لا تتناسب مع إكرام الله له ، ويوجد بعض الفقهاء يقولون بطهارة كلّ إنسان ، فمطلق الإنسان طاهر ، والمسألة مختلف فيها بين الفقهاء ، ولو عرضنا هذه المسألة على القرآن الكريم فإنّنا نصل إلى نتيجةٍ وهي طهارة كلّ إنسان .

نحتاج إلى عرض الرّوايات والأحكام على القرآن ؛ لأجل الوصول إلى النّتائج ، قد تكون نتائج جديدة ، وبعض الفقهاء عندهم هذه المسائل الجديدة ، وهي ليست خلاف فتاوى جميع الفقهاء ، بل إنّ بعض الفقهاء يتبنّون هذا الرّأي ، نعم قد لا يكون هو الرّأي المشهور المعروف ، ولكن كرأي فقهيّ هو موجود .

مثلًا حكم قتل المرتدّ هو المشهور أو المجمع عليه ، وكذلك نجاسة الكافر غير الكتابيّ ، بل حتّى الكافر الكتابيّ ، وقد يُعْتَرَضُ على اصطلاح (الكافر الكتابيّ) ؛ لأنّ أهل الكتاب يعتقدون بالله ، فمن غير المناسب أن نقول عنهم (كفّار) ؛ لأنّ الكافر هو من لا يعتقد بالله ، وأهل الكتاب يعتقدون بالإله ، نعم المسيحيّ يقول عنه واحد مركّب من ثلاثة : الله والابن وروح القدس ، فهو يعتقد بالله ، واليهوديّ يعتقد بالله ، فلا يمكن أن نطلق عليه لقب (الكافر) ، فالكافر هو من لا يعتقد بالله ، فيكون كافرًا بالله مثل الملحدين الّذين لا يعتقدون بوجود الإله الخالق للكون .

والبعض يعتقد بوجود إله واحد خالق للكون ، ولكنّهم لا يعتقدون بالأنبياء ، فهؤلاء يؤمنون بوجود إله خالق ، فهم موحِّدون ، فلا يكونون كفّارًا ملحدين ، وواقع المسلمين يجعلهم لا يعتقدون بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله .

ولنفرض شخصًا كافرًا ، ولكنّه يبحث عن الحقيقة ، فيرى الأديان المختلفة الموجودة في العالم ويبحث فيها ، ولكن توفّاه الموت قبل أن يصل إلى الجواب ، نسأل : هل هذا في واقعه مسلم أو غير مسلم ؟

هو باحث عن الحقيقة ، ومن صفات المسلم الحقيقيّ أنّه يبحث عن الحقيقة .

مثلًا كان بوذيًّا باحثًا عن الدّين الصّحيح ، ولكن الله لم يُطِلْ عمره لأجل أن يصل إلى الحقيقة ، فنسأل : هل هذا يذهب إلى نار

جهنّم أو أنّه يدخل الجنة ؟

مثل هذا الإنسان يدخل إلى الجنّة مع أنّه لحدّ الآن لم يصل إلى الحقيقة ، وهكذا نستنتج بأنّ الجنّة ليست للمسلمين فقط ، حتّى أتباع الأديان الأخرى ممّن أسماؤهم مسيحيّ أو يهوديّ ، وحتّى من يكون اسمه ملحدًا ، قد يكون في واقعه مؤمنًا ؛ لأنّ الحساب يكون على الواقع لا على الاسم والعنوان .

وبعض المسلمين أخلاقهم سيّئة جدًّا ، مثلًا يؤذي جيرانه ، وقد تجد شخصًا اسمه (بوذيّ) ، ولكنّه يحسن معاملة جيرانه .

ويقال إنّ كلّ مسلم يدخل الجنّة حتّى لو كانت أخلاقه سيّئةً ، وكلّ بوذيّ يدخل النّار حتّى لو كانت أخلاقه حسنةً .

نقول إنّ الله عادل في حسابه ، فهذا البوذيّ الحسن الخُلُق قد لا يدخل الإسلام بسبب المسلم السّيّئ الخُلُق ، فعدم إسلامه راجع إلى هذا المسلم السّيّئ الخُلُق ، فهذا المسلم يُحَاسَبُ ؛ لأنّه كان سببًا في عدم دخول هذا البوذيّ في الإسلام .

والحساب لا يكون على الاسم والهويّة والعنوان ، بل يكون على واقع الإنسان ، فلا بدّ من أن تحرص على واقعك ومضمونك الحقيقيّ لا فقط على الاسم والعنوان ، لا فقط أنّ اسمي وعنواني أنّني من أتباع أهل البيت عليهم السّلام ، وإنّما ماذا حقّقت من تعاليم الإسلام وأهل البيت عليهم السلام في نفسك ، لا فقط الاسم ، وتقول بأنّ كلّ شيعيّ يدخل إلى الجنّة ، والحساب ليس على الاسم ، نعم المسلم

الحقيقيّ يدخل إلى الجنّة ، والشّيعيّ الّذي واقعه هو الإسلام يدخل الجنّة ، والقيم القرآنيّة والرّوائيّة لا بدّ من أن يحقّقها ؛ لكي يكون مسلمًا حقيقيًّا وَيُحْشَرُ مسلمًا .

وفي بعض الرّوايات أنّه في الدّنيا يوجد أناس مؤمنون ، ولكنّهم يُحْشَرُونَ كفّارًا .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : ". . . فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر ، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله" [1] .

النّظر يكون إلى الواقع ، فهم في الدّنيا مؤمنون ظاهرًا ، ولكن في واقعهم هم كفّار لا يعتقدون بالله ، فيذهب إلى عالم البرزخ والعقائد الّتي قال بأنّه يعتقد بها يتركها خارج القبر ، يقول بأنّه يعتقد بالله ، ويدخل القبر مع عقائده الحقيقيّة ، وهو الكفر بالله ، ففي واقعه هو غير معتقد بالله ، والعقائد الحقيقيّة للإنسان تظهر حينما يُصَابُ ببلاء أو يقع في مشكلة .

مثلًا يقول : لو أنّ الله موجود لما أصابني هذا البلاء ، ولو أنّ الله موجود لما أصيب ولدي بمرض خطير .

هذه الكلمات تكشف عن واقعه ، وهو عدم اعتقاده بالله ، ومعناه أنّه ما دام أنّ الله أصابه بالبلاء فالله غير موجود ، مع أنّه يقول بلسانه أمام النّاس إنّه مؤمن ، والإنسان لا بدّ من أن يكون حريصًا

---

[1] الكافي ج٢ ص٣٩ ح٨ .

على كلماته ؛ لأنّها تكشف عن واقعه ، والكلمات لا بدّ من أن تكون معبّرة عن واقعه ، فإذا كان في واقعه مؤمنًا فكلماته تعبّر عن إيمانه .

مثلًا يقول : الحمد لله الّذي لا يُحْمَدُ على مكروه سواه ، والله حكيم حينما يصيبني بالبلاء ، ويريد أن أزداد إيمانًا إلى إيماني .

إنسان فقير يسعى كثيرًا ، ولا يحصل على وظيفة ، فيقول مثلًا : لماذا الله يرزق الآخرين ولا يرزقني ؟

هي كلمات تعبّر عن شيء موجود في باطن الإنسان وواقعه ، وحساب الله يكون على الواقع لا على الظّاهر والاسم والعنوان ، فالعنوان يوم القيامة لا قيمة له ، لذلك تحرص على أن يكون واقعك هو الإسلام وما يتناسب مع القرآن ؛ لكي تحشر يوم القيامة وأنت مسلم حقيقيّ ، والباب مفتوح لجميع النّاس .

وليس أهل الجنّة هم أتباع أهل البيت عليهم السّلام فقط ، أو المسلمون فقط مع أنّهم يكفّرون بعضهم بعضًا ، وكلّ فرقة تقول : نحن الفرقة النّاجية ، وباقي المسلمين في النّار ، وأنّ بقية الأديان والمذاهب لا يدخلون الجنّة .

والله عنده الرّحمة ، والأصل عند الله هو الرّحمة ، وهذه الرّحمة متمثّلة أوّلًا في النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، أُرْسِلَ رحمةً للعالمين ، وإذا أردت أن تكون مُتَّبِعًا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله فلا بدّ من أن تكون إنسانًا رحيمًا ، وتتمثّل الرّحمة فيك ، ولا توجد عندك قسوة القلب .

الشّخص الإرهابيّ لا توجد عنده رحمة ، وفي واقعه هو ليس بمسلم حقيقيّ ، وحينما ينحر إنسانًا وترى ذلك فقلبك يتقطّع ألما حينما ترى هذا المنظر ، ولكنّ الإرهابيّ لا يهمّه ذلك ولا يهتزّ له جفن ؛ لأنّه قاسي القلب ، وهذا الإرهابيّ يظنّ أنّه يُحْشَرُ يوم القيامة مسلمًا ، ولكنّ الإنسان القاسي القلب غير الرّحيم لا يُحْشَرُ مسلمًا ، والصّفات الحسنة هي صفات الله ، ولا بدّ أن تتمثّل فيك ؛ لكي تُحْشَرَ يوم القيامة إنسانًا إلهيًّا مسلمًا .

وإن شاء الله سنحاول أن نساهم في تعريف المؤمنين بهذا القرآن العظيم الّذي لا يعرف المسلمون قيمته ، قرآن عظيم بين أيدينا ، وهو كلام الله تعالى ، ولكن نتعامل معه بمستوى أقلّ من كلام البشر ، فكلام الله لا بدّ من أن تتعامل معه على أساس أنّه كتاب مقدّس ، وكلام الله لا بدّ من أن تفهمه ، وتعرف ما يريده الله منك .

لا تضيّع حياتك في أمور أخرى ، قد تقرأ كثيرًا من الأشياء ، مثلًا من عنده هواية الرّياضة يذهب دائمًا إلى صفحة الرّياضة في الجرائد ويقرأ كلّ ما هو مكتوب ، ولكنّ القرآن كم يعطيه من الوقت في اليوم لأجل أن يتدبّر آياته ؟

كلّ ما يفعله هو قراءة بعض الآيات خلال خمس أو عشر دقائق فقط ، ولكن هذا لا يكفي للتّعامل مع القرآن ، فالتّعامل مع القرآن معناه أن تفهم كلام الله وتطبّقه في حياتك .

وقد تكون بعض الصّفات المذكورة في القرآن الكريم موجودة عند

الملحدين وغير موجودة عند المسلمين .

مثلًا حبّ العلم موجود عند الشّعوب غير المسلمة أكثر من الشّعوب المسلمة ، فتجده في كلّ مكان يقرأ كتابًا .

ونسأل : أين المسلم من الكتاب ؟!

هناك يطبعون الكتب بطبعة من ملايين النّسخ ، وفي البلدان المسلمة تطبع ألف نسخة من الكتاب وتوزّعها مجانا ، والقليل يأخذونه ، وتنتهي من توزيعه المجّانيّ بعد خمس سنوات .

لا بدّ من أن نطبّق تعاليم القرآن ، ومنها أن تكون من قرّاء الكتب طلبًا للعلم ؛ لكي تتعرّف على دينك ، وبدون طلب العلم يستحيل أن تتعلّم دينك .

سؤال : غالي محمّد الفضلي :

شخص يكون واقعه ضمن المبادئ الإسلاميّة ، مثلًا عنده حبّ العلم ، ولكن اسمه كافر أو عابد صنم ، ماذا يفيده أن يكون محبًّا للعلم ، ولكنّه يعبد حجارةً وذكرتم بأنّ الاسم والعنوان ليس له أهمّيّة ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

نسأل هذا الشّخص : لماذا تعبد الصّنم ؟ ما هو السّبب ؟ لماذا لم تدخل الإسلام ؟

قد يجيب : لم أدخل الإسلام ؛ لأنّ واقع المسلمين سيّئ .

هو يعبد الحجر ، ولكن عنده أخلاق حسنة ، وحساب الله مع جميع النّاس حساب خاصّ ، ونحن لسنا وكلاء الله على الأرض حتّى

نقول إنّ هذا الّذي يعبد الصّنم يدخل إلى نار جهنم ، فالله يعلم سبب عبادة هذا الشّخص للصّنم ، هل هو قاصر أو مقصّر ؟

وحساب القاصر يختلف عن حساب المقصّر .

نفرض أنّ هذا شخص موجود في أمريكا الجنوبيّة ، وعاش ضمن أفراد هذا المجتمع الّذين يعبدون الأصنام ، وبعض الأشخاص صاروا شيعة لأنّهم وُلِدُوا في بيئة شيعيّة ، وذاك عاش في بيئة تعبد الأصنام فعبد الصّنم ، ولم تصل إليه رسالة الإسلام أو أنّه سمع بأنّ الإسلام دين الإرهاب ، ولم يخطر في ذهنه أن يبحث في الإسلام ، مثلما أنت الآن تسمع بأنّه توجد أديان مختلفة في العالم ، ولكنّك لا تبحث في هذه الأديان ؛ لأنّك تعتقد أنّ الإسلام هو الدّين الصّحيح .

نسأل : هل أنت قاصر أو مقصّر ؟

لم يخطر في ذهنك أن تبحث في هذه الأديان ، فأنت تعتبر قاصرًا لا مقصِّرًا ، وإذا خطر في ذهن الشّخص أنّ الحق من الممكن أن يوجد في مكان آخر ولا يبحث فيكون مقصِّرًا ، وإذا لم يخطر في ذهنه أنّ الحق من الممكن أن يوجد في مكان آخر فيكون قاصرًا ، وحساب القاصر يختلف عن حساب المقصِّر ، فقد يعبد صنمًا ، ولكنّه يكون قاصرًا ، فهذا له حساب خاصّ ، ومن الممكن أن الله يدخله إلى الجنّة ؛ لأنّه قاصر .

مثلًا إنسان معاق يعبد الصّنم ، فإذا كان الحساب على الاسم والعنوان فالمفروض أن يدخل إلى جهنّم ، ولكنّه معاق ، فيكون قاصرًا

لا مقصّرًا ، والقاصر إلى الجنّة لا إلى جهنّم ، وعدل الله واسع ، فلماذا نضيّقه ؟!

والجنّة واسعة تتّسع لجميع النّاس ، فلماذا نضيّقه ونجعله للمسلمين فقط أو لأتباع مذهب معيّن فقط وباقي المسلمين إلى جهنّم ؟!

إذا كان يوجد من أتباع الأديان الأخرى قاصرين فالله يعلم بأنّهم قاصرون أو مقصّرون ، وتوجد حسابات خاصّة عند الله عزّ وجلّ ، ونحن لسنا وكلاء الله على الأرض حتّى نقول إنّ هذا يدخل إلى الجنّة وذاك يدخل إلى النّار ، وأنت عن نفسك لا تعلم أنّك من أهل الجنّة أو من أهل النّار .

نسأل : هل يوجد عندك ضمان أنّك من أهل الجنة ؟

إذا كنت لا تعلم عن نفسك ولا يوجد عندك ضمان أنّك من أهل الجنّة فكيف تريد أن تحكم على الآخرين وتدخلهم إلى النّار ؟!

إنّ الله عزّ وجلّ عدله واسع يتّسع لجميع النّاس ، فقد يوجد أشخاص أسماؤهم وعناوينهم ليست (مسلمون) ، ولكن واقعهم هو الإسلام أو أنّهم قاصرون ، والنّظر يكون إلى الواقع ، والحساب يكون على واقع الإنسان ، والله يعلم أنّ هذا مسلم حقيقيّ أو كافر حقيقيّ أو منافق أو أنّه قاصر أو مقصر ، والله يعلم أنّ هذا يعبد الصّنم ولكن واقعه ليس هذا ، قد يكون في مكان وَيُجْبَرُ على عبادة الصّنم ، ولكن في واقعه هو مسلم ، فإذا كان على الاسم والعنوان فالنّاس يطلقون عليه (كافر) ، فيكون من أهل النّار ، ولكنّه في واقعه مؤمن

بالله ، فيكون من أهل الجنّة ، والله حسابُه لكلّ إنسان دقيقٌ ، وكلّ إنسان يُحْشَرُ فردًا ، وَيُحَاسَبُ على أساس أنّه قاصر أو مقصّر ، وهل خطر في ذهنه أنّ الحق من الممكن أن يكون في دين آخر أو كان يعتقد أنّ دينه هو الحقّ ، فحساب الله دقيق ، ونحن لسنا وكلاء الله ، فكما أنّك لا تعرف عن نفسك لا تعرف عن الآخرين ، ومن الممكن أن يدخلوا الجنّة ، والاحتمال موجود ، فلماذا نغلق بابًا فتحه الله لجميع النّاس ؟

عدل الله واسع ، والجنّة تتّسع لجميع النّاس لا للمسلمين فقط ، ولا نكون مثل الأعرابيّ الّذي قال : ندخل الجنّة أنا ومحمّد فقط .

وقدّم نفسه على النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

نعم توجد درجات في الجنّة ، وأنت هدفك أن تسعى للحصول على الدّرجات العليا ، وذاك الشّخص قد يكون عنوانه شيئًا ، ولكنّ الله برحمته يدخله في أقلّ درجة في الجنة ، ودرجات الجنّة مفتوحة أمام جميع النّاس ، وكلّ شخص يسعى لكي يصل إلى الدّرجات العليا .

سؤال : داود الرّمضان :

بالنسبة لموضوع الأعلميّة هل لها ارتباط بمسألة القيادة ، قد يكون أعلم ، ولكن تنقصه فنّ القيادة ، وقد يأتي الأقلّ علمًا ، ولكن عنده فنّ القيادة ، فهل الأعلميّة لا بدّ لها من القيادة ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

بحثنا في التّقليد والأعلميّة والرّجوع إلى الأعلم في أخذ الأحكام

الدّينيّة من الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ، كما نرجع إلى الأعلم في الطّبّ .

وليس بحثنا في ولاية الفقيه ، وكلامكم عن الولاية ، وهذا بحث مفصّل ، ولن نبحث فيه حاليًّا ، ولعلّه يكون بحثًا مستقبليًّا ، وسنتناوله بالتّفصيل إن شاء الله تعالى .

سؤال : يوسف محمّد مناحي :

في القرآن الكريم ذُكِرَ (الإسلام) في أكثر من موضع :

"**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**" (١) .

وقال سيّدنا إبراهيم عليه السّلام : "**وأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**" (٢) .

"**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ءَامَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**" (٣) .

وعندما غرق فرعون قال : "**أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**" (٤) .

(الإسلام) ذُكِرَ من بداية إرسال الرّسل ، والأديان حصل فيها التّحريف ، وَأُطْلِقَ عليهم (أهل الكتاب) ، وإذا لم يكونوا كفّارًا فهم مشركون .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

كلمة (الإسلام) لها معنيان :

---

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) الأنعام : ١٦٣ .

(٣) آل عمران : ٥٢ .

(٤) يونس : ٩٠ .

المعنى الأول :

الإسلام بالمعنى العامّ الّذي يشمل جميع الأديان السّماويّة ، فاليهوديّ مسلم ، والمسيحيّ مسلم .

المعنى الثّاني :

الإسلام بالمعنى الخاصّ ، وهو الشّريعة الإسلاميّة .

الآية الكريمة : "**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**" معناها إنّ الدّين واحد ، وجميع الأنبياء والرّسل عليهم السّلام كانوا يدعون إلى الإسلام بالمعنى العامّ ، ويوجد المعنى الخاصّ الّذي هو الشّريعة الإسلاميّة ، فكلّ أتباع الدّيانات السّماويّة مسلمون ، ولا نضيّق دائرة الإسلام ، فينطبق عليهم عنوان الإسلام بالمعنى العامّ ، ولا ينطبق عليهم الإسلام بالمعنى الخاصّ ، فنسمّيهم يهود أو مسيحيّين ، ولكنّهم مسلمون بالمعنى العامّ ، فأتباع موسى عليه السّلام مسلمون ، وأتباع عيسى عليه السّلام مسلمون ، وأتباع جميع الأنبياء والرّسل عليهم السّلام مسلمون .

الإسلام له معنى عامّ ومعنى خاصّ ، وفي الآية المراد منه الإسلام بالمعنى العامّ ، وفي الآيات الأخرى لا بدّ من أن نرى أنّ المقصود هو المعنى العامّ أو المعنى الخاصّ ، وهذا العنوان العامّ ليس حكرًا على المسلمين اليوم ، نعم يصدق عليهم العنوان الخاصّ أيضًا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٥)
تابع الدّليل العقليّ
على تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في الدّليل العقليّ على وجوب تقليد الأعلم ، لو سألنا أيّ شخص : إذا كان يوجد أعلم وعالم فمن تختار حسبما يقول لك عقلك ؟

أيّ إنسان حتّى لو لم يكن مسلمًا ، ولو كان ملحدًا يقول لك مباشرةً : أختار الأعلم .

وهذا غير مختصّ بالقضايا الدّينيّة ، هذا يجري حتّى في القضايا الدّنيويّة ، فهذه القاعدة العقليّة قاعدة إنسانيّة بشريّة عامّة لا أنّها

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٧ رجب ١٤٣٧ هـ ، ١٥/٤/٢٠١٦ م .

قاعدة دينية فقط ، وهذه القاعدة العقليّة أودعها الله تعالى في الإنسان ، وهناك مجموعة من القواعد العقليّة عند الإنسان أودعها الله فيه ؛ لكي يسيّر حياته بها ، والإنسان أحيانًا لا يُفَعِّلُ هذه القواعد حتّى في اختياراته الدّنيويّة وأموره الحياتيّة ، وتظل القواعد في حيّز الذّهن ، ولا تنتقل من عالم القوّة إلى عالم الفعليّة .

طالب في المدرسة تسأله : هل تريد أن تحصل في جميع الموادّ على نسبة ١٠٠% ؟

يقول : نعم .

ولكنّه لا يدرس جيّدًا ليحصل على هذه النّسبة ، هو بحسب عقله يريد أن يصل إلى القمّة ، ولكنّ الوصول إلى القمّة يحتاج إلى عمل وهمّة ، عقله يقول له : أريد أن أصل إلى الأعلى ، ولكنّه لا يتحرّك ، مثل الشّخص الّذي يقف عند سفح الجبل وينظر إلى القمّة ، هو يتمنّى أن يصعد إلى القمّة ، ولكنّه يحتاج إلى جهد ، وبدون الجهد لا يستطيع أن يصل إلى الأعلى ، وتحقيق الأهداف يحتاج إلى حركة من الإنسان ، وبدون الحركة لا يحقّق الإنسان أهدافه .

إذن :

توجد قواعد عقليّة عند الإنسان من حيث هو إنسان ، وهذه القواعد تعتبر قواعد قطعيّة ، فإذا كانت قطعيّة فالإنسان يرتّب الآثار على قطعه ، أي يتحرّك ويحقّق الآثار ، نعم الإنسان الكسول لا يرتّب الآثار ولا يتحرّك ، ولكن طبيعة الإنسان أنّه يرتّب آثار القطع .

وهذه القواعد العقليّة يستفيد منها الإنسان حتّى في قضاياه الدّينيّة ، قواعد عقليّة يفعّلها الإنسان في جميع قضاياه بما فيها القضايا الدّينيّة ، وحينما نقول (الدّين) فليس المراد الأحكام الفقهيّة العمليّة فقط ، وإذا صارت قاعدة دينيّة فإنّها تجري في جميع مجالات الدّين ، وحينما نقول (التّفقّه في الدّين) فالمراد هو التّفقّه في جميع مجالات الدّين .

وفي موضوع (تقليد الأعلم) وإن كانت القاعدة العقليّة تستعمل في الفقه العمليّ فإنّ هذه القاعدة الخاصّة مصداق لقاعدة أكبر ، فتوجد قاعدة كبرى ، ولكن نأتي إلى الفقه العمليّ فنطبّقها في باب التّقليد ونقول (البحث عن الأعلم) ، وهذه القاعدة العقليّة هي قاعدة (البحث عن الأكمل) ، والإنسان يبحث دائمًا عن الأكمل ، وهي قاعدة عقليّة قطعيّة ، ويطبّقها في حياته الدّينيّة وفي حياته الدّنيويّة ، ولو خُيِّرَ الإنسان بين هذه الأثاث وتلك فإنّه بحسب ما يرى بأنّ الأولى هي الأفضل فيختارها ، فالأكمل نعبّر عنه بالأفضل ، وفي الفقه نقول الأعلم .

نسأل : **في علم العقائد لماذا تعبد الله عزّ وجلّ ؟**

الجواب :

لأنّك تبحث عن الأكمل ، فالإنسان يبحث دائمًا عن الأكمل ، فحينما يأتي إلى أيّ إله يتصوّره يسأل نفسه : هل هذا هو الأكمل أو يوجد أكمل منه ؟

والطّريقة الإبراهيميّة في التّفكير هي أنّه رأى كوكبًا ثمّ رأى القمر ثمّ

رأى الشّمس ، وفي كلّ مرّة يراه أكمل ، وهذا تطبيق لقاعدة (البحث عن الأكمل) ، فيبحث عن الأكمل ، ولا بدّ من أن يصل في آخر المطاف إلى الأكمل الّذي لا يوجد فوقه أكمل ، وهو الله تعالى خالق الكون .

إذن :

توجد عندنا قاعدة (البحث عن الأكمل) ، وهذه القاعدة تجري في القضايا الدّنيويّة وفي القضايا الدّينيّة ، في الفقه العقائديّ وفي الفقه الأخلاقيّ وفي الفقه العمليّ ، وطبّقنا القاعدة في العقائد في البحث عن (الإله الأكمل) .

نسأل : **في علم الأخلاق لماذا تريد أن تتكامل ؟**

الجواب :

أنت لا تبحث عن الكمال ، وإنّما تبحث عن الأكمل ، لذلك تريد أن تصعد درجةً بعد أخرى ، وإلى أيّ درجة تريد أن تصل ؟

الدّرجات غير متناهية ؛ لأنّك ترى الله عزّ وجلّ ، والله هو الأكمل الّذي لا يوجد فوقه أكمل ، وصفات الله صفات مطلقة غير متناهية ، فليس لها نهاية ، ولا يحدّها حدّ ، وأنت تريد أن تصل إلى هذه الصّفات المطلقة ، فالإنسان الّذي يطلب العلم لا يكتفي ، فحينما يصل إلى معلومة فإنّه يريد المعلومة الثّانية ، ويحصل عليها فيريد المعلومة الثّالثة ، وهكذا لا يتوقّف عن الحركة في اكتساب المعلومات واحدةً بعد الأخرى .

تقول : اكتسب ألف معلومة ، نقول : يريد ألف وواحد ، اكتسب مليون أو مليار معلومة ، ومع ذلك يستمرّ في طلب العلم ؛ لأنّ نظر الإنسان المؤمن إلى صفات الله ، وصفات الله مطلقة غير محدودة بحدّ ، فيريد العلم المطلق ، نعم لا يصل إلى العلم المطلق ، ولكنّ هدفه العلم المطلق ، وهدفه القدرة المطلقة ، ويريد أن يصل إلى هذه القدرة ، ويريد الخلود ، نعم لا يصل إلى الخلود ، لذلك بواسطة علم الطّبّ يحاول الإنسان أن يطيل عمره ، وبعد أن كان متوسّط عمر الإنسان ٤٠ سنة ، أصبح الآن متوسّط عمره ٧٠ سنة ، والأطبّاء يحاولون أن يصلوا إلى خلود الإنسان في الدّنيا ، فيجرون الاختبارات الكثيرة لإطالة عمر الإنسان ، ويبحثون في الاستنساخ بأنّه هل يمكن استنساخ الأعضاء لنفس الإنسان حتّى إذا فسد منه عضو يبدّلونه بعضو آخر بديل عن نفس العضو عن طريق الاستنساخ .

نسأل : لماذا يريدون إطالة عمر الإنسان ؟

لأنّ الإنسان يبحث عن الخلود ، وهو تطبيق لنفس القاعدة وهي (البحث عن الأكمل) ، فيبحث عن العمر الأكمل والحياة الأكمل وهو الخلود ، فالحياة الخالدة هي الحياة الأكمل ، والإنسان بهذا التّطلّع يحصل على الحياة الأكمل ، ولكن ليس في الدّنيا ، وإنّما في عالم آخر بعد هذه الدّنيا ، وخلوده قد يكون في النّار أو في الجنّة ، أو قد يكون في النّار مدّة معيّنة ثمّ ينتقل إلى الجنّة ، فالإنسان في بحثه

عن الأكمل لا يقف عند حدّ .

وهذه القاعدة العقليّة تجري في كلّ مجال : المجال العقائديّ والمجال الأخلاقيّ والمجال العمليّ ، وهذه القاعدة عقليّة وأصبحت قاعدة دينيّة .

والتّفقّه في الدّين يحتاج إلى البحث عن القواعد ، منها القواعد العقليّة ، والقواعد الفطريّة ، والقواعد العرفيّة ، والقواعد القرآنيّة ، والقواعد الرّوائيّة ، فالفقيه أوّلًا يحدّد القواعد التي يتبنذاها ، وبعد ذلك يأتي للبحث في أحكام الفقه العقائديّ وأحكام الفقه الأخلاقيّ وأحكام الفقه العمليّ .

نسأل : في مجال العقائد لماذا نقول إنّ أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السّلام هو الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟

الجواب :

لأنّه الأكمل ، فأعلمكم عليّ ، وأقضاكم عليّ ، وأشجعكم عليّ ، فهو عليه السّلام يمثّل الأكمل بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله ، وهو الأكمل في زمانه ، لذلك يستحقّ أن يكون إمامًا ، وفي بحث الإمامة نطبّق قاعدة (البحث عن الأكمل) ، لذلك نعتقد بالأئمّة الاثني عشر عليهم السّلام ، وكلّ إمام هو الأكمل في زمانه ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الأكمل في زمانه ، وهو صلّى الله عليه وآله أكمل من عليّ عليه السلام ، لذلك استحقّ أن يكون نبيًّا ، وعليّ ابن أبي طالب عليه السّلام هو الإمام بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وقضيّة

البحث عن الأكمل موجودة في عقل الإنسان وفي فطرة الإنسان ، وبيّنّا الفرق بين العقل والفطرة .

ودليل عدم جواز تقدّم المفضول على الفاضل وعدم جواز تقدّم الفاضل على الأفضل دليل أيضًا على أنّ عليّ بن أبي طالب هو الإمام بعد غياب رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّه هو الأفضل في زمانه ، ويشترط في الإمام المعصوم أن يكون أفضل أهل زمانه ، فيكون الأعلم والأزهد والأشجع والأكرم ، وهكذا في جميع الصّفات الحسنة ، فلو لم يكن هو الأعلم لاحتاج إلى غيره ، والاحتياج إلى الغير نقص ، وإذا لم يكن هو الأعلم فلا بدّ من أن يرجع إلى الأعلم فلا يكون هو إمام زمانه بل يكون ذاك الأعلم هو إمام زمانه .

ومثاله العرفيّ هو الإنسان الّذي يصاب بمرض خطير ، فإنّه يبحث عن الطّبيب الأعلم ، لذلك يسأل : من هو الطّبيب الأعلم في علاج هذا المرض ؟

فيرى بأنّ الطّبيب الأعلم لا يوجد في بلده ، فيذهب للعلاج في الخارج .

ولو سألته : لماذا تذهب إلى الخارج ؟

لأجاب : إنّ هذا الطّبيب أفضل ، وهو معروف بعلاج هذا المرض .

وإذا كان الإنسان يبحث في الأمراض الخطيرة عن الطّبيب الأعلم مع أنّها أمر دنيويّ زائل ، فلماذا لا يبحث في القضايا الدّينيّة عن الفقيه الأعلم ؟!

إنّ البحث عن الطّبيب الأعلم أمر عرفيّ ، ولكن في هذه القضيّة العرفيّة أنت تطبّق (البحث عن الأكمل) ، وفي القضايا الدّينيّة تطبيق هـذه القاعـدة يكـون بطريـق أولى بواسـطة قاعـدة الأولويّـة العقليّـة القطعيّة ، فتبحث عن الأعلم في الأحكام الدّينيّة أي الّذي يمكنه أن يدلّك على الطّريق بشكل أفضل .

إنّ المصاب بمرض خطير يرجع إلى أفضل الأطبّاء في تخصّصه ، والمريـض مرضًـا روحيًّـا لا بـدّ مـن أن يرجـع إلى أعلـم الفقهـاء في تخصّصه ، وهل هناك أهمّ من الدّين الّذي يحدّد خاتمة الإنسان وأنّه إلى جنّة أو نار ؟!

الطّبّ يعطيـك الصّـحّة البدنيّـة المؤقّتـة في الـدّنيا ، ولكـنّ الـدّين يعطيـك الصّـحّـة الرّوحيّـة الأبديّة في الآخرة ودخـول الجنّـة ، فأيّهمـا أهمّ : الصّحّة في الدّنيا أو الصّحّة في الآخرة ؟

ألا يقول عقلك بأنّ صحّة الآخرة أهمّ من صحّة الدّنيا ؟

لماذا يهتمّ النّاس بصحّتهم الدّنيويّة ويذهبون للعلاج في الخارج ولا يهتمّون بصحّتهم الأخرويّة الّتي تحدّد مصير الإنسان ؟

إذا تبيّن أنّ الصّحّة الأخرويّة أهـمّ مـن الصّـحّة الدّنيويّة ألا تحتاج إلى اهتمام أكبر ؟

ألا تحتاج إلى معرفة من تأخذ منه دين الله عزّ وجلّ ؟

الدّين دين الله وهو عزّ وجلّ الّذي يحدّد من نأخذ منه الدّين ، فأرسل تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله بالهدى ودين الحق ليحيي من

حيّ عن بيّنة ودليل وبرهان ، ويهلك من يهلك عن بيّنة ودليل وبرهان .

والنّبيّ صلّى الله عليه وآله حدّد من بعده من يكون الأعلم ، وطلب من المسلمين أن يرجعوا إلى هذا الأعلم ، وعيّن الله بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله أئمّة اثني عشر عليهم السّلام ؛ لأجل أن نأخذ منهم معالم دين الله عزّ وجلّ ، وبعد غياب الإمام الثّاني عشر عليه السّلام حدّد الله تعالى من نرجع إليه .

يقول تعالى :

"وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (١) .

إنّ دليل الرّجوع إلى الفقهاء دليل قرآنيّ في المقام الأوّل .

يقول تعالى :

"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ" (٢) .

والجواب هو أنّهم لا يستوون .

ونسأل سؤالًا آخر : هل يستوي الّذين يعلمون والّذين يعلمون أكثر ؟

والجواب هو أنّهم لا يستوون .

---

(١) التّوبة : ١٢٢ .

(٢) الزّمر : ٩ .

توجد قاعدة وهي أنّ الّذي يعلم لا يستوي مع الّذي لا يعلم ، وتوجد قاعدة أخرى وهي أنّ الّذي يكون أقلّ علمًا لا يستوي مع الأكثر علمًا ، وبالتّالي لا يجوز تقدّم الجاهل على العالم ، ولا تقدّم الأقلّ علمًا على الأكثر علمًا .

وبعبارة أخرى لا يجوز تقدّم المفضول على الفاضل ، ولا تقدّم الفاضل على الأفضل .

يقول تعالى :

". . . **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ** . . ." [1] .

العلم على درجات ، والّذين أوتوا العلم على درجات على حسب علمهم ، فهم على درجات مختلفة بسبب اختلافهم في العلم ، فمن يعلم بعلم الدّرجة الأولى يحصل على الدّرجة الأولى ، ومن يعلم بعلم الدّرجة الثّانية يكون على الدّرجة الثّانية ، وهكذا ، وإذا وصلنا إلى الأعلم فنصل إلى الدّرجة العليا ، وفوقه أعلم لأنّ الإنسان ما دام في الحياة الدّنيا فيمكنه أن يصل إلى درجة أعلى من الأعلم ، فهذا الأعلم في زمانه هو الأعلم ، ويأتي في المستقبل من هو أعلم منه ، والعلم لا يقف عند حدّ معيّن ، والآراء العلميّة وكذلك الآراء الدّينيّة لا تقف عند حدّ ، والآن توجد آراء دينيّة ، وقد يأتي في المستقبل من يكون أعلم وينظر في الآيات والرّوايات فيصل إلى آراء جديدة ، وهذه

---

[1] المجادلة : ١١ .

الآراء الجديدة لم يطرحها العلماء السّابقون ، والرّأي الجديد يكون مدعمًا بالأدلّة الشّرعيّة ، وبعض الأشخاص حينما يريدون الرّدّ على رأي جديد يقولون بأنّ هذا الرّأي لم يقل به العلماء السّابقون ، وهذا لا يكفي للرّدّ على الرّأي الجديد ، وإذا رجعنا إلى الأزمنة السّابقة بعض العلماء طرحوا آراءً جديدةً لم تكن موجودةً عند من سبقهم من العلماء ، وبناءً على الرّدّ السّابق فالمفروض أن لا نأخذ بالآراء الجديدة الّتي قال بها العلماء السّابقون .

إنّ الرّأي إذا كان مدعمًا بالأدلّة من القرآن والرّوايات وغيرهما من الأدلّة فهذا الرّأي صحيح ، ومن يريد أن يردّ فعليه أن يبيّن أنّ هذه الأدلّة لا تدلّ على هذا الرّأي ، ولا يكفي الرّدّ بأنّ العلماء السّابقين لم يقولوا بهذا الرّأي ، لا بدّ أن يردّ على الأدلّة ، ويبيّن بأنّ هذا الدّليل لا يدلّ على هذا الرّأي .

وإذا رجعنا إلى التّاريخ السّابق كان بعض العلماء يأتون بآراء جديدة ، وهم المجدّدون الّذين لهم آراء جديدة مدعومة بالأدلّة الشّرعيّة .

مثلًا الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه كان عنده آراء ، ولمدّة قرن من الزّمان جمدت الحوزة على آرائه ، وكان العلماء يأخذون بآرائه إلى أن جاء ابن إدريس الحلّيّ رضوان الله عليه الّذي كان يقول : قال الشّيخ الطّوسيّ وأقول ، وبدأ التّجديد في الحوزة العلميّة بعد ما كانت آراء الشّيخ الطّوسيّ فقط هي المسيطرة .

فإذا قلنا لم يقل به السّابقون فمعنى ذلك توقّف العلم عن الحركة ، فلا بدّ من أن نجمد على بعض المذاهب والآراء ، ولا يوجد توقّف على آراء الشّيخ الطّوسيّ الّذي كان قبل ألف سنة .

إنّ العلم يتجدّد ، وعلم الفقه يتجدّد ، بل علوم الدّين تتجدّد من زمان إلى آخر ؛ لأنّ علم الدّين ليس هو الدّين الواقعيّ ، وإنّما هو فهم العلماء للدّين ، نعم توجد آيات وروايات ، هذه هي النّصوص الدّينيّة ، ولكنّ أفهام العلماء للنّصوص تختلف وتتغيّر ، لذلك نرى اختلاف الآراء في مسائل الفقه العمليّ ، فقيه يقول واجب ، والثّاني يقول مستحبّ ، والثّالث يقول احتياط وجوبيّ ، والرّابع يقول احتياط استحبابي ، وهذا الاختلاف في الحكم يكون نتيجةً لاختلافهم في فهم النّصوص الدّينيّة .

إنّ أفهام العلماء للدّين ليس هو الدّين الواقعيّ ، فالدّين ثابت والأفهام متغيّرة عبر الزّمان والمكان بسبب دخول أفكار جديدة ، فالشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه فهم شيئًا من النّصوص ، والمصادر لم تكن موجودةً بهذه الكمّيّة الموجودة اليوم ، كان عند العالم مجموعة قليلة من الكتب ، وعلى أساسها يستنبط الأحكام ، والعالم في زماننا أمامه مصادر كثيرة ، والزّخم الفكريّ والعلميّ والثّقافيّ الموجود عند العالم اليوم أكثر ممّا كان موجودًا عند الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه ، والقواعد الدّينيّة تطوّرت وزادت من حيث الكمّ والكيف ، فالآن عالم الدّين عنده منظومة فكريّة معرفيّة أوسع من المنظومة

الفكريّة المعرفيّة الّتي كانت عند الشّيخ الطّوسي رضوان الله عليه ، وحينما يأتي إلى القرآن الكريم يأتي على أساس هذه المنظومة الفكريّة المعرفيّة الموجودة عنده .

سؤال : هل فهم القرآن الكريم يتطوّر عبر الزّمان أو لا ؟

الجواب :

نعم يتطوّر ، ارجع إلى التّفاسير الأولى المتقدّمة وارجع إلى التّفاسير المتأخّرة ، تجد أنّ هناك اختلافًا في تفسير الآيات ؛ لأنّ العالم في القرن الواحد والعشرين يختلف عن العالم في القرن الخامس ، ففي القرن الخامس كان عنده مصادر قليلة ، والآن في القرن الواحد والعشرين أمام العالم جميع المصادر الشّيعيّة والسّنّيّة ومصادر المدارس الأخرى ، وحتّى المصادر الإنسانيّة العالميّة .

سؤال : هل يمكن الاستفادة من المصادر السّنّيّة ؟

الجواب :

نعم يمكن .

سؤال : هل في الكتب الرّوائيّة عند المذاهب السّنّيّة توجد روايات صحيحة ؟

الجواب :

نعم توجد روايات صحيحة ، لا أنّ جميع الرّوايات مكذوبة موضوعة ، فيمكن الاستفادة من الرّوايات في كتب المذاهب والمدارس الأخرى ، فتوجد فيها روايات تتناسب مع القرآن ، حتّى لو كان

الرّاوي معروفًا بالكذب ، فقد يكون صادقًا في هذه الرّواية المعيّنة ، وفي القضايا التّاريخية يمكن أن نعتمد على كتّاب التّاريخ حتّى لو لم يكونوا شيعةً ، فحينما ينقل أنّه في زمان معيّن كانت الأعراف هكذا يمكن الاستفادة من أنّ هذه الأعراف كانت موجودةً في ذاك الزّمان ، وأنّ العالم حينما أفتى بهذه الفتوى كان بسبب وجود هذه الأعراف الاجتماعيّة ، فنستفيد من النّاحية التّاريخيّة ، وبعض الرّوايات تنقل القضايا التّاريخيّة ثمّ تعطي الحكم ، ومن الممكن أنّ هذا الحكم لا يوافق عليه علماؤنا ، فالرّاوي نقل حكمًا معيّنًا ونقل معه الظروف الاجتماعيّة الموجودة في ذلك الزّمان ، نعم لا نأخذ منه الحكم ، ولكن نعرف الظّروف الاجتماعيّة الموجودة في ذاك الزّمان ، فيمكن الاستفادة من كتب المذاهب والمدارس الأخرى ، لا أن نرفضها تمامًا .

سؤال : هل يمكن الاستفادة من المصادر الزّيديّة والإسماعيليّة وغيرهما ؟

الجواب :

نعم يمكن ؛ لأنّ كلّ رواية تُعْرَضُ على القرآن الكريم ، فإذا وافقت القرآن نأخذ بهذه الرّواية من أيّ شخص جاء بها ، ففي علم الرّجال نقرأ أنّ هذا الرّاوي ثقة أي ليس شيعيًّا إماميًّا اثني عشريًّا ، فنأخذ منه الرواية إذا كان ثقةً .

إذن :

المصادر المختلفة للمذاهب والمدارس الأخرى يمكن الاستفادة

منها ، ومذاهب المسلمين يمكن الرّجوع إليها ، وأخذ ما نعتقد أنّه صحيح ، ونرفض ما نعتقد أنّه ليس صحيحًا ، وما نعتقد أنّه غير صحيح قد يكون صحيحًا عندهم ، فهم يفتون بناءً على هذه الرّواية المعيّنة ، ولكنّ علماءنا لا يفتون على أساسها ؛ فيوجد اختلاف في الرّجال بيننا وبينهم ، بل يوجد اختلاف حتّى في المدرسة الواحدة ، ففي المذهب السّنّي تجد رجلًا ثقةً عند عالم ، وليس ثقةً عند عالم آخر ، ففي المذهب الواحد والمدرسة الواحدة يوجد اختلاف في توثيق الرّجال ، وفي المذاهب والمدارس المختلفة نفس الشّيء ، رجل ثقة في مذهب ، ونفس الرّجل ليس ثقةً في مذهب آخر ، مثلًا زرارة ثقة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وليس ثقةً عند الآخرين ، وقد يوجد رجال ثقات مشتركون بين المدارس المختلفة ، والشّيعة يعتمدون عليهم ، وكذلك السّنّة يعتمدون عليهم .

ومن الآيات القرآنيّة الّتي تدلّ على الرّجوع إلى الفقهاء .

" . . . **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" [1] .

هذا إذا قلنا بأنّ أهل الذّكر هم العلماء لا الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام ، فالجاهل يرجع إلى العالم في جميع العلوم ، ومن العلماء علماء الدّين .

إذن :

قاعدة رجوع الجاهل إلى العالم قاعدة قرآنيّة .

---

[1] النّحل : ٤٣ .

وحدّد أئمّة أهل البيت عليهم السّلام من نرجع إليهم في عصر الغيبة الكبرى ، وهم الفقهاء ، كما هو وراد عن الإمام العسكريّ عليه السّلام أنّه قال : "فأمّا مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائنًا لنفسه ، حافظًا لدينه ، مخالفًا لهواه ، مطيعًا لأمر مولاه - فللعوامّ أن يقلّدوه ، وذلك لا يكون إلّا (في) بعض فقهاء الشّيعة لا جميعهم" [1] .

ترجعون في التّقليد إلى بعض الفقهاء لا جميع الفقهاء ، وهذه الرّواية تبيّن أصل التّقليد أي أصل الرّجوع إلى الفقهاء ، وأنّه يجب تقليد من تتوفّر فيه صفات معيّنة ، أي بيان الأصل التّشريعيّ للتّقليد .

إشكال :

البعض يقول بأنّ هذه الرّواية لم تذكر مسألة الأعلميّة ، فالنّتيجة هي أنّه لا نقول بالأعلميّة ، فلا يجب الرّجوع إلى الأعلم ، ويجوز تقليد غير الأعلم .

جواب الإشكال :

لا يُقْتَصَرُ في أيّ مسألة على آية واحدة أو رواية واحدة ، فيأتي إلى رواية واحدة ويقول إذن لا توجد عندنا الأعلميّة ، أو قد يرجع إلى آية واحدة ويقول إنّ الآية لم تقل بالأعلميّة .

نقول توجد آيات أو روايات أخرى ، بل نقول إنّ الأدلّة ليست مقتصرةً على الآيات والرّوايات ، فتوجد أنواع أخرى من الأدلّة ، كالأدلّة الفطريّة والأدلّة العقليّة والأدلّة العقلائيّة العرفيّة .

---

[1] التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص٣٠٠ .

مثلًا قتال المشركين والكفّار ، تأتي آية تقول : "**وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كَافَّةً** . . ." [١] .

فيقول الإرهابيّون : إذن نشنّ الجهاد على المشركين والكافرين ، وكلّ مشرك أو كافر يجب قتله .

ويستدلّون بجزء من الآية ، ولنكمل الآية : "**وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**" .

قاتلوهم كما يقاتلونكم ، وتوجد آيات أخرى ، مثل "**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**" [٢] .

فالقتال يكون مع من يقاتل المسلمين ، فلا نأخذ بآية واحدة فقط ، بل لا بدّ من أن نجمع الآيات الّتي تتحدّث عن القتل والقتال والجهاد ، ثمّ نستخرج القواعد القرآنيّة من هذه الآيات ، فإذا وجدنا آية مطلقة أو عامّة فنرجع إلى الآيات الكريمة الّتي تقيّد أو تخصّص هذه الآية ، مثلًا "**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** . . ." [٣] .

القتال يكون في حالة الدّفاع عن النّفس ، فمن يبدأكم بالقتال تقاتلونه ، وأمّا الكافر أو المشرك الّذي لا يقاتلكم – أي ليس كافرًا حربيًّا – فلا تقاتله ، نعم الكافر الحربيّ إذا قاتلك تقاتله ، وأكثر من

---

[١] التّوبة : ٣٦ .

[٢] البقرة : ١٩٠ .

[٣] التّوبة : ١٣-١٦ .

هذا ، إذا قاتلك مسلم وحمل السّلاح ليقتلك فتقاتله أيضًا ، يقول الله تعالى : ". . . **فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ** . . ." [1] .

وإذا شنّت دولة مسلمة الحرب على دولة مسلمة أخرى فيجب قتال الدّولة الأولى وإن كانوا مسلمين ؛ لأنّهم معتدون .

إنّ قاعدة (قَاتِلْ من يُقَاتِلُكَ) قاعدة إنسانيّة لا أنّها قاعدة دينيّة فقط ، فإذا دولة كافرة لا تؤمن بالله اعْتُدِيَ عليها فإنّها تدافع عن نفسها أيضًا ، فهذه قاعدة إنسانيّة ، والقرآن الكريم طرح هذه القواعد ؛ لأنّها تتناسب مع فطرة الإنسان وعقل الإنسان وعرف الإنسان ، فهي قواعد قرآنيّة تتناسب مع قواعد الإنسان ، ويمكن مراجعة جميع آيات القرآن ؛ لأجل أن نبيّن أنّها تتناسب مع الفطرة العقل والأعراف العامّة للمجتمعات الإنسانيّة .

وإذا استطعنا أن نقدّم التّفسير الّذي يتناسب مع الإنسان فإنّ القرآن يكون مقبولًا في العالم كلّه ، فالقرآن لم يَأْتِ للمسلمين فقط ، بل جاء للنّاس جميعًا ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله أرسله الله للنّاس كافّةً ، وحينما يبيّن النّبيّ صلّى الله عليه وآله حكمًا فإنّ هذا الحكم يتناسب مع الإنسان ، لا يتناسب مع الإنسان المسلم فقط ، بل يتناسب مع كلّ إنسان بحيث لو عُرِضَ الإسلام على أيّ إنسان فنفسه تتقبّل أحكام الدّين ؛ لأنّ أحكام الدّين تتناسب مع كلّ

---

[1] الحجرات : ٩ .

إنسـان ، ونحتـاج إلى بحـث عـن كيفيّـة تقـديم الـدّين علـى أسـاس أنّ القرآن يتناسب مع إنسانيّة الإنسان ، وهـذا هـو دور العلماء في أنّهم يبحثون مثل هـذه المواضيع ؛ لكـي يبيّنوا أنّ القـرآن هكـذا ، لا كمـا يفعل الإرهابيّون حيث شوّهوا الإسلام بأفعالهم ، ويستندون إلى آيات القرآن ، والآخرون يظنّون بأنّ هؤلاء الإرهابيّين يمثّلون الدّين ، ونحتاج إلى أن نقـدّم بحثًـا عـن آيات القتـال والجهـاد في القـرآن ، ويكـون بحثًـا متكـاملًا بحيث إنّ أيّ شـخص يقـرأ هـذا البحـث يـرى بأنّ القـرآن لا يدعو إلى الاعتداء على الآخرين ، فالقرآن الكريم يقول : "**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**" [1] .

وهذه قاعدة قرآنيّة ، وهي حرمة الاعتداء على أيّ أحد سواء كان مسلمًا أم غير مسلم ، لا على دمه ولا عرضه ولا ماله ولا أيّ شيء آخر ، ولا بالكلمة الجارحة المؤذية لأيّ إنسان ، فلا يوجد في الدّين حكم يُقِرُّ الاعتداء على أيّ أحد .

سؤال : هل اعتدى النّبيّ صلّى الله عليه وآله على أحد ؟

الجواب :

ليس من المعقول أنّ نبيّ الرّحمة يعتدي على أحد ، ولا يأتي النّبيّ صلّى الله عليه وآله بفعل يخالف القرآن ، وحينما نراجع التّاريخ قد نجـد أحـداثًا تاريخيّـةً تبيّن أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآلـه اعتـدى علـى قومٍ أو قبيلة .

---

[1] البقرة : ١٩٠ .

نقول بأنّ ذلك يستحيل ؛ لأنّه خلاف القرآن ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله بُعِثَ رحمةً للعالمين ، فلا بدّ من أن تكون الأفعال الّتي يقوم بها تتناسب مع الرّحمة .

حينما قال صلّى الله عليه وآله لمشركي قريش : اذهبوا فأنتم الطّلقاء – هذا يتناسب مع رحمته صلّى الله عليه وآله ، ولو قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله : اقتلوهم – فهذا لا يتناسب مع رحمته ، والبعض يعترض بأنّه لو أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قتل الطّلقاء وفيهم المنافقون – لكنّا قد ارتحنا من كثير من المنافقين ولتغيّر وجه التّاريخ وسار تاريخ المسلمين في مسار آخر .

نقول بأنّه لو قتل النّبيّ صلّى الله عليه وآله الطّلقاء لصار بيد الإرهابيّين الدّليل على قتل كلّ من يخالفهم ، ولكنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله أراد أن يثبت أنّ الإسلام دين الرّحمة ، وأنّ الأسير لا يُقْتَلُ ، فإذا رمى أحد من الأعداء سلاحه وسلّم نفسه في ساحة الحرب فلا يقتل ، نعم يُقَدَّمُ إلى محكمة عادلة ، وهذا يتناسب مع إنسانيّة الإنسان ، والقرآن قدّم للبشريّة حقوق الإنسان ، لا أنّ حقوق الإنسان مذكورة عند هيئة الأمم المتّحدة فقط ، فنحن المسلمين يمكننا تقديم بحث عن حقوق الإنسان في القرآن الكريم .

إذن :

لا نتمسّك بآية واحدة أو رواية واحدة لإعطاء قاعدة ، فلا بدّ من أن نرجع إلى جميع الآيات والرّوايات الّتي تتحدّث عن نفس

الموضوع ؛ لأجل أن نستخرج القاعدة الدّينيّة .

قد يقال في رواية معيّنة أنّها لم تذكر مسألة الأعلميّة .

نقول : نعم ، ولكن توجد أدلّة أخرى تثبت الأعلميّة .

والرّواية أرجعتنا إلى تقليد الفقهاء ، فهل نرجع إلى جميع الفقهاء أو إلى أحدهم ؟

نرجع إلى واحد منهم ، فلا بدّ من أن نسأل : هذا الواحد ما هي صفاته حتّى يتميّز عن بقيّة الفقهاء ؟

إنّ الاختيار لا يكون بشكل عشوائيّ ، والبعض يقول : ترجع إلى أيّ فقيه تريد ، فيجوز أن ترجع إلى غير الأعلم ؛ لأنّ الرّواية لم تذكر الأعلميّة ، فنقول بأنّنا نحتاج أوّلًا إلى معرفة صفات الفقهاء بحيث إنّ هذا الفقيه المعيّن يدخل في دائرة التّقليد ، وهؤلاء الفقهاء قالت الرّواية عنهم : "وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشّيعة لا جميعهم" ، فيوجد فقهاء كثيرون ، ولكن نرجع إلى البعض ، فنسأل : ما هي صفات هؤلاء البعض ؟

وهنا نأتي إلى الأدلّة الأخرى ؛ لنرى أنّها حدّدت لنا من نرجع إليه من الفقهاء أو لم تحدّد ، ونسأل : هل هناك روايات دالّة على الأعلميّة أو لا ؟

وهذا نتركه إلى المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : سلمان الحدّاد :

في معرفة الأعلم عن طريق العقل والفطرة ما هو الفرق بين العقل والفطرة ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

هذا بيّنّاه في محاضرات سابقة ، وهناك وضّحت الفرق بين الدّليل العقليّ والدّليل الفطريّ ، فيرجى المراجعة .

سؤال : فلاح غزال :

هل من أدلّة الإمامة أن يكون الإمام أعلم أهل زمانه ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

في البداية نقول إنّ الإمام لا بدّ من أن يُعَيَّنَ من قِبَلِ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فدليلنا هو التّعيين ، والإمام لا بدّ من أن يكون أعلم أهل زمانه ؛ لأنّه لو كان يوجد من هو أعلم منه فالثّاني يكون هو الإمام ، فالأوّل يحتاج إلى الثّاني بسبب وجود النّقص في الأول ، وإذا احتاج إلى غيره فيكون مأمومًا لا إمامًا ، والإمام مستقلّ لا يحتاج إلى غيره ، فمن الأدلّة أن يكون الإمام أعلم أهل زمانه ، ولا يمكن أن يوجد أعلم منه ، وإذا وُجِدَ الأعلم منه فالثّاني هو الإمام .

سؤال : الشّيخ صباح الخزاعيّ :

قلتم بأنّه يجب تقليد الأعلم عقلًا ، هذا من النّاحية النّظريّة ممكن ، ولكن عمليًّا يوجد اختلاف ، وإذا كان هو الأعلم فمن الّذي يحدّد

الأعلم ؟

وإذا قلنا إنّ الّذي يحدّد الأعلم هو الأقلّ منه علمًا فكيف يحدّد الأقلّ علمًا من هو أعلم منه ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

هذا الإشكال أجبت عنه تفصيلًا ، وهناك إشكالات أخرى أجبت عنها في المحاضرات السّابقة ، فليراجع هناك .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٦)
الفقهاء رواة الحديث [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وأخذنا الرّواية التّالية :

عن الإمام العسكريّ عليه السّلام أنّه قال : "فأمّا مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائنًا لنفسه ، حافظًا لدينه ، مخالفًا لهواه ، مطيعًا لأمر مولاه – فللعوامّ أن يقلّدوه ، وذلك لا يكون إلّا (في) بعض فقهاء الشّيعة لا جميعهم" [٢] .

وتوجد روايات أخرى يُرْجِعُ فيها الأئمّة عليهم السّلام النّاس إلى الفقهاء :

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٤ رجب ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٤/٢٢ م .

[٢] التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص٣٠٠ .

الرّواية الأولى :

عن عليّ بن المسيّب ، قال : قلت للرّضا عليه السّلام : شقّتي بعيدة ، ولست أصل إليك كلّ وقت ، فممّن آخذ معالم ديني ؟

فقال : من زكريّا بن آدم القميّ المأمون على الدّين والدّنيا .

قال ابن المسيّب : فلمّا انصرفت قدمنا على زكريا بن آدم فسألته عمّا احتجت إليه [1] .

الرّواية الثّانية :

عن سليمان بن خالد الأقطع قال : سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول : ما أجد أحدًا أحيا ذكرنا وأحاديث أبي إلّا زرارة وأبو بصير المراديّ ومحمّد بن مسلم وبريد بن معاوية ، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هدًى ، هؤلاء حفّاظ الدّين وأمناء أبي على حلال الله وحرامه ، وهم السّابقون إلينا في الدّنيا والآخرة [2] .

الرّواية الثّالثة :

عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال لأبان بن تغلب : اجلس في مجلس المدينة وأفت النّاس فإنّي أحبّ أن يُرَى في شيعتي مثلك [3] .

نرجع إلى رواية الإمام العسكريّ عليه السّلام :

هذه الرّواية تبيّن صفات معيّنة للفقيه ؛ لأجل أن يكون مُقَلَّدًا

---

(1) الاختصاص للشّيخ المفيد ص٨٧ .

(2) المصدر السّابق ص٦٦ .

(3) رجال النّجاشيّ ص١٠ .

للنّاس ، ولا بدّ من أن يتميّز الفقيه بصفات معيّنة ، وهذه الصّفات تؤهِّله لأن يكون مرجعًا للتّقليد ، وهذه الرّواية بصدد بيان أصل التّقليد وهو الرّجوع إلى الفقهاء ، ولا تبيّن تفاصيل التّقليد ، فمن تتوفّر فيه هذه الصّفات يكون مؤهَّلا لأن يكون مرجعًا للنّاس ، ولا تتحدّث الرّواية عن موارد اختلاف الفتاوى بين الفقهاء .

إشكال :

من الإشكالات الّتي تطرح أنّ الرّواية لم تذكر الأعلميّة ، وإنّما ذكرت أنّ الفقيه يكون مرجعًا للتّقليد إذا توفّرت فيه صفات معيّنة ، ولم تذكر صفة الأعلميّة ، فيجوز تقليد أيّ فقيه له هذه الصّفات .

جواب الإشكال :

لا ينظر الفقيه إلى آية واحدة أو رواية واحدة ، فحينما يريد أن يستنبط حكمًا دينيًّا سواء كان حكمًا عقائديًّا أم أخلاقيًّا أم عمليّا فإنّه لا يكتفي بآية واحدة أو رواية واحدة ، وهذه الرّواية تبيّن أصل التّقليد ، ولم تبيّن الرّواية بأنّه في حالة اختلاف الفتوى إلى من نرجع ، ففي موارد اختلاف الفقهاء نرجع إلى مَنْ ؟

الرّواية لم تذكر ذلك ، ولم تقل الرّواية اختر واحدًا من الفقهاء ، هي أرجعتنا إلى الفقهاء لا إلى أحد الفقهاء ، وبعض هؤلاء الفقهاء يكونون مؤهَّلين للمرجعيّة ، وفي تفاصيل التّقليد نحتاج إلى أن نرجع إلى أدلّة أخرى ، وهذه الأدلّة الأخرى تبيّن لنا تفصيل من نرجع إليه في أخذ الفتوى .

إذن :

رواية الإمام العسكريّ عليه السّلام تبيّن أصل التّقليد ، ولأجل معرفة تفاصيل التّقليد لا بدّ من أن نرجع إلى أدلّة أخرى ، لا نقول روايات أخرى ، بل نقول أدلّة أخرى ؛ لأنّ الأدلّة الأخرى قد تكون آية قرآنيّة أو حكمًا عقليًّا قطعيًّا أو سيرة المتشرّعة في زمان المعصوم عليه السّلام أو السّيرة العقلائيّة العرفيّة المؤيَّدة من قِبَلِ المعصوم عليه السّلام ، فالدّليل ليس مقتصرًا على الرّوايات .

يقال إنّ هذه الرّواية لم تذكر الأعلميّة ، فلا بدّ من أن نسأل : هل توجد أدلّة أخرى أو لا توجد أدلّة دالّة على الأعلميّة ؟

فتأتي أدلّة أخرى لبيان التّفصيل في مسألة التّقليد وأنّه من هو الفقيه الّذي يجب أن يرجع إليه المكلَّف ؛ لأنّ الرّواية تقول بتقليد بعض فقهاء الشّيعة لا كلّهم ، فلا بدّ من توفّر صفات خاصّة في هؤلاءِ البعض ، فبعض فقهاءِ الشّيعة يدخلون في دائرة التّقليد ، والبعض الآخر يكونون خارج دائرة التّقليد ، مع أنّهم جميعًا من الفقهاءِ والمجتهدين .

وضمن دائرة التّقليد نسأل : إلى من نرجع من هؤلاء الفقهاء ؟

ونسأل : هل ترجع إلى جميع الفقهاء ؟

الجواب : لا ؛ لأنّك تختار واحدًا منهم .

ونسأل : ما هو دليل الاختيار ؟ وكيف تختار مرجعك ؟

إنّ مَنْ كان مِنَ الفقهاء بصفات معيّنة فإنّهم يكونون مؤهَّلين

للتّقليد ، فترجع إلى الفقهاء ، وحينما ترجع لا تأخذ من جميع الفقهاء ، وإنّما ترجع إلى واحد منهم ، فنسأل : ما هي الصّفات الّتي تكون في مراجع التّقليد بحيث تختار واحدًا منهم ؟

وإذا قلنا ترجع إلى جميع الفقهاء - فمعناه أنّك لا بدّ من أن تراجع جميع الرّسائل العمليّة ، وليس من الممكن أن يُطْلَبَ من المكلَّف الرّجوع إلى جميع الفقهاء ، والرّجوع إلى جميع الرّسائل العمليّة من الممكن أن تطلبه من العلماء لا العوامّ ، وأكثر المكلَّفين ليسوا من العلماء ، فلا يمكن أن تطلب منهم الرّجوع إلى جميع الرّسائل العمليّة ، والعالم يمكنه الرّجوع إلى الرّسائل العمليّة والمقارنة بين فتاوى جميع الفقهاء ، والعالم قد يختار من أحد الفقهاء حكمًا معيّنًا ويختار حكمًا آخر من فقيه آخر بناءً على الاحتياط ، فالعالم يمكنه أن يعمل بالاحتياط بين فتاوى الفقهاء ، ولكنّ المكلَّف غير العالم لا يمكن أن يُطْلَبَ منه الاحتياط .

ومن أدلّة الاستنباط العقل ، ولا بدّ من أن نحدّد ما هي القواعد العقليّة الّتي يمكن أن يستند إليها الفقيه في استنباط الأحكام الدّينيّة ، ولا نقول الأحكام العمليّة فقط ، بل الأحكام الدّينيّة الّتي هي أوسع من أحكام الفقه العمليّ ، والآية تقول : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" [1] .

إنّ المطلوب هو التّفقّه في الدّين لا التّفقّه في الأحكام العمليّة فقط ، فالمطلوب هو التّفقّه في الأحكام الدّينيّة العقائديّة والأخلاقيّة

---

[1] التّوبة : ١٢٢ .

والعمليّة ، فالأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة تحتاج إلى استنباط أيضًا .

وبالإضافة إلى العقل الّذي يُسْتَنَدُ إليه في تعيين المرجع الّذي يجب تقليده تأتي أدلّة أخرى سيتمّ استعراضها في مسألة (الأعلميّة) ، وسنأتي إلى ذكر بعض الرّوايات الّتي تدلّ على الأعلميّة .

ورواية : "مَنْ كَانَ مِنَ الفُقَهَاءِ . . ." هي مثلما تقول لشخص : إذا كنت مريضًا فارجع إلى الأطبّاء .

نسأل : هل هذا القول يحدّد لك الطّبيب الّذي لا بدّ من مراجعته ؟

الجواب :

لا ، هذا القول يطلب منك الرّجوع إلى الأطبّاء ، فهو يحدّد لك أصل الرّجوع إلى الأطبّاء لا تفاصيل الرّجوع ، ولا يحدّد من هو الطّبيب الّذي لا بدّ من مراجعته ، فهو يبيّن لك أصل مراجعة الأطبّاء لا تفصيلاتها .

وبنفس الطّريقة رواية "مَنْ كَانَ مِنَ الفُقَهَاءِ . . ." أرجعتنا إلى الفقهاء أي ذكرت أصل التّقليد لا تفاصيل التّقليد ، فبالنّسبة للطّبيب حينما يصاب الإنسان بمرض في قلبه يقال له : ارجع إلى الأطبّاء .

ويبدأ المريض بالبحث عن طبيب متخصّص بأمراض القلب ، ولا يذهب إلى أيّ طبيب ، فهو الآن بدأ يحدّد من يرجع إليه ، فيسأل عن أطبّاء القلب ثمّ يسأل عن أعلم طبيب بينهم ، فالآن بدأ بتفاصيل الرّجوع إلى الأطبّاء .

مثلًا إذا أصيب بمرض السّكّريّ فإنّه يبدأ بالبحث عن طبيب متخصّص بهذا المرض ، ويبحث عن أعلم الأطبّاء ، ولا يرجع إلى جميع الأطبّاء ولا إلى أيّ طبيب متخصّص بالأمراض الأخرى ، فهنا يأتي إلى التّفاصيل .

وكما يبحث عن الطّبيب المعيّن ضمن الأطبّاء يبحث عن الفقيه المعيّن ضمن الفقهاء ، والقاعدة واحدة ، فالعلم الدّينيّ كباقي العلوم يوجد فيه متخصِّصون ، وأنت تختار من بين هؤلاء المتخصّصين واحدًا ؛ لكي ترجع إليه في أخذ الأحكام الدّينيّة بنفس الطّريقة .

لنقرأ هنا بعض الرّوايات الشّريفة :

الرّواية الأولى :

عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمريّ أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أُشْكِلَتْ عَلَيَّ ، فورد التّوقيع بخطّ مولانا صاحب الزّمان عليه السّلام : وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنّهم حجّتي عليكم ، وأنا حجّة الله [1] .

الحوادث الواقعة أي مستجدّات الوقائع ، وما نسمّيه اليوم (المسائل المستحدَثة) ، لا في الفقه العمليّ فقط ، الحوادث الواقعة مثل الحوادث السّياسيّة والحوادث الاقتصاديّة والحوادث الاجتماعيّة ، والقضايا الفرديّة ، والقضايا الجماعيّة ، والمسائل العقائديّة ، والأمور

---

[1] وسائل الشّيعة ج١٨ ص١٠١ ح٩ .

الأخلاقيّة ، ففي كلّ ما يقع من حدث ترجع إلى الفقهاء لأجل معرفة حكمه الشّرعيّ ، والحكم الشّرعيّ أعمّ من الفقه العمليّ .

وحينما تراجع الرّسائل العمليّة تجد فيها التّركيز على الفقه الفرديّ ، أنت أيّها المكلّف تكليفك هذا وتكليفك ذاك ، فتبيّن المسائل ضمن النّطاق الفرديّ ، أنت تصلّي ، وأنت تصوم ، وأنت تذهب إلى العمرة والحجّ ، ولكنّ الرّسائل العمليّة لا تبيّن القضايا الاجتماعيّة والقضايا السّياسيّة المرتبطة بالحجّ ، تتكلّم عنك كفرد وأنّك تقوم بهذا العمل ؛ لكي يكون عملك صحيحًا من ناحية الفقه العمليّ ، ولا تتعرّض إلى أمور أخرى ، فلا تتعرّض إلى أنّه في الحج هل يمكن الاستفادة الاجتماعيّة أو لا ، فنحتاج إلى رسائل أخرى ، مثل الرّسالة الاجتماعيّة ، والرّسالة الاقتصاديّة الّتي تبيّن المسائل المتعلّقة بالجانب الاقتصاديّ .

والآن نجد في الرّسالة العمليّة بعض الأحكام المتعلّقة بالتّجارة ، مثل أنّ العقد يكون بهذه الكيفيّة من الإيجاب والقبول ، وكأنّك أنت موجود فقط ، فتعقد مع شخص آخر فيكون عقدك صحيحًا ، ولكن إذا نظرنا إلى القضايا التّجاريّة نسأل : هل لها تأثير على القضايا السّياسيّة أو ليس لها تأثير ؟

هذه المسألة لا تبحثها الرّسالة العمليّة .

وإذا كنت في دولة فما هي الأعمال الاقتصاديّة الّتي يجوز أن تقوم بها ؟

قد تقوم بعمل معيّن من ناحية فرديّة ، ولكن قد يؤثّر على اقتصاد البلد ، فيقول الفقيه بحرمة هذا العمل مع أنّه في أصله كعمل فرديّ جائز ؛ لأنّه يؤثّر على اقتصاد البلد سلبًا .

تسأل : في علاقاتي الاقتصاديّة العالميّة الأصل في التّجارة الحلّيّة ، فهل يجوز أن أتعامل مع دولة معادية بحيث أشتري منها وأبيع في بلدي ونعرف أنّ التّجّار عندهم وكالات من بعض الشّركات في دول معادية ؟

لا تجد جواب هذا السّؤال في الرّسالة العمليّة ، وتحتاج إلى إرسال استفتاء إلى مرجعك ، فالرّسالة العمليّة لا تطرح كلّ شيء في الأمور السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة ، فالرّسالة العمليّة تبيّن بشكل عامّ الأحكام المتعلِّقة بالفرد ، فنحتاج إلى رسائل أخرى في الأمور الأخرى .

سؤال : ما هي أبسط مبادئ الاقتصاد الإسلاميّ ؟

إذا طرحنا هذا السّؤال قد لا نجد جوابًا معيّنًا واضحًا ، واقتصاد الدّول المسلمة قائمة على أساس النّظام الرّأسماليّ ، وقوانين الدّول قوانين رأسماليّة .

تذهب إلى البنك وتأخذ قرضًا فيأخذون منك فائدة ربويّة ، والتّاجر في البلدان المسلمة يرفع الأسعار كما يريد ، هذا هو الاقتصاد الرّأسماليّ ، والتّاجر يريد أن يربح ، ولا يفكر بأنّ هناك طبقة من النّاس تتضرّر بارتفاع الأسعار .

الاقتصاد الرّأسماليّ لا يهتمّ بهذه الطّبقة من النّاس حتى لو مات جميع أفرادها ، ولكنّ الاقتصاد الإسلاميّ يهتمّ بهذه الطّبقة الفقيرة ، فيأتي الاقتصاد الإسلاميّ ويحدّد أسعار كلّ شيء في البلد ، أسعار البضائع وإيجارات المحلّات والشّقق والبيوت وأسعار شرائها ؛ لكي لا يتضرّر النّاس من ارتفاع الأسعار ، فيكون السّوق الإسلاميّ تحت السّيطرة دائمًا ، وفي الاقتصاد الرّأسماليّ يحتكر التّاجر أيّ بضاعة من البضائع ، ولا يهمّه أنّ النّاس يتضرّرون أو لا يتضرّرون ، فالتّاجر الرّأسماليّ يريد أن يربح فقط ، وأمّا في الاقتصاد الإسلاميّ فالاحتكار حرام ، وإذا احتكر أحد التّجّار مادّةً من الموادّ الغذائيّة أو غير الغذائيّة فالدّولة الإسلاميّة ترسل إليه إمّا أنّه يأتي بالبضائع إلى السّوق ويبيعها بالأسعار المحدّدة وإمّا أن تأخذ الدّولة البضائع وتبيعها وتعطي المبلغ لصاحب البضاعة ، فالضّرر الّذي يقع على النّاس يكون داخلًا في حسابات الاقتصاد الإسلاميّ ؛ لأنّ الإسلام جاء لخدمة النّاس ولا سيّما الطّبقة الفقيرة ، ويراعي ظروف النّاس ، وتوجد طبقة فقيرة لا تستطيع أن تشتري حاجاتها اليوميّة ، فالاقتصاد الإسلاميّ والحاكم الإسلاميّ يكون مسئولًا عن جميع النّاس ، والفقراء لا بدّ من أن تُقْضَى حوائجهم ، وهذا هو دور الحاكم الإسلاميّ ، فلا يوجد فقير في الدّولة الإسلاميّة ، ومَنْ لا توجد عنده قدرة على كسب الرّزق كأن يكون معاقًا أو كبيرًا في السّنّ فالدّولة تتكفّل به ، والدّولة تتكفّل بجميع النّاس الّذين يقيمون على أرضها ، ولا ينظر إلى أنّه مواطن أو

وافد ، فما دام أنّه دخل حدود الدّولة فالحاكم مسئول عنه ، وهذا لا تجده في الاقتصاد الرأسماليّ .

إذن :

نحتاج إلى أحكام شرعيّة اقتصاديّة ، ولا بدّ من أن توجد كتب ومؤلّفات في هذا الموضوع .

سؤال : الآن في المكتبة الإسلاميّة كم كتاب يتناول الاقتصاد الإسلاميّ ؟

الجواب :

تجد كتبًا معدودةً .

سؤال : كم كتاب يوجد في النّظام الاجتماعيّ الإسلاميّ ؟

الجواب :

كتب معدودة .

سؤال : كم رسالة عمليّة توجد ؟

الجواب :

مئات الرّسائل العمليّة .

سؤال : كم بحوث فقهيّة عمليّة توجد ؟

الجواب :

آلاف البحوث والكتب سواء في أصول الفقه أم في الاستدلال على مسائل الفقه العمليّ .

نقول : نعم هذا مطلوب ، ولكن كم كتاب يوجد في العقائد ؟

الجواب :

كتب معدودة .

كما احتجنا إلى آلاف البحوث والكتب والمؤلَّفات في الفقه العمليّ كذلك نحتاج إلى آلاف البحوث والكتب في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، بل لا بدّ من أن تكون البحوث أكثر من بحوث الفقه العمليّ .

لا نقول بالتّقليل من بحوث الفقه العمليّ ، بل ندعو إلى زيادة البحوث في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، وكما حصل التّطوير في علم الفقه العمليّ وأصوله ، فلا بدّ أن يسير معه تطوير في علم العقائد وعلم الأخلاق .

يوجد علماء كثيرون متخصّصون في الفقه العمليّ ، كذلك لا بدّ من وجود علماء كثيرين متخصّصين في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، وأن توجد كتابات كثيرة فيهما ، وعلى بعض طلبة الحوزة من البداية أن يحدّدوا النّواقص الموجودة في الحوزة ، وكذلك الفراغات في المكتبة الإسلاميّة ، ويبدأون بملء هذه النّواقص والفراغات ، ولا نحتاج إلى تكرار الكتب والبحوث .

مثلًا في الفقه العمليّ حينما يريد أن يكتب كتابًا استدلاليًّا فإنّه يرجع إلى كتب العلماء السّابقين ، وفي كلّ مسألة توجد أربعة أو خمسة آراء ، فإمّا أن يتبنّى هذا الرّأي أو ذاك الرّأي ، ولا يوجد شيء جديد ، ويأتي بالأدلّة على المسألة ، والأدلّة مذكورة في الكتب

السّابقة ، فيتبنّى أحد الآراء مع أدلّته ، إلّا أن يكون عندنا تجديد في الأحكام الشّرعيّة بناءً على نظريّة دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام ، فيوجد تجديد في أحكام الدّين ، وفي الفقه العمليّ كثير من البحوث عبارة عن تكرار لما طرحه العلماء السّابقون ، ولا يوجد فيها شيء جديد ، إلّا أن يأتي العلماء بنظريّات وقواعد جديدة تغيّر الفقه التّقليديّ إلى فقه جديد ، فيتمّ تأسيس فقه جديد استنادًا إلى الأدلّة الشّرعيّة ، ولا يكون التجديد بدون أدلّة شرعيّة ، ولا يُقْصَدُ كلّ الفقه العمليّ ، فهناك أحكام ثابتة غير قابلة للتّغيير .

وطرحنا في بعض المحاضرات عن دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام ، وبناءً على هذه النّظريّة تتغيّر مجموعة من الأحكام ؛ لأنّ مواضيع الأحكام تتغيّر .

مثلا يصلّي صلاة المسافر إذا قطع ٤٤ كيلومترًا ، والآن قطع هذه المسافة بالسّيّارة يستغرق دقائق معدودة ، ولا يحتاج إلى جهد وعناء ، ولا يسمّى من قطع هذه المسافة مسافرًا ، نعم في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله قطع هذه المسافة قد يحتاج إلى يوم كامل ، فنسأل : هل نأخذ بالحسبان الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في قطع المسافة أو لا ؟

إذا أخذنا هذه الظّروف فالصّلاة لا تكون قصرًا ، ويكون المقياس هو السّفر العرفيّ ، وأنّ هذا المكلّف يطلق عليه (مسافر) أو لا يطلق عليه من ناحية عرفيّة ، فإذا أطلق عليه (مسافر) يقصر الصّلاة ، والآن إذا قطع ٢٢ كيلومترًا لا يعتبر مسافرًا عرفًا ، ومع ذلك نرى بأنّ

المكلّف يقصر الصّلاة .

وننبّه بأنّنا هنا لا نقدّم بحوثًا فتوائيّةً ولا نطرح فتاوى ، وإنّما نبحث بحثًا نظريًّا ، ونذكر أمثلةً من الأحكام الشّرعيّة ، واستنباط الأحكام وظيفة الفقهاء .

ومن الممكن أن ننظر إلى تجديد الأحكام الشّرعيّة بناءً على تغيّر موضوعات الأحكام فتتغيّر الأحكام ، فإذا نظرنا إلى دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فنأتي إلى فقه جديد ، وتتغيّر بعض الأحكام بناءً على تغيّر موضوعاتها ، وكلّ حكم له موضوع ، فإذا تغيّر الموضوع تغيّر الحكم ، ومن ضمن الموضوع الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة عند من يتبنّى نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ومن لا يتبنّى هذه النّظريّة فالموضوعات ثابتة لا تتغيّر ، وبالتّالي فالأحكام لا تتغيّر .

وذكرنا في أحكام الزّكاة كيف يتغيّر الموضوع ، فتجب الزّكاة في موادّ جديدة ، وهدف الزّكاة قضاء حوائج الفقراء ، وإذا لم توجد الزّكاة فلا يرتفع فقرهم ولا تقضى حوائجهم ، فلا بدّ من أن ننظر إلى غايات الأحكام ، وعلى أساس الغايات نتحرّك .

وإذا استطعنا أن نحدّد الغاية من الحكم فيمكننا استنباط الحكم على أساسها ، فالزّكاة ليست أمرًا تعبّديًّا فقط ، وإنّما هي عبارة عن إمداد مادّيّ للدّولة الإسلاميّة ؛ لكي تقضي حوائج الفقراء ، ولو راجعنا مسائل الزّكاة نجد أنّها تجب في موادّ معيّنة ، وبعض التّجّار لا توجد عندهم هذه الموادّ ، ومعنى ذلك أنّه لا توجد زكاة في زماننا الحاليّ إلا

في موادّ قليلة لا تقضي حوائج الفقراء .

وحينما نراجع القرآن الكريم نجد أنّه يقول في عدّة مواضع : "**يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**" [(١)] .

فالزّكاة مقترنة ومرتبطة بالصّلاة ، والاقتران بين إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة معناه كما أنّ الصّلاة مستمرّة فالزّكاة لا بدّ من أن تكون مستمرّةً أيضًا ، وهذا دليل قرآنيّ على الاقتران والرّبط بينهما ، وهذا الرّبط دليل على أهمّيّة الزّكاة ، فكما تجب عليك إقامة الصّلاة يجب عليك أن تأتي بالزّكاة ، واستمرار الزّكاة معناه عدم حصرها ضمن موادّ معيّنة كانت موجودة في زمان النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فكلّ مادّة – سواء كانت غذائيّةً أم غير غذائيّة – موجودة عند التّاجر تمثّل اقتصادًا فتجب فيها الزّكاة .

ونرجع إلى الرّواية ، ومعناها : وأمّا الحوادث الواقعة في جميع المجالات فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا .

ويفهم لأوّل وهلة من (رواة الحديث) من يروي الحديث ، فإذا كتب كتابًا وجمع الأحاديث فيكون من رواة الحديث ، ويمكن للنّاس أن يرجعوا إليه في أخذ الأحكام ، فهل يُقْبَلُ أنّ من يروي الأحاديث يأخذ النّاس منه الأحكام أو أنّ من يفهم الأحاديث ويستنبط الأحكام منها يرجع إليه النّاس أي من يكون فقيهًا ؟

الرّواية تقول : (رواة حديثنا) ، والمطلوب حينما ترجع في الحوادث

---

(١) المائدة : ٥٥ ، التّوبة : ٧١ ، النّمل : ٣ ، لقمان : ٤ .

الواقعة لا ترجع إلى رواة الأحاديث فقط ، وإنّما ترجع إلى من يستنبط من الأحاديث أحكام الحوادث الواقعة .

إنّ (رواة الحديث) هنا يكون من باب العنوان لا من باب الوظيفة ، نريد أن نعطي للفقهاء عنوانًا معيّنًا فنقول (رواة الحديث) ، فنذكر العنوان ، ولكن وظيفتهم استنباط أحكام الحوادث الواقعة من الأحاديث ، فهنا الرّواية لا تبيّن وظيفة رواة الحديث ، وإنّما تضع لهم عنوانًا ، ومن المتعارف أنّ الفقيه حينما يستنبط الأحكام كان يرجع إلى الرّوايات الشّريفة بالإضافة إلى آيات القرآن الكريم ، فصار (رواية الأحاديث) عنوانًا لهم ، ولكنّ وظيفة رواة الأحاديث هي استنباط أحكام الحوادث الواقعة .

وتقول الرّواية : "فإنّهم حُجَّتِي عليكم ، وأنا حُجَّةُ الله" .

نسأل : لماذا لم تقل الرّواية : فإنّهم حجّة الله عليكم ، وأنا حجّة الله ؟

الجواب :

"**حجّتي عليكم**" أي أنّهم منصوبون من قِبَلِ الإمام عليه السّلام ، فإذا كانوا منصوبين من الإمام عليه السّلام فيكون الحكم حكمًا ولائيًّا ، فإذا ظهر الإمام عليه السّلام فقد يقول عليه السّلام بأنّ النّاس لا يحتاجون إلى الفقهاء لاستنباط الأحكام الظّاهريّة ؛ لأنّ الإمام عليه السّلام يعطينا الأحكام الواقعيّة ، وقد يقول الإمام عليه السّلام بأنّ النّاس يحتاجون إلى الفقهاء ؛ لأنّ هذا الحكم حكم ولائيّ

حكوميّ أي من باب أنّ الإمام عليه السّلام حاكم ، فيعيّن من يأخذ مكانه في الحكم ، والحكم الولائيّ قد ينقطع ولا يستمرّ ، وقد لا يقول الإمام عليه السّلام بالرّجوع إلى الفقهاء أثناء حياته .

ثمّ يقول عليه السّلام : "وأنا حجّة الله" .

وهذا حكم مولويّ ؛ لأنّ الله عيّن الإمام عليه السّلام ، وهو حكم مستمرّ لا ينقطع ، مثل حكم الصّلاة الّذي هو تشريع من الله ، فيكون مستمرًّا ، وحكم الصّلاة حكم مولويّ لا حكم ولائيّ ، وأمّا "هم حجّتي عليكم" فهذا حكم ولائيّ ؛ لأنّه تعيين من الإمام عليه السّلام ، فنفرّق بين الحكم المولويّ والحكم الولائيّ ، فالحكم المولويّ يكون من الله عزّ وجلّ ، ويكون مستمرًّا ، فحتّى بعد ظهور الإمام عليه السلام أنت تصلّي وتصوم ، فالصّلاة والصّيام أحكام مولويّة ، والحكم الولائيّ هو من النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام باعتبار أنّه حاكم ، ولكن مع ظهور الإمام عليه السّلام هل يوجد فقهاء أو لا يوجد ؟

نقول : حينما يظهر الإمام عليه السّلام نسأله : هل تريد وجود الفقهاء أو لا تريد ؟

والإمام عليه السّلام هو الّذي يحدّد .

والبعض يسأل : في عصر الإمام عليه السّلام بعد الظّهور هل الفقهاء موجودون أو لا ؟

الجواب : إنّ هذا الأمر موكول إلى الإمام ؛ لأنّه حكم ولائيّ .

في الحوادث الواقعة أرجعنا الإمام عليه السّلام إلى رواة الحديث ، فهم حجّة الإمام على النّاس كما أنّ الإمام حجّة الله على النّاس .

نسأل : الإمام عليه السّلام في أيّ المجالات هو حجّة الله على النّاس ؟

الجواب :

في جميع المجالات والقضايا ، فهو حجّة في جميع القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والفرديّة والجماعيّة وغيرها ، وهو الحاكم على النّاس ، وهذه الوظائف الّتي تكون للإمام عليه السّلام تنتقل إلى الفقهاء ، فنفس الوظائف الّتي يقوم بها الإمام عليه السّلام تكون للفقهاء في عصر الغيبة الكبرى ، وهذا ما نفهمه من هذه الرّواية بدون الاستعانة بالرّوايات الأخرى ، وضمن هذه الرّواية يأتي بحث "ولاية الفقيه" ، ويختلف الفقهاء في دائرة سعتها وضيقها ، وهذه الرّواية تحدّد وظيفة الفقهاء في عصر الغيبة الكبرى ، فما يكون من وظائف للإمام عليه السّلام يكون للفقيه .

يقول الشّيخ مرتضى الأنصاريّ رضوان الله عليه في هذه الرّواية : "فإنّه لمّا سُلِّمَ أنّ ظاهر الصّدر الاختصاص بالرّجوع في حكم الوقائع إلى الرّواة أعني الاستفتاء منهم ، إلّا أنّ التّعليل بأنّهم حجّته عليه السّلام يدلّ على وجوب قبول خبرهم" [1] .

وضّح الشّيخ الأنصاريّ رضوان الله عليه معنى (رواة الحديث) ،

---

[1] فرائد الأصول ج١ ص٣٠٢ . ظاهر الصّدر : ظاهر صدر الرّواية .

فالاستفتاء منهم معناه أنّهم فقهاء ، فرواة الحديث عنوان ، والوظيفة هو إعطاء الفتاوى بواسطة استنباط الأحكام من الأدلّة ، والتّعليل بأنّهم حجّته معناه أنّهم يفتون ، والواجب على النّاس أن يأخذوا بفتاوى الفقيه ، فنأخذ الأحكام الدّينيّة من الفقهاء .

ويقول الشّيخ الأنصاريّ رضوان الله عليه عن روايات إرجاع الأئمّة عليهم السّلام إلى رواة الحديث : "فإنّها محمولة على صورة عدم العلم بالاختلاف بل اعتقاد الاتّفاق" .

الرّواية السّابقة ترجعنا إلى الفقهاء في صورة اتّفاقهم على الحكم ، فتأخذ هذا الحكم من أيّ فقيه ، ولكن إذا اختلف الفقهاء فالرّواية لا تبيّن ماذا نفعل في حالة اختلاف الفقهاء في الفتوى ؟

فنحتاج إلى أدلّة أخرى لمعرفة من نرجع إليه في حالة اختلاف الفقهاء ، والرّواية السّابقة لا تبيّن ذلك .

وسنأتي إلى ذكر بعض الرّوايات الشّريفة في المحاضرات القادمة ، ونبيّن أنّ هذه الرّوايات تستعمل كلمة (الأعلم) ، وفي بعضها كلمة (الأفقه) ، والبعض يقول بأنّه لا توجد روايات تدلّ على الأعلميّة ، سنذكر مجموعة من الرّوايات الّتي تدلّ على الأعلميّة ، وأنّ الأعلميّة مطلوبة ، والأدلّة الأخرى تبيّن لنا أهمّيّة الأعلميّة واشتراطها في الرّجوع إلى الفقهاء .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : عميد الدّيوانيّة الحاجّ محمّد يوسف العيسى :

تاجر اشترى بضاعة غالية الثّمن ، كيف يبيعها بسعر أقلّ ؟

هذا لا يسمّى احتكارًا .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

لم نقل إنّ التاجر لا يبيع بربح ، الاحتكار هو أنّه عنده بضاعة واشتراها بدينار مثلًا ، يحتكرها ولا يبيعها في السّوق ، ولا يوجد مثلها في السّوق مع حاجة النّاس لها ، وبدل أن يبيعها بدينار وربع ينتظر الأسعار حتّى ترتفع إلى عشرة دنانير ، وطبعًا يكون النّظر إلى الكمّيّات الكبيرة مع الفقد من السّوق وحاجة النّاس لها ؛ لأنّها من الموادّ الضّروريّة لهم ، كالأرزّ في بلدنا .

مثلًا الوكيل يأتي بالأرزّ من الخارج ، ويتركها في المخازن ، ولا يبيعها على النّاس ، وينتظر ارتفاع الأسعار ، لنفرض أنّ سعر الكيلو ربع دينار ، فينتظر إلى أن يصعد السعر إلى خمسة دنانير ، وبعد ذلك ينزّله إلى السّوق ، هذا هو الاحتكار .

ويحرم الاحتكار في جميع الموادّ الّتي يحتاجها النّاس سواء كانت موادًّا غذائيّةً أم غير غذائيّة ، لا فقط الزّبيب والتّمر والقمح والشّعير ، مثلًا في الشّتاء يحتاج النّاس إلى الكيروسين للتّدفئة ، فيحرم احتكاره مع أنّه مادّة غير غذائيّة ، ويجب على الدّولة أن تتدخّل ، فإمّا أن تتكفّل بأن تأتي بهذه البضاعة من الخارج وتوزّعه على النّاس مجّانًا أو

تبيعه بسعر معقول وإمّا أن تجبر التّاجر على البيع ، وإذا لا يرضى بالبيع يذهب موظّفون من الدّولة إلى مخازنه ، ويأخذون البضاعة ويبيعونها بسعر مع ربح معقول ، ولا تباع بخسارة ، وتعطى مبالغ البيع لصاحب البضاعة ، وقد يجعل عليه غرامة كعقاب له ، ومن الممكن جعل هذه الغرامة للتّصدّق بها على الفقراء ، والهدف من حرمة الاحتكار هو رفع حاجات النّاس ، وهو أمر اقتصاديّ مهمّ في كل بلد .

وأمّا الرّبح في التّجارة فمطلوب ، والتّاجر لا بدّ من أن يربح نسبة معيّنة ، ولا يثقل على النّاس ، وهذه تجارة وليست احتكارًا ، نعم لا يشتري البضاعة بدينار ويبيعها بمائة أو ألف دينار .

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

في رواية بما معناها : اعقلوا العلم عقل دراية لا عقل رواية ، فإنّ رواة العلم كثير ، ورعاته قليل .

وفي رواية أخرى : خبر تدريه خير من خبر ترويه .

هل هذا يساعد على الفهم ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

في القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة ليس المطلوب الحفظ عن ظهر قلب فقط ، نعم من الجيّد أن تحفظ النّصوص ، ولكنّ المطلوب هو الفهم ، ولو كان الحفظ على حساب الفهم فالفهم مُقَدَّم ، أوّلًا فهم القرآن والرّوايات ، وبعد ذلك الحفظ ، وليس أوّلًا تحفظ ثمّ تفهم ،

والمطلوب هو تدبّر آيات القرآن وفهمها ، والحفظ شيء زائد على الفهم ، لا نبدأ بالحفظ ثمّ نبدأ بالتّدبّر ، أوّلًا التّدبّر والفهم ثمّ الحفظ ، وقلنا سابقًا إنّ (مراكز تحفيظ القرآن) تتحوّل إلى (مراكز تدبّر القرآن)، نغيّر العنوان ، وضمن البرنامج يوجد الحفظ ، ولكنّ الأصل أنّ الطّفل حينما يحفظ القرآن لا بدّ من أن يفهم المعاني .

مثلًا يكون حافظًا لسورة التّوحيد وتسأله : ما معنى الصّمد ؟

يجيب : لا أدري .

وبعض كبار السّنّ من الّذين يحفظون القرآن قد لا يعرفون معنى الصّمد ، فأوّلًا الفهم ثمّ الحفظ ، وليس العكس .

والمطلوب نشر الثّقافة القرآنيّة في المجتمع ، والآن القرآن بشكل عامّ مُهْمَلٌ عند المسلمين ، والاهتمام منصبّ على القراءة فقط دون الفهم ، وهذا الأمر يلاحظه الجميع .

ولا بدّ من أن تكون انطلاقتنا من فهم القرآن ، وحتّى في محاضراتنا ودروسنا وكلماتنا وأمورنا لا بدّ من أن نرجع إلى القرآن أوّلًا ، لا أن نذهب مباشرةً إلى الرّوايات .

وفي بحوث الفقه العمليّ أوّلًا نستخرج القواعد العامّة من القرآن ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات لنرى أنّ هذه الرّواية تتوافق مع القرآن أو لا تتوافق ، فإذا توافقت الرّواية مع القرآن نأخذ بها ، وإذا لم تتوافق لا نعتمد عليها ، ولكن إذا أتينا مباشرةً إلى الرّوايات قد تتعارض الرّواية مع القرآن ، ومع معارضتها يُسْتَنْبَطُ منها حكم شرعيّ .

إذن :

نرجع إلى القرآن أوّلًا لأجل تحديد القواعد العامّة ، ثمّ نأتي إلى الرّوايات الّتي تتناسب مع القرآن ومع القواعد العامّة المستنبطة من القرآن ، فإذا رأينا أنّ الرّواية لا تتوافق مع القرآن لا نأخذ بها ، أو تتوافق مع القرآن فنأخذ بها ؛ لأنّ الآيات قد تكون مجملةً ، والرّوايات تعطي التّفاصيل ، والرّوايات تبيان للقرآن .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

". . . **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** . . . " (١) .

إنّ القواعد الأساسيّة للأحكام الدّينيّة موجودة في القرآن ، مثلًا حينما نريد أن نتكلّم عن التّوحيد يقال : اذهب إلى الرّوايات .

نقول : أوّلًا نرجع إلى القرآن ، والقضايا العقائديّة من المفروض أن تكون موجودةً في القرآن ، وفي بحوث الإمامة نرى أنّها تبدأ من الرّوايات ، ويسألون عادةً : ما هي الرّوايات الدّالّة على الإمامة ؟

ويأتي الجواب : حديث الثّقلين .

والمفروض أن يكون السّؤال : ما هي الآيات الدّالّة على الإمامة ؟

والمدارس والمذاهب الأخرى قد لا تقبل هذه الرّوايات أو تقبلها وتؤوّلها إلى غير معناها المراد ، مع أنّ حديث الثّقلين معترف به بين جميع المدارس والمذاهب .

وبعض الرّوايات إذا كانت مقبولةً ضمن مدرستك فقط فالمدرسة

---

(١) النّحل : ٤٤ .

الأخرى لا تقبلها ، ولكن إذا أتيت إلى القرآن واستخرجت القواعد العامّة للإمامة فالطّرف الآخر لا يستطيع أن يرفض ، والقرآن متّفق عليه بين جميع مدارس ومذاهب المسلمين ، والقرآن الموجود اليوم لا يوجد فيه نقص ولا زيادة ولا تحريف ، فحينما تستخرج القاعدة العامّة من القرآن فلا يمكن لأحد رفض هذه القاعدة .

نسأل : هل يمكن إثبات الإمامة من القرآن أو لا يمكن ؟

الجواب :

نعم يمكن ، ويحتاج إلى بحث ، وإذا وصلنا إلى بحوث الإمامة سنبيّن أنّه يمكن الاستدلال على الإمامة من القرآن بحيث إنّ الأطراف الأخرى لا يمكن لها رفضه ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات الموجودة في كتب مذاهب ومدارس المسلمين ، ونستفيد من الروايات بعد إثبات أنّها تتوافق مع القرآن الكريم .

نسأل : هل الإمامة أمر فطريّ عند الإنسان أو لا ؟

الجواب :

هذا سنبيّنه في بحوث الإمامة ، فإذا كانت أمرًا فطريًّا فيكون مقبولًا من جميع المسلمين بل من جميع النّاس .

وإذا استطعنا أن نبيّن أنّ الأحكام الدّينيّة تتوافق مع فطرة الإنسان أو عقل الإنسان أو عرف الإنسان فالعالم سيقبل جميع الأحكام ، ولا نقول فقط إنّ هذه الأحكام تعبّديّة ويجب عليكم أن تقبلوا ، هذا يكون من باب الإكراه والفرض على الآخرين ، ولكن لو بيّنّا أنّ

الصّلاة مثلًا تتوافق مع فطرة الإنسان فلا يمكن لأحد أن يُشْكِلَ على الصّلاة ، ونثبت أنّ الصّيام والحجّ وجميع العبادات تتوافق مع فطرة الإنسان .

وأيّ حكم إذا كان لا يتوافق مع فطرة الإنسان فنسأل : هل يتوافق مع عقل الإنسان أو لا يتوافق ؟

وإذا كان لا يتوافق مع الفطرة والعقل فنسأل : هل يتوافق مع الأعراف العامّة والسّيرة العقلائيّة العرفيّة عند النّاس أو لا يتوافق ؟

ونسأل : من البداية هل يحتاج الإنسان إلى الدّين أو لا يحتاج ؟

وهذا يحتاج إلى بحث تفصيليّ ، وبعد ذلك نأتي إلى أحكام الدّين . نسأل : هل البشريّة تحتاج إلى دين إلهيّ أو لا ؟

كلّ هذا سيأتي في بحوث تفصيليّة إن شاء الله ؛ لكي نبيّن أنّ البشريّة تحتاج إلى دين إلهيّ في حلّ مشكلاتها ، وبدون الدّين الإلهيّ نرى هذه الفوضى المنتشرة في العالم ، فلا بدّ من أن يقتنع النّاس بالإسلام بدون فرض وإكراه ، لا كعمل الإرهابيّين الّذين يقولون : إمّا أن تصير مسلمًا وإمّا أن أقتلك .

وإذا كان المسلمون لا يستطيعون إقناع النّاس بالإسلام فالعيب في المسلمين لا في النّاس ، ونحن نعتقد أنّ الإسلام دين كامل ، وأنّه صالح لكلّ زمان ومكان ، ولكن لا بدّ من أن نبيّن للنّاس من أنّه كامل وصالح لكلّ زمان ومكان ، ولو نظرنا إلى مجتمعات المسلمين بشكل عامّ فإنّنا نرى أنّها مجتمعات متخلّفة فكريًّا وعلميًّا ونظريًّا

وثقافيًّا وعمليًّا ، وأقلّ شيء أنّه لا يوجد التزام بنظام وقانون من المسلمين ، اذهب إلى طابور لشراء الخبز وسترى أنّ هناك شخصًا يتخطّى جميع الواقفين ليكون أوّل المشترين ، وهذا أقلّ شيء ، فلحدّ الآن لا يعرف المسلمون أنّ هذا الواقف له حقّ في المكان الّذي وقف فيه ، ويسمّى (حقّ النّوبة) ، هو حقّ عرفيّ وحقّ شرعيّ ، فيحرم أن تأخذ مكانه أو تتقدّم عليه ، وفي المسجد إذا حجزت مكانًا فلا يجوز لأحد أن يأخذ مكانك ، ونظنّ بأنّ هذه المسألة في المسجد فقط وأنّ الأمر تعبّديّ ، ولكنّ الأمر ليس تعبّديًّا بحتًا ، فالأمر عرفيّ قبل أن يكون شرعيًّا ، والدّين أيّد العرف في هذا الأمر ، وإذا طرحتها على أنّها قضيّة عرفيّة وأيّدها الدّين فالعالم سيقبل هذه المسألة منك ، ولكنّ العالم حينما ينظرون إلى مجتمعات المسلمين يرون التّخلّف في كلّ ناحية ، فكيف يريد المسلمون أن يقنعوا النّاس أنّ الإسلام صالح لحلّ جميع مشاكل العالم ؟!

يقولون : أنتم المسلمين لم تحلّوا أبسط مشاكلكم ، فهل يمكن أن يتقبّل العالم الإسلام ؟!

يقولون : إذا كان الإسلام دينًا صحيحًا فلا بدّ من أن يظهر الأثر عليكم أيّها المسلمون .

كم من الآيات تدعو إلى التّعقّل ؟

كم يعطي المسلمون أهمّيّة للعقل ؟

كم من الآيات تدعو إلى التّفكّر ؟

كم من المسلمين عندهم حالة التّفكّر ؟

كم من الآيات تدعو إلى التّفكّر في خلق السّماوات والأرض ؟

كم من المسلمين يتفكّرون في خلق السّماوات والأرض ؟

ولا يقصد من التّفكّر في خلق السّماوات والأرض مجرّد النّظر ، وإنّما يقصد اكتشاف القوانين والكواكب الأخرى والصّعود بالسّفن الفضائيّة إلى القمر والوصول إلى الكواكب الأخرى ، ليس تفكّرًا نظريًّا فقط ، وإنّما تفكّر نظريّ يؤدّي إلى حركة وعمل وتطوير جميع العلوم ، والآن حينما ينظرون إلى مجتمعات المسلمين فلا يمكن أن يقبلوا الإسلام ، فالمسلمون لا يستطيعون أن يصنعوا إبرةً ، والإبرة نأتي بها من الشّرق والغرب ، فنستورد من الإبرة إلى الطّائرة .

هل توجد دولة للمسلمين تصنع طائرات ؟

هل يوجد عند المسلمين تطوير للعلوم ؟

لا يوجد ، فكيف يمكن للمسلمين أن يقنعوا العالم أنّ الإسلام هو أفضل حلّ لمشاكل البشريّة ؟!

لا يستطيعون إقناع العالم ، وأوضاع المسلمين سيّئة ، والدّين يتحمّل مع أنّه في الواقع يوجد اختلاف بين الإسلام والمسلمين ؛ لأنّ المسلمين اليوم لا يطبّقون أحكام الإسلام أو يطبّقون أحكامًا مُزَيَّفَةً مُشَوَّهَةً ، والنّتيجة هي الإرهابيّون الّذين يشوّهون الإسلام بجميع التّشوّهات ، ووصل المسلمون في آخر المطاف إلى أنّ الإرهابيّ يريد أن يقتل جميع النّاس في العالم ، لا الكفّار فقط ، بل حتّى المسلمين

الذين لا ينتمون إلى مذهبهم ، وآخر شيء يبقى في العالم مليون شخص فقط ، وهم من يكونون على مذهبهم ، وهم الفرقة النّاجية ومن أهل الجنّة ، وباقي النّاس بما فيهم المسلمون من غير مذهبهم كلّهم من أهل النّار ، فقط لأنّ اسمه (مسلم على مذهب معيّن) ، والله لا ينظر إلى الأسماء والعناوين ، وإنّما ينظر إلى واقع الإنسان ، والنّتيجة هي أنّ الإسلام المشوّه وصل إلى الإرهاب وقتل المسلمين .

ولو كنّا نأخذ القرآن الكريم كمنهج لحياتنا لكان المسلمون أفضل الشّعوب ، والمفروض أن نكون كذلك ، ولكنّ واقع المسلمين سيّئ ، ولا يمكن أن تطلب من العالم أن يصبحوا مسلمين وهم يرون واقع المسلمين السّيّئ ، وهم لا يفرّقون بين الإسلام والمسلمين ، وتقولون نحن مسلمون ، ولكنّكم لا تطبّقون الإسلام ، وهم لا يعرفون أنّ المسلمين لا يطبّقون الإسلام ، وينظرون إلى واقع حياة المسلمين .

وبعض المسلمين يتحوّلون إلى المسيحيّة ؛ لأنّهم ينظرون إلى تطوّر الغرب ، والمفروض أن لا ننظر إلى المادّة والآلات فقط ، لا بدّ من أن ننظر إلى الدّين والأخلاق ، والدّين والأخلاق جزء من الحضارة ، وأمّا وسائل الإنتاج والأشياء المادّية فهي تعبّر عن المدنيّة ، ونفرّق بين الحضارة والمدنيّة ، في المدنيّة ننظر إلى تطوّر الآلات ووسائل الإنتاج ، ولا تنظر إلى الدّين والأخلاق ، وفي الحضارة ننظر إلى الدّين والأخلاق ووسائل الإنتاج ، وتكون وسائل الإنتاج في خدمة الدّين والأخلاق ، وفي الغرب والشّرق توجد مدنيّة ، ولكنّ الفساد منتشر

في العالم كلّه ، وهذه هي نتيجة النّظام الرّأسماليّ ، فلا يهمّه من أيّ طريق يكتسب المال حتّى لو كان عن طريق نشر الدّعارة والإباحيّة والمخدّرات في العالم ، المهم أن يكتسب مالًا أكثر ، ولا يهمّه أن يكون الطّريق صحيحًا أو خاطئًا ، ولكنّ المشكلة الكبرى هي أنّ المسلمين يتأثّرون بأفكار الغرب والفكر الرّأسماليّ ، فتجد شخصًا اسمه مسلم وبنته سافرة ، وتجد شخصًا اسمه شيعيّ من أتباع أهل البيت عليهم السّلام وبنته غير محجّبة حجابًا شرعيًّا ، ويقول أنا شيعيّ ، نسأله : سيّدتنا فاطمة الزّهراء عليها السّلام ماذا كانت تلبس ؟ هل تلبس هذا اللّباس غير الشّرعيّ ؟!

وبعض النّساء السّافرات اللّاتي عندهن حسابات في الإنستغرام تكتب : قدوتي الزّهراء عليها السّلام ، وتضع في مكان الصّورة صورتها بمكياج أو تكون محجّبةً مع مكياج أو صورة امرأة سافرة أو صورة لإحدى الممثّلات أو المطربات ، كيف تكون قدوتك الزّهراء عليها السّلام وأنت تضعين هذه الصّورة ؟!

حتّى لو كانت محجّبةً ، ولكنّ هذه الصّورة لا تتناسب مع الزّهراء عليها السّلام ، وتكتب : أنا شيعيّة من أتباع أهل البيت عليهم السّلام .

ويظنّ مثل هؤلاء أنّه ما دام عندهم الولاية فطريق الجنّة مفروش بالورود ، وكأنّ الاسم يكفي ، ولكنّ الاسم لا يكفي ، واقع الإنسان هو المهمّ ، وحينما ينتقل إلى البرزخ والقيامة فإنّه ينتقل بواقعه .

هل هو فعلًا يعتقد أو لا يعتقد ؟

هل يعتقد حقيقةً بالله أو لا يعتقد ؟

وواقع الإنسان مكشوف أمام الله والملائكة ، واللّسان يبقى خارج القبر ، نعم في الدّنيا من تشهّد الشّهادتين فهو مسلم ظاهرًا ، ولكن في القبر ينظرون إلى واقعه أنّه مسلم أو لا ، فإذا أخذ الإسلام من ناحية نظريّة فقط ولم يطبّق أحكام الإسلام فقد لا يكون معتقدًا حقيقةً .

وفي الرّواية أنّ بعض النّاس يكونون في الدّنيا مؤمنين ، ولكنهم يحشرون يوم القيامة كفّارًا .

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام : ". . . فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر ، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله" [1] .

هو مؤمن في الدّنيا بظاهره ، وكافر في الآخرة بواقعه ، فإيمانه لم يكن إيمانًا حقيقيًّا ، كان يتظاهر بالإيمان ، فإذا أصيب ببلاء فإنّه يعاتب الله ويقول : يا ربّي ، لماذا تصيبني بالبلاء ؟

ويقول : لو كنت ربًّا حقًّا لما أصبتني بالبلاء وأنا معتقد بك .

ويقول : لو كان الله موجودًا لما أصبت بهذا البلاء .

ولازم قوله : ما دام أنّني أصبت بالبلاء فالله غير موجود .

أليس هذا كفرًا بالله تعالى ؟

---

[1] الكافي ج٢ ص٣٩ ح٨ .

وبعض النّاس ينطقون أحيانًا بكلمات تعبّر عن كفر ، واقعهم هكذا ، عند أقلّ مصيبة بدل أن يتوجّه إلى الله بالدّعاء ، يلوم ويعاتب الله أنّه أصابه بهذه المصيبة .

والبعض يدعون الله مدّة أسبوع ولا يحصلون على الاستجابة فيتركون الدّعاء ، ولا بدّ من أن يستمرّ بالدّعاء ، وهو يقطع الدّعاء ، ويقول : أنا دعوت الله كثيرًا ولم يستجب لي .

لا يوجد نقص في الله عزّ وجلّ ؛ لأنّ الله عالم حكيم ، قد يكون العيب فيك أو أنّ الله بحكمته أخّر الاستجابة لمصلحتك .

إذن :

القرآن مهمّ في حياتنا ، من الآن ابدأوا ، لا قراءة الآيات فقط ، حاولوا أن تفهموا القرآن بحيث يشكّل منهاجًا وطريقًا في حياتك ، والأصل والأساس هو القرآن ، هذا الكتاب الّذي بألفاظه ومعانيه من الله ، كتاب لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ، لا أثناء نزوله ولا بعد نزوله ، لا بدّ من أن نحافظ عليه ، وتقرأ وتتدبّر آياته ، والقرآن يدعو إلى التّدبّر ، والقرآن أساس لحياتنا ، وحتّى في القضايا الدّينية في أيّ مسألة لا بدّ من أن نرجع إلى القرآن ، وطرحنا مجموعة من الآيات الّتي تتحدث عن (الأعلميّة) ، فمسألة الأعلميّة مسألة قرآنيّة قبل أن تكون مسألة روائيّة أو فطريّة أو عقليّة أو عرفيّة ، أوّلًا نرجع إلى القرآن الكريم ، وكلّ ما تريده موجود في القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم تبيان لكلّ شيء ، فإذا كان القرآن تبيانًا لكلّ شيء

فيكون تبيانًا لنفسه ، والقرآن الكريم تبيان لكلّ ما يحتاجه المسلم في حركته إلى الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٧)
الفقيه الأعلم بالكتاب والسّنّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في الأعلميّة ، وطرحنا سابقًا بعض الآيات القرآنيّة الّتي يستفاد منها أنّ الأعلميّة مقياس من المقاييس ، ومن هذه الآيات قوله تعالى :

"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الـمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْـمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الـمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" [٢] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢١ رجب ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٤/٢٩ م .

[٢] البقرة : ٢٤٧ .

في هـذه الآيـة الكريمـة نجـد أنّ الله يجعـل الأعلميّـة مقياسًـا مـن المقاييس في اختيار من يؤتيه المُلْك ، وهذا المقياس يطبّقه الله في هذا المورد ، فالله يطبّق الأعلميّة في مورد من الموارد ، وهذا المورد مصداق من مصاديق تطبيق الأعلميّة ، والمقياس ليس مختصًّا بهذا المورد ، فتكون الأعلميّة مقياسًا في جميع الموارد الّتي نحتاج فيها إلى الأعلميّة ، وهذا المقياس نأخذ به ، وعلى أساسه نقول بالأعلميّة في التّقليد ، والتّقليد مورد آخر من الموارد ، ومصداق آخر من مصاديق تطبيق المقياس ، ويمكننا أن نطبق المقياس في أيّ مورد آخر ويكون مصداقًا من مصاديق تطبيق الأعلميّة ، فنطبّق الأعلميّة في مسألة التّقليد .

وتوجد مجموعة من الرّوايات في مسألة الأعلميّة ، وطرحنا الرّواية الأولى في المحاضرة السّابقة ، والأعلميّة مطلوبة في موضوع التّقليد .

وبعض الموارد الّتي ترد فيها الأعلميّة يقال فيها بأنّ الأعلميّة خاصّة بهذه الموارد ، فنقول بأنّ الأعلميّة ليست خاصّة بهذا المورد ، وإنّما هو مصداق من مصاديق تطبيق الأعلميّة .

والرّواية الأولى هي : عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمريّ أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أُشْكِلَتْ عَلَيَّ ، فورد التّوقيع بخطّ مولانا صاحب الزّمان عليه السّلام : وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنّهم حجّتي عليكم ، وأنا حجّة الله [1] .

---

[1] وسائل الشّيعة ج١٨ ص١٠١ ح٩ .

الرّواية الثّانية :

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يحمل هذا الدّين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين ، وتحريف الغالين ، وانتحال الجاهلين . . . [1] .

إذا كانوا ينفون عن الدّين انتحال الجاهلين فلا بدّ من أن يكونوا من العلماء ، فإذا كان الشّخص يردّ على الجاهل فمعنى ذلك أنّه عالم ، وبطريق أولى لو كان أعلم يكون له هذا الدّور أيضًا ، ولم يذكر في الرّواية (العالم) ، ولكن من انتحال الجاهل يفهم أنّه عالم ، وإذا كان أعلم يمكن له أن يردّ انتحال الجاهلين بشكل أفضل اعتمادًا على قاعدة الأولويّة القطعيّة .

مثلًا شخص يمكنه أن يحمل ١٥٠ كيلوجرام ، نقول إنّه بطريق أولى يمكنه أن يحمل ١٠٠ كيلوجرام ، وقاعدة الأولويّة قاعدة عقليّة قطعيّة ، فإذا يمكنه أن يفعل شيئًا فيمكنه أن يفعل الأقلّ بطريق أولى .

وفي موردنا إذا كان العالم قادرًا على ردّ الشّبهات ، فبطريق أولى يكون الأعلم أقدر على ردّ الشّبهات ، بقاعدة الأولويّة أو بالدّلالة الالتزامية ، فيلزم منه أن يكون الأعلم أقدر على ردّ الشّبهات .

الرّواية الثّالثة :

في قصّة دعوة النّاس إلى محمّد بن عبدالله بن الحسن حيث جاء

---

[1] وسائل الشّيعة ج١٨ ص١٠٩ ح٤٣ .

جماعة إلى الإمام الصّادق عليه السّلام ؛ لكي يدعوه إليه [1] ، فعرض الإمام عليه السّلام على متكلّمهم في ذلك المجلس ، وهو عمرو ابن عبيد أحكامًا لابدّ له من العمل بها لو وُلِّيَ الأمر أو أراد أن يُوَلِّيَ أحدًا من قبيل : هل يُعَيَّنُ الوليّ بالشّورى أو بأيّ طريق آخر؟ ، ومن قبيل : ما هو الموقف من المشركين الّذين لا يُسْلِمُونَ ولا يؤدّون الجزية ؟ ومسائل أُخرى ، فأفحمه الإمام عليه السّلام في أجوبته ، ولم يعرف كيف يجيب ، ثمّ قال له الإمام عليه السّلام : اتّقِ اللَّهَ يا عمرو ، وأنتم أيّها الرّهط فاتّقوا اللَّهَ ، فإنّ أبي حدّثني - وكان خَيْرَ أهل الأرض وَأَعْلَمَهُمْ بكتاب اللَّه وسنّة رسوله - أنّ رسول اللَّه صلّى الله عليه وآله قال : من ضرب النّاس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضالّ متكلّف [2] .

إنّ الإمام عليه السّلام خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله ، فالإمام عليه السّلام هو الأعلم بالكتاب والسّنّة ، فيكون سبب تعيين الإمام عليه السّلام أنّه أعلم أهل زمانه ؛ لأنّه إذا كان يوجد من هو أعلم منه فمعنى ذلك أنّه يحتاج إلى ذلك الأعلم ، فيكون الأعلم هو الإمام ، وهذا يُفْهَمُ من حديث الثّقلين : "كتاب الله وعترتي أهل بيتي" ، والعترة عليهم السّلام هم النّاقلون

---

[1] يدعون الإمام الصّادق عليه السّلام إلى مبايعة محمّد بن عبدالله ابن الحسن .

[2] بحار الأنوار ج٤٧ ص٢١٣-٢١٦ ح٢ .

لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فنحتاج إلى الأعلم بالكتاب والسّنّة .

وكما أنّ الإمام عليه السّلام هو الأعلم بالكتاب والسّنّة كذلك الحاكم لا بدّ من أن يكون هو الأعلم بهما ، وهذا يأتي أيضًا في التّقليد ، فتطبيق الأعلميّة على الإمام عليه السّلام مورد من الموارد ومصداق من المصاديق ، ويجري أيضًا في التّقليد بأن يكون المرجع هو الأعلم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله ، فمرجع التّقليد لا بدّ من أن يكون هو الأعلم بالكتاب والسّنّة ، فعنده اطّلاع على القرآن ويكون الأعلم في تفسير القرآن ، ويكون الأعلم بسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذه الرّواية تدلّ على أنّه تشترط الأعلميّة في مرجع التّقليد أيضًا كمصداق آخر للأعلم .

الرّواية الرّابعة :

عن عيص بن القاسم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول : عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وانظروا لأنفسكم ، فوالله إنّ الرّجل ليكون له الغنم فيها الرّاعي ، فإذا وجد رجلًا هو أعلم بغنمه من الّذي هو فيها يخرجه ويجيء بذلك الرّجل الّذي هو أعلم بغنمه من الّذي كان فيها . . . [1] .

عنده أغنام ، وكان عنده راعي لغنمه ، وإذا وجد راعيًا أعلم من الرّاعي الّذي عنده فإنّه يأتي بالرّاعي الأعلم ، وهذا مورد من موارد

---

[1] الكافي ج٨ ص٢٦٤ ح٣٨١ .

تطبيق الأعلميّة ، وبطريق أولى في مسائل الدّين وأحكامه تحتاج إلى الأعلم ، وإن كان المورد في أمر دنيويّ ، ولكنّ هذا الأمر الدّنيويّ تطبيق لقاعدة الأعلميّة ، وقاعدة الأعلميّة تأتي بطريق أولى في أحكام الدّين ، فإذا كان يبحث عن الأعلم في الأمور الدّنيويّة فبطريق أولى لا بدّ من أن يبحث عن الأعلم في الأمور الدّينيّة ومعرفة الأحكام ، فتحتاج إلى الأعلم بالكتاب والسّنّة في معرفة أمور دينك .

وهذا يعطينا شرطًا من شروط مرجع التّقليد بأن يكون الأعلم بتفسير القرآن وفهم السّنّة ، ويحتاج القرآن لأنّ الرّوايات لا بدّ من أن تُعْرَضَ على القرآن ، فإذا لم يوجد عنده اطّلاع على تفسير القرآن فلا يمكنه أن يقيّم الرّوايات بأنّها معارضة أو غير معارضة للقرآن ، وحينما نقول بأنّ الرّوايات معارضة أو غير معارضة فليس الكلام عن الرّوايات الواقعيّة ، وإنّما الكلام عن الرّوايات المنقولة إلينا عن طريق الرّواة ، فالرّوايات الواقعيّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرين عليهم السّلام لا تعارض القرآن ، فما قاله النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام فعلًا لا يعارض القرآن ، وإنّما الرّوايات الّتي نُقِلَتْ إلينا قد تعارض القرآن ، ونعلم أنّ بعض الرّواة وضّاعون للأحاديث ، لذلك نقول إنّ هذا حديث موضوع ، وحينما نقول إنّه موضوع فمعناه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يقل هذا الكلام ، ففي عرض الرّوايات على القرآن الكريم كلامنا عن الرّوايات المنقولة لا الرّوايات الواقعيّة ، وهذا هو منهج عرض الرّوايات المنقولة على القرآن ، فإذا

كان يوجد بين القرآن والرّواية تعارض فإنّنا نقدّم القرآن على الرّواية ، وهذه الرّواية يُضْرَبُ بها عرض الحائط أي تُرْفَضُ ولا يُعْتَمَدُ عليها .

إذن :

الإمام عليه السّلام يكون الأعلم بالكتاب والسّنّة ، ونحتاج إلى الأعلم بالكتاب والسّنّة في مرجع التّقليد أيضًا ؛ لأنّنا نريد أن نأخذ أحكام الدّين منه ، فلا بدّ من أن يكون الأعلم بالكتاب والسّنّة ، وهذا مقياس لتقليد مرجع الدّين ، ويكون الأعلم بالكتاب والسّنّة لا الأعلم بالسّنّة فقط ، وإنّما بالكتاب الكريم أوّلًا ثمّ بالسّنّة الشّريفة ثانيًا ، ومرجع التّقليد عنده مجموعة من القواعد الأصوليّة والقواعد الفقهيّة ، ويحتاج إلى تفسير القرآن ومعرفة اللّغة العربيّة ومجموعة أخرى من العلوم ؛ لكي يمكنه أن يستنبط الأحكام الدّينيّة ، فإذا قلنا فقيه فهذا الفقيه لا بدّ من أن يكون عالما بالكتاب والسّنّة ، وبعد ذلك نبحث عن الأعلم بين هؤلاء الفقهاء .

الرّواية الخامسة :

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : . . . أيّها الناس إنَّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر اللّه فيه ، . . . [1] .

بهذا الأمر أي بالحكم ، فالحاكم لا بدّ من أن يكون الأقوى على الحكم ، والأعلم بأمر الله فيه ، ومن مهمّة مرجع التّقليد أن يكون حاكمًا ، وطرحنا مجموعةً من وظائف المرجع ، ومن الوظائف بيان

[1] نهج البلاغة ج٢ ص٨٦ خطبة ١٧٣ .

الأحكام والقضاء والحكومة ، يكون وليًّا على النّاس ، طبعًا إذا كان مبسوط اليد ، وَيُبْحَثُ أنّ المرجع له الولاية أو ليس له الولاية على النّاس ، وولاية الفقيه يحتاج إلى بحث مستقلّ ، والفقهاء يختلفون بين ولاية خاصّة ومتوسّطة وعامّة ، وكلّ فقيه له أدلّته ، وبعض الأدلّة يستفاد منها الولاية العامّة ، أي أنّ المرجع يكون له الولاية العامّة على الناس ، ويمكنه أن يعطي أحكامًا ولائيّةً ، ويصدر قوانين حكوميّة كحاكم على النّاس إذا كان مبسوط اليد .

ومن هذه الرّواية نفهم أنّ أحقّ النّاس بالحكم من يكون أعلم بأمر الله فيه أي في هذا الحكم ، وهذا تطبيق للأعلميّة في مورد الحكومة ، فالحاكم لا بدّ من أن يكون الأعلم ، وكذلك نحتاج إلى الأعلميّة في مرجع التّقليد .

الرّواية السّادسة :

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : من دعا النّاس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضالّ [1] .

الرّواية السّابعة :

عن الإمام الحسن عليه السّلام : قال رسول اللّٰه صلّى الله عليه وآله : ما وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَها رجلًا وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل أمرهم يذهب سفالًا حتّى يرجعوا إلى ما تركوا [2] .

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّانيّ ص٣٧٥ .

(٢) الأمالي للشّيخ الطّوسيّ ص٥٦٠ .

في تولية الأمر – أي الحكومة – إذا كان يوجد من هو أعلم من الحاكم فهذا الأعلم يكون الحاكم ، فإذا لم يرجعوا إلى الأعلم يكون أمرهم في سفال ، فتسفل أمورهم يومًا بعد يوم إلى أن يرجعوا إلى من يستحقّ الحكم ، والحاكم مصداق للأعلم ، ومرجع التّقليد مصداق آخر للأعلم .

الرّواية الثّامنة :

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : من تعلّم علمًا ليماري به السّفهاء ، ويباهي به العلماء ، ويصرف به النّاس إلى نفسه ، يقول : أنا رئيسكم – فليتبوّأ مقعده من النّار .

ثمّ قال صلّى الله عليه وآله : إنّ الرّئاسة لا تصلح إلّا لأهلها ، فمن دعا النّاس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة (1) .

يتعلّم العلّم ؛ لكي يجادل به السّفهاء ، ويتفاخر على العلماء ، ويصرف به النّاس إلى نفسه ليترأّس عليهم ، مثل هذا ليستعد لأن يتبوّأ مقعده من النّار ، والرّئاسة لا تصلح إلّا لأهلها ، فمن دعا النّاس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه لا ينظر الله إليه يوم القيامة .

إذا الشّخص يريد أن يدعو النّاس إلى نفسه ويقول : أيّها النّاس ، قلّدوني ، وكان يعلم بوجود شخص أعلم منه فلا يجوز أن يدعو النّاس إلى نفسه ، وهذا مصداق من مصاديق الأعلميّة .

---

(1) الاختصاص للشّيخ المفيد ص٢٥١ .

الفقيه الّذي يطرح نفسه للمرجعيّة ينشر رسالته العمليّة ، وتحديد أنّه أعلم أو ليس بأعلم راجع إلى أهل الخبرة في الحوزات العلميّة ، نعم من الممكن أنّ الفقيه يطرح رسالته العمليّة فيطبعها ويوزّعها ، ولكن هل هو مؤهَّل لأن يكون مرجعًا أو لا – هذا يرجع إلى أهل الخبرة في الحوزات ، اطرح رسالتك العمليّة ، نعم قد تعتقد أنّك الأعلم ، ولكن لا تقول عن نفسك : أنا الأعلم ، بل أهل الخبرة يشخّصون أنّك أعلم أو لا ، ونحتاج في مرجع التّقليد أن يكون الأعلم ، وأهل الخبرة يحدّدون من هو الأعلم ، فإذا حدّدوا أنّه الأعلم فعلى المكلَّفين الرّجوع إلى هذا الفقيه الأعلم .

الرّواية التّاسعة :

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين [1] .

إذا كان أفضل منه في العلم ، وأفضل في إدارة البلاد ، وأفضل في أيّ أمر يحتاج إليه الحاكم فيكون هو الأعلم من هذا الحاكم ، ولا يجوز للأقلّ علمًا أن يتقدّم على الأعلم ، وكذلك في التّقليد .

الرّواية العاشرة :

من كتابٍ لأمير المؤمنين عليه السّلام : . . . فإنّ أولى النّاس بأمر هذه الأُمّة قديمًا وحديثًا أقربها من الرّسول ، وأعلمها بالكتاب ،

---

[1] الغدير للشّيخ الأمينيّ ج٨ ص٢٩١ .

وأفقهها في الدّين ، أوّلهم إسلامًا ، وأفضلهم جهادًا ، وأشدّهم بما تحمله الرّعيّة من أمر الله اضطلاعًا . . . [1] .

(أقربها من الرّسول ، وأعلمها بالكتاب ، وأفقهها في الدّين) :

يوجد العلم بالكتاب والفقه في الدّين ، وتأتي الآية : ". . . **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ** . . ." [2] .

مرجع التّقليد لا بدّ من أن يكون فقيهًا في الدّين ، أي في أحكام الدّين كلّه ، وفي جميع معارف الدّين ، لا الفقه العمليّ فقط ، فمن شروط مرجع التّقليد أن يكون فقيهًا في الدّين ، والآن وإن كان مرجع التّقليد يطرح الرّسالة العمليّة ، فهو متخصّص في الفقه العمليّ ، ولكن عنده اطّلاع على الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ وبقيّة معارف الدّين ، ومن الممكن أن يوجد فقيه آخر متخصّص في الفقه العقائديّ ، وفقيه ثالث متخصّص في الفقه الأخلاقيّ ، ولكنّ الأفضل أن يكون الفقيه هو الجامع بين جميع أنواع الفقه وباقي معارف الدّين ، وإذا وجد فقيه في الفقه العمليّ وفقيه آخر في الدّين يكون المتقدّم هو الفقيه في الدّين بدليل الآية الكريمة السّابقة والرّواية الحاليّة ، وهذه الرّواية تتوافق مع القرآن الكريم ، والمطلوب هو الفقيه المطّلع على معارف الدّين ويكون متخصّصًا في جميع معارف الدّين ، طبعًا إذا كان هذا الأمر ممكنًا ، وإذا لم يكن هذا الأمر ممكنًا فنحتاج

---

[1] بحار الأنوار ج٣٢ ص٤٢٩ .

[2] التّوبة : ١٢٢ .

إلى ثلاثة مراجع : مرجع في الفقه العقائديّ ، ومرجع آخر في الفقه الأخلاقيّ ، ومرجع ثالث في الفقه العمليّ ، فالفقيه في الدّين هو المطلوب ، والفقيه في الدّين يمكنه فهم القرآن وتفسيره ؛ لأنّه يحتاج إلى فهم القرآن الكريم وتفسيره في استنباط الأحكام الدّينيّة العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة .

الرّواية الحادية عشرة :

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به . . . [١] .

أولى النّاس بالأنبياء إذا كانوا من الأوصياء فلا بدّ من أن يكونوا أعلم بما جاء به الأنبياء ، ومن بعد الأوصياء إذا كانوا مراجع التّقليد فلا بدّ من أن يكونوا أعلم بما جاء به الأنبياء أيضًا ، وما جاء به النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الكتاب والسّنّة ، فلا بدّ من أن يكون مرجع الدّين أعلم بالكتاب والسّنّة ، فنحتاج إلى الأعلميّة في مرجع التّقليد أيضًا .

الرّواية الثّانية عشرة :

عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال لعمّه الّذي أفتى بغير علم : يا عمّ ، إنّه عظيم عند الله أن تقف غدًا بين يديه فيقول لك : لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك ؟ [٢] .

---

(١) نهج البلاغة الحكمة ٩٦ .

(٢) بحار الأنوار ج٥ ص١٠٠ .

يفتي بغير علم ويوجد في الأمّة من هو أعلم منه ، فيجب الرّجوع إلى الأعلم ، ولا نأخذ من الأقل علمًا .

النّتيجة :

هذه مجموعة من الرّوايات ، وفي الرّدّ على من يقول بأنّه لا توجد رواية تدل على الأعلميّة نقول أوّلًا توجد الآية القرآنيّة : ". . . **قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ** . . ." (١) ، فمسألة الأعلميّة مذكورة في القرآن ، فتشكّل قاعدة قرآنيّة ، وهو الأساس والأصل حتّى لو لم توجد أيّ رواية ، بالإضافة إلى ذلك فالرّوايات السّابقة تدلّ على الأعلميّة ، وَتُشْتَرَطُ الأعلميّة فيمن يرجع إليه النّاس لأخذ أحكام الدّين ، فالفقيه الّذي يكون مرجعًا للتّقليد لا بدّ من أن يكون الأعلم بالكتاب والسّنّة أي بجميع معارف الدّين المستنبَطة من الكتاب والسّنّة ، فيشترط في مرجع التّقليد أن يكون هو الأعلم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : المهندس علي سلمان الحدّاد :

ما هو المقصود من (الأعلم بالقرآن الكريم) حيث يوجد مفسّرون كبار – مثل العلّامة الطّباطبائيّ – لم يطرحوا أنفسهم للمرجعيّة ؟

---

(١) البقرة : ٢٤٧ .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

ليس كلّ مفسّر للقرآن يصير مرجعًا للتّقليد ، قد يكون متخصّصًا في تفسير القرآن ، ولكن لا يطرح نفسه للتّقليد ، وبالعكس يُشْتَرَطُ في مرجع التّقليد أن يكون مفسّرًا للقرآن ، فليس كلّ مفسّر يكون مرجعًا ، ولكن كلّ مرجع لا بدّ من أن يكون مفسّرًا ومجتهدًا في تفسير القرآن ، ويعرف كيف يجمع بين الآيات القرآنيّة ، والجمع بين الآيات القرآنيّة يحتاجه مرجع التّقليد في استنباطه للأحكام الدّينيّة العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة ، ويعرف تفسير القرآن ؛ لأنّه يريد أن يعرض الرّوايات على القرآن ، فلا بدّ من أن يعرف التفسير ، فيحتاج إلى مجموعة من القواعد المستنبَطة من القرآن ، وهي القواعد القرآنيّة ، ويأتي إلى الآيات ويبحث عن القواعد في جميع المجالات .

مثلًا في موضوع الصّلاة يسأل : ما هي القواعد العامّة للصّلاة ؟

يأتي إلى القرآن ويستنبط هذه القواعد ، وكذلك في الصّيام والحجّ وبقيّة العبادات .

وما هي القواعد العامّة في التّجارة ؟

ويستخرج قواعد التّجارة من القرآن .

وما هي القواعد العامّة في الميراث ؟

ويرجع إلى القرآن لاستخراجها .

والفقيه يستخرج القواعد العامّة من القرآن ، والرّوايات تكون تفصيلًا لهذه القواعد العامّة ، ويأتي إلى الرّواية وإذا رأى أنّها تعارض

هذه القواعد العامّة فلا يأخذ بهذه الرّواية ، فأوّلًا تحديد القواعد القرآنيّة الّتي نحتاجها في الأحكام ، ثمّ يأتي الفقيه إلى استنباط الأحكام ، ونحدّد القواعد العامّة القرآنيّة في التّوحيد ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات الّتي تتحدّث عن التّوحيد ، ونأتي إلى القواعد القرآنيّة العامّة في صفات الله ، والقواعد العامّة في النّبوّة ، وفي الإمامة ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات .

مثلًا إذا استطعنا أن نحدّد من القرآن أنّ الأنبياء عليهم السّلام لا يخطئون ، فإذا أتت رواية تقول بخطأ الأنبياء عليهم السّلام نردّ بأنّ القرآن يقول بأنّ الأنبياء عليهم السّلام لا يخطئون ، فتكون هذه الرّواية مرفوضة ، وإذا قال القرآن بأنّ الله ليس كمثله شيء ، فإذا أتت رواية بأنّ الله جسم فنقول إنّ هذه الرّواية مرفوضة ؛ لأنّها تتعارض مع القرآن ، وكذلك في جميع معارف الدّين .

إذن :

أوّلًا نأتي إلى القرآن الكريم ونستخرج القواعد العامّة ، ثمّ نأتي إلى الرّوايات ، والرّواية الّتي تتوافق مع القواعد العامّة نأخذ بها ، والرّواية الّتي تتعارض مع القواعد العامّة نرفضها .

نسأل : في مسألة الأعلميّة هل القرآن طرح هذه المسألة أو لا ؟

الجواب :

نقول : نعم ، الآية تقول : **"وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ"** ، فالأعلميّة قاعدة عامّة في القرآن للتّفاضل بين الأشخاص ، فإذا جاء رأي يقول

بأنّه لا تُشْتَرَطُ الأعلميّة في مرجع التّقليد فنردّ بأنّ القاعدة القرآنيّة تقول باشتراط الأعلميّة ، فهذا الرّأي لا يؤخذ به ، ولنفرض جدلًا بأنّه توجد رواية تقول بالرّجوع إلى غير الأعلم ، نقول إنّ هذه الرّواية تعارض القاعدة القرآنيّة ، فلا يُعْتَمَدُ عليها ؛ لأنّها تعارض القرآن ، وإذا أتت رواية تقول بالرّجوع إلى العلماء ولم تذكر الأعلميّة كصفة فنقول إنّ هذا الشّرط القرآنيّ يُضَافُ إلى الصّفات المذكورة في الرّواية ، وقرأنا مجموعةً من الرّوايات الّتي تتوافق مع القرآن ، فنأخذ بهذه الرّوايات .

إنّ عمل الفقيه ليس عملًا هيّنًا ، فالفقيه حينما يريد أن يكون مرجعًا للتقليد لا بدّ من أن يعلم بهذه القواعد القرآنيّة العامّة ، ولا يرجع إلى الرّوايات فقط ، فجميع البحوث الفقهيّة لا بدّ من أن تكون قرآنيّةً أوّلًا وروائيّةً ثانيًا ، وإذا رجع إلى الرّوايات فقط دون القرآن فيكون استنباطه للأحكام استنباطًا ناقصًا ؛ لأنّ الرّوايات تذكر الأعلم بالكتاب والسّنّة لا الأعلم بالسّنّة فقط ، فالشّرط الأوّل هو الأعلم بالقرآن ، وثانيًا الأعلم بالسّنّة ، ويعرف كيف يميّز بين الرّوايات الّتي تتوافق مع القرآن والرّوايات الّتي تتعارض مع القرآن ، والبحوث الّتي يقوم بها الفقيه تحتاج إلى جهود كبيرة جدًّا في الكتاب والسّنّة .

سؤال : المهندس علي سلمان الحدّاد :

الاختصاص شيء ممدوح ، وأنّ الشّخص يختصّ بشيء أمر مطلوب ، وعلماؤنا لهم تخصّصات مختلفة ، والأعلميّة تكون في جميع

أحكام الدّين بحيث يكون جامعًا لجميع التّخصّصات ، ولكن هذا شيء صعب ، فما هو معيار الأعلميّة ؟ وهل هي الاختصاص بالفقه العمليّ فقط ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

نريد أن نأخذ الأحكام الدّينية من الفقيه ، والمتعارف الآن أنّ الفقيه هو المختصّ بالفقه العمليّ ، ولكن حينما نرجع إلى القرآن نجد أنّ الفقيه هو الفقيه في الدّين ، والقرآن يقول : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" (١) ، ولم يقل : ليتفقّهوا في الفقه العمليّ فقط ، فالقاعدة العامّة لمسألة المرجعيّة هي الفقه في الدّين ، أي في جميع معارف الدّين ، نعم في زمان معيّن قد لا يمكن هذا الأمر ، فتحتاج إلى مرجع في الفقه العقائديّ ، ومرجع آخر في الفقه الأخلاقيّ ، ومرجع ثالث في الفقه العمليّ ، فتحتاج إلى ثلاثة مراجع ، وتحتاج إلى ثلاث رسائل : رسالة عقائديّة ، ورسالة أخلاقيّة ، ورسالة عمليّة ، وإذا وجد متخصّص في الفقه العمليّ ومتخصّص في الدّين فلا بدّ من أن نرجع إلى المتخصّص في الدّين ؛ لأنّ الرّجوع إلى المتخصّص في الدّين يتناسب مع القاعدة القرآنيّة ، فالقاعدة القرآنيّة هي التّفقّه في الدّين ، وإذا قيل بأنّنا نكتفي بالرّجوع إلى المتخصّص في الفقه العمليّ فنردّ بأن هذا القول خلاف القاعدة القرآنيّة ، فأوّلًا نؤسّس القواعد القرآنيّة ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات وأقوال العلماء ، والمقياس هو القرآن الكريم .

---

(١) التّوبة : ١٢٢ .

مثلًا نفرض القول بأنّ الأنبياء عليهم السّلام يسهون ويخطئون وأنّه من الممكن أن يخطئوا في القضايا الحياتيّة ، فنرجع إلى القرآن ونبحث عن عصمة الأنبياء عليهم السّلام ، نعم نجد بعض الآيات الّتي تتكلّم عن نسيان الأنبياء عليهم السّلام ، فنسأل : هل هذا النّسيان الموجود عند الأنبياء هو نفس النّسيان الموجود عند النّاس أو له معنى آخر ؟

يقول الله تعالى :

"**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**" [1] .

أبونا آدم عليه السلام نسي ، ودور الفقيه في الدّين أن يفسّر هذه الآية ، وأن يبحث في البحث العقائديّ : هل نسيان الأنبياء عليهم السّلام هو نفس نسيان الإنسان ؟

فيبحث أوّلًا في القرآن ، والمصطلح نبحث عنه في القرآن أوّلًا ، هل الأنبياء عليهم السّلام ينسون أو لا ينسون ؟ هل يخطئون أو لا يخطئون ؟ هل يسهون أو لا يسهون ؟

تبحث بحثًا قرآنيًّا وتؤسّس القواعد أوّلًا ، وقد تحتاج في بعض البحوث العقائديّة إلى القواعد الفطريّة أو العقليّة ، وبعد ذلك تأتي إلى الرّوايات .

والبعض حينما يريد أن يبحث يذهب إلى الرّوايات مباشرةً ، وهذا خطأ في المنهج ، والمنهج الصّحيح هو البحث القرآنيّ أوّلًا ، فتبحث عن القواعد القرآنيّة ، وبعد ذلك تذهب إلى الرّوايات ، والمتعارف

---

[1] طه : ١١٥ .

الآن في البحوث الذّهاب إلى الرّوايات مباشرةً ، ونبحث في القرآن أوّلًا ؛ لأنّه قد تكون الرّواية صحيحة السّند ، ولكنّها مخالفة للقرآن ، فإذا لم توجد عندك القواعد القرآنيّة فمن الممكن أن تأخذ بهذه الرّواية الصّحيحة السّند مع أنّها مخالفة للقرآن .

وحاجتنا ليست إلى الرّوايات فقط ، لا القرآن لوحده ، ولا الرّوايات لوحدها ، وإنّما نحتاج إلى الثّقلين : القرآن والعترة ، وفي الرّوايات السّابقة العلم بالقرآن والسّنّة ، فإذا قال شخص إنّ اسم أمير المؤمنين عليه السّلام لم يذكر في القرآن ، وعليك أن تأتينا بآية ، فنقول له بأنّه عندك خطأ في المنهج ، عندنا قرآن وسنّة ، لا القرآن فقط .

فأوّلًا لا بدّ من أن يحدّد الفقيه المناهج الّتي يعتمد عليها ، هل يعتمد على القرآن والرّوايات أو القرآن فقط أو الرّوايات فقط ؟

ويحدّد منهج البحث في القرآن ، ومنهج البحث في الرّوايات ، وبعد ذلك يدخل إلى القرآن والرّوايات ، والأمر ليس عشوائيًّا ، والباحث في أيّ بحث - سواء كان البحث بحثًا في موضوع دينيّ أم بحثًا في موضوع دنيويّ - أوّلًا يحدّد المنهج الّذي على أساسه يبحث ، وبعد ذلك يدخل في البحث .

وبعض الشّباب يقومون أحيانًا ببعض البحوث ، فيراجع بعض الرّوايات وأقوال العلماء ويكتب بحثًا .

ولو سألناه : ما هو المنهج الّذي اتّبعته ؟

يجيب : لا يوجد عندي منهج .

ونسأله : ما هي المقدّمات الّتي تحتاجها لمثل هذا البحث ؟

يجيب : لا أفهم سؤالك .

نقول : توجد مجموعة من المقدّمات قبل الدّخول في أيّ بحث ، وإذا أردت أن تبحث في القرآن فحدّد المنهج الّذي تتّبعه ، هل تتّبع المنهج العقليّ أو المنهج الرّوائيّ أو منهج تفسير القرآن بالقرآن أو أيّ منهج آخر ؟

تبيّن المنهج الّذي تسير عليه ، وبعد ذلك تبحث ، ومنهج البحث العلميّ الّذي يتّبعه الباحث مهمّ جدًّا ، فقبل أن يبحث لا بدّ من أن يعرف مناهج البحث ، ويمكن له بعد ذلك أن يبدأ في أيّ بحث .

إذن :

أوّلًا القرآن الكريم ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات الشّريفة ، وهذا لا بدّ من أن يكون هو المنهج المتّبع ، والفقيه لا بدّ من أن يحدّد أيضًا منهجه في الرّوايات .

هل يتّبع المنهج السّنديّ فقط فينظر إلى السّند ، فإذا كانت الرّواية صحيحةً فيأخذ بها ، والرّواية الضّعيفة لا يأخذ بها ؟

هل يتّبع المنهج المتنيّ المضمونيّ ؟ فيأتي إلى الرّواية هل تتعارض مع القرآن أو لا تتعارض ؟

هل يمكن الاستفادة من روايات المذاهب الأخرى أو لا ؟

الفقيه لا بدّ من أن يحدّد كلّ ذلك ، ويكون ضمن منهجه ، وبعد ذلك يدخل إلى أيّ بحث من البحوث .

وفي رواية بالمعنى أنّه نأخذ بالرّوايات الّتي يرويها الآخرون عن عليّ عليه السّلام .

وهذا يدخل ضمن المنهج ، فالأئمّة عليهم السّلام وجّهونا إلى الرّوايات في كتب المذاهب الأخرى المرويّة عن أمير المؤمنين عليه السّلام ، فنأخذ بهذه الرّوايات بعد التّدقيق فيها .

والرّوايات عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله المرويّة عن ضعيف عندنا وقويّ عند المذاهب الأخرى هل لمجرّد أنّها رواية ضعيفة نرفضها أو إذا توافقت مع القرآن نأخذ بها حتّى لو كانت في كتب المذاهب والمدارس الأخرى ؟

الفقيه لا بدّ من أن يكون عنده اطّلاع على كتب المذاهب الأخرى سواءً الرّوايات أو أقوال علمائهم ، ويحتاج إلى ذلك في روايات التّقيّة حينما يقول بأنّ هذه الرّواية قالها الإمام عليه السّلام من باب التّقيّة ، وإذا لم يوجد عنده اطّلاع على كتب المذاهب الأخرى فلا يمكن له أن يقول بأنّ هذه الرّواية قالها الإمام عليه السّلام تقيّةً ، ويدخل هذا ضمن المنهج المتّبع عند الفقيه .

سؤال : المهندس يوسف مراد :

ذكرتم أنّ الفقيه يكون مطّلعًا على الفقه والعقائد ، وذكرتم الأخلاق ، هل تقصدون أخلاق العالِم أو أخلاق المجتمع ؟

قد يكون العالِم قويًّا في العقائد والفقه ، ولكن اجتماعيًّا يكون منغلقًا ، فماذا تقصدون ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

كما توجد آيات وروايات في العقائد توجد آيات وروايات في الأخلاق ، وعندنا منهج أخلاقيّ ، وهذا المنهج الأخلاقيّ لا بدّ من أن يكون الفقيه مطّلعًا عليه ، فكما يوجد عنده اطّلاع على آيات وروايات الفقه العمليّ وتفسير القرآن وعلى العقائد لا بدّ من أن يكون عنده اطّلاع على آيات وروايات الأخلاق ، وكلّ هذا يشكّل منظومةً عند الفقيه في الدّين ؛ لأنّ الأخلاق ضمن معارف الدّين أيضًا ، فالفقيه يحتاج إلى الأخلاق ليكون إنسانًا أخلاقيًّا ؛ لكي يتعامل مع الله أوّلًا على أساس الباطن والقلب ، وثانيًا مع نفسه ، وثالثًا مع النّاس ، ومرجع التّقليد لا بدّ من أن يكون مطّلعًا على معارف الفقه الأخلاقيّ من الآيات والرّوايات ، فقد تأتي رواية في الفقه العمليّ وتتعارض مع القواعد العامّة في علم الأخلاق ، فهذه الرّواية لا يؤخذ بها ، فآيات وروايات الأخلاق لا بدّ من الاطّلاع عليها .

وهنا لا ننظر إلى أنّ الفقيه منغلق على نفسه أو غير منغلق ، هل مرجع التّقليد لا بدّ من أن يكون عنده اتّصال مع النّاس أو لا ؟

نعم يكون عنده اتّصال دائم مع النّاس ، ولكن إذا كان وقته لا يتّسع فيقلّ تواصله ، ولكن يكون متابعًا لأمور المسلمين وأحوالهم وأخبارهم ، ولا يوجد مرجع من مراجعنا وعلمائنا لا يتابعون أخبار المسلمين ، لذلك يصدرون بيانات في بعض الأحداث ، وهذا معناه

أنّهم يتابعون الأخبار ، فلا يوجد مرجع أو عالم منغلق على نفسه ، نعم قد لا تسمع عنه ولا تراه ، ولكنّه يتابع الأحداث الّتي تعصف ببلدان المسلمين ، ويصدر البيانات على حسب الحاجة ، ويحتاج المرجع إلى الاطّلاع على أمور المسلمين ، ودور المؤمنين أن يرجعوا إلى المرجع في أخذ أحكام الدّين ، وأن يقرأوا كتبه في المعارف الدّينيّة العامّة ، وأن يتابعوا ما يصدره من بيانات .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٨)
الجانب التّطبيقيّ عند الفقيه الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" [٢] .

تطوّر الفقه العمليّ وتأسيس علم أصول الفقه :

في البداية أتكلّم قليلًا عن تطوّر الفقه العمليّ وتأسيس علم أصول

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٨ رجب ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٥/٦ م .

[٢] التّوبة : ١٢٢ .

الفقه بشكل مختصر ؛ لأجل أن يكون عندنا اطّلاع على ذلك ، وهو يقع ضمن بحث التّقليد والأعلميّة .

بعد الغيبة الصّغرى وانتهاء عصر السّفارة بدأت مرحلة الفقهاء ، وفي ذلك الوقت كان أتباع أهل البيت عليهم السّلام يعيشون عصر التّعتيم ، ولم يكن بإمكانهم أن يبرزوا أنفسهم ، وكان الفقهاء في ذلك الوقت معروفين عند بعض الشّيعة لا جميعهم ، فيرجعون إليهم .

نعم جميع الشّيعة كانوا يعتقدون بالأئمّة عليهم السّلام ، ولكن كانت هناك فتن ، لذلك انقسم الشّيعة بعد عصر بعض الأئمّة عليهم السّلام إلى أقسام ، مثلًا الواقفيّة يقفون عند الإمام الكاظم عليه السّلام ، ويوجد الفطحيّة والإسماعيليّة والزيديّة ، فكان الشّيعة ينقسمون ، وقد يكون ذلك بسبب عدم وضوح الاعتقاد بالأئمّة عليهم السّلام ، والأمر لم يكن واضحًا كما هو في زماننا الحاليّ ، ففي زماننا الكتب متوفّرة والرّوايات واضحة وموجودة بأيدينا ، وفي ذاك الزّمان لا نتوقّع كلّ هذا ، فالمصادر لم تكن متوفّرة بأيدي الشّيعة ، وليس كلّ الشّيعة كانوا يعرفون أسماء الأئمّة عليهم السّلام بالتّفصيل ، نعم عندهم اعتقاد بوجود أئمّة اثني عشر ، ولكن قد لا يعرفون الأسماء كما نحن نعرف الآن ، ونحن نعرف ترتيب الأئمّة عليهم السّلام ، وبأقلّ فتنة قد ينحرف البعض عن خط الإمامة ، فيقتصر على ثلاثة أو ستّة أو سبعة أئمّة ، وكان من الطّبيعي حصول ذلك ؛ لأنّ الشّيعة لم يكونوا يستطيعون أن يظهروا أنفسهم بأنّهم من أتباع

أهل البيت عليهم السّلام ، والسّلطات كانت تحاربهم ، فكان الشّيعة يعيشون عصر التّعتيم ، لذلك كان الفقهاء معروفين عند بعض الشّيعة المقرّبين من الأئمّة عليهم السّلام ، وفي عصر الغيبة الصّغرى كان البعض يعرف الفقهاء .

والفقه كان بشكل مصغّر ، فمن يحفظ أربعين حديثًا يصير فقيهًا كما في الرّواية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : من حفظ من أمّتي أربعين حديثًا ممّا يحتاجون إليه من أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالما [١] .

والشّيعة حينما كانوا يصادفون مسألةً من المسائل كان الحلّ بسيطًا جدًّا ، وذلك بذكر رواية عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة عليهم السّلام وتنتهي المشكلة ، وبدأت المسائل تزداد وتتعقّد تدريجيًّا ، وتأتي مسائل مستحدثة ، والمسائل المستحدثة تؤدّي إلى تطوّر الفقه العمليّ والأحكام العمليّة ، وفي زماننا المسائل المستحدثة كثيرة ، ويقال إنّه في كلّ يوم يوجد مائتا اكتشاف طبيّ ، ولا أعلم أنّ هذه الإحصائيّة دقيقة أو لا .

والاكتشافات الطّبّيّة تحتاج إلى أحكام دينيّة عمليّة ، مثلًا الاستنساخ يحتاج إلى حكم شرعيّ ، يجوز أو لا يجوز ، والتّلقيح الصّناعيّ يجوز أو لا يجوز ، وترقيع جلد الإنسان بجلد خنزير يجوز أو لا يجوز ، ونقل الأعضاء يجوز أو لا يجوز ، وقس على ذلك مسائل

---

(١) بحار الأنوار ج٢ ص١٥٣ ح٣ .

طبّيّة كثيرة ، والفقهاء حينما يجيبون على أسئلة المؤمنين فمعنى ذلك أنّ علم الفقه العمليّ يتطوّر .

وبدأ الفقه العمليّ بالرّوايات ، ولم يكن هناك (علم أصول الفقه) ، وازدادت المشاكل العمليّة ، ورأوا أنّه يوجد في علم الفقه عناصر مشتركة تتكرّر ، وهذه العناصر المشتركة تشكّل القواعد العامّة ، وتمّ تجميع هذه القواعد والعناصر المشتركة المتكرّرة في الأحكام الفقهيّة العمليّة الجزئيّة ، وجعلوها ضمن علم جديد ، وأطلقوا على هذا العلم (أصول الفقه العمليّ) أو (القواعد العامّة في الفقه) أو (قواعد الاستنباط) أو (العناصر المشتركة في عمليّة الاستنباط والاستدلال الفقهيّ) ، هذه عناوين مختلفة ، ولكنّ المضمون واحد ، وتشكّلت عندنا قواعد أصوليّة ، وقواعد أخرى فقهيّة ، وهذه القواعد تُطَبَّقُ في الموارد المتشابهة ، وبدل ذكر الرّواية يذكرون القاعدة ، فبدل أن يقولوا : (كلّ ما تشكّ بأنّه نجس فهو طاهر) - يقولون : قاعدة الطّهارة أو أصالة الطّهارة ، فيختصرون العبارة الطّويلة إلى كلمة أو كلمتين ، ويقولون قاعدة أو أصالة البراءة أو الاحتياط ، وهذه القواعد مبنيّة على أدلّة ، ولا توجد قاعدة بلا دليل ، ولا نعتمد على الاستحسانات بحيث يقال إنّ هذا شيء جيّد فنجعله قاعدة ، فلا بدّ من وجود أدلّة ؛ لكي يقولوا بهذه القاعدة أو تلك القاعدة ، وهذه القواعد والأصول تستنبط من الآيات والرّوايات ، فجميع القواعد الأصوليّة والفقهيّة تأتي من الأدلّة الشّرعيّة .

سؤال : الآية قالت : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" ، فيوجد فقيه في الدّين ، ونحن نبحث عن الأفقه ، فمن هو الأفقه أي الأعلم في الفقه ؟

الجواب :

المقصود من الفقه هو الفقه الدّينيّ لا الفقه العمليّ فقط ، بدليل نصّ الآية الكريمة : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" ، فتوجد الفقاهة في الدّين .

والأعلم في الفقه الدّينيّ هو الّذي يستخرج قواعد جديدة وعنده قدرة على تطبيق هذه القواعد في استنباط الحكم الدّينيّ ، ولا نقتصر على الحكم العمليّ ، وإنّما نقول الحكم الدّينيّ .

والفقيه الأعلم مثل المهندس الأعلم ، والقضايا العرفيّة العامّة الموجودة بين النّاس تجري أيضًا في القضايا الدّينيّة ، نقول : الأعلم في الهندسة ، ونقول : الأعلم في الفقه .

سؤال : من هو المهندس الأعلم ؟

الجواب :

حسب التّعريف العرفيّ المهندس الأعلم ليس هو الّذي يحفظ معلومات كثيرة فقط ، وعنده معلومات أكثر ، وإنّما هو الّذي عنده معلومات ويعرف كيف يطبّق المعلومات في الواقع العمليّ .

وبنفس التّعريف العرفي الأعلم في الفقه الدّينيّ لا يعني من يحفظ المعلومات والقواعد فقط ، بل الّذي عنده معلومات وقواعد ويعرف أيضًا كيفيّة تطبيق المعلومات والقواعد على مواردها .

إذا ذهبنا إلى قسم الرّياضيّات في المدرسة وأعطينا نفس المسألة

الرّياضيّة لأستاذين لنعرف من هو الأعلم ، أحدهما يحلّ المسألة في خمس ثواني ، والثّاني يحتاج إلى ثلاثين ثانية لحلّها ، فالأوّل أعلم من الثّاني ؛ لأنّ الأوّل في مسألة التّطبيق أفضل من الثّاني مع فرض الدّقّة في التّطبيق عند كليهما ، فالأعلم هو الأقدر على تطبيق المعلومات والقوانين في حلّ المسائل الرّياضيّة ، ويقول الطّلبة إنّ هذا الأستاذ أفضل وأعلم من ذاك الأستاذ ، واذهب إلى قسم الفيزياء وقسم الكيمياء وبقيّة الأقسام في المدارس والجامعات ، ويمكن معرفة الأعلم بين أساتذة كلّ قسم بتطبيق المعلومات والقوانين على المسائل ، وعادةً في كلّ قسم يعرف الأساتذة أنّ هذا الأستاذ هو الأعلم ، لذلك إذا لم يعرفوا حلّ أيّ مسألة فإنّهم يذهبون مباشرةً إلى هذا الأستاذ ، وحتّى في مجال الوظيفة تجد أنّ المهندسين يعرفون المهندس الأعلم بينهم ، فحينما تقع مشكلة لا يعرفون حلّها يرجعون إليه إذا كان موجودًا في العمل ، وإذا لم يكن موجودًا في العمل يتواصلون معه في بيته .

والأعلم هو الّذي يحفظ المعلومات السّابقة ، بالإضافة إلى ذلك يستنتج معلومات جديدة من المعلومات السّابقة ، فيكتشف معلومات وقواعد وقوانين جديدة .

وأذكر لكم قصةً ، حينما كنّا في الجامعة ، وكان عندنا امتحان في مادّة الفيزياء ، وقمت بحلّ المسألة ، والأستاذ كتب عليه خطأ ، فراجعته وقلت له بأنّ النّتيجة الّتي وصلت إليها في الحلّ هي نفس الجواب الصّحيح الّذي أردته ، فقال لي بأنّ طريقة الحلّ خطأ ، فقلت

له : لو كانت طريقة الحلّ خطأ فالمفروض أن لا أصل إلى الجواب الصّحيح ، وقلت له : لعلّ هذه طريقة حلّ جديدة وقاعدة جديدة وتعطينا الجواب الصّحيح ، فأنت كأستاذ قم بتقييم الطّريقة ، فقد تكون طريقة جديدة في حلّ المسائل ، ولكنّه لم يقبل إجابتي ، ولا أدري بعد ذلك ماذا فعل الأستاذ ، هل راجع الطّريقة ليرى أنّها صحيحة أو خاطئة ، ولا أدري لأنّي لم أراجعه بعد ذلك .

إذن :

الأعلم هو من يملك معلومات أكثر ، وعنده قواعد جديدة ، وبالإضافة إلى ذلك يكون هو الأقدر على التّطبيق ، لا حفظ المعلومات فقط .

والفقيه الأعلم هو من يملك معلومات أكثر ، وعنده قواعد جديدة ، وبالإضافة إلى ذلك يكون هو الأقدر على استنباط الأحكام الشّرعيّة .

والعلماء في الحوزة العلميّة يدرسون نفس الكتب ، كما هو الحال مع طلبة المدارس والجامعات فإنّهم يدرسون نفس الكتب ، ولكن هذا الطّالب يكون مصطفى (كناية عن الطّالب المجتهد الّذي يحصل على المركز الأوّل دائمًا) وذاك يكون صلّوح (كناية عن الطّالب الّذي يرسب دائمًا) مع أنّهما يدرسان نفس الكتب ، فالأوّل يبذل جهده وينظّم وقته ، وأيّام الامتحانات لا يسهر إلى الصّباح ، ويستغلّ الأسبوع الّذي يُعْطَى له قبل الامتحانات لأجل الدّراسة ، والآخر

يشغل نفسه بأمور أخرى غير الدّراسة ، فيسهر إلى الصّبح في لعب الألعاب الإلكترونيّة ، والنّتيجة تظهر فيما بعد ، فالأوّل نسبته ٩٩,٩% ، ويبكي لأنّه فقد النّسبة الباقية ، والآخر نسبته ٦٥% وهو سعيد لأنّه لم يرسب ، ومع هذه النّسبة القليلة الّتي حصل عليها يعقد وليمةً لأصدقائه ، ويهنّئونه بنجاحه .

وهذا هو الفرق بين الطّلبة مع أنّهم يدرسون نفس الكتب ، ولكن أحدهم يبذل جهده فيأخذ المعلومات ، ويعرف كيفيّة تطبيق هذه المعلومات ، وترى طالبًا ينتهي من حلّ أسئلة الامتحان في نصف ساعة ، وطالب آخر يظلّ إلى آخر الوقت ويطلب خمس دقائق وقتًا إضافيًّا ، نقول له : إذا لم تستطع حلّ الأسئلة في ساعتين فهل يمكن أن تحلّها في خمس دقائق ؟!

ونوجّه نصيحةً للطّلبة ، لا بدّ من أن تحصلوا على الامتياز دائمًا ، وتكونوا قدوةً في مدارسكم ومعاهدكم وجامعاتكم ، وتقول : أنا من أتباع أهل البيت عليهم السّلام .

وتوجد قواعد عامّة ، مثل قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : إذا عمل أحدكم عملًا فَلْيُتْقِنْ (1) .

إتقان العمل مطلوب ، ولا يمكن أن يكون الشّخص من أتباع أهل البيت عليهم السّلام ويكون مهملًا ، فلا بدّ من أن يتقن عمله .

ومثل وصيّة أمير المؤمنين للحسن والحسين عليهم السّلام : . . .

---

(1) الكافي ج٣ ص٢٦٢ ح٤٥ .

أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم . . . [1].

تنظيم الأمر قاعدة من أهل البيت عليهم السّلام .

هل أنت متديّن أو غير متديّن ؟

حدّد موقفك ، فالمتديّن يأخذ القواعد الدّينيّة ويطبّقها ، لا يحفظ المعلومات فقط ، وأيّ رواية نذكرها عن إتقان العمل أنت تعرفها ، ولكنّ البعض يطبّق والبعض لا يطبّق .

والإنسان المهمل يكون مهملًا في كلّ عمل ، مثلًا في الدّورات الشّبابيّة تلاحقه لكي يشارك في الاجتماعات ، طبيعته الإهمال ، لا يمكن أن يكون مهملًا في المدرسة ويكون متقنًا لعمله في الدّورة ؛ لأنّ الإهمال قاعدة عامّة عنده ، فالمهمل يكون مهملًا في جميع أموره ، ولا يكون مهملًا في شيء ومتقنًا في شيء آخر ، وإذا رأيت شخصًا متقنًا في دراسته فإنّك تجده متقنًا في الدّورة ، وهذه نصيحة للشّباب المشاركين في الدّورات .

والفقيه الأعلم هو الّذي يحفظ المعلومات ويطبّقها ويكون أقدر على استنباط الأحكام ، فعالم يصل إلى درجة الاجتهاد ، وعالم آخر لا يصل إلى هذه الدّرجة ، وعالم مجتهد أقدر على الاستنباط من العالم الآخر .

وعمليّة التّطبيق عمليّة فنّيّة ، فيختار المعلومة الصّحيحة للتّطبيق ،

---

[1] نهج البلاغة شرح الشّيخ محمّد عبده ج٣ ص٧٦ .

ولا يخطئ في القاعدة ، وإذا اختار القاعدة الخطأ فلا يمكن أن يأتي بالنّتيجة الصّحيحة ، فعندما تَرِدُ إليه المسألة يعرف أيّ قاعدة يطبّق ليصل إلى الحكم الصّحيح ، ولا يطبّق القاعدة الخطأ ؛ لأنّه إذا طبّق القاعدة الخاطئة فإنّه يصل إلى حكم خاطئ .

مثل المهندس الّذي يريد أن يبني جسرًا ، لا يبني جسرًا ينهدم بعد سنة ، لا بدّ من أنّه قد طبّق القاعدة الخطأ ، فلا بدّ من أن تكون هناك حسابات معيّنة وحجم معيّن لأساس الجسر ، وإذا أخطأ في الحسابات فإنّ الجسر ينهدم بعد مدّة قصيرة ، وهناك فيديو لجسر معلّق يتحرّك مع الهواء يمينًا ويسارًا ، فهذا المهندس أخطأ في حساباته ، وقاعدة الجسر لا بدّ من أن تكون بكمّيّة معيّنة ، وطريقة البناء تكون بحسابات دقيقة ، وأقلّ خطأ في بناء الجسر يؤدّي إلى انهدامه بعد فترة قصيرة ، والمهندس لم يطبّق القوانين الصّحيحة لبناء الجسر ، ومع الحسابات الدّقيقة للمهندس يأتي دور البنّاء في التّطبيق الدّقيق لهذه الحسابات الدّقيقة ، فيحتاج إلى كمّيّات معيّنة من الحديد والإسمنت والتّراب وبقيّة موادّ البناء .

وكذلك المهندس الكهربائيّ يرسم مخطّطًا بتوزيع الشّبكة الكهربائيّة في البيت ، والفنّيّ الكهربائيّ هو الّذي يطبّق ، فيقوم بتمديد الأسلاك الكهربائيّة المناسبة للأحمال ، ويختار (الفيوزات) المناسبة ، وإذا وقع خطأ فإنّ هذا المصباح يحترق في كلّ يوم ، وهذا دليل على وجود خطأ في الشّبكة الكهربائيّة ، والحسابات الدّقيقة مطلوبة ، بالإضافة

إلى التّطبيق الدّقيق .

والفقيه بنفس الطّريقة عنده جانب فنّيّ في تطبيق القواعد على مواردها ، فذاك الفقيه أعلم ؛ لأنّ لديه المعلومات مع القدرة على التّطبيق الأفضل ، والجانب التّطبيقيّ الفنّيّ يأتي من كثرة العلم ، فهو لا يقتصر على المعلومات الّتي اكتسبها سابقًا ، وإنّما يكتسب علمًا جديدًا في كلّ يوم ، وبالإضافة إلى ذلك عنده قدرة على تطبيق المعلومات الّتي اكتسبها .

والجانب التّطبيقيّ الفنّيّ يأتي أيضًا من معرفة كيفيّة تطبيق القواعد وكثرة الممارسة في التّطبيق بحيث ينتج منه خبرة عند المجتهد ، وتدريجيًّا يصير قويًّا في الجانب التّطبيقيّ للمعلومات على الموارد المختلفة ، فإذا جاء مورد معيّن فإنّه يعرف القاعدة الّتي لا بدّ من أن يطبّقها ، ولا يطبّق القاعدة الخاطئة .

مثلًا بدل أن يطبّق أصالة البراءة يطبّق أصالة الاحتياط أو العكس ، فيقول بالجواز ، والمفروض أن يقول بالاحتياط بالتّرك ، أو يقول بالوجوب ، والمفروض أن يقول بالجواز .

وينمو عند الفقيه الجانب التّطبيقيّ إلى أن يصير أقوى من غيره من المجتهدين في التّطبيق .

وهذا مثل الطّالب الّذي يطبّق القوانين في الرّياضيّات ، فكلّما حلّ مسائل أكثر كلّما زادت قدرته على حلّ المسائل في مدّة أقلّ ، وأوّل مسألة يصادفها قد يحتاج في حلّها إلى ربع ساعة ، والمسألة الثّانية

يحلّها في عشر دقائق ، وبعض الطّلبة يرى المسألة ويحلّها في عشرة ثواني ، فبمجرّد ما يرى المسألة يعرف حلّها ، فيكون أقدر من غيره .

وينقل عن السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه قوله : إنّ كلّ مسألة أراها تأتي في ذهني جميع الآيات والرّوايات والقواعد الّتي تتعلّق بهذه المسألة .

عنده رضوان الله عليه قدرة عجيبة على تذكّرها جميعا ، وعنده ملكة في التّطبيق ، من الممكن أنّ الشّخص يدرس ، ولكن لا يحصل على الملكة ، والملكة عبارة عن جانب فنّيّ تطبيقيّ ، وهذا موجود في الفقه أيضًا ، فالفقيه يصل إليه الاستفتاء ، ويجيب خلال ثواني ، فالآيات والرّوايات والقواعد موجودة في ذهنه ، ويعطي الجواب مباشرةً ، نعم بعض المسائل تحتاج إلى بحث وخاصّة المسائل المستحدثة ، وبعض الفقهاء يظلّون مدّة أسبوع وهم يبحثون عن الجواب ، والبعض يحتاجون مدّة شهر للبحث عن الجواب ؛ لأنّه يبحث في جميع الآيات والرّوايات والأدلّة الأخرى .

وهكذا الأطبّاء في نفس المستشفى والقسم ، كلّهم درسوا الأدوية والآثار الجانبيّة لها ، وكيفيّة العلاج ، فعندهم اطّلاع على الأدوية ، ولكنّ بعض الأطبّاء يعلمون أنّ بعض الأدوية لا تصلح لبعض المرضى المصابين بأمراض أخرى ، فلا بدّ من أن يعطى دواءً آخر ، فقد يسأل المريض ليعرف أنّه مصاب بالضّغط أو السّكّري أو يشكو من كليته أو عنده ربو ، ويطلب فحصًا شاملًا للدم ، فالدّواء يصلح

لعلاج مرض معيّن ، ولا يصلح لبعض الأمراض الّتي يكشفها تحليل الدّم ، ومن خلال الفحوصات يعطي دواءً معيّنًا ، فيأخذ الدّواء الّذي وصفه الطّبيب له .

وأحد أصدقائه قد يقول له : لديّ هذا المرض ، فيقول له : عندي دواء جيّد نفعني كثيرًا ، وأنا جرّبته وفادني ، فيعطيه لصديقه ، ولكن يجب الانتباه إلى أنّ تركيب دمه قد يختلف ، لذلك لا يمارس أحد دور الطّبيب في إعطاء الأدوية ، ولا نجعل أنفسنا علماءَ في غير مجال تخصصّاتنا ، وقد يصف له دواءً ويكون عنده مرض معيّن ، وهذا الدّواء قد يؤدّي إلى وفاته ، ويكون هو المسئول لأنّه تكلّم بلا علم ، ونكون حذرين في إعطاء الأدوية لأصدقائنا ومعارفنا ، فإذا استعملنا دواءً ونفعنا فهذا لا يعني أنّه يكون نافعًا لشخص آخر .

نعم توجد أدوية عامّة ، كالبندول ، ولكن بعض الأمراض قد لا تنفع لها هذه الأدوية العامّة ، فبدل البندول قد يعطيه الطّبيب مُسَكِّنًا من نوع آخر ، فإذا كان الشّخص مصابًا بالسّكّري فإنّ هذا الدّواء المعيّن قد لا يصلح له .

والطّبيب الأعلم هو الّذي يعرف خواصّ كلّ دواء ، ويعرف الآثار الجانبيّة للأدوية ، ويعرف أنّ بعض الأدوية لا تصلح لبعض المرضى المصابين بأمراض أخرى ، فيعرف لمن يعطي هذا الدّواء ولمن يعطي الدّواء الآخر ، والطّبيب الأعلم يتابع دائمًا آخر الأخبار الطّبّيّة ، ففي كلّ يوم تخرج أدوية جديدة ، والطّبيب الجيّد لا يعتمد على

المعلومات السّابقة ، فالطّبّ في تطوّر يومًا بعد يوم ، فلا بدّ من أن يتابع التّطوّرات في مجال تخصّصه ، وتوجد على الإنترنت مواقع خاصّة بآخر التّطوّرات الطّبّيّة ، والأطبّاء عادةً ما يتابعون هذه المواقع ، ويشترك في مجموعات يذكرون فيها المعلومات الطّبّيّة الجديدة .

والطّبيب الفاشل لا يذهب إليه النّاس ، وإنّما يذهبون إلى طبيب آخر أقدر على التّطبيق بتشخيص المرض تشخيصًا دقيقًا وإعطاء الدّواء المناسب ، ونصف العلاج يكمن في التّشخيص الدّقيق لمعرفة المرض ، والنّصف الثّاني في وصف الدّواء المناسب .

والمريض حينما يراجع الطّبيب يقول : عندي ألم في هذا الموضع ، والمريض لا يشخّص المرض ، ومن وجود الألم في هذا الموضع يحتمل الطّبيب عدّة احتمالات ، وعلى أساس هذه الاحتمالات يطلب فحوصات معيّنة ، فإذا قال المريض : الألم على الجانب الأيمن – فالطبيب يعطيه فحوصات معينة ، وإذا قال : على الجانب الأيسر – يعطيه فحوصات أخرى ، وأمّا غير الطّبيب إذا قيل له إنّ الألم في هذا الموضع فيقول : الكلية مصابة ، وقد لا تكون المشكلة في الكلية ، وقد يشكو ألما في كتفه ، فيقول له : ضع كريم للعضلات ، وقد يكون هذا الألم علامة لمشكلة في القلب ، كما يحصل للمصابين بالجلطة في القلب .

إنّ الطّبيب الأعلم هو الأقدر على التّطبيق ، وإذا عنده اكتشافات جديدة فهذا حتمًا يُشَارُ إليه بالبنان ، ويكون هو الطّبيب الأعلم .

وهكذا في الفقه بنفس الطّريقة ، ترى الفقيه الأوّل عنده قدرة على التّطبيق أفضل من غيره ، والجانب التّطبيقيّ يعرفه العلماء والطّلبة الّذين يحضرون عند هذا المجتهد ، فبعض المجتهدين يحضر عندهم ألف طالب من الطّلبة الممتازين الجادّين ، لا فقط العدد ، وإنّما الكمّ مع الكيف ، وبعض المجتهدين يحضر عندهم خمس طلبة ، ولا يكونون من الطّلبة الممتازين ، فيختلف تقييم الفقهاء من خلال كمّ وكيف الطّلبة الّذين يحضرون عندهم ، فحضور ألف طالب ممتاز عند مجتهد معيّن لا بدّ له من سبب ، فلا بدّ من أن يكون عند هذا الفقيه علم وتطبيق لا يوجد عند غيره من الفقهاء بحيث يجعل الطّلبة يحضرون عنده ، فالطّلبة يحضرون عند كثير من المجتهدين ، ويقارنون بينهم إلى أن يحصلوا على مبتغاهم ، وبعض المجتهدين أقوياء في أصول الفقه ، ولكنّهم ليسوا أقوياء في الفقه وفي الجانب التّطبيقيّ لأصول الفقه ، فالطّلبة يحضرون عند مجتهد يدرسون عنده أصول الفقه ، ويحضرون عند مجتهد آخر يدرسون عنده الفقه واستنباط الأحكام الشّرعيّة ، فهو في عرض المعلومات في أصول الفقه ممتاز ، ولكنّه في الجانب الفنّيّ التّطبيقيّ في الفقه ليس بتلك القوّة الّتي يمتاز بها في أصول الفقه ، وليس بالضّرورة أن يدرس الطّالب الأصول والفقه عند نفس الأستاذ ، إلّا إذا أثبت الأستاذ أعلميّته فيهما ، والطّلبة في الحوزات يأخذون العلم من أساتذة مختلفين بحسب قوتهم .

والجانب التّطبيقي هو المهمّ ؛ لأنّ الهدف من أصول الفقه هو

الوصول إلى استنباط الأحكام الشّرعيّة ، والفقيه هو الّذي يعرف كيف يطبّق القواعد على مواردها ، والفقيه الأعلم في أصول الفقه لا يكون مرجعًا للتّقليد ، بل الفقيه الأعلم في الفقه واستنباط الأحكام يكون مرجعًا للتّقليد ؛ لأنّ المهمّ هو الجانب التّطبيقيّ للقواعد لأجل استنباط الأحكام ، فالأعلم في الفقه هو الأقدر على تطبيق المعلومات والقواعد على مواردها .

وإذا ورد استفتاء إلى أحد الفقهاء عن مسألة في كتاب الصّلاة ، وورد نفس الاستفتاء إلى فقيه آخر - فقد نجد اختلافًا بين الجوابين ، نعم العامّيّ غير المجتهد يكتفي بالمسألة الشّرعيّة وأنّه يجوز أو لا يجوز ، وحتّى في المسائل العقائديّة يكتفي غير العالم بالجواب ، ولكنّ العالم لا يكتفي بالجواب ، وإنّما يسأل دائمًا عن الدّليل ، ويريد أن يعرف أدلّة كلّ فقيه ، وكيفيّة الاستدلال هي الّتي تميّز الأعلم .

وسابقًا بعض الشّباب كانوا يقولون : رأينا الرّسائل العمليّة للفقهاء ، ووصلنا إلى أنّه لا يوجد فرق في الأعلميّة بينهم .

هو كإنسان عاديّ لا يمكنه تقييم الفقهاء من خلال الرّسائل العمليّة ، وأمّا العالم فيرى الرّسائل العمليّة ، ولكنّه يريد أن يرى كيفيّة استدلال كلّ فقيه على المسائل ؛ لأجل أن يصل إلى معرفة الأعلم .

والفقيه الأوّل قد يرجع إلى روايات الصّلاة الموجودة في كتاب "وسائل الشّيعة" ، فيجيب على الاستفتاء ويعطي الحكم ، وقد تجد فقيهًا آخر يرجع بالإضافة إلى ذلك إلى روايات الحجّ مثلًا ، ويربط

بين الرّوايات الواردة في الصّلاة والرّوايات الواردة في الحجّ ؛ لأنّه يعلم بوجود علاقة بين الرّوايتين ، ويجيب على الاستفتاء بجواب آخر ، ويعطي حكمًا آخر ، والفقيه الثّاني أعلم من الفقيه الأوّل ؛ لأنّه استطاع أن يربط بين الرّوايات في الأبواب المختلفة من أبواب الفقه ، والحكم الثّاني يكون أدقّ من الحكم الأوّل .

مثلًا في المسح على القدمين في الوضوء ، نقول : تمسح إلى الكعبين ، فنسأل : ما هما الكعبان ؟

ويوجد رأيان : قبّة القدم أو مفصل القدم .

نسأل : لماذا هذا الاختلاف ؟

الآية تقول بالمسح إلى الكعبين ، ألا توجد روايات تبيّن معنى الكعبين ؟

المفروض أن توجد روايات .

فلماذا الاختلاف في معنى الكعبين بين قبّة القدم ومفصل القدم ؟

إذا نظرنا إلى الرّوايات الموجودة في باب واحد من أبواب الفقه فيقع الاختلاف في معنى القدم ، ولكن إذا رجعنا إلى روايات في أبواب أخرى فقد نصل إلى معنى القدم بالضّبط ، وإذا طرحنا موضوع الوضوء نتناول ذلك ، ونصل إلى معنى الكعبين من خلال الرّبط بين الرّوايات من الأبواب المختلفة للفقه إن شاء الله تعالى .

إنّ عمليّة الرّبط بين المعلومات عمليّة فنّيّة تطبيقيّة لا يستطيع كلّ شخص أن يقوم بها ، والأعلم هو الّذي يكون أقدر على الرّبط بين

المعلومات الموجودة عنده ؛ لأجل أن يصل إلى الجواب المطلوب ، وهذا يجري في العلوم الدّينيّة والعلوم الدّنيويّة ، ففي العلوم الحديثة الأعلم هو الأقدر على الرّبط بين المعلومات ، فالطّبيب الأعلم هو الأقدر على الرّبط بين المعلومات الطّبّيّة ؛ لكي يصل إلى تشخيص المرض وإعطاء الدّواء المناسب ، وكذلك في علم الرّياضيّات الأعلم هو الأقدر على الرّبط بين المعلومات والقوانين الرّياضيّة ؛ لكي يصل إلى حلّ المسألة الرّياضيّة ، وعالم الفلك الأعلم هو الأقدر على ربط المعلومات الفلكيّة ؛ لكي يصل إلى أجوبة الأسئلة ، وحينما كنّا في المدرسة تعلّمنا أنّ عدد كواكب المجموعة الشّمسيّة تسعة ، والآن توصّل العلماء إلى وجود كواكب أخرى ضمن المجموعة الشّمسيّة .

كيف اكتشف العلماء الكواكب البعيدة مع أنّهم لا يرونها ؟

اكتشفها العلماء من خلال الحسابات ، فالّذي اكتشف باقي الكواكب هو الفلكيّ الأعلم ، استطاع أن يطبّق المعلومات الموجودة عنده ؛ لكي يصل إلى معرفة وجود الكواكب الأخرى ، ويقولون بأنّه يوجد نجم وُلِدَ أو نجم آخر مات مع أنّها بعيدة عنّا ملايين السّنوات الضّوئيّة ، ويعرفون ذلك من خلال تطبيق طرق معيّنة للوصول إلى ذلك ، وعلماء الفلك هم الأعرف بهذه الطّرق ، والفلكيّ الأوّل عنده نفس المعلومات ، ولكنّ الفلكيّ الثّاني هو الأعلم ؛ لأنّه يعرف كيف يستفيد من المعلومات ؛ لأجل الوصول إلى حقائق جديدة .

والمعلومات لا تُدْرَسُ من أجل نفس المعلومات ، والعلم لا يُطْلَبُ

من أجل نفس العلم ، وإنّما تطلب العلم من أجل العمل والتطبيق ، لذلك تدرس باب الصّلاة في الرّسالة العمليّة ؛ لأجل أن تصلّي ، فالمعلومات الدّنيويّة هدفها التّطبيق والعمل ، وكذلك المعلومات الدّينيّة هدفها أيضًا التّطبيق والعمل ، ولا توجد معلومات تُدْرَسُ من أجل نفس المعلومات ، وحتّى في العقائد .

تقول : الاعتقاد بالله عزّ وجلّ وتوحيده أمر نظريّ ، وهذه عبارة عن معلومة .

نقول : هذه المعلومة لا بدّ من أن تحرّك الإنسان المعتقِد ، لذلك نطلق عليه التّوحيد العمليّ ، أي أنّ هناك عملًا مترتّبًا على اعتقادك بتوحيد الله ، إذا علمت بأنّ الله واحد أحد فرد صمد حيّ قيّوم ، ما هو تأثير هذه الأسماء على حياتك العمليّة ؟

هذا لا بدّ من أن تعرفه ، فلا بدّ من أن تسأل نفسك : ما هي الأعمال الّتي تترتّب على اعتقادي بالله ؟

الله عالم وأنت تريد أن تكون عالما ، والله قادر وأنت تريد أن تكون قادرًا ، والله حيّ وأنت تريد أن تحصل على الحياة الخالدة ، فالصّفات والأسماء الحسنى تعطيك جانبًا عمليًّا ، وتعتقد بأنّ الله يراك ، فما هو الجانب العمليّ المترتّب على ذلك ؟

أنت في الغرفة لوحدك ولا أحد يراك ، هل ترتكب المعاصي أو لا ؟

إذا شخص لا يرتكب المعاصى فلأنّه يعلم بأنّ الله يراه ، وشخص آخر يغفل عن الله فيرتكب المعاصي ، والإنسان حينما يرتكب

المعصية يكون غافلًا عن وجود الله ، فيكون من الغافلين ، فالمعلومة الموجودة عنده عن وجود الله وأنّ الله يراه يغفل عنها ، نعم تظلّ في حيّز المعلومة الذّهنيّة .

إنّ هدف العلوم الدّنيويّة والعلوم الدّينيّة أن تتعلّم ؛ لكي تطبّق المعلومات وتعمل وتنتج وتبدع وتبتكر .

مثلًا قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إذا عمل أحدكم عملًا فَلْيُتْقِنْ" [1] ، هذه قاعدة دينيّة ، وهي قاعدة عرفيّة أيضًا ، بل هي قاعدة إنسانيّة ، والمطلوب من كلّ إنسان إتقان العمل ، فهل تحوّل هذه المعلومة إلى عمل بحيث تتقن كلّ عمل تؤدّيه ؟

"الله الله في نظم أمركم" ، هل تحوّل هذه المعلومة إلى عمل فتكون منظَّمًا في عملك وإدارة وقتك ؟

لا أن تنام في أيّ وقت وتستيقظ في أيّ وقت ، نظّم حياتك ونظّم أوقات نومك واستيقاظك ، تنام ٤ أو ٥ أو ٦ ساعات في اليوم ، ولا تنام ١٦ ساعة في اليوم ، وفي العطل ينام الشّباب إلى الظّهر ، والبعض إلى العصر ، والبعض إلى المغرب ، لا بدّ من أن تنظّم وقتك ، إذا أردت أن تكون إنسانًا ناجحًا في حياتك سواء حياتك الدّنيوية أم حياتك الدّينيّة نظّم وقتك واتقن عملك ، وسترى النّتيجة المطلوبة ، ومن الطّبيعيّ أنّ من ينظّم وقته ويتقن عمله يكون من النّاجحين ، وراجع حياة النّاجحين ، عنده تنظيم الوقت وإتقان

---

[1] الكافي ج٣ ص٢٦٢ ح٤٥ .

العمـل ، وأيّ إنسـان ناجـح حتّى في الأمـور الدّنيويّـة عنـده هـذان الأمران ، أيّ تاجر ناجح ترى عنده تنظيم الوقت وإتقان العمل ، فينجح في حياته التّجاريّة ويحقّق أرباحًا كثيرةً ، وأمّا التّاجر الكسول فينام إلى الظّهر ويريد أن يذهب العصر أو اللّيل إلى محلّه ، ومحلّه مغلق معظم اليوم ، هو لن ينجح في تجارته ، وكذلك الطّالب في المدرسة أو الجامعة يحتاج إلى تنظيم الوقت وإتقان العمل ، وسيكون من أوائل الطّلبة ، والطّالب في الحوزة نفس الشّيء ، إذا نظّم وقته وأتقن عمله يصير فقيهًا ويصل إلى درجة المرجعيَّة ، وإذا لم يدرس الطّالب وانتظر إلى ليلة الامتحان لكي يدرس المادّة فإنّه يحصل على ١٢ من ٢٠ ، أو أقلّ من ذلك ، وترى طلبة ممتازين درجتهم دائمًا ١٩ أو ٢٠ من ٢٠ ، هو بذل جهده ونظّم وقته وأتقن عمله ، يكتب الدّرس مع الأستاذ ، ويذهب إلى البيت وينظّم دروسه وكتاباته وخلاصاته ، مثل هذا الطّالب ينجح في دراسته ، وأمّا الطّالب الّذي لا ينظّم وقته ولا يتقن عمله فمن الطّبيعيّ أن يفشل في دراسته حتّى لو كان طالب حوزة ، ويبقى عدّة سنوات في الحوزة ، وبعد ذلك يرجع إلى بلده ويترك الدّراسة الحوزويّة ويذهب إلى الوظيفة ، لم يستطع أن ينجح ، والقضيّة ليست صدفةً وحظًّا ، ففي الدّراسة والوظيفة لا توجد الصّدف والحظوظ ، وإذا فشل قال إنّ الأستاذ سقّطني ، فيجعل فشله في ذمّة الأستاذ ، أو يقول إنّ الأساتذة أو الإدارة ليسوا جيّدين ، ولا يعاتب نفسه ، فلكي تكون من النّاجحين

لا بدّ من أن تأخذ بعوامل النّجاح ، فاعرف عوامل النّجاح وعوامل الفشل ، وخذ بعوامل النّجاح واترك عوامل الفشل فتكون من النّاجحين ، والمعادلة سهلة ، ويحتاج الأمر منك الالتزام بعوامل النّجاح ، والطالب أو الأستاذ في المدرسة أو الكلّيّة أو الحوزة تجري عليهما نفس القواعد والقوانين الطّبيعيّة ، وفي العلوم الدّينيّة أو العلوم الدّنيويّة إذا أخذت بعوامل النّجاح فإنّك تكون في زمرة النّاجحين .

نرجع إلى موضوعنا :

وصلنا إلى أنّ الفقيه الثّاني هو الأعلم أي الأقدر على الاستنباط وتطبيق القواعد على الموضوعات ، والفقهاء والعلماء حينما يريدون أن يعرفوا الأعلم لا يكتفون بالمسألة الشّرعيّة في رسالته العمليّة ، وإنّما يريدون استدلاله الفقهي وكيفيّة استنباطه لهذه المسألة الشّرعيّة ، ومن خلال كيفيّة الاستنباط يعرفون أنّ هذا الفقيه أعلم من ذاك الفقيه ، ولا يمكن أن يقول الفقيه للعلماء انظروا إلى المسألة الشّرعيّة فقط ولا تنظروا إلى كيفيّة الاستنباط ، فالتّقييم يكون على الاستدلال على أيّ مسألة في أيّ مجال من مجالات الدّين ، سواء كانت المسألة عقائديّة أم أخلاقيّة أم عمليّة أم أيّ جانب آخر ، فالمهمّ هو أدلّة المسائل ، نعم النّاس يريدون المسألة الشّرعيّة الجاهزة ، ولكنّ العلماء يريدون معرفة الأدلّة وكيفيّة استفادة الفقيه من الأدلّة وطريقة استنباطه للحكم في هذه المسألة ؛ لكي يقوموا بتقييم مستوى هذا الفقيه .

وأحيانًا بعض النّاس يذكرون مسألة معيّنة ويقولون بأنّ الفقهاء

يختلفون في هذه المسألة ، ويريدون أن يلزموا العلماء بحكم معيّن في هذه المسألة .

نقول بأنّ العلماء يعرفون اختلاف الفقهاء في المسألة ، ويعرفون أكثر من ذلك ، يعرفون أدلّة كلّ فقيه ، ويقومون بتقييم الأدلّة ، والإنسان العاديّ قد يتّخذ قرارًا بناءً على ما يتبنّاه من الأحكام الشّرعيّة ، ولكن قراره قد لا يكون مصيبًا ، والعالم يعرف استدلالات كلّ مسألة ، ويقدّم دليلًا على دليل آخر ، فيقول – مثلًا – بأنّ ما وصل إليه الفقيه الثّاني هو الحكم المطلوب بحسب الأدلّة ، أو أنّ ما وصل إليه الفقيه الأوّل ينافي الاحتياط ، فنأخذ بالحكم الّذي يتناسب مع الاحتياط .

إذن :

العلماء حينما يبحثون عن الفقيه الأعلم يريدون أن يعرفوا كيفيّة تطبيق الفقيه للمعلومات والقواعد على المورد المعيّن ، فيقولون إنّ هذا أعلم من ذاك ، والعلماء لا يحضرون عند جميع الفقهاء ، ولكنّهم يطّلعون على الكتب الاستدلاليّة للفقهاء ، ويصل العدد إلى عشرين أو ثلاثين مجلّدًا ، وينظرون في هذه الكتب ، وتوجد بعض المسائل الفيصليّة في الفقه العملي ، وبمراجعة استدلالات الفقهاء في هذه المسائل يمكن تحديد الأعلم منهم .

مثلًا بعض العلماء يطلبون من طلبتهم أن يبحثوا في قاعدة التّجاوز والفراغ ، ويرون متى يطبّقون هاتين القاعدتين ، فحينما تنتهي من

الصّلاة وتشكّ – يقال لك : ما دام أنّك فرغت من الصّلاة فلا تهتمّ بشكّك وَابْنِ على صحّة الصّلاة ، وهذا تطبيق لقاعدة الفراغ ، وإذا شككت أثناء العمل وتجاوزت المحل فيقال لك : لا تهتمّ بشكّك ، وهذا تطبيق لقاعدة التّجاوز ، والفقيه لا بدّ من أن يعرف متى يطبّق قاعدة الفراغ ومتى يطبّق قاعدة التّجاوز ، وتوجد مؤلّفات للفقهاء في هذا الموضوع ، والعلماء من خلال الاستدلال في المسائل الفيصليّة يمكن أن يحدّدوا الأعلم .

وهذا مثل الطّبّاخ ، فمن يذهب إلى المطعم يريد الطّعام جاهزًا حتّى يأكله ، وأمّا الطّبّاخ مثله فإنّه يريد أن يعرف كيفيّة الطّبخ وما هي الموادّ الّتي استعملها في الطّبخ .

وهذا الّذي قال بوجوب تقليد الأعلم أو بجواز تقليد غير الأعلم لا بدّ من وجود دليل على قوله ، فالعلماء حتّى يعرفوا الأعلم ينظرون إلى أدلّة كلّ مجتهد ويقارنون بينها ، وبذلك يعرفون من هو الأعلم من الفقهاء ، كما يعرف الطّبّاخون من هو الأعلم في فنّهم .

النّتيجة :

إلى هذا المقدار كان الدّليل الأوّل على الأعلميّة هو الفطرة ، والدّليل الثّاني هو العقل ، وأخذنا الدّليل الفطريّ والدّليل العقليّ ، والفطرة والعقل يقولان بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم ، ويقولان أيضًا بعدم جواز رجوع الجاهل إلى العالم مع وجود الأعلم ، فتكون القاعدة الفطريّة العقليّة هي وجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم .

وهـذه القاعـدة الفطريّـة العقليّـة تأتي في جميـع أحكـام الـدّين : العقـائديّـة والأخلاقيّـة والعمليّـة ، وتأتي القاعـدة أيضًـا في العلـوم الدّنيويّة ، والقواعد العقليّة غير قابلة للتّخصيص في مجال دون مجال ، فتطبّق في جميع المجالات ، ولا يجوز العمل بها في دائرة دون أخرى ، فيتمّ العمل بها في جميع الدّوائر .

تقول : أنا أبحث عن الأعلم في مجال العقائد ؛ لكي يكون إمامًا ، ولكنّي لا أبحث عن الأعلم في مجال الفقه العمليّ ، فيجوز تقليد غير الأعلم .

نقول : نفس القاعدة العقليّة الّتي تجري في مجال العقائد تجري أيضًا في مجـال الفقـه العملـيّ ، فتبحـث عـن الأعلـم لكـي يكـون إمامًـا ، وتبحث عن الفقيه الأعلم لكي يكون مرجعًا للتّقليد ، وتأخذ بهذه القاعدة أيضًا في علم الأخلاق ، فالإنسان لا يبحث عن الكمال ، وإنّما يبحث عن الأكمل ، وتريد أن تصعد درجةً بعد درجةٍ ، وإذا قلنا إنّك تبحث عن الكمال فستقف عند درجة معيّنة ؛ لأنّها درجة كمال ، ولا تصعد إلى الدّرجة الأكمل ، فالبحث عن الأكمل يؤدّي إلى الصّعود في درجـات الكمـال ، كمـالا بعـد كمـال ، وفي العقائـد نطبّق قاعدة الأعلميّة الّتي هي مصداق لقاعدة البحث عن الأكمل ، وفي الأخـلاق نطبّق قاعـدة البحـث عـن الأكمـل ، وفي الفقـه العمليّ نطبّق قاعدة الأعلميّة الّتي هي مصداق لقاعدة البحث عن الأكمل ، فقاعـدة البحـث عـن الأكمـل قاعـدة واحـدة تجـري في جميـع العلـوم

الدّينيّة والدّنيويّة ، ولا يصحّ أن تطبّق القاعدة في الفقه العقائديّ ، ولا تطبّقها في الفقه العمليّ .

تقول : أبحث عن الأعلم ليكون إمامًا للنّاس ، ولا أبحث عن الأعلم ليكون مرجعًا للتّقليد ، بل يجوز الرّجوع إلى غير الأعلم .

نقول : إنّ هذا خلاف القاعدة الّتي أَخَذْتَ بها في العقائد ، فالقواعد العقليّة تجري في جميع مجالات الدّين ، ولا يصحّ تطبيقها في مجال دون مجال .

وهذه هي عمليّة الرّبط بين جميع أجزاء الدّين ، فأجزاء الدّين ليست مفصولةً عن بعضها البعض ، وإذا ربطنا بين أجزاء الدّين فإنّ القواعد الّتي تجري في جزء تجري في الجزء الآخر ، وبناءً عليه نصل إلى وجوب تقليد الأعلم ، وإذا فصلنا بين أجزاء الدّين فيقال بأنّه لا توجد رواية تدلّ على الأعلميّة ، فيجوز تقليد غير الأعلم .

وقد بدأنا بالقرآن الكريم ، وذكرنا آيات دالّة على الأعلميّة ، وتوجد أيضًا روايات تدلّ على الأعلميّة ، وطرحنا أنّ مسألة الأعلميّة من المسائل البديهيّة عند كلّ إنسان ، وتكلّمنا عن الأعلميّة في عدّة محاضرات مع أنّها مسألة بديهيّة ، وذلك لوجود الاختلاف في أنّها بديهيّة أو غير بديهيّة ، وكلّ إنسان ببداهته يبحث عن الأعلم في جميع العلوم .

وفي المحاضرة القادمة نتناول الدّليل الثّالث على وجوب تقليد الأعلم ، وهو السّيرة العقلائيّة أي العرف العامّ ، فالعرف يقول

بوجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم ، وسأذكر أقوال بعض العلماء في الدّليل العرفيّ على وجوب تقليد الأعلم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : يوسف محمّد مناحي :

النّقطة الأولى هي أنّكم ذكرتم وجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم ، وبعض الأحيان شخص لا يوجد عنده إلمام كثير بالأحكام الفقهيّة ، ولكنّه يستنبط الحكم من نفسه حسب أهوائه أو يرى أنّ هذا صحيح بدون أن يعرف الحكم الشّرعيّ ، فحسب رأيه أنّ هذا صحيح ، هل هو مأثوم أو لا ؟

والنّقطة الثّانية هي أنّه لا يرجع إلى الأعلم ، وإنّما يرجع إلى أيّ صديق ، ويظنّ أنّ استدلاله صحيح ، ويفتي له بالحكم الشّرعيّ ويسير عليه .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

النّقطة الأولى هي أنّ من يريد أن يعطي حكمًا شرعيًّا فلا بدّ من أن يعرف كيفيّة الاستنباط أي لا بدّ من أن يكون فقيهًا ، وأمّا مثلنا نحن العوامّ فإنّنا نرى آية قرآنيّة ولا نعرف تفسيرها أو نأتي إلى رواية ونفهمها فهمًا خاطئًا ، والرّواية قد لا تكون صريحة وواضحة ، ولا تقول بشكل صريح بأنّه يجوز أو لا يجوز .

مثلًا في بعض الرّوايات أنّ الإمام عليه السّلام يقول (يُكْرَهُ ذَلِكَ) ، وعندما تقرأ هذه الرّواية تفهم أن هذا العمل مكروه ، ولكن معنى الرّواية أنّ هذا الأمر حرام ، مع أنّ الإمام عليه السّلام استعمل كلمة (يُكْرَهُ) ، والعلماء يقولون بأنّ هذه الرّواية دليل على الحرمة .

ولا يجوز لأيّ شخص أن يستنبط حكمًا شرعيًّا إذا لم يكن عنده العلم الكافي للاستنباط أي إذا لم يكن فقيهًا ، حتّى لو كان عالما ، فإذا كان عالما غير فقيه فليس من حقّه أن يستنبط الأحكام .

والنّقطة الثّانية هي أنّه حينما يرجع إلى صديقه فهذا الصّديق تارةً يعطيه الحكم من عنده ، وتارةً أخرى ينقل أقوال الفقهاء ، فيقول إنّ المرجع الفلانيّ يقول كذا ، والمرجع الثّاني يقول كذا ، ويمكن الاعتماد على نقله إذا كان ثقةً في النّقل ، ولا يقول : لقد سمعت ، أو يقولون ، فهذا لا يكفي .

واليوم وصلني سؤال ، يقول بأنّ السّيّد السّيستاني يحرّم أكل سمك الصّبور ، وذكر المرسل في رسالته : يقولون بأنّ سمكة الصّبور تحيض .

سمك يحيض هذا أسمعه لأول مرّة .

سألته : سمعته من عالم ؟

قال : لا ، سمعنا من امرأة تقول بأنّها سمعت بأنّ السّيّد السّيستانيّ يقول .

هذه وكالة أنباء (يقولون) ، وبعض النّاس يعتمدون على هذا النّقل مع أنّ هذا النّقل لا قيمة له ، والشّخص الّذي ينقل المسألة الشّرعيّة

لا بدّ أوّلًا من أن تعرف أنّه ثقة ، وثانيًا أن يكون دقيقًا في النقل ، وقد يكون ثقةً ، ولكنّه لا يكون دقيقًا في النقل ، وإذا نقل لك مرّة فتوى ولم يكن دقيقًا في النّقل فلا تعتمد عليه مرّة أخرى .

وغير الفقيه لا يستنبط حكمًا دينيًّا ، وترجع إلى العلماء لمعرفة الحكم ، ولا تأخذ من صديقك إلّا إذا كان ثقةً ودقيقًا في النّقل من المراجع ، وأنت تأخذ فتوى من تقلِّد .

والآن وسائل الاتّصالات سهلة ، ويمكنك أن ترسل رسالةً إلى أحد العلماء ، أو ترسل إلى مكتب المرجع عن طريق الإنترنت ، ويصل لك الجواب خلال عدّة أيام ، وبعض المسائل يصل جوابها خلال وقت قصير ، وبعض المسائل المستحدثة قد يحتاج إلى أن يبحث المرجع فيها ، فيتأخّر الجواب .

ويجب أن نكون دقيقين في معرفة الحكم الدّينيّ من أين نأخذه وممّن نأخذه .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٢٩)
دليل السّيرة العقلائيّة
على تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وتناولنا أدلّة وجوب تقليد الأعلم ، والدّليل الأوّل هو الفطرة ، والدّليل الثّاني هو العقل ، والآن نأتي إلى الدّليل الثّالث وهو السّيرة العقلائيّة .

وقبل الدّخول في هذا الدّليل أذكر نقطةً مهمّةً جدًّا :

أشيد بخطّ المرجعيّة الرّشيدة بمراجعها وعلمائها مهما كانت مرتبة علم العالم حتّى لو كان يقتصر على تدريس مادّة النّحو في الحوزة ، وهذا العالم يستحقّ أن نشيد بجهوده ، وليس بالضّرورة أن يكون العالم

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٦ شعبان ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٥/١٣ م .

عالما في كلّ شيء ، نعم المطلوب أن يكون عالما في الدّين كما تقول الآية الكريمة : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" [1] ، ولكن قد يكون العالم متخصّصًا في تدريس النّحو ، فهذا العالم له كلّ التّقدير ؛ لأنّه يبذل جهده في هذه المادّة ، وقد يكون العالم متخصّصًا في علم العقائد أو علم الأخلاق أو علوم القرآن أو تفسير القرآن ، وكلّ واحد من هؤلاء العلماء يقوم بدور كبير في حفظ الدّين ، لذلك لا نبخس النّاس أشياءهم كما تشير الآية الكريمة : "**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**" [2] ، حتّى لو كان يدرّس النحو ، ولا نقول بأنّ هذا العالم دوره قليل جدًّا ، فليس المهمّ أن يكون الدّور قليلًا أو كثيرًا ، ولكنّ المهمّ أن يكون الدّور مقبولًا عند الله عزّ وجلّ ، فقبول العمل هو المهمّ .

قد يقوم بعمل صغير جدًّا ، مثلًا يكون في دورة شبابيّة ، ولا يكون مسئول الدّورة ، قد يكون من الّذين يوزّعون الشّاي على الأساتذة والمشاركين في الدّورة ، هذا له دور أيضًا ، قد يوزّع الماء والشّاي في هذه الدّيوانية ، فهذا يقوم بدور ، والحاضرون يحتاجون إلى شرب الماء والشّاي ، فلا نبخس النّاس أشياءهم ، ولا نقلّل من قيمة أدوارهم ، وخاصّةً العلماء ، فالعلماء يقومون بأدوار كبيرة جدًّا في حفظ الدّين .

ومن الإشكالات الّتي تطرح أنّ المرجع ماذا يفعل ؟

يقولون : هو يكتب رسالة عمليّة فقط .

---

(1) التّوبة : ١٢٢ .

(2) الأعراف : ٨٥ .

نقول : هل كتابة الرّسالة العمليّة أمر سهل ؟!

إنّ كلّ حكم من الأحكام الموجودة في الرّسالة العمليّة - لكي يستنبطه الفقيه - يحتاج إلى مجموعة من العلوم ، منها علوم اللّغة ، وتفسير القرآن ، وعلم الرّجال ، وعلم الحديث ، وعلم المعارف العقليّة أي الفلسفة ، ومجموعة أخرى من العلوم ، وآخر شيء يستنبط الحكم الشّرعيّ ، فلا يظنّ أحد بأنّ كتابة الرّسالة العمليّة أمر هيّن ، فهذا العالم عنده رسالة عمليّة وعنده فقه استدلاليّ على هذه الرّسالة العمليّة في عشرين أو ثلاثين مجلّدًا ، وهذا العمل ليس بعمل سهل ، فحينما يكتب مثلًا : يجب تقليد الأعلم ، أو يجب تقليد الأعلم على الأحوط ، أو يكتب إنّ أهل الكتاب طاهرون ، هذا الأمر ليس سهلًا ، هو بينه وبين الله يقول إنّ هذا هو حكم الله ، فلا بدّ من أن يوجد عنده دليل على هذا الحكم ، فلا نستهين بجهود العلماء ، نعم هو عالم متخصّص في الفقه العمليّ ، ومن ينقد العلماء نسأله : أنت ماذا قدّمت لهذا الدّين ؟

وبعض الشّباب يشكلون ويسألون : لماذا الحوزة لا تعمل ؟ ولماذا العلماء لا يفعلون ؟

نسأله : أنت ماذا عملت ؟

باب طلب العلم مفتوح لجميع النّاس ، اذهب للحوزة العلميّة وَادْرُسْ جيّدًا ، وإذا كانت عندك فكرة معيّنة اعمل بفكرتك ، فبدل أن تقول : لماذا العلماء لا يفعلون ؟ - نقول : ادْرُسْ وَكُنْ عالما

واعمل ، لا تطرح الإشكالات فقط ، ومن ناحية عمليّة لا بدّ من أن تقدّم شيئًا للدّين ، وأقلّ شيء هذا الشّاب هل يستيقظ لصلاة الصّبح حتّى يمكنه أن ينقد أفعال العلماء ؟!

إنّ كل عالم له دور في حفظ الدّين ، ولا بدّ من أن نقدّر جهود العلماء ، وحالة النّاس في بلدنا أنّهم يسألون دائمًا : لماذا العلماء لا يفعلون شيئًا ؟ لماذا العلماء لا يتصدّون ؟

أنت ماذا قدّمت ؟

العلماء يختلفون في تشخيصهم ، عالم يتقدّم ، وعالم آخر يتوقّف ، حتّى بين العلماء الكبار ، في بعض الأحداث الكبيرة عالم يبدي رأيًا وينزّل بيانًا ، وعالم آخر يتوقّف عن إبداء رأيه ، لا العالم الأوّل يفرض رأيه على العالم الثّاني ، ولا العالم الثّاني يفرض رأيه على العالم الأوّل ، والعلماء لهم أدوار مختلفة ، وكلّ حسب طاقته وجهده ، إذا درس مدّة خمس سنوات فيمكنه أن يعطي بهذا المقدار ، وإذا درس مدّة عشر سنوات فيمكنه أن يقدّم أكثر ، حتّى طالب الحوزة الّذي درس سنة واحدة إذا رجع إلى بلده يمكنه أن يدرّس العقائد والأخلاق والرّسالة العمليّة ، وكلّما تدرّج في دراسته أكثر أمكنه أن يقدّم أكثر ، وجهود العلماء جهود متضافرة ، وكلّ عالم يقوم بدوره في حفظ الدّين ، عالم يستوعب جميع علوم الدّين ، مثل الشّيخ المفيد رضوان الله عليه ، وعالم يتخصّص في جانب من جوانب الدّين ، ولا يوجد عنده الوقت الكافي لأجل أن يتخصّص في جميع جوانب الدّين ، وبعض العلماء

في الحوزة يظلّ مدّة ثلاثين سنة وهو يدرّس اللّمعة الدّمشقيّة فقط ، فهو متخصّص في هذا الكتاب ، وعالم آخر يدرّس النّحو فقط ، وعالم ثالث يدرّس أصول الفقه ، وعالم رابع يدرّس علم الفقه ، وعالم خامس عمله فقط تفسير القرآن ، وعالم سادس يدرّس علوم القرآن فقط ، جهود متنوّعة من العلماء ، ومن جميع هذه الجهود تتكوّن علوم الدّين ، وكما أنّ الأئمّة عليهم السّلام تعدّد أدوار ووحدة هدف ، كذلك العلماء تعدّد أدوار ووحدة هدف ، فأدوارهم تتنوّع ، ولكنّ جميعهم في خدمة الدّين ، وكلّ عالم يتخصّص في جزء من أجزاء الدّين ، وبذلك يكتمل الدين بأجزائه المختلفة .

والعلّامة السّيّد الطّباطبائي رضوان الله عليه أعطانا تفسير الميزان ، مع أنّ العلّامة مجتهد في أصول الفقه وفي علم الفقه ، وكثير من النّاس لا يعرفون أن عنده شهادة اجتهاد في الفقه العمليّ ، ويعرفون عنه جانب التّفسير فقط .

وقد يكون عند العالم جوانب أخرى ، ولكنّه يتخصّص وينتج في جانب واحد ، ويجعل كلّ جهده في هذا الجانب ، وقد يتخصّص في المسائل الخلافيّة ، وينتج في هذا الجانب ، وهذا ينفع المؤمنين ، كما أنّ الجوانب الأخرى فيها نفع للمؤمنين .

وهذا الموضوع أحببت أن أطرحه ؛ لكي يلتفت المؤمنون إلى عدم التّكلّم عن العلماء إلّا بخير ، ولا بدّ من أن يكون عندنا تقدير لجميع العلماء في جميع التّخصّصات .

نأتي إلى الدّليل الثّالث :

الدّليل الثّالث : السّيرة العقلائيّة :

الدّليل الثّالث على وجوب تقليد الأعلم هو السّيرة العقلائيّة العرفيّة للنّاس ، وهي قائمة على رجوع الجاهل إلى العالم في الأمور البسيطة ، وأمّا في الأمور الخطيرة وفي صورة اختلاف الآراء فالجاهل يرجع إلى الأعلم ، كرجوع المريض إلى الطّبيب الأعلم في الأمراض الخطيرة حينما يختلف التّشخيص بين الأطباء .

ونلتفت هنا إلى أنّه تارةً يوجد عرف عامّ يشمل جميع النّاس ، وتارةً أخرى يوجد عرف البلد ، ونحن كلامنا ليس في الأعراف الخاصّة لكلّ بلد ، فالأعراف الخاصّة تختلف من بلد إلى آخر ، وفي نفس البلد قد يوجد عرف معيّن قبل مائة سنة ، والآن صار عندهم عرف مخالف .

مثلًا في الدّول الغربيّة قبل مائة النّساء كُنَّ محجّبات ، والآن صار عندهم عرف مخالف لذلك العرف الأوّل .

وفي السّيرة العقلائيّة ننظر إلى العرف العامّ لجميع النّاس في كلّ زمان ومكان ، فنرى بأنّ العرف العامّ هو رجوع الجاهل إلى العالم في الأمور البسيطة ، وإذا كان يوجد اختلاف في الرّأي بين العلماء فيبحثون عن الأعلم ، ومع اختلاف الآراء لا يمكنهم أن يأخذوا من أيّ شخص ، مثل الإنسان المريض الّذي يرجع إلى الطّبيب الأعلم ، فتارةً يكون المرض بسيطًا فيرجع إلى أيّ طبيب في تشخيص مرضه ليعطيه العلاج

المناسب ، كأن يصاب بالزّكام ، فيذهب إلى المستوصف إلى أيّ طبيب مناوب ، ولكن في الأمراض الخطيرة لا يكتفي بالطّبيب العامّ ، بل يحتاج إلى طبيب متخصّص في مرضه ، وبين المتخصّصين يبحث عن الأعلم في علاج مرضه ، لذلك فإنّ عرف النّاس الآن أنّهم يذهبون للعلاج خارج البلد إذا كانوا مصابين بأمراض خطيرة ، ولا يعالج نفسه في بلده ؛ لأنّه يعتقد أنّ الطّبيب الأعلم موجود خارج البلد ، فيذهب إلى الطبّيب الأعلم ، والعرف العامّ للنّاس قائم على هذا الأمر ، ومن ينكر الرّجوع إلى الأعلم إذا صار عنده مريض قريب فإنّه يذهب به إلى الخارج ، فمن ينكر تقليد الأعلم نسأله : لماذا أخذت مريضك إلى الخارج ؟

يجيب بأنّ الطّبّ هناك أفضل .

ومعنى ذلك أنّه يعتقد أنّ الطّبيب الأفضل أي الأعلم موجود في الخارج ، مع أنّه ينكر الرّجوع إلى الفقيه الأعلم .

إذن :

في حالات اختلاف الآراء وفي الأمور الخطيرة يرجع النّاس إلى الأعلم لمعرفة الحكم ، سواء كان الحكم في الأمور الدّنيويّة أم في الأمور الدّينيّة .

إذا احتجت إلى مسألة عقائديّة تسأل : من هو المتخصّص في علم العقائد وخاصّة إذا كانت من المسائل الدّقيقة ؟

نعم في المسائل العقائديّة العامّة ترجع إلى أيّ عالم .

وإذا احتجت إلى مسألة خلافيّة دقيقة تسأل : من هو المتخصّص في هذه المسائل ؟

فترجع إلى المتخصّص الأعلم .

وإذا توجد مسألة سألت عنها أكثر من عالم وكان هناك اختلاف في الآراء فتقول : من هو الأعلم بين هؤلاء العلماء ؟

فتبحث عن الأعلم .

أقوال العلماء :

سأقرأ أقوال بعض العلماء في الاستدلال بالسّيرة العقلائيّة على وجوب تقليد الأعلم :

القول الأوّل :

السّيّد محمد المجاهد أستاذ الشّيخ مرتضى الأنصاريّ رضوان الله عليهما قال :

هل المراد بالأعلم الأكثر حفظًا للمسائل أو الأشدّ قوّةً لاستخراجها أو الأكثر ترجيحًا لها ؟

فيه إشكال ، ولم أجد مُصَرِّحًا بشيء ممّا ذكر .

والتّحقيق يقتضي الرّجوع هنا إلى العرف ، فكلّ من يُطْلَقُ عليه عرفًا أنّه أعلم يجب الرّجوع إليه إن قلنا بوجوب تقليد الأعلم [1] .

وكلامه رضوان الله عليه بعبارات أخرى :

هل المراد بالأعلم الّذي يملك اطّلاعًا أوسع على المسائل أو أنّه

---

[1] مفاتيح الأصول ص٦٣٢ .

الأكثر قدرةً على استنباط المسائل أو الأكثر ترجيحًا بين المسائل ؟

لم يصرّح العلماء بشيء من ذلك .

والتّحقيق يقتضي الرّجوع إلى العرف ، فكلّ من يرى العرف أعلميّته يقال له الأعلم ، ويجب الرّجوع إليه إذا قلنا بوجوب تقليد الأعلم .

(الأكثر حفظًا للمسائل) : أي عنده معلومات أكثر .

(الأشدّ قوّةً لاستخراجها) : أي أكثر قدرة على استنباط المسائل أي أقدر على الاستنباط .

(الأكثر ترجيحًا لها) : أي الّذي يرجّح رأيا معيّنًا من بين الآراء لوجود الدليل على هذا الرّأي ، وإذا كان له آراء لم يقل بها السّابقون مع وجود الأدلّة عليها فيكون من المجدّدين .

(يقتضي الرّجوع هنا إلى العرف) : أي أنّ السّيرة العقلائيّة والعرف العامّ للنّاس هو الّذي يحدّد معنى الأعلم .

(كلّ من يُطْلَقُ عليه عرفًا أنّه أعلم) : أي أنّ كلّ من يرى العرف أعلميّته يقال له الأعلم ، فتعريف الأعلم تعريف عرفيّ موجود عند النّاس ، ولا نحتاج إلى أن نأتي بتعريف شرعيّ جديد ، فالتّعريف الشّرعيّ هو التّعريف العرفيّ ، والتّعريف الموجود للأعلم عند العرف في الأمور الدّنيويّة هو نفسه في الأمور الدّينيّة .

(يجب الرّجوع إليه إن قلنا بوجوب تقليد الأعلم) : أي أنّ الرّجوع إلى الأعلم واجب ، ويضيف شرطًا : إن قلنا بوجوب تقليد الأعلم ،

فكأنّه لا يقول بوجوب تقليد الأعلم .

قال في البداية نرجع إلى العرف في تحديد معنى الأعلم وأنّ الأعلم يجب الرّجوع إليه ، ثمّ قال : (إن قلنا بوجوب تقليد الأعلم) .

نقول : إذا كنّا نرجع في تحديد معنى الأعلم إلى العرف ، فنفس العرف يقول بوجوب الرّجوع إلى الأعلم ، فلا نحتاج إلى هذا الشّرط ، فيجب تقليد الأعلم بناءً على الدّليل العرفيّ ، وهذه البناءات العرفيّة العامّة تدخل في القضايا الشّرعيّة ، فالعرف الّذي يحدّد لنا معنى الأعلم هو نفسه يقول بوجوب رجوع الجاهل إلى الأعلم ، وبناءً عليه يجب تقليد الأعلم في القضايا الدّينيّة ، والدّليل هنا دليل عرفيّ ، بالإضافة إلى الأدلّة الأخرى الّتي تدلّ على وجوب تقليد الأعلم .

القول الثّاني :

الشّيخ مرتضى الأنصاريّ رضوان الله عليه : مضافًا إلى بناء العقلاء على ترجيح الأعلم من أهل الخبرة في كلّ مقام من المقامات الشّرعيّة والعرفيّة [1] .

(بناء العقلاء) : أي العرف ، والعقلاء غير العقل ، وبعض كتّاب الجرائد حينما يكتبون يقولون العقلاء ، ويقصدون الدّليل العقليّ ، فيقولون والعقلاء يقولون بذلك ، يظنّون أنّ العقلاء هم العاقلون جمع العاقل ، وتارةً يوجد دليل عقليّ ، وتارةً أخرى يوجد دليل عرفيّ عقلائيّ ، والعقلاء غير العقل في المصطلح الأصوليّ ، ولا يفرّقون بين

---

[1] رسالة الاجتهاد والتّقليد ص٧١ .

المصطلحين لأنّهم لم يدرسوا في الحوزة ، وكتّاب الجرائد الّذين يكتبون في القضايا الدّينيّة يستندون ويستدلّون ، فيأتي بآية أو رواية ويستدلّ بها ، وعلى أساس فهمه يكتب ، ولكن هل هذه الرّواية صحيحة أو لا ؟

لا يعرف ، فهو قرأ روايةً وأتى بها ، فيقول : قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ويأتي بالرّواية ويستنبط منها حكمًا شرعيًّا .

مثلًا في قضيّة انتخابات مجلس الأمّة ، هل يجوز للمرأة أن ترشّح نفسها أو لا ؟

يأتي إلى خطبة فاطمة الزّهراء أو زينب الحوراء عليهما السّلام ، فالزّهراء عليها السّلام خطبت في الرّجال ، وكذلك زينب عليها السّلام ، فالنّتيجة الّتي يصل إليها هي أنّه يجوز للمرأة أن ترشّح نفسها في مجلس الأمّة ، يريد أن يستدلّ بفعل الزهراء عليها السّلام في هذه المسألة .

نسأله : هل فعل المعصوم عليه السّلام يمكن الاستدلال به على حكم شرعيّ أو لا ؟

يجيب : هذا فعل المعصوم ، فيمكن الاستدلال به .

نسأله : ما هي الشّروط الّتي يجب أن تتوفّر في فعل المعصوم حتّى يمكن الاستدلال به ؟

يجيب : لا أدري .

وهذا جوابه ؛ لأنّه لم يدرس أصول الفقه .

نسأله : أنت تقول فعل المعصوم عليه السّلام حجّة فهل زينب الحوراء عليها السّلام معصومة ؟

يقول : ليست من المعصومين الأربعة عشر عليهم السّلام .

نقول : إذن كيف تستدلّ بفعلها وأنت تقول فعل المعصوم عليه السّلام حجّة ؟

يقول : هي معصومة بالعصمة الصّغرى .

نسأله : ما معنى العصمة الصّغرى ؟

يقول : لا أدري .

ولو نسأل الّذين يقولون بالعصمة الصّغرى : ما معنى العصمة الصّغرى ؟

الأغلب يقولون : لا ندري .

هم سمعوا ذلك من الخطباء أو من بعض طلبة الحوزة .

يقول : ما دامت معصومة بالعصمة الصّغرى فيمكن الاستدلال بفعلها .

إنّ الشّخص الذي لم يدرس ولا يوجد عنده اطّلاع كافٍ لا يعرف تفاصيل فعل المعصوم عليه السلام ، وعلى ماذا يدلّ فعل المعصوم عليه السّلام ؟ وما هي الشّروط حتّى يمكن الاستدلال بفعل المعصوم عليه السّلام ؟

والآن بحثنا ليس في هذه التّفاصيل ، وإنّما ذكرنا ذلك من باب المثال .

إذن :

الاستدلال على استنباط الأحكام الشّرعيّة يحتاج إلى متخصّص ، وكتّاب الجرائد عادةً ليسوا من أهل الاختصاص ، فيكتبون ويستدلّون ويستنبطون أحكامًا شرعيّة ، ولكن يجب أخذ الحذر ؛ لأنّ الرّواية تقول : "من أفتى بغير علم . . ." ، ليحذر الإنسان أنّه إذا لم يكن فقيهًا فلا يحقّ له أن يستنبط حكمًا شرعيًّا .

نعم يستطيع أن يفهم ، ويقول إنّ هذا فهمي ، ولكن لا يقول إنّ هذا حكم شرعيّ ، إذا قرأ آيةً أو روايةً فإنّه يفهم شيئًا معيّنًا ، ولكنّ هذا الفهم ليس بحجّة لا عليه ولا على غيره ، وكلّ شخص لا بدّ من أن يعرف الحدّ الّذي لا بدّ من أن يقف عنده بحيث لا يتجاوز هذا الحدّ .

كان قول الشّيخ الأنصاريّ رضوان الله عليه : مضافًا إلى بناء العقلاء على ترجيح الأعلم من أهل الخبرة في كلّ مقام من المقامات الشّرعيّة والعرفيّة . انتهى

بناء العقلاء أي العرف ، فالعرف يرجّح الأعلم ، فيقول ارجعوا إلى الأعلم في مسائلكم ، لا فقط في الأمور الدّنيويّة ، بل في الأمور الدّنيويّة والدّينيّة .

القول الثّالث :

الشّيخ مرتضى الأنصاريّ رضوان الله عليه : الظّاهر أنّ المراد بالأعلم الأقوى ملكةً لا الأزيد معلومًا . . . لأنّ الأوّل هو الأظهر

عرفًا . . . وهو مقتضى بناء العقلاء [١] .

الأعلم مشتقّ من العلم ، ومعناه الأكثر علمًا ، يقول رضوان الله عليه إنّ هذا ليس هو المعنى المراد ، وإنّما المعنى هو الأقوى ملكةً على التّطبيق في الاستنباط ، فهو عنده قدرة أكثر على استنباط الأحكام الشّرعيّة ، وهذا موجود حتّى في العلوم الدّنيويّة ، فالطّبيب الأعلم ليس هو الأكثر معلومات في الطّبّ ، بل هو الأقدر على تشخيص الأمراض ووصف العلاج المناسب ، فيشخّص المرض ويعطي العلاج المناسب ، وهذا هو الطّبيب الأعلم ، لا أنّه فقط يحفظ معلومات أكثر من غيره ، وإنّما هو من يعرف كيف يطبّق المعلومات على تشخيص الأمراض وإعطاء الدّواء المناسب ، فلا بدّ من أن يعرف خواصّ الأدوية ، فهذا الدّواء يصلح لهذا المرض ، ولا يصلح للمرض الآخر ، وأنّ هذا الدّواء لا يعطى للمصاب بمرض في قلبه أو بالسّكّريّ أو بالضّغط ، فيعطيهم أدوية أخرى .

ولا نصف الدّواء الّذي نفعنا لغيرنا ، فيقول : أنا جرّبت هذا الدّواء ونفعني ، فخذ منه وإن شاء الله ينفعك .

قد تكون سليمًا من السّكّريّ أو الضّغط أو القلب ، وهو مريض بأحد هذه الأمراض ، وقد تصف له نفس الدّواء ويأخذه ويصاب بمصيبة ، فننتبه أن لا نفتي في مجال الطّبّ ، والدّواء الّذي تأخذه قد لا ينفع غيرك في الأمراض الخطيرة ، وحتّى في الأمراض البسيطة .

---

[١] رسالة الاجتهاد والتّقليد ص٨٢ .

مثلًا الأسبرين يعطى للمريض الّذي يعاني من تخثّر الدّم أو الجلطة ، فمن مواصفات الأسبرين أنّه يُسَيِّلُ الدّم ، لذلك فالإنسان السليم لا يأخذ الأسبرين ، فقد تصف له الأسبرين ، وإذا أصيب بنزيف فدمه لا يتخثّر لكي يغلق الجرح ، وخاصّة إذا كان مصابًا بالرّعاف أي نزول الدّم من الأنف بشكل يوميّ ، فإذا نزل الدّم من أنفه فإنّ دمه لا يقف عن السّيلان ، وقد يؤدّي به إلى الموت إذا استمرّ خروج دمه من جسمه .

لذلك لا بدّ من أن يعرف كلّ شخص حدّه في جميع التّخصّصات والمجالات ، ويقف عند هذا الحدّ ولا يتعدّاه ، ونترك الأمور التّخصّصيّة لأصحابها ، ونفس الشّيء في القضايا الدّينيّة نرجع إلى المتخصّصين فيها .

وقال الشّيخ الأنصاريّ : الظّاهر أنّ المراد بالأعلم الأقوى ملكةً لا الأزيد معلومًا . . . لأنّ الأوّل هو الأظهر عرفًا . . . وهو مقتضى بناء العقلاء . انتهى .

إنّ العرف يحدّد معنى الأعلم ، وهو المعنى التّطبيقي لا المعنى العلميّ ، ليس الأكثر علمًا ، وإنّما الأقدر على تطبيق المعلومات ، والفقيه حينما يُرْسَلُ إليه استفتاء ، هو عنده معلومات ، ولكنّه يجيب على الاستفتاء ، وهذا هو المطلوب ، وهو أنّ الأعلم يطبّق معلوماته على السّؤال ؛ لأجل أن يصل إلى الجواب ، وكلّ فقيه يجيب على أساس الدّليل الّذي يتبنّاه ، وإذا عرض الفقهاء الفتاوى مع أدلّتها

على العلماء من أهل الخبرة فإنّه يمكنهم أن يشخّصوا الأعلم منهم ، فيقولون : إنّ هذا الفقيه أعلم من ذاك الفقيه بناءً على كيفيّة استدلالاته على الأحكام الدّينيّة .

القول الرّابع :

السّيّد محسن الحكيم رضوان الله عليه : ومقتضى بناء العقلاء تعيّن الرّجوع إلى الأفضل ، والتّشكيك في ثبوت بناء العقلاء يندفع بأقلّ تأمّل [1] .

إذا أشكل أحد في أنّ العرف يرجعنا إلى الأعلم فهذا الإشكال مدفوع من أساسه ، فإذا أشكل على الدّليل العرفيّ العقلائيّ فإشكاله مردود بأقلّ تأمّل ، ولا نحتاج إلى تفكير عميق لأجل الرّدّ ، فانظر إلى العرف ترى بأنّهم يرجعون إلى الأعلم في أمورهم الحياتيّة .

القول الخامس :

السّيّد أبو القاسم الخوئيّ رضوان الله عليه : وأمّا السّيرة العقلائيّة فهى غير جارية على الرّجوع إلى غير الأعلم ، بل قد جرت على الرّجوع إلى الأعلم عند العلم بالمخالفة ، كما هو المشاهد في غير الأحكام من الحرف والعلوم ، وحيث إنّ تلك السّيرة لم يُرْدَعْ عنها في الشّريعة المقدّسة فنستكشف بذلك أنّها ممضاة عند الشّارع [2] .

(جرت على الرّجوع إلى الأعلم عند العلم بالمخالفة) : حين العلم

---

[1] مستمسك العروة ج١ ص٢٧ .

[2] كتاب الاجتهاد والتّقليد ص١٤٢ .

بالاختلاف في الفتوى ترجع إلى الأعلم ، وإذا كان يوجد اتّفاق بين العلماء على فتوى معيّنة فيمكن أخذ هذه الفتوى من أيّ عالم ، فإذا اتّفق الأعلم وغير الأعلم على رأي واحد في مسألة معيّنة فيمكن أخذ هذه المسألة من الأعلم أو غير الأعلم ، ولكن في حال الاختلاف في الفتوى ترجع إلى الأعلم .

(كما هو المشاهد في غير الأحكام من الحِرَفِ والعلوم) : في الحِرَفِ والعلوم الدّنيويّة يرجعون إلى الأعلم حين الاختلاف في الرّأي .

(وحيث إنّ تلك السّيرة لم يُرْدَعْ عنها في الشّريعة المقدّسة فنستكشف بذلك أنّها ممضاة عند الشّارع) : لو رجعنا إلى الرّوايات لا نجد بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو الأئمّة عليهم السّلام رفضوا هذه السّيرة مع أنّها كانت موجودةً في أزمنتهم ، ففي أزمنة المعصومين عليهم السّلام كان النّاس يرجعون إلى الأعلم ، والمعصومون عليهم السّلام لم يردعوا عن هذه السّيرة ، فإذا لم يردعوا عنها فمعنى ذلك أنّهم قبلوا هذه السّيرة ، فهذه السّيرة تكون مقبولةً عند المعصومين عليهم السّلام ، فتكون ممضاةً أي مَرْضِيًّا عنها ، فيمكن الاستدلال بالسّيرة العقلائيّة الممضاة من الشّارع ؛ لأنّهم عليهم السّلام وافقوا على العمل بهذه السّيرة ، ولو اعترضوا عليها لوصلت إلينا كثير من الرّوايات ؛ لأنّ هذه السّيرة مُسْتَحْكَمَة بين النّاس ، فلا بدّ من أن توجد عندنا كثير من الرّوايات الّتي ترفض هذه السّيرة ، فالمعصوم عليه السّلام يقول : أيّها النّاس ، لا تعتمدوا على هذه السّيرة في الرّجوع

إلى الأعلم ، وأنا أعطيكم الطّريقة البديلة .

ومثل هذه الرّوايات غير موجودة .

وهذا يجري على مجموعة من السِّيَرِ العقلائيّة العرفيّة ، مثلًا أخذ الخبر من الثّقة ، ففي كلّ زمان ومكان يعتمد النّاس على أخبار الثّقات في القضايا الدّنيويّة ، فنسأل : هل في القضايا الدّينيّة تقبل الشّريعة الاعتماد على أخبار الثّقات ؟

الجواب :

هذه السّيرة العقلائيّة العرفيّة كانت موجودةً في أزمنة الأربعة عشر معصومًا ، ولم يعترض أحد منهم عليهم السّلام على هذه السّيرة ، فتكون ممضاة أي مقبولة عندهم عليهم السّلام ، فنقول بأنّنا نعتمد على أخبار الثّقات في الأحكام الدّينيّة ؛ لأنّها ممضاة من الشّارع .

القول السّادس :

السّيّد أبو القاسم الخوئيّ رضوان الله عليه : فالصّحيح في الحكم بوجوب تقليد الأعلم هو السّيرة العقلائيّة الّتي استكشفنا إمضاءها من عدم الرّدع عنها في الشّريعة المقدّسة [1] .

قوله : (الصّحيح) – هذا رأي السّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه ، وإذا قال الفقيه : الصّحيح – فمعناه أنّه توجد عدّة آراء في المسألة ، وهو يصحّح رأيًا منها ، وفي الكتب الأصوليّة أو الفقهيّة إذا قال : الصّحيح – فيكون اختياره ، وهو الصّحيح عنده ، والصّحيح في

---

[1] كتاب الاجتهاد والتّقليد ص١٤٨ .

مقامنا هو وجوب تقليد الأعلم ، والدّليل هو السّيرة العقلائيّة المضاة من المعصومين عليهم السّلام .

القول السّابع :

السّيّد محمّد سعيد الحكيم رضوان الله عليه : فمقتضى السّيرة وجوب تقليد الأعلم [1] .

(فمقتضى السّيرة) : أي السّيرة العقلائيّة العرفيّة .

القول الثّامن :

السّيّد محمّد سعيد الحكيم رضوان الله عليه : ومن ثمّ كان المشهور وجوب تقليد الأعلم في الجملة ، وجرت على ذلك سيرة العامّة في كثير من العصور تبعًا لهم ، ولم يظهر وقوعهم في الحرج بسبب ذلك [2] .

إذا قلت : إنّ البحث عن الأعلم فيه حرج وصعوبة .

نقول : كان النّاس يرجعون إلى الأعلم في أمورهم الدّنيويّة ، ولم يشعروا بأيّ صعوبة في ذلك ، وكذلك تحديد الأعلم في الأمور الدّينيّة ليس أمرًا صعبًا عن طريق الرّجوع إلى العلماء من أهل الخبرة .

القول التّاسع :

السّيّد محمّد سعيد الحكيم رضوان الله عليه : فلا مخرج عمّا يقتضي لزوم تقليد الأعلم من سيرة العقلاء القطعيّة الجارية في جميع موارد

---

(1) مصباح المنهاج – التّقليد ص٥٢ .

(2) المصدر السّابق ص٧٥ .

الرّجوع إلى أهل الخبرة [1] .

(سيرة العقلاء القطعيّة) : نقطع بأنّ هذه السّيرة موجودة عند جميع النّاس في أنّهم يرجعون إلى أهل الخبرة في تحديد الأعلم ووجوب تقليده .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : ضاري عثمان :

في البداية ذكرتم عن موضوع العلماء وطريقة انتقادهم ، وأيّ عمل يؤدّيه الشّخص لا بدّ من أن يكون عالما بهذا العمل حتّى يقدم فيه أكثر ، فحينما نقول إنّ العالم الفلانيّ لماذا لا يمسك العمل ؟

تقولون إنّه يعرف ما يفعله ، فإذا نقول دائمًا هو يعرف ما يفعله فالسّاحة ستكون خاليةً ، ولن يتصدّى أحد ، والعلماء هم أفضل من غيرهم ، إذا يعرف أنّه لا يمكنه أن يمسك هذا المكان ، أو أنّ هذا ليس مكانه ، إذن من الّذي سيمسك مكانه ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

طبعًا هذا يعتمد على نوع العمل ، ولا يوجد مجال من المجالات إلّا ويوجد عالم متصدّي ، وليس جميع العلماء يتصدّون لشيء واحد ، قد تطلب هذا العالم لأمر معيّن ولا يتصدّى له ، ولكنّه يتصدّى لأمر

---

[1] مصباح المنهاج – التّقليد ص٧٥ .

آخر ، ويرى بأنّ الأمر الآخر أهمّ ، وكما أنّك في حياتك تقدّم الأهمّ على المهمّ ، كذلك العالم بنفس الطّريقة ، قد تقدّم للعالم مشروعًا ، وشخص آخر يقدّم له مشروعًا آخر ، فيدرس هذه المشاريع المختلفة ويختار المشروع الأوّل ولا يختار المشروع الثّاني ، ومن الممكن أن تعرض المشروع الثّاني على عشرة علماء ، وأنت ترى أنّ هذا المشروع مهمّ ، ولكنّ العلماء لا يرونه مشروعًا مهمًّا ، وجهة نظرك محترمة ، وكما أنّه لا تقبل أن يفرض أحد عليك رأيا معيّنًا ، كذلك العالم لا يُفْرَضُ عليه رأي معيّن ، أنت ترى أهمّيّة هذا الأمر ، ولكنّ العالم لا يرى أهمّيّته ، والسّاحة لا تخلو من أحد من العلماء ، نريد أن نفرض على العلماء أمرًا معيّنًا ، ونقول له : إذا لم تتصدَّ لهذا الأمر فالسّاحة تخلو .

هذا العالم لم يجلس في بيته ، وإنّما يتصدّى لأمور يرى بأنّها أهمّ ممّا تراه أنت ، فأنت ترى أمرًا معيّنًا أهمّ ، وهو يرى أنّ الأمر الآخر أهمّ ، فيتصدّى لما يراه أهمّ ، ويوجد اختلاف وجهات النّظر بينك وبين العالم فهل العالم يقدّم رأيك أو رأيه ؟

أنت تقدّم رأيك فيما تتصدّى له ، فإذا كان عندك مشروع وأنت مقتنع به فبادر واستمرّ به ، وهو يقدّم رأيه فيما يتصدّى له ، ومشروعك هو يرى أنّه يتصدّى أو لا يتصدّى له بحسب تشخيصه ، وحسب وجهة نظرك رأيك صحيح بالنّسبة لك ، وهو رأيه صحيح بالنّسبة له ، وكلّ شخص يعمل بحسب وجهة نظره ، واختلاف الآراء

بين البشر أمر طبيعيّ .

ولا بدّ من أن يكون عندنا احترام لآراء بعضنا البعض ، ونتقبّل اختلاف الآراء ، لا لمجرّد أنّ شخصا خالفك فهو كافر ، مثلما يحدث الآن ، فمذهب من المذاهب عندهم رأي معيّن ، وإذا أحد خالف فهو كافر خارج عن الإسلام ، لا بدّ من أن نتقبّل اختلاف الآراء ، وخاصّة في القضايا النّظريّة التي تحتاج إلى تفكير ، أنت تفهم معنًى من آية قرآنيّة وتستدلّ بها ، وهو يفهم معنى آخر من نفس الآية ويستدلّ بها .

مثلًا يفهم من القرآن أنّ الله له يد ، فيفهم أنّ الله له جسم ، وأنت تفهم أنّ الله ليس بجسم اعتمادًا على آية : "**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**" (1) .

هو يعتقد هذا الاعتقاد ، وأنت تعتقد الاعتقاد الآخر ، وكلّ طرف لا يفرض اعتقاده على الطّرف الآخر ، وإلى هذا المقدار اختلاف الآراء مقبول ، ولكن إذا وصل الأمر إلى التّكفير وصار اختلاف الآراء مدعاةً للتّكفير فلا يكون مقبولًا ، وهنا تكمن الخطورة ؛ لأنّه يؤدّي إلى القتل ، واختلاف النّاس في آرائهم أمر طبيعيّ سواء في الأمور الدّنيويّة أم في الأمور الدّينيّة .

طبيبان يختلفان في تشخيص المرض مع أنّهما درسا نفس المعلومات وبيديهما تحاليل المريض وفحوصاته نفسها ، والطبيب الأوّل يقول إنّ المريض مصاب بهذا المرض ، والطّبيب الثّاني يقول بأنّه مصاب بمرض

---

(1) الشّورى : ١١ .

آخر ، وهذا اختلاف في التّشخيص والرّأي .

لا بدّ من أن يوجد تقبّل من جميع المسلمين وغير المسلمين لآراء بعضهم البعض ، والمسلم يقول مباشرةً عن البوذيّ بأنّه كافر ويجب قتله ، فنسأل : ما هو الدّليل ؟

هذا الّذي صار بوذيًّا نسأله : لماذا صرت بوذيًّا ؟

ومن يعبد بقرةً أو يقدّسها نسأله : لماذا تقدّس البقرة ؟

هم لديهم أسبابهم ، هل هو يقدّس البقرة لأنّها إله أو لأنّها ممثّلة الإله على الأرض ؟

المسلمون لا يعرفون ذلك ، ومباشرةً يكفّرونه بدون أن يسألوهم عن الأسباب الّتي أدّت بهم لعبادة غير الله تعالى .

الآن يوجد ملحدون لا يعتقدون بالإسلام ، والسّبب هو ممارسات المسلمين .

أشير هنا إلى الموضوع بشكل مختصر ، وفي دورات أخرى سأفصّل فيه ، تريد أن تقنع النّاس في العالم بأن يدخلوا الإسلام .

يقولون للمسلمين : أعطونا نموذجًا ، أنتم تقولون إنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان فأين نموذجكم ؟ أين الدّولة الّتي تكون نموذجًا للإسلام ؟ هل أنتم المسلمين تطبّقون الإسلام ؟

تقولون : نطبّق الإسلام .

يسألونكم : أين النّموذج ؟

وإذا قلتم : لا يوجد عندنا نموذج .

فيقولون : إذن فأنتم لا تطبّقون الإسلام ، ومعنى ذلك أنّ الإسلام ليس له واقع وغير قابل للتّطبيق .

وحينما تريد أن تقدّم للعالم نظريّةً فلا بدّ من أن تقدّم له نموذجًا .

يقول المسلمون : نرجع إلى القرآن ، وفيه العدل والإنصاف ، وفيه **"لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"** .

يقولون : نعم القرآن فيه هذه الأمور ، ولكن أنتم المسلمين إلى أيّ مقدار طبّقتم هذه الأمور ؟

ننظر إلى الشّعوب المسلمة نراها شعوبًا متخلّفةً ، ولا يوجد عندهم نظام ، ويوجد تخلّف في جميع النّواحي .

تقول : عندي إسلام صالح لرقيّ البشرية .

يقولون : أنتم لم تقدّموا للعالم نموذجًا .

فلا تتوقّع أنّ الآخر يقبل منك الإسلام ، فالعيب في المسلمين ، فالمسلمون لا بدّ من أن يقدّموا نموذجًا ، فالرّأسماليّة قدّمت نموذجًا للعالم ، وسيطرت عليه ، والاشتراكيّة سابقًا قدّمت نموذجًا .

يقولون : وأنتم أيّها المسلمون ، أين نموذجكم للإسلام ؛ لكي نرى أنّ المسلمين يتقدّمون والإسلام يقدّم شيئًا لرقيّ البشريّة ؟

ونحن نرى أنّ واقع المسلمين واقع متخلّف ، بل أنتم المسلمين القتل موجود بينكم ، تقتلون بعضكم البعض ، وكلّكم تستدلّون بآيات قرآنيّة ، أوّلًا قوموا بحلّ مشاكلكم ؛ لكي تقدّموا للعالم نموذجًا ، نريد عالما بلا طائفيّة ولا مذهبيّة ، والعالم في الشّرق والغرب يريدون

النّموذج ، وهم يفكّرون أكثر من المسلمين ، فالشّرق والغرب عندهم التّقدّم في العلوم ، ويوجد حبّ العلم عندهم ، والمسلمون أين حبّ العلم عندهم ؟

لا يوجد عندهم طلب للعلوم لا للعلوم الدّنيويّة ولا للعلوم الدّينيّة ، مع أنّ القرآن يدعو إلى العلم ، ويجعل مقامًا عاليًّا للعلماء ، والرّوايات تؤكّد مقام العلماء ، فأين علماؤكم في العلوم الحديثة ؟ وأين علماؤكم في علوم الذّرّة ؟ وأين علماؤكم في الطّبّ ؟

إذا كنتم تعتبرون أنفسكم مطبّقين لهذا الدّين فمعنى ذلك أنّ دينكم يحارب العلم ، وأنّ قولكم بأنّ الإسلام يدعو إلى العلم لا نرى له تطبيقًا واقعيًّا ، فلا تتوقّعوا – أيّها المسلمون – أنّ الشّرق والغرب سيؤمنون بالإسلام .

إنّ العيب في المسلمين ، لا بدّ من أن يقدّموا للعالم نموذجًا ؛ لكي يقبلوا الإسلام كدين ومنهج للحياة ، وأمّا أن نكتفي بأن نقول إنّ ديننا دين الحرّيّات فهذا لا يكفي لإقناع العالم .

يقولون : نرى بأنّه لا توجد حرّيّات عند المسلمين ، إسلامكم فيه **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"** [1] ، وإذا خالفكم أحد في الرّأي فأنتم أيّها المسلمون تقتلونه ، فهذه التّعاليم الإسلاميّة القرآنيّة أين هي ؟

إنّ العيب في المسلمين لا في الإسلام ، لا بدّ من أن نقدّم للعالم نموذجًا تطبيقيًّا للإسلام ، وبعد تقديم هذا النّموذج يمكننا أن ندعو

---

[1] البقرة : ٢٥٦ .

إلى الإسلام ، والدّعاة يدعون إلى الإسلام ويكفّرون العالم ، وذاك الإنسان الغربي أو الشّرقيّ يقول أنا أعتقد بوجود إله خالق للكون ، ولكنّ طريقتي في عبادة هذا الخالق تختلف عن طريقتك ، واليهوديّ يعبد الله ، والمسيحيّ يعبد الله ، حتّى الّذي يعبد البقرة أو يقدّسها قد يكون في نظره أنّ هذا هو الإله أو رمز للإله ، فهو يعتقد بوجود إله خالق للكون ، ولكن صار عنده خطأ واشتباه في تشخيص مصداق الإله .

وبعض من يُطْلَقُ عليهم "ملحدون" يقولون نحن نعتقد بوجود خالق للكون ، ولكن لا نعتقد أنّه إله المسلمين ، بل إله آخر ، فمثل هؤلاء لا نقول عنهم كفّارًا أو ملحدين أو مرتدّين يجب قتلهم ، لا بدّ من أن نرى هل لديه مبرّرات لكفره أو إلحاده أو ارتداده ، والإلحاد ينتشر في العالم ، ونحن لحدّ الآن نقول : إنّ هذا كافر أو مرتدّ يجب قتله .

لم نحلّ المشكلة ، لا بدّ من أن نرى أنّ حكم المرتدّ الّذي يجب قتله هل يتعارض مع القرآن الّذي يدعو إلى حرّيّة الاعتقاد أو لا .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" (١) .

"أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (٢) .

---

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) يونس : ٩٩ .

أنتم تقولون في القرآن بشيء ، ولكنّ تطبيقكم العمليّ شيء آخر ، أنتم لا تدعون إلى الحرّيّة الفكريّة ولا حرّيّة الإنسان ، فالإنسان حرّ فيما يعتقد ، تكون مسلمًا أو يهوديًّا أو مسيحيًّا أو ملحدًا أو تعتقد بأيّ دين ، هذا بينك وبين الله ، أنا أريد منك أن تكون إنسانًا ، تحترمني كإنسان وأحترمك كإنسان ، هذا هو المطلوب ، وأمّا اعتقادك فبينك وبين الله ، وأنا لست مسئولًا عن اعتقادك ، أنا أعتقد بأنّ ما عندي حقّ ، وأنت تعتقد أنّ ما عندك هو حقّ ، وإذا كلّ شخص يكفّر الآخر فهذا يريد قتل ذاك وذاك يريد قتل هذا ، بنفس المقياس ، هو يعتقد أنّه على حقّ أيضًا ، ولو لم يعتقد أنّه على حقّ لما تمسّك بما يعتقد .

الآن المسيحيّون يعتقدون أنّهم على حقّ ، ولكنّهم هل أصدروا بيانًا بوجوب قتل جميع المسلمين وجميع اليهود وجميع أتباع الأديان وأنّ الجنّة لهم فقط مثلما يقول المسلمون ؟

فالمسلمون يقولون بأنّ الجنّة للمسلمين فقط ، وباقي النّاس في العالم كلّهم في النّار ، وأتباع كلّ مذهب يقولون نحن أصحاب الجنّة ، وأنّ المسلمين ينقسمون إلى ثلاث وسبعين فرقةً ، فرقة واحدة ناجية ، وباقي الفرق في النّار ، وكلّ فرقة تدّعي أنّها هي الفرقة الناجية ، ومعنى ذلك أنّ الدّاخلين إلى الجنّة ثلاثة أو أربعة ملايين فقط ، ومليارات من النّاس كلّهم إلى النّار .

هل هذا هو المقياس الشّرعيّ القرآنيّ ؟

نرجع إلى القرآن الكريم ، الإنسان الّذي يكون مقصِّرًا له حساب ، وإذا كان قاصرًا يكون له حساب آخر ، وذاك الشّخص لم يدخل الإسلام ؛ لأنّ التّقصير من المسلمين ، فالمسلمون لا بدّ من أن يُحَاسَبُوا على تقصيرهم ؛ لأنّهم صاروا سببًا في عدم دخول النّاس في الإسلام ، فالمسلمون يَدَّعُونَ شيئًا ويفعلون شيئًا آخر ، تذهب إلى الدّول الغربيّة وبشكل عامّ لا توجد عندهم طائفيّة ، وأنت إنسان تشكّل طاقةً ، وينظرون إليك كإنسان ، لا دخل لهم بدينك ، قد تجد مسئولًا مسلمًا أو يهوديًّا أو مسيحيًّا أو ملحدًا ، هم يريدون منك العمل ، وإذا أنتجت وأبدعت يجعلونك مسئولًا ويتقبّلون إنتاجك ولا ينظرون إلى دينك ومذهبك ، لا أنّهم يقدّمون أبناء طائفتهم أو مذهبهم على غيرهم ، ولا يدعون إلى قتل الآخرين الّذين لا يكونون على آرائهم ، هذا خارج عن الدّين ، وذاك خارج عن المذهب .

والمسائل مسائل نظريّة قابلة لاختلاف الآراء ، نعم في كلّ دين وكلّ مذهب توجد مسلَّمات ، فالإنسان الّذي لا يعتقد بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يكون مسلمًا ، ومن لا يعتقد بالأئمّة عليهم السّلام يكون مسلمًا غير شيعيّ ، هو مسلم سنّيّ ، والمسلم الشّيعيّ قد يكون زيديًّا أو إسماعيليًّا .

هل أنت وفرقتك وطائفتك وأتباع مدرستك تدخلون إلى الجنّة وباقي النّاس في النّار ؟!

والقرآن الكريم يقول :

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ" (١) .

المسلمون واليهود والنّصارى ، والصّابئون وهم لا مسلمون ولا يهود ولا نصارى ، والمطلوب منهم جميعًا أن يؤمنوا بالإله خالق الكون ، وأن يعتقدوا بوجود المعاد ، ويعملوا الصّالحات ، من أيّ دين كان ، ومن أيّ مذهب كان ، والإنسان الصّالح لا يعتدي على الآخرين ؛ لأنّ الله لا يحبّ المعتدين ، فتتكون عندنا القاعدة التّالية :

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ" (٢) .

وهذه قاعدة وهي أن تقاتل من يقاتلك فقط ، وهي قاعدة عرفيّة موجودة عند جميع النّاس في كلّ زمان ومكان ، فمن يعتدي عليك ويبدأ بقتالك تقاتله ، وهي قاعدة دينيّة أيضًا ، فيكون الدّين مؤيّدًا لهذه القاعدة العرفيّة ، وهذه القاعدة العرفيّة الدّينيّة موجودة عند جميع الأقوام في كلّ زمان ومكان .

"أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (٣) .

---

(١) البقرة : ٦٢ .

(٢) السّورة السّابقة : ١٩٠ .

(٣) التّوبة : ١٣ .

والقاعدة الثّانية هي أنّ من يبدأ بقتالك تقاتله ، ولكن لا تعتدي عليه بأكثر من القتال في ساحة المعركة ، فلا تعتدي على نسائه وأولاده ومن لم يشارك في المعركة ؛ لأنّ الله لا يحبّ المعتدين .

والآن ما يقوم به الإرهابيّون كلّه اعتداء على حرمات النّاس من النّفس والعرض والمال ، والله لا يحبّ المعتدين .

وهذه قواعد قرآنيّة ، والقواعد القرآنيّة لا بدّ من أن نبيّنها للعالم ، وقبل ذلك لا بدّ من أن يطبّق المسلمون هذه القواعد ، والعالم لا يريد أمورًا نظريّةً فقط ، بل يريد تطبيقًا عمليًّا للنّظريّات ، أي أنّه يريد نموذجًا لنظريّات الإسلام وقواعده ، وإذا لم نقدّم نموذجًا فلا يمكن أن نتوقّع أن يتقبّل العالم الإسلام .

يقولون : قدّموا لنا نموذجًا وطبّقوا القواعد النّظريّة الموجودة في الإسلام ، وبعد ذلك يمكن لكم أن تدعوا العالم إلى تقبّل الإسلام .

وأمّا على الوضع الحالي للمسلمين فلا يحقّ لنا أن نسأل : لماذا لا يُسْلِمُ النّاس في العالم ؟

لا يسلمون بسبب المسلمين ؛ لأنّ القواعد القرآنيّة لا يطبقونها ، مثل "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**" ، و"**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**" ، و"**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**" .

ونقول بأنّه يجب قتل المرتدّ ، فكما أنّك حرّ فيما تعتقد ، فكذلك كلّ إنسان حرّ فيما يعتقد ، والحساب على الله ، وأنت لا تحاسب النّاس على اعتقاداتهم .

لنقرأ آيات الارتداد :

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا" [1] .

"وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [2] .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ . . ." [3] .

إذا ارتدّ عن الإسلام ومات وهو كافر فالعقاب يكون بحبط الأعمال في الدّنيا والآخرة ، ودخول النّار وعدم المغفرة وعدم الهداية ، وسوف يستبدلهم الله بقوم يحبّهم ويحبّونه ، ولم تقل الآية : من يرتدّ يجب قتله .

وسيأتي بحث مفصّل عن موضوع (المرتدّ) ؛ لنرى أنّ حكم قتل المرتدّ من أيّ أنواع الحكم ، وما هي شروط تطبيق هذا الحكم ، وسنأتي إلى الآيات الّتي تتحدّث عن الارتداد ، وإلى الرّوايات ، ونعرض الرّوايات على القرآن ، والأساس هو القرآن ، فهل القرآن يؤيّد هذه الرّوايات أو لا يؤيّدها ؟

وقبل هذا نحتاج إلى البحث عن حرّيّة الاعتقاد في القرآن ، فهل

---

[1] النّساء : ١٣٧ .

[2] البقرة : ٢١٧ .

[3] المائدة : ٥٤ .

القرآن يدعو إلى حرّيّة الاعتقاد أو لا ؟

وما يثبت أنّه مخالف للقرآن فلا يؤخذ به ، ونفس الرّوايات تقول لنا بالرّجوع إلى القرآن ، وقلنا بأنّه أوّلًا في البحث القرآنيّ نرى ما هي القواعد القرآنيّة في أيّ موضوع من المواضيع ، ثمّ ثانيًا نرجع إلى التّفاصيل في الرّوايات ، ولا يوجد في الرّوايات ما هو مخالف للقواعد القرآنيّة ، ويمتدّ هذا المنهج في جميع المجالات الدّينيّة ، وبذلك ينفتح باب جديد بالرّجوع إلى القرآن أوّلًا ، وهذا المنهج مذكور في كلمات علمائنا ، ففي مصادر استنباط الأحكام القرآن هو المصدر الأوّل ، والمصدر الثّاني هو السّنّة ، وعرض الرّوايات على القرآن مذكور أيضًا في الرّوايات ، ولكنّ التّطبيق العمليّ ليس معمولًا به في جميع المجالات الدّينيّة ، فنرجع إلى القرآن أوّلًا ، وليس الرّجوع إلى الرّوايات أوّلًا ، والقرآن هو الثّقل الأكبر ، وأهل البيت عليهم السّلام يستدلّون بالقرآن ، فإذا أرادوا إثبات شيء فإنّهم يأتون بآية قرآنيّة ، ويقولون بأنّ هذه الآية تدلّ على هذا الشّيء ، ولا بدّ من أن نسير على منهج أهل البيت عليهم السّلام في الرّجوع إلى القرآن أوّلًا ، وتكون استدلالاتنا بالقرآن .

والقرآن لا يوجد فيه نقص أو زيادة أو تحريف ، ولكنّ الرّوايات تحتوي على الصّحيحة والموضوعة والمكذوبة ، ومناهج البحث في الرّوايات مناهج مختلفة ، فهل يكون النّظر إلى السّند فقط أو إلى المتن فقط أو إلى السّند والمتن معًا ؟

ويختلف البحث في الرّوايات بحسب المنهج المتَّبع ، والنّتائج الّتي يصل إليها الباحث تكون نتائج مختلفة بحسب المنهج .

وقد يقال بأنّ هذه بحوث تخصّصيّة ، ولكنّنا سنعرضها بشكل مبسّط ؛ لكي نستفيد منها مستقبلًا في بعض المباحث الّتي تكون نافعة ، وسأبيّن لكم النّتائج المختلفة بحسب المنهج المتَّبع ، وبعض النّتائج قد تكون خلاف الأمور المطروحة اليوم .

إذن :

نستدل بالقرآن الكريم أوّلًا ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، فما وافق القرآن نأخذ به ، وما خالف القرآن لا نعتمد عليه ، وسينفتح باب جديد في البحوث الدّينيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٣٠)
تابع دليل السّيرة العقلائيّة
على تقليد الأعلم [(١)]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وصلنا إلى الدّليل الثّالث ، وهو السّيرة العقلائيّة على وجوب تقليد الأعلم ، والسّيرة العقلائيّة هي عرف النّاس ، وقسّمنا العرف إلى العرف العامّ ، والعرف الخاصّ لكلّ بلد أو قوم ، وكلامنا في السّيرة العقلائيّة عن العرف العامّ للنّاس في كلّ زمان ومكان ، ولا ننظر إلى الأعراف الخاصّة ؛ لأنّ الأعراف الخاصّة في البلدان مختلفة ، قد تجد في عرف البلد الآن النّساء محجّبات ، وبعد خمسين سنة ترى أنّ العرف الخاصّ هو كون النّساء

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٣ شعبان ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٥/٢٠ م .

سافرات ، وهذا لا يمثّل سيرة عقلائيّة ، هذا هو العرف الخاصّ للبلد ، ونحن نظرنا إلى الأعراف العامّة للنّاس الّتي تكون موجودة مع الإنسان في كلّ زمان ومكان .

نرى بأنّ من يريد أن يبني بيتًا يرجع إلى المهندس المعماريّ ليرسم له الخريطة ؛ لأنّه جاهل في مسألة رسم الخرائط ، فالجاهل يرجع إلى العالم ، ومع الاختلاف يرجع إلى الأعلم ، فإذا كان العالم والأعلم متّفقين في الرّأي يمكنه أن يأخذ من أيّ منهما ، ولكن مع اختلافهما في الرّأي إذا قيل لك بأنّ هذا رأي العالم وذاك رأي الأعلم وأنت كإنسان عرفيّ اعرض هذا على النّاس الّذين لم يدرسوا في الحوزة بل لم يدرسوا في المدارس وكانوا أمّيّين فإنّهم يقولون بتقديم رأي الأعلم ، حتّى لو كان أمّيًّا ابن قرية ولم يدرس شيئًا ، ولا يوجد عنده اطّلاع ، ولا يشاهد القنوات الفضائيّة ، ولا يملك أجهزة حديثة ، فإنّه يقول مباشرة : آخذ رأي الأعلم .

هذا المهندس يرسم لك خريطة البيت الّذي هو شيء مادّيّ ، والعالم يرسم لك خريطة الدّين وخريطة الرّوح الّتي هي النّاحية المعنويّة في الإنسان ، والعالم لا يعطيك الفقه العمليّ فقط ، بل يعطيك أيضًا كيف تستفيد من الفقه العمليّ ؛ لأجل أن تتقرّب إلى الله ، والتّقرّب إلى الله فقه أخلاقيّ ، والله سبحانه هو محور الفقه العقائديّ .

وفي الصّلاة تتقرّب إلى الله فتقول : أصلّي قربةً إلى الله تعالى .

وقولك يجمع الأنواع الثّلاثة من الفقه ، ولكنّنا عادةً لا نلتفت إلى

أنواع الفقه ، فندخل إلى الصّلاة ونهتمّ بالجانب الظّاهري الّذي يهتمّ به الفقه العمليّ ، ولكن أثناء الصّلاة أذهاننا تذهب يمنةً ويسرةً ، ولا نستفيد من الصّلاة إذا لم نلتفت إليها أثناء أدائها ، ونغفل عن الله أثناء الصّلاة ، فتفكّر في أمور أخرى ، وترى قصّة حياتك ، وكلّها تأتي أثناء الصّلاة ، وأشياء تكون قد نسيتها ولم تلتفت إليها تذكرها أثناء الصّلاة ، وذهنك إذا ركّز على شيء فإنّه يغفل عن الأشياء الأخرى ، وإذا ركّزت تفكيرك على الله تعالى فإنّك تغفل عن الأمور الدّنيويّة ، وإذا التفتّ إلى الدّنيا فإنّك تغفل عن الله ، وطبيعة الإنسان هكذا ، لذلك فالدّنيا والآخرة ككفّتي ميزان ، ومقدار اهتمامك بشيء يجعلك تغفل عن الشّيء الآخر بنفس المقدار ، والإنسان عادةً يركّز على شيء واحد ، ولا يستطيع أن يركّز على شيئين في نفس الوقت ، ودور الإنسان هو أن يستفيد من الفقه العمليّ للتّقرّب إلى الله تعالى ؛ لكي يحقّق الأنواع الثّلاثة من الفقه .

والإنسان غير المجتهد في أمور الدّين يرجع إلى عالم الدّين ليرسم له خريطة حياته ؛ حتّى يستطيع أن يبني حياته على أساس الدّين ، كما أنّ المهندس المعماريّ يرسم له خريطة بيته ؛ لأجل أن يبني بيته على أساس هذه الخريطة .

والعرف يقول بأنّه لا يجوز تقديم المفضول على الفاضل ولا تقديم الفاضل على الأفضل ، ويطبّق الإنسان هذه القاعدة العرفيّة في جميع المجالات .

وفي مجال التّقليد يوجد عالم وأعلم ، فيختار الأعلم ، بل حتّى في الأمور الدّنيويّة يبحث الإنسان عن الأفضل ويختاره ، واختياراته في الدّنيا تكون على أساس قاعدة الأفضليّة .

من يريد أن يشتري أثاثًا يبحث عن أفضل الأثاث ، ويبحث عن البيت الأفضل ، ومن يريد أن يشتري سيّارةً يحاول أن يحصل على أفضل سيّارة ، ومن يريد نجّارًا يبحث عن أفضل نجّار ، ومن يريد ميكانيكيّ سيّارات يبحث عن الأفضل .

نعم إذا كان لا يملك مالًا كافيًا فإنّه يشتري السّيّارة الأقلّ فضلا ، ولكنّ نظره يكون إلى السّيّارة الفضلى ، ويشتري بيتًا أقلّ ، ولكنّ نظره يكون إلى البيت الأفضل .

وأنت ترغب دائمًا في الحصول على الأفضل ، وقد لا تستطيع أن تحقّق الأفضل من ناحية خارجيّة ، ولكنّ الرّغبة في الأفضل تظلّ موجودةً عندك ، وتقول : لعلّ في يوم ما أملك أموالًا أكثر ؛ لكي أشتري بيتًا أفضل .

فيقتصر على الأقلّ لعدم وجود المال الكافي ، ولو كان عنده المال الكافي لاشترى الشّيء الأفضل ، وأنت كشابّ لا تملك مالًا الآن ، وأبوك يشتري لك سيّارة بسيطة ، ولكنّ في باطنك ترغب بسيّارة أفضل ، وحينما تتوظّف وتملك مالًا أكثر فإنّك تسعى إلى تحقيق رغباتك ، وفي أوّل شهر بعد الوظيفة تبيع أو تثمّن سيّارتك القديمة وتشتري السّيّارة الأفضل ؛ لأنّها كانت رغبةً سابقةً عندك ، لذلك لا

بدّ للإنسان من أن يراقب رغباته ، والرّغبات تعبّر عن شخصيّة الإنسان ، والأفعال الخارجيّة لا تعبّر عن شخصيّته ، وإنّما الرّغبات تعبّر عن الشّخصيّة ؛ لأنّ الرّغبات أمور باطنيّة لا يطّلع عليها أحد ، والفعل الخارجيّ يراه الآخرون ، وقد يراعي الإنسان وجود الآخرين ، فلا يأتي ببعض الأفعال ، وأمّا في عالم الرّغبات فلا توجد مراعاة للآخرين .

نسأل : متى تظهر هذه الرّغبات ؟

الجواب :

تظهر الرّغبات حينما يكون الإنسان في الغرفة لوحده ؛ لأنّه لا توجد قيود عليه ، فهو يفعل ما يريد بلا أيّ رقابة خارجيّة ، ولكن توجد رقابة الله عزّ وجلّ ، والإنسان قد يغفل عن رقابة الله تعالى .

والرّغبات الموجودة عند الإنسان لا بدّ من أن يراجعها ، ويجعلها رغبات صالحة ، وإذا صارت الرّغبات صالحةً فيوجد ضمان في أن يقوم الإنسان بأعمال صالحة ، وقد يأتي الإنسان بفعل صالح لأيّ سبب من الأسباب مع كون رغبته سيّئة ، ولكن إذا كانت عنده رغبات صالحة فيوجد ضمان في أن تكون أفعاله صالحةً ، حتّى لو كان بلا رقابة خارجيّة ، ولا يحتاج إلى الرّقيب الخارجيّ ، لذلك فإنّ الدّين يحرص على بناء الإنسان الصّالح ، لا يحرص على الّذين عملوا الصّالحات فقط ، وإنّما يحرص أيضًا على أن يكون من الصّالحين ، وفي القرآن في بعض الآيات يوجد ذكر الّذين عملوا الصّالحات ، وفي

آيات أخرى يوجد ذكر الصّالحين ، فقد يأتي الإنسان بعمل صالح ، ولكنّ نفسيّته غير صالحة ، وبعض الظّروف الخارجيّة قد تجبره على أن يأتي بالعمل الصّالح ، والآن القانون يجبرك على فعل شيء لا ترغب به ، مثلًا بعد منتصف اللّيل توجد إشارة مرور حمراء وإذا لم توجد عليه رقابة فإنّه يتجاوز الإشارة ، ولكن مع وجود كاميرات التّصوير يقف ، وكان البعض سابقًا قبل وضع الكاميرات يتجاوز الإشارة ، ولا بدّ من أن يكون الدّافع ذاتيًّا ، واحرص دائمًا على أنّ أفعالك تكون لها دوافع ذاتيّة صالحة ، ولا يهمّ وجود الكاميرا وعدم وجودها أو وجود من يراقبك .

سؤال : لماذا يصير الإنسان مرائيًا ؟

الجواب :

يصير مرائيًا ؛ لأنّ نظره يكون إلى مراقبة الآخرين ، يرى بأنّه تحت مراقبة النّاس فيأتي بالعمل رياءً ، ولكن لو كان نظره إلى الله فإنّه لا يهتمّ بوجود الآخرين وعدم وجودهم ، بل يرى الله دائمًا ، وحينما يصلّي يرى نفسه تحت نظر الله ، فيغفل عن رقابة الآخرين ، ولا يلتفت إلى وجودهم وعدم وجودهم ، رأوه أنّه يصلّي أو لم يروه ، فالمهمّ أنّ الله يراه ، فإذا كانت القاعدة في حياة كلّ إنسان أنّ الله يراه فإنّه لا يصدر منه الرّياء ولا العجب ولا الكبر ؛ لأنّ نظره يكون إلى الله تعالى .

ومع الله تعالى ما هي قيمة الآخرين ؟

حينما تقول : "الله أكبر" — فمعنى ذلك أنّ كلّ شيء غير الله يكون أصغر من الله ، تقول إنّ هذا كبير ، ولكنّ الله أكبر ، فالله أكبر من كلّ شيء ، فإذا كان نظرك إلى الأكبر فإنّك لا تلتفت إلى الكبير والصّغير .

مثلّا ضَعْ في جهة عشرة دنانير ، وفي الجهة الأخرى ألف دينار ، كلّ شخص سينظر إلى الألف ، ولا يلتفت إلى العشرة ، فيرى الرّزمة الأكبر ، ولا يلتفت إلى الورقة الواحدة ، وَضَعْ ألفًا في جهة وخمسة آلاف في جهة أخرى ، كلّهم سينظرون إلى الخمسة ولا يلتفتون إلى الألف ، وَضَعْ مليونًا في جهة وخمسة ملايين في الجهة الأخرى ، ترى أنّ الجميع ينظر إلى الخمسة ولا يلتفت إلى الواحد ، والمليون في نفسه كبير ، ولكنّ الخمسة ملايين أكبر ، ويكون النّظر إلى الأكبر ، مع أنّ المليون مبلغ كبير أيضًا ، ولكنّه نسبةً إلى الخمسة ملايين لا يكون للمليون قيمة ، وكلّما ازداد المبلغ أكثر ترى أنّ المليون لا شيء ، كنسبة المليون إلى مائة مليون ، فتكون بنسبة ١% ، وترى أنّ قيمة هذه النّسبة صغيرة جدًّا ، وكلّ هذا الوجود لا قيمة له إلى جنب الله تعالى ، ولا تلتفت إلى كلّ هذا الوجود ، بل تلتفت إلى الله تعالى .

نرجع إلى موضوعنا :

في الأمور الدّنيويّة يبحث الإنسان عن الأفضل والأكمل ، ولكن في الأمور الأخرويّة لا يبحث عن الأفضل والأكمل ، يصلّي في دقيقة أو في عشر دقائق ، ويحاول أن ينتهي من الصّلاة بسرعة ، ويقول :

عندي شغل ، كأنّ الشّغل لا يأتي إلّا في وقت الصلاة ، والمفروض أن تقول للشّغل : أنا أعتذر منك لأنّه حان وقت الصّلاة ، ولكنّ النّاس بشكل عامّ يقدّمون الشّغل على الصّلاة ، ترى أنّه إذا كان عنده موعد يحاول أن يصلّي بسرعة ليذهب إلى موعده ، والمفروض أنّه من البداية يحدّد موعدًا بحيث يكفي الوقت للصّلاة ، قل للشّغل : أعتذر عندي صلاة ، لا بالعكس ، مثل طالب في الحوزة ، تسأله : لماذا لم تأت اليوم للحوزة ؟

يقول : عندي شغل .

قل للشّغل : عندي درس .

أَجِّلِ الشّغل ، طبعًا إذا كان الشّغل قابلًا للتّأجيل ، وأمّا إذا كان الشّغل ضروريًّا ولا يمكن تأجيله فيكون الشّخص معذورًا ، ولكن أحيانًا لا يحضر إلى الدّرس ؛ لأنّ البارحة كان حاضرًا في عرس أحد الإخوة وتأخّر هناك ، ولم يستيقظ مبكّرا ؛ لكي يحضر إلى الدّرس ، لا بدّ من أن يقول للعرس : أنا أعتذر ، عندي درس غدًا صباحًا .

يمكنك الحضور للعرس وأن تبارك لهم ، وتذهب إلى البيت وتحضّر دروسك وتنام مبكّرًا ، وتحضر إلى الدّرس في اليوم التّالي ، ولكن دائمًا المشاغل الدّنيويّة يقدّمها النّاس على الأمور الأخرويّة ، وإذا وُجِدَ تضادّ بين أمر دنيويّ وأمر أخرويّ فإنّهم يقدّمون الأمر الدّنيويّ ، وأنت لا بدّ من أن ترى نفسك أنّك تتعامل مع أمورك بهذه الطّريقة أو لا .

لو نقول للشّباب : اقرأ القرآن ربع ساعة في اليوم – فيقول : ربع ساعة كثير ، ولكن يمسك هاتفه النّقّال بالسّاعات ، وخاصّة إذا كان قد اشترك في جميع وسائل التّواصل ، وعنده آلاف المتابعين ، ويظلّ ساعات وساعات متنقّلًا بين صور الإنستغرام ، والبعض يكتب تعليقًا على كلّ صورة ، والسّاعات الّتي يقضيها في وسائل التّواصل لا يعتبرها مضيعةً للوقت ، ولكن إذا قرأ القرآن ربع ساعة فإنّه يعتبره ضياعًا للوقت .

أليست هذه الحالة موجودةً بين النّاس ؟

يقال بأنّ الوقت الّذي يضيّعه في الهاتف النّقّال لو يجعله في حفظ القرآن لحفظه كاملًا ، هو يوميًّا يمسك النّقّال من أوّل ما يستيقظ من النّوم صباحًا وإلى اللّيل ، وبعض النّاس تعوّدوا على مسك النّقّال قبل أن يغسل وجهه ، ويرسل لوحات (صباح الخير) أو (جمعة مباركة) ، ومساءً قبل أن ينام ، وهذا كلّه غير مهمّ ، وبعض المؤمنين لا يفتحون الرّسائل إلّا بعد صلاة الظّهرين وبعد صلاة العشائين ، ولمدّة دقائق فقط ، ويقرأ الرّسائل المهمّة ، وإذا كان سؤالًا يجيب عليه .

إنّ تقييمات النّاس للأشياء تقييمات خاطئة ، وإذا عرفت أن تقيّم الأشياء تقييمًا صحيحًا فإنّك تصل إلى معرفة الأولويّات بينها ، هذا النّقّال كم قيمته والقرآن كم قيمته ، إذا عرفت قيمة القرآن تعرف ماذا تقدّم ، ولكن تقييمنا للأشياء تقييم خاطئ .

إذا قلت له : صَلِّ صلاة ركعتين نافلةً زيادةً في اليوم .

فيقول : لا يوجد عندي وقت .

ركعتان تستغرقان خمس دقائق ، ويمكنك بعد كلّ صلاة أن تصلّي ركعتين نافلةً ، عشر ركعات زائدة يوميًّا ، لا يوجد عنده وقت ؛ لأنّه لا يعرف القيمة الحقيقيّة للصّلاة ، فالصّلاة معراج المؤمن ، معراج أي صعود في الدّرجات إلى الله تعالى ، ويقال عُرِجَ بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى السماء أي صعد إلى السّماء ، ويوجد عندك أيّها الإنسان طريق للمعراج ، وهو الصّلاة ، فيمكنك أن تصعد كما صعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إذن :

تقييمنا للأشياء تقييم خاطئ ، وإذا استطعت أن تميّز وتقيّم الأشياء فحينذاك حينما تختار بين الأشياء تختار على أساس القيمة ، مثلما لو وضعنا أمامك بضائع وأعطيناك القيم ، وقيل لك بأنّه يمكنك أن تدخل إلى هذا المحلّ وتختار ما تشاء ، خذ عشرة أشياء ، وأعطوك القيم ، فإنّك تختار أغلى البضائع ، مثلًا في محلّ ذهب يقال : لك حقّ أن تأخذ طقمًا من الذّهب ، ستأخذ أغلى طقم ، هذا بالنّسبة للأمور المادّيّة ، ففي الأمور المادّيّة تنظر إلى قيم الأشياء ، ولكن في الأمور المعنويّة الرّوحية لا ينظر الإنسان إلى قيم الأشياء ، والمفروض أن يختار أفضل الأعمال من حيث الأمر المعنويّ ، نعم اختر أفضل الأشياء في الدّنيا ، ولكن اختر الأفضل للآخرة أيضًا ، ولا يكون نظرك إلى الأمور الدّنيويّة فقط ، ولا بدّ من أن ينظر إلى الأمور

الأخرويّة ، فهذه الدّنيا فانية ، والآخرة باقية ، وحينما تقيّم الأشياء قيّمها على أساس النّظرة الأخرويّة ، واسأل : ما هي قيمة هذا الشّيء في الآخرة ؟

لماذا في الأمور الدّينيّة تقنع بالمفضول ولا نبحث عن الأفضل ؟!

ولماذا تقنع في آخرتك بأن تكون في الدّرجات الدّنيا من الجنّة ولا تريد أن تكون أفضل إنسان في الآخرة من حيث العلم والعمل ؟!

وإذا كانت النّظرة أخرويّة فمن هنا يبدأ التّقييم الحقيقيّ ، وأمّا في الأمور الدّنيويّة بين عشرة دنانير وألف دينار فهذه دنيا وتلك دنيا ، نعم لهما قيمة دنيويّة ، وإذا خيّرت بين العشرة والألف فإنّك تختار الألف ، ولكن نسأل : ماذا تريد أن تفعل بالألف دينار ؟

إذا كانت الألف زائدةً عليك فماذا تفعل بالباقي ؟

شخص يعطيك ألف دينار ، إذا كنت محتاجًا له تصرفه على نفسك وأولادك ، وإذا كان معاشك الشّهري عشرة آلاف دينار ولم تكن محتاجًا إلى الألف دينار فماذا تفعل به ؟ وأين تضعه ؟

تارةً تضعه مع رصيدك في البنك لأمورك الخاصّة للصّرف على الدّنيا ، وتارةً أخرى تقول إنّ هذا المبلغ زائد عليّ ، سأتصدّق به على المحتاجين ، هنا صار عندك النّظرة الأخرويّة ، وفي المرّة الأولى كان عندك النّظرة الدّنيويّة ، قيّم الأشياء بهذه الطّريقة .

المؤمن لا يكون إمّعةً :

المؤمن في أمور دينه لا يكون إمّعةً ، ولا يتبع عاطفته وآباءه

وعشيرته ، والإمّعة هو الّذي يفعل ما يفعله النّاس ، ويقول إنّ الحشر مع النّاس عيد ، يفعل لأنّ صديقه يفعل أو لأنّ أفراد قبيلته يفعلون أو لأنّ أفراد عشيرته يفعلون أو لأنّ أباه يفعل .

والمؤمن لا يفعل ما يفعله النّاس ، وإنّما يرى ما هو تكليفه ، وعلى أساس التّكليف يتحرّك حتّى لو كان يسبح لوحده عكس تيّار النّاس ، وقد يكون الوحيد الّذي يقوم بهذا التّكليف .

مثلًا مؤمن يذهب إلى دولة غربيّة في موضع لا يوجد فيه مسلمون ، ويكون هو الوحيد الّذي يصلّي .

والإنسان يُحْشَرُ فردًا لوحده ، ولا يُقْبَلُ عذره بأنّه كان مع النّاس ، ويستطيع المؤمن أن يكون أمّةً لوحده كما كان سيّدنا إبراهيم عليه السّلام حيث يصفه الله تعالى في القرآن الكريم بأنّه أمّة .

"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الـمُشْرِكِينَ" (١) .

شخص يمثّل أمّة لوحده ، أمّة في شخص واحد ، وليس بالضّرورة أن يفعله النّاس ، فإذا كان هذا هو تكليفك فأنت تفعله ، ومن المهمّ أن تعرف تكليفك ، وهذا يحتاج إلى العلم ، والإنسان بلا علم لا يمكنه أن يعرف تكليفه ، فيحتاج إلى علم حتّى يحدّد تكليفه .

ولا نقول كما قال المشركون :

"بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ" (٢) .

---

(١) النّحل : ١٢٠ .

(٢) الزّخرف : ٢٢ .

عن الإمام موسى الكاظم عليه السّلام أنّه قال لفضل بن يونس : أَبْلِغْ خيرًا وقُلْ خيرًا ولا تكن إمّعةً . قلت : وما الإمّعة ؟ قال : لا تقل : أنا مع النّاس ، وأنا كواحد من النّاس ، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : يا أيّها الناس ، إنّما هما نجدان : نجد خير ونجد شرّ ، فلا يكن نجد الشّرّ أحبّ إليكم من نجد الخير (١) .

سؤال : لماذا ذكرنا موضوع الإمّعة في موضوع التّقليد ؟

الجواب :

لأنّ هناك من يقلد على أساس تقليد صديقه ، صديقي يقلّد فلانًا فأنا أقلّده ، أو على أساس تقليد أبيه ، أبوه يقلّد شخصًا ، والأولاد يقلّدونه بناءً على تقليد أبيهم ، أو على أساس القبيلة أو العشيرة ، شيخ القبيلة أو العشيرة يقلّد فلانًا ، فأفراد القبيلة والعشيرة يقلّدونه ، والإنسان لا يكون إمّعةً ، لا بدّ من أن تأخذ بالمقاييس وتحدّد من هو الأعلم فتقلّده ، من دون النّظر إلى من يقلّد الصّديق أو الأب أو شيخ القبيلة أو العشيرة ، وإنّما تحدد تكليفك وتعمل به ، فترجع إلى أهل الخبرة في تحديد الفقيه الأعلم ، وتعمل بهذا التّكليف .

والله تعالى يحاسبنا يوم القيامة على تقليدنا ويسألنا عن سبب تقليدنا لهذا الفقيه دون الآخر ، فإذا قال الشّخص بأنّ السّبب هو العاطفة فيقال له إنّ العاطفة لا تدخلها في المسائل الدّينيّة .

ويقال له : ألم يقل لك عقلك بالأخذ برأي الأفضل ؟

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص٣٢٥ ح٢٩ . نجد : طريق .

في اختيارك لأثاث بيتك تختار الأفضل فلماذا في أمورك الدّينيّة لا تختار الأفضل مع أنّ الأمور الدّينيّة أعظم خطورةً من الأمور الدّنيويّة بكثير ؟!

نرجع إلى موضوعنا :

إنّ من يقول بجواز تقليد غير الأعلم يقول حينما نرجع إلى رواية : "فأمّا مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه فللعوامّ أن يقلّدوه . . ." [1] .

هذه الرّواية لا تقول بتقليد الأعلم .

ومن يقول بوجوب تقليد الأعلم يأتي إلى الأدلّة الّتي نذكرها هنا ، منها الدّليل الفطريّ والدّليل العقليّ ، فالفطرة والعقل يقولان بتقليد الأعلم ، ومنها الدّليل العرفيّ ، فينظر إلى حال النّاس وعرفهم وسيرتهم بالرّجوع إلى الأعلم في المسائل الدّنيويّة ، فإذا أصيب الإنسان بمرض خطير فإنّه يبحث عن الطّبيب الأعلم ، وبطريق أولى في المسائل الدّينيّة ، فإذا كان الإنسان يرجع إلى الطّبيب الأعلم في مرضه الخطير في بدنه فلماذا لا يرجع إلى الطّبيب الأعلم في مرضه الرّوحيّ ؟!

والمرض الرّوحيّ أشدّ خطورةً من المرض البدنيّ ؛ بسبب ترتّب الجنّة والنّار عليه ، والمرض البدني يعالج بواسطة الأدوية ، والدّنيا كلّها أيّام معدودة ، والمرض الرّوحيّ أثره باقٍ إلى يوم القيامة وإلى ما بعد الفراغ من الحساب ، فإذا كنّا نطبّق مسألة الأعلميّة في الدّنيا الفانية

---

[1] التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص٣٠٠ .

فكيف لا نطبّقها في الآخرة الباقية ؟!

والمرض الرّوحيّ يحتاج إلى الأعلم ؛ لكي يشخّص المرض ويعطيه العلاج الرّوحيّ المناسب ، والفقيه لا يعطي الفقه العمليّ فقط ، والنّاس يرجعون إلى العالم ، ولكنّ أسئلتهم تدور دائمًا حول مسائل الفقه العمليّ : يجوز أو لا يجوز ، والرّسائل الّتي تصل إلى العلماء ٩٩٪ منها تدور حول أحكام الفقه العمليّ ، ونادرًا ما يأتيهم سؤال عن العقائد أو الأخلاق ، فأغلب الأسئلة عن يجوز ولا يجوز ؛ لأنّ بناء النّاس الآن على الفقه العمليّ ، وهذا سببه أنّ العلماء غالبًا ما يطرحون مسائل الفقه العمليّ ، لذلك صار عند النّاس انطباع أنّ الفقه العمليّ هو الدّين ، وأنّ الإنسان المتديّن هو الّذي يتمسّك بأحكام الفقه العمليّ فقط ، وهي أحكام تظهر على ظاهر الإنسان ، ولا يُنْظَرُ إلى عقائده وباطنه ، مع أنّ الأساس هو الفقه العقائديّ ثمّ الفقه الأخلاقيّ ثمّ الفقه العمليّ ، ولكن نظر المؤمنين إلى الدّين اليوم بالعكس ، فعندهم الفقه العمليّ هو المهمّ ، والفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ مهملان عند المؤمنين ، وهذا ناتج من التّقييم الخاطئ لأحكام الدّين ، وقلنا إنّ المهمّ هو تقييم الإنسان للأشياء ، فلا بدّ من أن يعطي القيمة العليا للفقه العقائديّ ، وعلى رأس العقائد الله تعالى ، ولا نقول التّوحيد ، بل نقول الله ، نعم التّوحيد صفة من صفات الله عزّ وجلّ ، وتوجد صفات أخرى ، وأصل العقائد هو الله عزّ وجلّ ، وليس التّوحيد ، فنظرنا يكون إلى

الله تعالى ، وإذا قلنا التّوحيد فالصفات الأخرى تصبح مهملةً ، فأصل العقائد هو الله عزّ وجلّ ، هذا هو الأصل ، نعم يتفرّع على ذلك صفات الله تعالى ، ومن الصّفات التّوحيد .

إذن :

في تشخيص الأمراض الرّوحيّة وإعطاء العلاج الرّوحيّ المناسب نحتاج إلى الفقيه الأعلم ، كما تحتاج إلى الطّبيب الأعلم في تشخيص الأمراض البدنيّة ووصف العلاج المناسب ، ففي القضايا الرّوحيّة تحتاج إلى الطّبيب الأعلم وهو الفقيه الأعلم الّذي يعطي العلاج الرّوحي ، والفقه العمليّ جزء من العلاج الرّوحيّ ، والأعمال الخارجيّة جزء من العلاج القلبيّ ، ولكنّ الأصل أن ننظر إلى قلب الإنسان وباطنه ، لا أنّك تأتي بالفقه العمليّ كمظاهر خارجيّة ، لا أنّك تصلّي فقط ، ولكن تصلّي لغاية وهدف وهو :

". . . **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**" (١) .

". . . **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ** . . ." (٢) .

هناك غايات وأهداف للعبادات ، ولا بدّ من أن نعرف غايات العبادات ، وعلى أساس الغايات يتحرّك المؤمن ، وذكر الله غاية للصّلاة ، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر غاية أخرى للصّلاة ، فالنّتيجة أنّ غاية الصّلاة هي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر قربةً إلى

---

(١) طه : ١٤ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

الله تعالى ، والصّلاة وسيلة لذكر الله ، وهناك وسائل أخرى ، وقد شُرِّعَتِ باقي العبادات لأجل ذكر الله أيضًا .

نسأل : الأفعال العاديّة الّتي يقوم بها الإنسان هل لها دخل في ذكر الله عزّ وجلّ ؟

الجواب :

نعم ، حتّى الأفعال العاديّة لها دخل في ذكر الله ، فإذا كان نظرك إلى الصّلاة فقط فإنّك لا تنظر إلى الأمور الأخرى أنّها لذكر الله ، ولكن إذا جعلت الغاية ذكر الله فأفعالك العاديّة تنقلب إلى وسائل لذكر الله تعالى ، فأنت تدرس لأجل ذكر الله ، وأنت تشتغل لأجل ذكر الله ، فالدّراسة والوظيفة ليستا خارجتين عن العبوديّة لله ، لا فقط العبادات المخصوصة ، فبحثك لا ينحصر في العبادات المخصوصة ، وإنّما تبحث عن العبوديّة ، وتريد أن تكون عبدًا لله ، والأفعال العاديّة تجعلك عبدًا لله ، وتصبح حياتك كلّها عبارة عن العبوديّة لله ، وكلّ ما تقوم به عبارة عن عبوديّة لله ، فالجلوس مع زوجتك عبوديّة لله ، ولعبك مع أولادك عبوديّة لله ، وجعلك وقتًا مخصَّصًا لهم عبارة عن عبوديّة لله ، وأفعالك العاديّة عبوديّة لله ، وذهابك إلى العمل عبوديّة لله تعالى ، فكلّ حياة الإنسان تنقلب إلى عبوديّة لله .

ويحتاج الإنسان إلى تقييم الأشياء تقييمًا دقيقًا ، ولا بدّ من أن ننظر إلى الغايات والأهداف ، وغاية الصّيام هي "**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

إذا أردت أن تحصل على التّقوى فالصّيام وسيلة للحصول على التّقوى ، وأفعالك العاديّة عبارة عن وسائل للحصول على التّقوى ، فتذهب إلى العمل وأنت تتذكّر الله ، فتؤدّي وظيفتك ولا تقوم بعمل محرم ، وتدرس مع التّقرّب إلى الله ، فدراستك تتحوّل إلى عبادة ، وتحصل على التّقوى ؛ لأنّك تتذكّر الله دائمًا ، وتدريجيًّا تزداد عندك حالة التّقوى .

وحالة التّقوى لا تأتي أثناء الصّيام فقط ، فحالة التّقوى حالة مستمرّة دائمة خلال اليوم ، فالتّقوى السّابقة موجودة ، وحينما تدخل إلى الصّلاة تدخل مع التّقوى السّابقة ، فتتذكّر الله ، وتزداد تقوى فوق التّقوى .

وأمّا إذا كان الإنسان غافلًا خلال اليوم عن الله ويريد أن يلتفت إلى الله أثناء الصّلاة نقول يستحيل ذلك ، ولا يستطيع الحصول على الالتفات إلى الله ؛ لأنّه طوال اليوم كان مشغولًا بالدّنيا وغافلًا عن الله تعالى ، وفجأةً يريد أن يحصل على التّقوى والالتفات إلى الله أثناء الصّلاة ، هذا الانشغال الدّنيويّ يأتيه أثناء الصّلاة ، ويكون تفكيره مشغولًا بالأمور الدّنيويّة أثناءها ، فلا بدّ من أن تكون عنده حالة التّقوى أثناء اليوم ، وحينما يدخل إلى صلاة الظّهر فهو يطبّق الجانب

---

[1] البقرة : ١٨٣ .

التّنفيذيّ العمليّ للتّقوى السّابقة ، وأمّا إذا كان مشغولًا خلال اليوم في الأمور الدّنيويّة ويريد أن يفرّغ الآن قلبه لله فإنّه يستحيل ذلك ، فإذا كان متّصلًا بالله خلال اليوم فأثناء الصّلاة يصير التفاته أكثر ، وأمّا إذا كان منشغلًا خلال اليوم بالأمور الدّنيويّة فأثناء الصّلاة لا يمكن أن يلتفت إلى الله ، لذلك يرى بأنّ ذهنه ينصرف إلى الأمور الّتي كان فكره منشغلًا بها ، وهذه الأمور تأتي إلى ذهنه في الصّلاة ، وإبليس جالس بجواره ، ولا يتركه أبدًا ، ولكن إذا كانت حالة التّقوى موجودةً خلال اليوم فأثناء الصّلاة لا يستطيع إبليس أن يؤثّر عليه ؛ لأنّه يعيش الأفعال التّقوائيّة الّتي مارسها أثناء اليوم .

وإبليس لا يترك الإنسان في أيّ لحظة ، والنّاس لا ينظرون إلى أنّ إبليس هو عدوّهم ، فهم غافلون عن وجوده ، ولا بدّ من أن نلتفت إلى أنّ الشّيطان عدوّ دائم لكلّ إنسان ، وهو معه دائمًا ، وحينما يفكّر الإنسان تفكيرًا سيّئًا فهذا التّفكير يكون من الشّيطان ، فالشّيطان يلفت نظره إلى الأمور المحرّمة ، والإنسان يظنّ بأنّ هذه الفكرة من نفسه ، ولكن هذه الفكرة من الشّيطان ، لذلك لا بدّ من أن يلتفت دائمًا إلى وجود عدوّ معه ، يزيّن له الحرام ، ويقول : افعل هذا المحرّم هذه المرة ثمّ تُبْ إلى الله غدًا .

يجعل ارتكاب الحرام عند الإنسان أمرًا سهلًا ، فالإنسان يعصي الله تعالى ، فيقول له الشّيطان : اعْصِ هذه المرّة ، وبعد قليل تدخل إلى الصّلاة ، وفي الصّلاة تقول أستغفر الله ربّي وأتوب إليه ، والله سيغفر

لك ذنبك وتكون من أهل الجنّة .

وبعد الصّلاة يقول له أيضًا : ارتكب الحرام مرّة أخرى ، وقد تبت المرّة الماضية وتاب الله عليك ، وتُبْ هذه المرّة أيضًا ، والله تعالى توّاب رحيم ، ويتقبّل التّوبة من عباده .

إبليس دوره أن يزيّن الحرام للإنسان ، ويأتي إليه عن طريق الدّين ، فيقول إنّ الله يتوب عليك إذا تُبْتَ .

والإنسان قد ينظر بالنّظرة الشّيطانيّة إلى الأمور ، وبدل أن ترتكب الحرام لا بدّ من أن تخاطب إبليس وتقول له : لن أرتكب الحرام مرّة أخرى .

والإنسان الّذي لا يرتكب الحرام أفضل من الّذي يرتكب الحرام ويتوب ، والإنسان الّذي يكرّر المعصية معناه أنّ توبته ليست حقيقيّة صادقة ، فهو يتوب بكلامه ، ولكن عنده النّيّة من أن يرجع مرّة أخرى إلى ارتكاب المعصية .

نرجع إلى موضوعنا :

في الدّليل الثّالث – وهو السّيرة العقلائيّة الدّالّة على وجوب تقليد الأعلم – ننظر إلى عرف النّاس ، وهم في أمورهم العرفيّة يأخذون بالأفضل ويتركون الفاضل دائمًا ، فنظرتهم إلى الأشياء أنّ هذا أفضل من ذاك ، وأنا آخذ الأفضل .

والدّليل الثّالث يختلف عن الدّليل الفطريّ والدّليل العقلي .

وفي المحاضرة القادمة نأتي إلى الدّليل الرّابع ، وهو أنّ فتوى الأعلم

تقتضي الأقربيّة إلى الواقع ، ونتناول معنى هذا الدّليل ، وهل هو مقبول أو غير مقبول ، وبعض العلماء يستدلّون بهذا الدّليل ، وسنناقش هذا الدّليل ، ونطرح شيئًا بديلًا عنه ، فبدل الأقربيّة إلى الواقع نبيّن دليلًا آخر في مقابل هذا الدّليل .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

توجد عناوين متوازية مع ما طرحتموه ، مثلًا الخريطة المعرفيّة ومنهج المعرفة والمنظومة القِيَمِيَّة والسّنن الإنسانيّة ، هل يمكن أن تكون هذه عناوين بحيث تُفَعِّلُ الموضوع ، وكلّ شيء يحتاج إلى منهج ، وهي عبارة عن سنن لا يمكن الخروج عنها ، ونحن خاضعون لها .

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

في مثل هذه العناوين سنرجع إلى القرآن لمعرفة تقييم الأشياء ، فهل القرآن يعطينا منظومة قيميّة وتقييميّة أو لا يعطينا ؟

وفي بعض المحاضرات سنتكلّم عن هذه المواضيع ، ونحاول أن تكون انطلاقتنا انطلاقة قرآنيّة في جميع المواضيع ، فنأتي إلى القرآن لنرى القواعد الّتي يطرحها ، وبعد ذلك نذهب إلى الرّوايات ، والرّوايات تُفَصِّلُ القواعد القرآنيّة ، وقد تؤسّس بعض القواعد الرّوائيّة ، والرّوايات الّتي تخالف القرآن مرفوضة ، والرّوايات هي الّتي ترجعنا إلى

عرض الرّوايات على القرآن ، فكلّ موضوع من المواضيع يمكن لنا أن نرجع فيه إلى القرآن .

مثلًا نظريّة المعرفة ، نظريّة مهمّة جدًّا ، هل القرآن طرح نظريّةً للمعرفة أو لا ؟

يحتاج إلى بحث ، ونستقرئ الآيات الّتي تتحدّث عن هذه النّظريّة ، فكلّ المواضيع أساسها القرآن ، ولا يوجد موضوع خارج عن القرآن ولو بإشارة إليه بآية أو ببعض الآيات ، ولتكن بحوثنا بحوث قرآنيّة في البداية .

وخلال السّنوات الماضية لم يكن عندنا هذا المنهج ، ومن المحاضرات الماضية بدأنا من القرآن ، فموضوع التّقليد والأعلميّة بدأنا به من القرآن ، والأساس هو القرآن ، وطرحنا الآيات الّتي تتحدّث عن التّقليد والأعلميّة ، فالأعلميّة ليست شيئًا جديدًا على القرآن ، فمن يقول بأنّ الرّوايات لم تذكر الأعلميّة ، نقول إنّ القرآن أشار إلى الأعلميّة ، بالإضافة إلى الرّوايات الّتي ذكرتها ، وذكرنا بعض الرّوايات الدّالّة ، وسأذكر مجموعةً أخرى من الرّوايات الّتي تتحدّث عن الأعلميّة .

وهذه المناهج يمكن أن نأخذها من القرآن ، فلا توجد معرفة إلّا وهي مذكورة في القرآن ، والقرآن طرح المناهج ، وحتّى القضايا العلميّة الحديثة ، فبعض القضايا العلميّة في العلوم الحديثة أشار إليها القرآن ولو إشارة عابرة .

قوله تعالى في كتابه الكريم :

"وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ" [١] .

هذه الآية إشارة إلى مسألة علميّة ، والآيات تطرح المسائل العلميّة الحديثة ، وليس الهدف بيان المسائل العلميّة بشكل تفصيليّ ، فالقرآن يلفت نظر الإنسان إلى هذا الأمر ؛ لأجل أن يجعله يعتقد بوجود الله تعالى ، فالهدف هو الله عزّ وجلّ .

والبعض يصرّ على أنّ الأرض مسطّحة وأنّها مركز الكون ، هذه مسألة فلكيّة لا دينيّة ، وليست حكمًا شرعيًّا ، ويقول بأنّ من لا يعتقد بأنّ الأرض مسطّحة فهو كافر ، فيكفّر من يقول بكرويّة الأرض ، وهذه مسألة فلكيّة ، والقرآن حينما يطرح بعض المسائل العلميّة فالهدف هو الإشارة إلى قدرة الله تعالى ، هو يفهم من بعض الآيات أنّ الأرض مسطّحة ، ولكنّ هذه أمور علميّة ، وفي الأمور العلميّة نرجع إلى المتخصّصين فيها .

مثلًا العسل فيه دواء ، هذا الأمر طبّيّ ، وفي المختبرات الطّبّيّة يحلّلون العسل ، ويرون أنّه يحتوي على موادّ تشفي الأمراض أو لا ، وهدف القرآن ليس هو طرح البحث العلميّ ، وإنّما لفت النّظر إلى أنّ العسل فيه شفاء ؛ لكي يلتفت العلماء إلى أنّ هذه النّحلة الصّغيرة تخرج هذه المادة الّتي هي دواء للأمراض ، وأنّ الله خلقها وعلّمها ذلك ، فيربط القرآن بين مخلوقاته والوصول إلى وجوده تعالى ،

---

[١] يس : ٣٨ .

فيرتبط الإنسان بالله عزّ وجلّ ، والأصل أنّ القرآن كتاب هداية ، فيريد أن يهدي الإنسان إلى وجود الله تعالى .

إذن :

جميع المواضيع المنهجيّة يمكن لنا أن نأتي لها أوّلا في القرآن ، ونستخرج الآيات القرآنيّة المرتبطة بالموضوع ، ونؤسّس القواعد ثمّ نأتي إلى الرّوايات ، وهذا يحتاج إلى جهد كبير ، وبعض المسائل بحثها الفقهاء ، وبعض المسائل الجديدة لم يبحثها الفقهاء ، والقرآن الكريم جديد دائمًا في كلّ زمان ، ويجري كما يجري اللّيل والنّهار والشّمس والقمر ، وفي كلّ زمان يستفيد النّاس من القرآن أمورًا جديدةً ، لذلك يصل بعض العلماء إلى معاني جديدة في القرآن ، ويردّ البعض عليهم بأنّ العلماء السّابقين لم يقولوا بهذا الرّأي ، نقول إنّ هذا رأي جديد مع دليله القرآني بربط الآيات بعضها ببعض ، وقد يصل إلى رأي على خلاف آراء العلماء السّابقين ، والمهمّ أن يكون عنده الدّليل على صحّة رأيه .

ونشير إشارةً سريعةً إلى الموضوع التّالي ، ويحتاج إلى بحث ، مثلًا : **"شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى . . ."** [1] .

"شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا" : هل أوّل شريعة كانت على يد نوح عليه السّلام ؟ ومن هو الرّسول الأوّل نوح أو آدم

---

[1] الشّورى : ١٣ .

عليهما السّلام ؟ وإذا كان آدم عليه السّلام نبيًّا فلماذا لم يذكر القرآن له شريعةً ؟ هل لأنّه كان نبيًّا ولم يكن رسولًا ؟

هذا يحتاج إلى بحث ، ويفتح لك بابًا جديدًا في فهم القرآن ، والمعروف عند المسلمين أنّ آدم عليه السّلام كان نبيًّا ، ويوجد إجماع على ذلك ، ونحن نريد أن نرى أنّ القرآن ماذا يقول عن آدم عليه السّلام ، وإذا كان الإجماع مخالفًا للقرآن فالإجماع لا يؤخذ به ، وهنا لا أقول بأنّ آدم عليه السّلام ليس نبيًّا ، وإنّما أقول بأنّه تنفتح لنا أبواب لبحوث جديدة .

وبعض الأمور المسلَّمة عندنا من الممكن أنّه حينما نرجع إلى القرآن قد نجد بأنّ هذا الأمر المسلَّم به مخالف للقرآن ، ولا يوجد دليل من القرآن على هذا الأمر المسلَّم به ، والبحث الجديد مع وجود الدّليل عليه لم يذكره العلماء السّابقون ، كان عندهم أدلّة معيّنة فقالوا برأي معيّن ، وفي البحث الجديد تعرض آراء العلماء على القرآن ، وتجد أنّ هذا الرّأي موافق أو مخالف للقرآن .

وطبعًا من يريد أن يدخل في هذه البحوث لا بدّ من أن يكون عالما ، لا مثلما يحدث الآن ، شاب عمره ستّ عشرة سنة يقول بأنّ هذا العالم مخطئ في رأيه والقرآن لا يقول بذلك .

لا يُقْبَلُ من شابّ بهذا العمر أن يكون عنده اطّلاع كافي على الأدلّة ويعرف كيفيّة البحث في مثل هذه الأمور .

من يقوم بمثل هذه البحوث لا بدّ من أن يكون عالما أو ينقل عن

العلماء ، ولا نتوقّع من هذا الشّاب أن يبحث في القرآن ويؤسّس قواعد جديدة ، لا نتوقّع منه أن يكون مثل ابن سينا ، وهو لحدّ الآن يمسك هاتفه النّقّال طوال اليوم ويضيّع وقته فيما لا ينفع ، ولا تتوقّع منه أنّه قطع مراحل من العلم ، وأنّه مثل العلّامة الحلّيّ الّذي بلغ درجة الاجتهاد وعمره تسع سنوات أو اثنتي عشرة سنة ، أو مثل السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر الّذي صار مجتهدًا وعمره عشرون سنة ، ولا نتوقّع في زماننا أنّه من الشّباب الّذين يكونون من الفلتات ، والإنسان يتدرّج في العلوم الدّينيّة حتّى يمكنه أن يبحث فيما بعد ، وبعض الشّباب يكتبون بحوثًا ويطلبون أن أراجع بحوثهم ، فأقول له بأن يصبر قليلًا ، ولا نتوقّع أن يكون بحثه مُتْقَنًا .

أسأله : هل درست كيفيّة كتابة البحوث ؟

يجيب : لا ، لا يوجد عندي اطّلاع على ذلك .

أسأله : هل تعرف علامات التّرقيم ؟

يجيب : لا .

أسأله : هل تعرف قواعد الإملاء ؟

يجيب : لا .

أسأله : هل درست النّحو ؟

يجيب : لا .

أسأله : هل عندك اطّلاع على آراء العلماء ؟

يجيب : لا .

فأقول له : إذن كيف تكتب بحثًا وأنت لا تعرف هذه الأمور ؟!

وبعض الشّباب يستعجلون ، يدرس قليلًا في المسجد أو يحضر الحوزة مدّة سنة واحدة ، فيظنّ بأنّه صار علّامةً وفلتة زمانه ، والإنسان لا بدّ من أن يتأنّى ، فالعلم يُكْتَسَبُ بالتّدريج ، والعلم يسير سير السّلحفاة ، ففي كلّ يوم تكتسب معلومةً جديدةً ، وتدريجيًّا تتراكم المعلومات ، وبعد سنوات طويلة تكون مؤهَّلًا لأن تبحث .

وقبل سنوات جاء مجموعة من الشّباب ، وقالوا بأنّهم يريدون أن يكونوا من المفكّرين الإسلاميّين ، وإذا ممكن أن أعطيهم دورة خلال ستّة أشهر ليصبحوا من المفكّرين .

سألتهم : هل تعرفون ما معنى (مفكّر إسلاميّ) ؟

معنى المفكّر الإسلاميّ هو أنّه في جميع المواضيع يوجد عندك اطّلاع على جميع الآراء مع أدلّتها ، ويمكنك أن تعطي رأيًا خاصًّا بك في هذه المواضيع بعد مناقشة أدلّة جميع الآراء ، وقد تأتي برأي جديد مدعم بالدّليل .

قلت لهم : هل عندكم استعداد أن تدرسوا مدّة ثلاثين سنة ؟

قالوا : ثلاثون سنة كثير .

قلت لهم : هل تظنّون أنّ المفكّرين الحاليّين صاروا مفكّرين فجأةً خلال ستّة أشهر ، هؤلاء منذ صغرهم وهم يقرأون الكتب ، وفي كلّ يوم ينتهي من كتاب أو كتابين ، وبعد ثلاثين سنة يكتب مقالةً ، ثمّ يكتب ويكتب ويكتب ، وبعد ممارسة الكتابة مدّة سنوات طويلة يبدأ

بإنتاج آراء جديدة ، وأنت تريد أن تكون مفكّرًا خلال ستّة أشهر ، أنت خلال ستّة أشهر كم كتابًا يمكنك أن تقرأ ؟

تقرأ كتابًا أو كتابين خلال ستّة أشهر ، وتريد أن تكون مفكّرًا ، فبعض الشّباب يستعجلون ، ويرى بأنّ كلمة (مفكّر إسلاميّ) لقب جميل ، وفي القنوات الفضائيّة أثناء اللّقاءات والمقابلات يكتبون في أسفل الشّاشة : (المفكّر الإسلاميّ) أو (الباحث الإسلاميّ) فلان الفلانيّ ، المفكّر والباحث ليس عبارة عن لقب فقط ، لا بدّ من أن يكون هذا اللّقب معبِّرًا عن واقع ، وحينما يتكلّم لا تجد عنده فكر ولا بحث ، وأحدهم لقبه باحث متخصّص ، وتجد كلامه أكاذيب وافتراءات ، ولحدّ الآن يقول بأنّ الشّيعة يقولون خان الأمين أو يعبدون التّربة ، وهذا الكلام عفا عليه الزّمن .

أيّ مفكّر إسلاميّ أو باحث إسلاميّ هو ؟!

الأكاذيب والافتراءات لا تنشئ مفكّرا أو باحثًا إسلاميًّا أو غير إسلاميّ ، والمفكّر والباحث الحقيقيّ هو من يبحث عن الحقّ والحقيقة ، وحينما توجد شبهة على الطّرف الآخر فلا بدّ من أن يذهب للبحث في كتبهم عن جواب هذه الشّبهة .

هل هم حقًّا يقولون بذلك أو أنّه افتراء عليهم ؟

وبذلك يثبت أنّه مفكّر وباحث عن الحقيقة .

إذن :

انطلاقتنا تكون من القرآن ، وفي البحوث نقدّم الآيات الكريمة

الّتي تتحدّث عن الموضوع ، وبعد ذلك ندخل إلى الرّوايات ، فالقرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والعترة الطّاهرة عليهم السّلام معًا كما في حديث الثّقلين ، والرّوايات الآن روايات منقولة ، وفيها الصّحيحة والموضوعة والمكذوبة ، فلا بدّ من أن نعرض الرّوايات على القرآن ، ولو كنّا نعلم بأنّ هذه الرّواية صادرة عن المعصوم عليه السّلام فلا نعرضها على القرآن الكريم ، فإذا سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو المعصومين عليهم السّلام مباشرةً فلا تقول لهم : سادتي ، انتظروا لحظة حتّى أعرض كلامكم على القرآن .

الرّوايات المنقولة تُعْرَضُ على القرآن ، وأمّا الرّوايات الواقعيّة فلا تُعْرَضُ عليه ، لذلك نأتي إلى السّند ، ونبحث في المتن ؛ لكي نصل إلى أنّ هذه الرّواية صادرة أو غير صادرة من المعصوم عليه السّلام .

نتعوّد من الآن حتّى بالنّسبة لكم أن يكون نظرنا إلى القرآن دائمًا ، لا القراءة فقط ، وإنّما التّدبر في آيات القرآن ؛ لكي تكون عندنا انطلاقة جديدة في حياتنا ، اقرأ القرآن وتدبّر في آياته ، وفي أيّ موضوع ابحث عن الآيات المتعلّقة بهذا الموضوع .

والأسئلة الّتي تصل عن المسائل الشّرعيّة يكون السّؤال دائمًا : هل توجد رواية على هذا الموضوع ؟

وفكر المسلمين يدور دائمًا حول الروايات ، ولا ينظرون إلى القرآن الكريم ، ولا يصحّ أن يكون القرآن مُهْمَلًا ، لا فقط نقرأ ، فهذا القرآن فيه معارف كثيرة ، ولا تستطيع أن تصل إلى هذه المعارف

بدون القرآن ، وأصول المعارف موجودة في القرآن ، والقرآن تبيان لكلّ شيء ، فلا بدّ من أن نرجع إلى القرآن ، والقرآن حيّ دائمًا ، ولكنّ المسلمين جعلوا القرآن ميّتًا في حياتهم ، ولو تمسّك المسلمون بالقرآن لصاروا أفضل أمّة على الأرض .

"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . . ." (١) .

(كنتم) تُسْتَعْمَلُ للماضي ، ويمكن أن نكون في زماننا خير أمّة بشرط أن نتمسّك بالقرآن ، ولكنّ الآية تقول :

"وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا" (٢) .

الرّسول صلّى الله عليه وآله ينقل واقع المسلمين لا أنّه يفرض أمرًا على المسلمين ، وهذا هو واقع المسلمين أنّهم اتّخذوا القرآن مهجورًا ، نعم قد نقرأ القرآن ونحفظ آياته ، ولكن بلا معاني ، حفظ للكلمات والألفاظ فقط ، ولو أنّ هذا القرآن صار حيًّا بين المسلمين لوصل المسلمون إلى القمّة ، يصبحون المثال ، ولكنّ لأنّ هذا القرآن مهجور فالمسلمون يكونون مهجورين من باقي الأمم ، ويصيرون أذلّ أمّة على الأرض ، من يعطي المسلمين قيمةً ؟!

يقرّرون في الشّرق والغرب ما يفعلون ببلاد المسلمين ، ولا يرجعون إلى المسلمين في تقرير مصيرهم ، ولا يؤخذ بآرائهم ، وإذا أرادوا أن يأخذ الشّرق والغرب بآرائهم فلا بدّ من أن يكونوا أقوياء ، والقرآن

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) الفرقان : ٣٠ .

الكريم دعا إلى القوّة .

"**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ . . .**" [1] .

القويّ يستمعون إليه ، وأمّا الضعيف فلا أحد يستمع له ، تريدون أن تنافسوا أمم الشّرق والغرب كونوا أقوياء ، وكلّ أمّة لا بدّ من أن تكون قويّةً ، والمطلوب من الأمّة الإسلاميّة أن تكون قويّةً ، وإذا قلنا بأنّنا لا نهتمّ بالدّنيا وعندنا الزّهد فليس معنى ذلك أنّنا لا نهتمّ بالاختراعات الحديثة ، المسلمون لا بدّ من أن يخترعوا ، والآن أيّ جهاز يأتينا من الخارج فأوّل سؤال : يجوز أو لا يجوز أن نستعمله ؟

والمفروض أن نسأل : كيف يمكن لنا أن نصنع مثل هذا الجهاز ؟

في أذهاننا الفقه العمليّ فقط : يجوز أو لا يجوز ؟

الاستنساخ يجوز أو لا يجوز ؟

التّلقيح الصّناعيّ يجوز أو لا يجوز ؟

ترقيع جلد الإنسان بجلد حيوان يجوز أو لا يجوز ؟

التّبرّع بالأعضاء يجوز أو لا يجوز ؟

والمسلمون لا يفكّرون كيف يمكن إجراء عمليّة الاستنساخ ، وهل يمكن استنساخ الأعضاء ؟

عضو تالف في الجسم ، ويتمّ استنساخ نفس العضو ، وَيُزْرَعُ في مكان العضو التّالف ، والمسلمون لا يبحثون في هذه الأمور العلميّة الحديثة .

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

لحدّ الآن تفكير المسلمين ضحل ، ونظلّ أمّةً ذليلةً إذا لم نأخذ بعوامل النّجاح والقّوة ، ولا بدّ من أن يبدأ المسلمون ، وإذا لم يبدأ المسلمون من الآن فسيظلّون أمّةً ذليلةً ، والأمّة الذّليلة لا أحد يعطيها قيمة ، كما هو وضع المسلمين اليوم .

إذا أحيينا القرآن في الأمّة الإسلاميّة فإنّها تصير من أقوى الأمم ، بل تصير أقوى أمّة ؛ لأنّ عوامل النّجاح والقوّة موجودة عندنا ، ولكنّنا لا نأخذ بهذه العوامل ، بدءًا من الفرد وانتهاءً بالمجتمع ، حتّى الفرد المسلم الآن لا يأخذ بهذه العوامل ، والفرد المسلم لا بدّ من أن يكون قويًّا ناجحًا ، ولا بدّ من أن يأخذ بالعلم ، ولا يهمل العلم ، ويقول إنّ الله يدعو إلى الزّهد ، والعلم لا يوجد فيه زهد ، لا بدّ من أن نكون أمّةً قويّةً ، كفرد يكون قويًّا ، وكمجتمع يكون قويًّا ، وكأمّة تكون قويّةً ، وبذلك ننافس الأمم الأخرى .

والشّعب اليابانيّ نجح وصار أمّة قويّة ؛ لأنّهم أخذوا بعوامل النّجاح ، طبعًا من ناحية المادّة والآلات ، وعندهم الجانب الأخلاقيّ ، واليابانيّون في تربيتهم لأبنائهم يركّزون على الجانب الأخلاقي .

ونحن كأمّة مسلمة يمكن أن نطرح المثال ، الفرد المثال ، والمجتمع المثال ، والأمّة المثال ، مثل ما كان في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله حيث كان زمان المثال ، ولكن زمان المثال انتهى ، ونحن بإمكاننا أن نصبح الأمّة النّاجحة القويّة عن طريق إحياء القرآن بتطبيق تعاليمه

بعـد أن نفسّـر آياتـه تفسـيرًا صـحيحًا يتناسـب مـع روح الإسـلام وتطوّرات عصرنا الحاليّ .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٣١)
تابع أدلّة تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، نأتي إلى الدّليل الرابع على وجوب تقليد الأعلم .

الدّليل الرّابع : فتوى الأعلم تقتضي الأقربيّة إلى الواقع :

هذا الدّليل ذكره بعض العلماء ، وسنعلّق عليه بأنه هل يمكن الاعتماد على هذا الدّليل أو لا يمكن ؟

يقال إنّ فتوى الأعلم فيها اقتضاء الأقربيّة إلى الواقع ؛ لأنّ الأعلم يكون أوسع اطّلاعًا من غيره وأشدّ فهمًا للأدلّة ، والعقل يحكم

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٠ شعبان ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦/٥/٢٧ م .

بالأخذ بما فيه اقتضاء الأقربيّة للواقع عند وقوع التّعارض بين قول الأعلم وغير الأعلم ، فتكون فتوى الأعلم أقرب إلى الواقع .

نعم يوجد في فتوى الأعلم احتمال الخطأ ومخالفة الواقع ؛ لأنّه غير معصوم ، فمن الممكن أن تكون فتواه مخالفةً للواقع ، ولكن لا يوجد عندنا طريق للوصول إلى الواقع واللوح المحفوظ إلّا فتاوى الفقهاء ، ففتوى الفقيه طريق للوصول إلى الحكم الواقعيّ الموجود في اللوح المحفوظ ، وما فيه اقتضاء الأقربيّة إلى الواقع هو فتوى الأعلم ، واحتمال حلّه للمسألة أفضل من غيره ، واحتمال الصّحّة في فتوى الأعلم أكبر من احتمال الخطأ ، وهذا يجري أيضًا في الحكم الدّينيّ الأعمّ من الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ وغيرها أي في جميع معارف الدّين ، ويجري أيضًا في جميع العلوم .

مثلًا الأستاذ الأعلم في الرّياضيّات هو الّذي يحلّ المسألة الرّياضيّة المعقّدة أسرع وأفضل من غيره ، واحتمال الصّحّة في حلّه أكبر من احتمال الخطأ بأضعاف مضاعفة ، وهذا الاحتمال بالصّحّة في حلّ الأعلم احتمال عقليّ وعقلائيّ ، وليس احتمالًا عشوائيًّا بلا دليل ، فالعقل والعرف يقولان بأنّ احتمال الصّحّة أكبر من احتمال الخطأ ، والنّاس يعتمدون على قول الأعلم ؛ لأنّ احتمال الصّحّة أكبر من احتمال الخطأ عقلًا وعقلائيًّا .

إذن :

الدّليل الرّابع يقول إنّ فتوى الأعلم أقرب إلى الواقع من فتوى غير

الأعلم أو الأقلّ علمًا .

أوثقيّة قول الأعلم وثبوته في النّفس :

البعض ناقش في أقربيّة قول الأعلم للواقع إذا كان مخالفًا للاحتياط ، مثلًا إذا كانت فتوى الأعلم قراءة التّسبيحات في الرّكعة الثّالثة والرّابعة مرّة واحدة ، وكانت فتوى غير الأعلم قراءة التّسبيحات ثلاث مرّات ، وكانت فتوى غير الأعلم موافقةً لفتوى المجتهد الميت الأعلم ، فالأعلم السّابق كانت فتواه قراءة التّسبيحات ثلاث مرّات ، وتوفّي الأعلم ، والأعلم التّالي قال بأنّه تكفي قراءة التسبيحات مرّة واحدة ، وفتوى غير الأعلم هي قراءتها ثلاث مرّات ، فهنا فتوى غير الأعلم تكون أقرب إلى الواقع من فتوى الأعلم ؛ لأنّ فتوى غير الأعلم موافقة للاحتياط ، فقراءة التّسبيحات ثلاث مرّات أحوط من قراءتها مرّة واحدة ، فتكون قراءتها ثلاث مرّات أقرب إلى الواقع ، ففي بعض الأحيان فتوى غير الأعلم تكون أقرب إلى الواقع من فتوى الأعلم .

وبسبب وجود هذا الإشكال فبدلًا عن القول بدليل الأقربيّة للواقع يمكن القول بدليل آخر في مقابل هذا الدّليل ، وهو **(دليل أوثقيّة قول الأعلم وثبوته في النّفس)** ، فحينما تسمع قول الأعلم تثق بقوله أكثر من غيره ويتأكّد ويثبت قوله في نفسك ، وهذا دليل آخر بدلًا عن ذاك الدّليل ، وهذا الدّليل مقبول من جميع النّاس ، فجميع النّاس يثقون بقول الأعلم ويتأكّد ويثبت في نفوسهم أكثر من غير الأعلم .

وهذا الدّليل يؤخذ به في جميع العلوم ، حتّى في الأمور الدّنيويّة لا الأمور الدّينيّة فقط ، مثلًا عالم الفيزياء الأعلم تثق بقوله أكثر من غير الأعلم ، فهذا الدّليل مقبول عقلًا وعقلائيًّا ، ولا يوجد على هذا الدّليل إشكال [1] .

نأتي إلى الدّليل الخامس على وجوب تقليد الأعلم :

الدّليل الخامس : **الرّوايات الدالة على الرجوع إلى الأعلم** :

قرأنا سابقًا عدّة روايات فيها القول بالأعلميّة ، ونقرأ روايات أخرى فيها كلمة (أفقههما) و(أعلمهما) صراحةً .

الرّواية الأولى :

مقبولة أو صحيحة (بناءً على اختلاف المباني) عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَيْنٍ أو ميراث ، فتحاكما إلى السّلطان وإلى القضاة ، أيحلّ ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطّاغوت . . . قلت : فكيف يصنعان ؟ قال : ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكمًا . . . فقلت : فإن كان كلّ رجل اختار رجلًا من أصحابنا فرضيا أن يكونا النّاظرين في حقّهما ، واختلفا فيما حكما ، وكلاهما اختلفا في حديثكم ؟ قال : الحكم ما حكم به أعدلهما **وأفقههما** وأصدقهما في الحديث وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما يحكم

---

[1] دراسات في الاجتهاد والتّقليد للسّيّد عليّ الحسينيّ الصّدر ص٢٥٠ .

به الآخر . قال : قلت : . . . [1] .

إذا وقع اختلاف في الحكم فالرّجوع يكون إلى الأفقه أي الأعلم ، والكلام في الرّواية في باب القضاء ، فإذا وجد قاضيان فيأخذ الطّرفان بقول الأعلم .

إشكال :

هذه الرّواية واردة في باب القضاء ، ولا يمكن أن ننتقل إلى باب التّقليد .

الجواب :

إنّ باب القضاء مصداق من مصاديق الأعلميّة ، والرّواية تذكر مصداقًا من المصاديق ، فنطبّق قاعدة الأعلميّة في باب القضاء ، ويمكن تطبيق القاعدة في الأبواب الأخرى الّتي يؤخذ فيها بالأعلميّة ، كما في باب التّقليد ، ونطبّق القاعدة في أيّ باب يكون من مصاديق تطبيق الأعلمية ، والرّواية حينما تذكر الأعلميّة لا تريد أن تقصر الأعلميّة في باب القضاء ، وإنّما ذكرت مصداقًا للقاعدة .

والبعض يقول بأنّ هذه الرّواية تتكلّم عن الحاجة إلى الأعلميّة في باب القضاء فقط وفقط .

نقول بأنّ هذا تطبيق للقاعدة في باب القضاء ، وهذه القاعدة قاعدة فطريّة وعقليّة وعرفيّة ، فيمكن تطبيقها في مورد من الموادر ، وإذا جاء مورد آخر نحتاج فيه إلى القاعدة فنطبّقها في المورد الآخر ،

---

[1] الكافي ج١ ص٦٧-٦٨ ح١٠ .

فالقاعدة ليست خاصّةً بباب القضاء ، وإنّما تجري في جميع الموارد الّتي نحتاج فيها إلى الأعلميّة ، وباب القضاء مورد من موارد تطبيق القاعدة ، ونأتي إلى باب التّقليد ، ونحتاج فيه إلى الأعلميّة ، فنطبّق القاعدة في باب التّقليد .

ورواية "فأمّا مَنْ كان مِنَ الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه فللعوامّ أن يقلّدوه . . ." [1] ، أرجعتنا إلى الفقهاء ، ولكن لم تقل مَنْ مِنَ الفقهاء نختار ، فلم تذكر الأعلميّة ، ولكن هذا مثلما يقال للشّخص إذا كان مصابا بمرض خطير : ارجع إلى الأطبّاء .

والمريض لا يرجع إلى جميع الأطبّاء ، وإنّما يختار أحدهم ، فكيف يختار الطّبيب المعيّن ؟ وعلى أيّ أساس يختار ؟

يختار في الطّبّ على أساس الأعلميّة ، فيختار الطّبيب الأعلم إذا كان المرض خطيرًا ، نعم في الأمراض البسيطة ترجع إلى أيّ طبيب ، ولكن في الأمراض الخطيرة ترجع إلى المتخصّص ، فإذا أصيب بمرض خطير لا يذهب إلى الطّبيب العامّ في المستوصف ، وإنّما يذهب إلى المتخصّص في المستشفى ، وإذا ذهب إلى الطّبيب العامّ فإنّه يقوم بتحويله إلى المتخصّص بهذا المرض في المستشفى أو المركز المتكفّل بعلاج هذا المرض .

لماذا الطّبيب العامّ حوّله إلى المركز المختصّ ؟

---

[1] التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص٣٠٠ .

حوّله إلى هناك ؛ لأنّ الطّبيب الأعلم بعلاج المرض موجود في المركز المختصّ ، والطّبيب العامّ يعرف نفسه من أنّه ليس مختصًّا ، فيحوّله إلى الطّبيب المختصّ ، وفي المركز يسأل المريض عن الطّبيب الأعلم ، وهذا تطبيق للأعلميّة في الطّبّ ، وهذا مورد آخر لتطبيق القاعدة .

وتطبيق القاعدة يكون في جميع الموارد الدّنيويّة والدّينيّة ، وجميع هذه الموارد مصاديق لتطبيق قاعدة الأعلميّة ، ففي باب القضاء نحتاج إلى الأعلم في أحكام الفصل بين المتخاصمين ، وقلنا بأنّه لا يُقْصَدُ من الأعلم الأكثر علمًا فقط ، بل أيضًا الأقدر على التّطبيق ؛ لأنّه يريد أن يحكم بين المتخاصمين ، فليس عنده كثرة المعلومات فقط ، بل الأعلم هو الأقدر على التّطبيق ، فعنده معلومات ، بالإضافة إلى أنّه يعرف كيف يطبّق المعلومات على مواردها ومصاديقها ، والجانب التّطبيقيّ هو المهمّ عند الفقيه ، فالقواعد الّتي درسها يريد بعد ذلك أن يطبّقها على الآية والرّواية ؛ لأجل أن يستنبط منهما الأحكام الدّينيّة ، واستنباط الحكم الشّرعيّ معناه تطبيق القواعد ، ولا يحتاج الفقيه إلى المعلومات فقط ، بل يحتاج إلى معرفة التّطبيق أيضًا .

الرّواية الثّانية :

عن داود بن الحصين عن أبي عبدالله عليه السّلام في رجلين اتّفقا على عدلين جعلاهما بينهما في حكم وقع بينهما فيه خلاف فرضيا بالعدلين ، فاختلف العدلان بينهما ، عن قول أيّهما يمضي الحكم ؟ قال : ينظر إلى **أفقههما وأعلمهما** بأحاديثنا وأورعهما فينفذ حكمه

ولا يلتفت إلى الآخر [1] .

هنا ذكرت الرّواية بكلّ صراحة : **(أفقههما وأعلمهما)** ، فينفذ حكم الأفقه والأعلم ، وهذا معناه الرّجوع إليه ، وكذا يتمّ الرّجوع إلى الأفقه والأعلم في الفتوى ، نعم الرّواية مذكورة في باب القضاء ، ولكنّه تطبيق ومصداق لقاعدة الأعلميّة ، وتجري القاعدة أيضًا في باب التّقليد ؛ لأنّه تطبيق ومصداق آخر للقاعدة ، فنحتاج إلى الأعلميّة في التّقليد .

وهنا ذكرت الرّواية الأفقه والأعلم بأحاديثنا ، وذكرت بعض الرّوايات الأعلم بالكتاب والسّنّة ، فتكون القاعدة (الأعلم بالكتاب والسّنّة) .

وهنا وإن ذكرت الرّواية الأعلم بالأحاديث ، ولكن هذا لا يعني أنّنا لا نحتاج إلى القرآن ، فالأعلم بالكتاب ذكر في أدلّة أخرى ، وبجمع الأدلّة نصل إلى الأعلم بالكتاب والسّنة ، ولا نقتصر في الأدلّة على دليل واحد فقط ، والأصل هو القرآن ، والرّوايات تأتي مفصِّلة لآيات القرآن ، فإذا قالت الرّواية الأعلم بالأحاديث ، فنقول بأنّه قبل هذا لا بدّ أن يكون الأعلم بالقرآن ، فهو الأعلم بالكتاب والسّنّة ، ونرجع إلى الأساس وهو القرآن ، وإذا كنّا نرجع في باب القضاء إلى الأعلم

---

[1] وسائل الشّيعة ج١٨ ص٨٠ ح٢٠ . قال السّيد الخوئي رضوان الله عليه عن هذه الرّواية : معتبرة داود بن الحصين (كتاب الاجتهاد والتّقليد ص٤٢٩) .

بالكتاب والسّنّة فنحتاج إلى الأعلم بالكتاب والسّنّة في باب التّقليد أيضًا ؛ لأنّ باب التّقليد مورد ومصداق آخر للأعلميّة .

الرّواية الثّالثة :

عن موسى بن أكيل عن أبي عبدالله عليه السّلام ، قال : سئل عن رجل يكون بينه وبين أخ له منازعة في حقّ فيتّفقان على رجلين يكونان بينهما فحكما فاختلفا فيما حكما . قال : وكيف يختلفان ؟ قال : حكم كلّ واحد منهما للّذي اختاره الخصمان . فقال : ينظر الى أعدلهما **وأفقههما** في دين الله فيمضى حكمه [1] .

هذا المقطع من الرّواية : (وأفقههما في دين الله) موافق للقرآن حيث تقول الآية : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" [1] ، فالأعلم بالكتاب والسّنّة هو الأعلم بدين الله ، ودين الله نأخذه من القرآن والسّنّة ، والرّوايات تفسّر الآيات .

سؤال : ما معنى الدّين ؟

الجواب :

الدّين هو الكتاب والسّنّة ، فالفقيه في الدّين هو الفقيه بالكتاب والسّنّة ، وهذه الرّواية تتوافق مع القرآن ، ولا يوجد خلاف بين الآية والرّواية .

والرّوايات السّابقة كانت في باب القضاء ، وباب القضاء مصداق

---

[1] وسائل الشّيعة ج١٨ ص٨٨ ح٤٥ .

[1] التّوبة : ١٢٢ .

من مصاديق الأعلميّة ، وباب التّقليد مصداق آخر للأعلميّة .

الرّواية الرّابعة :

قال أمير المؤمنين عليه السّلام في كتابه إلى مالك الأشتر : اخْتَرْ للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك (١) .

الأفضل للحكم بين النّاس - أي القاضي - هو الأعلم ، وكذلك إذا أراد أن يختار حاكمًا على ولاية من الولايات ، فيختار أفضل الرّعيّة ، ومن صفات أفضل الرّعيّة أن يكون الأعلم بالكتاب والسّنّة ، وكان حاكم الولاية سابقًا هو القاضي بين النّاس ، فأمير المؤمنين عليه السّلام كان عنده دكّة القضاء في مسجد الكوفة ، وبعد ذلك حصل فصل بين السّلطات التّشريعيّة والتّنفيذيّة والقضائيّة ، وسابقًا كان الحاكم يقوم بجميع السّلطات ، فالحاكم كان رئيس الدّولة والمشرّع والقاضي ومنفّذ الأحكام ، وبعد ذلك حصل الفصل بين السلطات في البلدان المسلمة .

وتوجد ملازمة بين الحكم في باب القضاء والفتوى في باب التّقليد ؛ لأنّ القاضي لا بدّ من أن يكون فقيهًا ، فيكون اختيار الأعلم للفتوى في باب التّقليد هو المتعيِّن ، فيجب تقليد الأعلم .

الرّواية الخامسة :

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : من تعلّم علمًا ليماري به السّفهاء ، أو ليباهي به العلماء ، أو يصرف به النّاس إلى نفسه

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٩٢ ح٥٣ .

يقول : أنا رئيسكم – فليتبوّأ مقعده من النّار ، إنّ الرّئاسة لا تصلح إلّا لأهلها ، فمن دعا النّاس إلى نفسه وفيهم من هو **أعلم** منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة (١) .

رئاسة الدّولة تكون للأعلم بالكتاب والسّنّة والأعلم بالإدارة ، فمن يدعو إلى نفسه ويطلب الرّئاسة وفي القوم أعلم منه لا ينظر الله إليه يوم القيامة ، والرّئاسة مصداق آخر لقاعدة الأعلميّة ، وإذا يعلم من نفسه أنّه ليس الأعلم فيجب عليه تقديم الأعلم .

الرّواية السّادسة :

لمّا قُبِضَ الرّضا عليه السّلام كان سنّ أبي جعفر الجواد عليه السّلام نحو سبع سنين ، فاختلفت الكلمة من النّاس ببغداد وفي الأمصار . . . وكان وقت الموسم (أي موسم الحجّ) فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلًا فخرجوا إلى الحجّ وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السّلام ، فلما وافوا أتوا دار جعفر الصّادق عليه السّلام لأنّها كانت فارغةً . . . ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفّق وقال : هذا أبو جعفر . فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه فدخل عليه السّلام وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان ، وجلس وأمسك النّاس كلهم ، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله فأجاب عنها بالحقّ ، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له : إنّ عمك عبدالله أفتى بكيت وكيت .

---

(١) بحار الأنوار ج٢ ص١١٠ ح١٦ .

فقال : لا إله إلا الله ، يا عمّ ، إنّه عظيم عند الله أن تقف غدًا بين يديه فيقول لك : لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمّة من هو **أعلم** منك ؟ [1]

ذكرت الرّواية الأعلميّة في مقام الفتوى أي في باب التّقليد ، وهذه الرّواية دالّة على الحاجة إلى الأعلميّة في باب التّقليد ، وهي ردّ على من يقول بأنّه لا توجد رواية دالّة على الأعلميّة في التّقليد .

إذن :

مسألة الأعلميّة كانت مطروحةً منذ زمن الأئمّة عليهم السّلام ، وكان الأئمّة عليهم السّلام يذكرون مسألة الأفقه والأعلم في رواياتهم ، والمسألة ليست أمرًا جديدًا ، وليست مسألةً مستحدثةً في زماننا ، وكانت المسألة مطروحة عند العلماء السّابقين ، ولكن في العصور الحديثة جاء الإشكال على الأعلميّة ، ومسألة الأعلميّة مسألة بديهيّة عند جميع النّاس ، ومذكورة في القرآن والرّوايات ، والمسألة البديهيّة لا تحتاج إلى استدلال ، ارجع إلى نفسك وفطرتك ستجد أنّ مسألة الأعلميّة مسألة بديهيّة ، فحينما تجد العالم والأعلم فأنت بطبيعتك تختار الأعلم ، فالأمر بديهيّ ، والآن نطرح الأدلّة على وجوب الرّجوع إلى الأعلم ؛ لأنّه ذُكِرَ الإشكال على المسألة ، وأسهل جواب للإجابة على الإشكال هو أنّ مسألة الأعلميّة مسألة بديهيّة ولا تحتاج إلى أدلّة لإثباتها ، وانتهى الإثبات ، ولا نحتاج إلى أكثر من هذا

---

[1] بحار الأنوار ج٥٠ ص٩٩ ح١٢ .

الجواب ، واحتجنا إلى الاستدلال بسبب الإشكال الّذي يقول بأنّه لا توجد أدلّة على وجوب الرّجوع إلى الأعلم ، لذلك ذكرنا الأدلّة المختلفة ، وإلى الآن ذكرنا خمسة أدلّة على وجوب تقليد الأعلم : الفطرة ، والعقل ، والعرف ، والأوثقيّة بقول الأعلم وتأكّده في النّفس ، والرّوايات ، وقبل ذلك ذكرنا الدّليل القرآنيّ .

ونأتي إلى الدّليل السّادس على وجوب تقليد الأعلم في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

وسأشير بعد ذلك إلى مسألة العدول من مرجع إلى مرجع آخر ، ومسألة وصيّة مرجع إلى مرجع ، ومسألة الوراثة في المرجعيّة ، وسأذكر أنواع الوكالات والإجازات الّتي يعطيها المرجع ؛ لكي يكون عندكم اطّلاع عليها ، ويمكنكم التّمييز بينها ، ومن يقول بأنّ لديه وكالة اطلب نسخة منه واقرأها بدقّة ؛ لتعرف أيّ نوع من الوكالات ، والبعض يقول بأنّه مجتهد ، اطلب منه نسخة من إجازة الاجتهاد ، وقد تقرأ الإجازة وإذا هي إجازة رواية وليست إجازة اجتهاد ، وإجازة الرّواية لا تعني الاجتهاد ، ومن الجيّد أن يكون عند المؤمنين اطّلاع على أنواع الوكالات والإجازات من المراجع .

وننتظر منكم اقتراحات عن المواضيع الّتي يمكن طرحها مستقبلًا ، ومن العناوين (الإسلام دين عالميّ) من القرآن الكريم ، ونطرح الأمور العالميّة الّتي نحتاجها ؛ لكي نثبت (عالميّة الإسلام) .

هل الإسلام دين عالميّ أو دين محلّيّ للجزيرة العربيّة ؟

هل محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله رسول عالميّ أو رسول للعرب فقط ؟

ما هي الحرّيّات الّتي ذكرها القرآن الكريم ؟

هل ذكر القرآن حرّيّة الفكر ؟

هل ذكر القرآن حرّيّة الاعتقاد ؟

هل ذكر القرآن حرّيّات أخرى ؟

وإذا توجد عندكم عناوين أخرى فيمكن إضافتها إلى موضوع عالميّة الإسلام ؛ لأجل أن نبيّن أنّ الإسلام دين عالميّ ، ومن أدلّتنا أنّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشّريف سيقيم العدل في العالم ، فنحتاج إلى بحث عن العدل العالميّ .

هل يوجد عدل في الإسلام ؟

من الّذي يقيم العدل ؟

هل النّبيّ والإمام عليهما السّلام هما المسئولان عن تطبيق العدل أو أنّ الناس عليهم مسئوليّة تطبيق العدل أيضًا ؟

وبحوثنا ستكون بحوثًا قرآنيّةً وروائيّةً ، فنأتي أوّلًا إلى القرآن الكريم ونؤسّس القواعد القرآنيّة ، ثمّ نأتي إلى التّفاصيل في الرّوايات ، فالمنهج قرآنيّ روائيّ .

وهي بحوث تحتاج إلى جهد كبير في جمع الآيات والرّوايات ، وأنتظر منكم الاقتراحات لمواضيع أخرى أو عناوين أخرى وأسئلة أخرى على موضوع عالميّة الإسلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

سؤال : محمّد سلمان الحدّاد :

ذكرتم بأنّه يوجد دليل روائيّ على تقليد الأعلم ، هل توجد آيات تدلّ على ذلك ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

ذكرنا بعض الآيات الدّالة على الأعلميّة ، منها : "**قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ**" [1] ، هذه الآية تتكلّم عن الزّيادة في العلم ، ومنها : ". . . **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**" [2] ، توجد درجات في الآخرة متناسبة مع درجات العلم ، وكلما صعد الإنسان في العلم درجة فإنّه يصعد درجة يوم القيامة ، فيوجد تفاضل في العلم ، يوجد عالم وأعلم ، والآيات تبيّن الأعلميّة ، فمسألة الأعلميّة مذكورة في القرآن ، وهي مسألة بديهيّة ، ومن زاده الله بسطةً في العلم وصار حاكمًا أو إمامًا فمعنى ذلك أنّ الإمام يكون هو الأعلم ؛ لأنّه إذا كان أقلّ علمًا فإنّه يحتاج إلى من هو أعلم منه ، وهذا الأعلم يكون هو الإمام ، وكذلك الأنبياء عليهم السّلام لا بدّ من أن يكونوا أعلم أهل زمانهم ، فإذا

---

[1] البقرة : ٢٤٧ .

[2] المجادلة : ١١ .

كانوا أقلّ علمًا فمعنى ذلك أنّهم يحتاجون إلى غيرهم ، ومن يحتاج إلى غيره من حيث العلم لا يكون نبيًّا ولا إمامًا في زمانه .

وتدخل المسائل الفقهيّة العقائديّة مع المسائل الفقهيّة العمليّة ، وهذا هو المنهج المختار ، فلا ننظر إلى الفقه العمليّ لوحده ، وإذا وُجِدَتْ مسألة عقليّة في علم العقائد من أنّه نحتاج إلى مسألة الأعلميّة في الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام فنأتي إلى الفقه العمليّ ، وهذه القاعدة العقليّة تجري أيضًا في الفقه العمليّ في باب التّقليد ، وهي قاعدة رجوع الجاهل إلى الأعلم ، ونظرنا يكون إلى الحكم الدّينيّ ، والحكم الدّينيّ شامل لجميع معارف الدّين ، ومنهج البحث هو منهج شموليّ ، لا أنّنا نأتي إلى علم العقائد لوحده ، وعلم الأخلاق لوحده ، وعلم الفقه العمليّ لوحده ، فحينما تطرح مسألة في الفقه العمليّ لا يكون السّؤال : ما هو الحكم الفقهيّ العمليّ ؟

وإنّما السّؤال : ما هو الحكم الدّينيّ ؟

وذلك لأجل أن تكون عندنا النّظرة الشّموليّة للدّين ، وتلاحظون في البحوث أنّه إذا كان البحث في المسألة العمليّة فلا يتعرّضون للعقائد والأخلاق .

ونقول بأنّه لا بدّ من أن ننظر إلى الفقه الدّينيّ الشّموليّ استنادًا إلى الآية الكريمة الّتي جاء فيها : "**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" (١) ، فحتّى في مسائل الفقه العمليّ لا نسأل فقط : يجوز أو لا يجوز ؟

---

(١) التّوبة : ١٢٢ .

بل لا بدّ من أن يكون سؤالنا هو : ما هو الحكم الدّينيّ في هذه المسألة العمليّة ؟

وذلك لأجل أن يكون الجواب جوابًا شموليًّا ، لا فقط نقول : يجوز أو لا يجوز .

ونسأل أيضًا :

هل هذا الحكم يساهم في تكاملك أو لا يساهم ؟

وهل هذا الحكم يقرّبك إلى الله أو لا يقرّبك ؟

فيدخل الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ في كل مسألة فقهيّة عمليّة ، وهكذا تكون عندك النّظرة الشّموليّة للدّين في أيّ مسألة من المسائل ، وإذا نظرت على أساس النّظرة الشّموليّة فإنّه في أمورك الحياتيّة العاديّة تتعامل مع الأشياء تعاملًا آخر لا فقط على أساس يجوز ولا يجوز .

مثلًا إذا أردت أن تشتري سيّارةً تسأل :

هل هذه السّيارة تساهم في تقرّبي إلى الله أو لا ؟

وهل تساهم في تكاملي أو لا ؟

ولا بدّ من أن يكون عندك جوابًا دقيقًا عن هذه الأسئلة .

والآن نظرة كلّ مؤمن إلى أنّه يجوز أن أشتري هذه السّيّارة ، فيذهب لشرائها .

نقول بأنّه لا بدّ من أن تكون عندك النّظرة الدّينيّة الشّمولية في التّعامل مع جميع الأشياء حتّى في تعاملك مع أمورك الحياتيّة ، ولا

تتعامل فقط على أساس أنّه يجوز أو لا يجوز ؛ لأنّه إذا كان النّظر على أساس أنّه يجوز أو لا يجوز - فتسأل : هل يجوز أن أدخّن أو لا يجوز ؟

فيقال بالجواز بناءً على الفتاوى الّتي تقول بالجواز .

ولكن اسأل :

هل التّدخين يقرّبك إلى الله ؟

وهل التّدخين يساهم في تكاملك ؟

وبعد الإجابة على هذين السّؤالين تكون عندك نظرة أخرى إلى التّدخين ، فالتّدخين لا يساهم في تقرّبك إلى الله ولا في تكاملك ، فتترك التّدخين حتّى لو كان جائزًا ، ولو قلنا بالحرمة بناءً على قاعدة الضّرر فيحرم ، والحرام لا تكون فيه قابليّة التّقرّب إلى الله ولا التّكامل القلبيّ الباطنيّ .

وكذلك تكون عندك النّظرة الشّموليّة في كلّ فعل جائز ، وبذلك يدخل الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ في جميع مسائل الفقه العمليّ ، والحكم الدّيني أشمل وأعمّ من الحكم العمليّ ، فتتعامل مع جميع الأشياء تعاملًا آخر ، ومع وجود هذا المنهج فإنّك تتعامل تعاملًا آخر مع جميع أمورك الدّينيّة وأمورك الدّنيويّة .

سؤال : المهندس فوزي الصّرّاف :

الشّخص الّذي سأل الإمام عليه السّلام وقال له بالرّجوع إلى الأفقه والأعلم ، لماذا لم يقل الإمام بالرّجوع إليه لأنّه الإمام ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

الإمام عليه السّلام حينما يعطي حكمًا فلا يكون الحكم خاصًّا بزمان حضوره عليه السّلام ، بالإضافة إلى أنّ المؤمنين لا يستطيعون دائمًا الوصول إلى الإمام عليه السّلام ، وخاصّة إذا كان مسجونًا أو محاصَرا في بيته ، فيعطيهم القاعدة العامّة ، وهي الرّجوع إلى الأعلم .

فإذا وقع تنازع بين متخاصمين فإنّهما يرجعان إلى القاضي الأعلم ، فباب القضاء مصداق من مصاديق قاعدة الأعلميّة وتطبيق من تطبيقاتها .

وإذا حصل اختلاف في الفتيا فإنّهم يرجعون إلى المفتي الأعلم ، فباب الإفتاء والتّقليد مصداق آخر من مصاديق القاعدة .

فالإمام عليه السّلام يعطي القاعدة العامّة مع تطبيقها على مورد ومصداق واحد ، فنأخذ القاعدة العامّة ونطبّقها على أيّ مصداق آخر نحتاج فيه إلى الأعلميّة ، والقواعد العامّة تطبّق في زمن حضور المعصوم وفي زمن غيبته عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٣٢)
تابع أدلّة تقليد الأعلم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وكان سبب طرح هذا الموضوع هو أنّ هناك إشكالات على التّقليد وأنّه لماذا نحتاج إلى التّقليد ؟

والإشكال الثّاني أنّه بعد قبول التّقليد لماذا يجب تقليد الأعلم ؟

وكان البحث على مستويين : أدلّة التّقليد ، وأدلّة الأعلميّة .

وذكرنا أنّ الأساس في التّقليد هو (رجوع الجاهل إلى العالم) ، وهذه هي النّقطة الرّئيسة .

وفي الأعلميّة طرحنا عدّة أدلّة ، وكان السّؤال هو : لماذ نرجع إلى الأعلم ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ ، ٢٠١٧/٢/١٠ م .

وكان الدّليل الأوّل هو الدّليل الفطريّ ، ففطرة الإنسان تدعوه إلى الرّجوع إلى الأعلم ، وأيّ إنسان تعرض عليه أنّه يوجد عالم وأعلم وتسأله : من تختار ؟

هو يختار الأعلم .

وهذا أمر فطريّ من طبيعة الإنسان .

والدّليل الثّاني هو الدّليل العقليّ ، فتارةً تعرض الأمر على نفسك وفطرتك ، وتارةً أخرى تعرض الأمر على عقلك ، والفطرة غير العقل ، ففي مجال العقل تأتي باستدلال ، فتأتي بأدلّة عقليّة وتستدلّ بالمقدّمات إلى أن تصل إلى النّتيجة ، فتقول إنّ هذا عالم وذاك أعلم ، وتأتي بالأسباب الّتي تدعوك للرّجوع إلى الأعلم ، ثمّ تصل إلى النّتيجة وهي الرّجوع إلى الأعلم ، وهذا استدلال عقليّ ، وتوجد قواعد عقليّة عند الإنسان ، وأمّا في الفطرة فلا تأتي باستدلال مكوَّن من مقدّمات ونتيجة ، وبمجرّد ما يُعْرَضُ الأمر على الفطرة فإنّ الإنسان يقبل أو يرفض بسبب وجود القواعد الفطريّة عنده .

والدّليل الثّالث هو الدّليل العرفيّ ، وهو ما يطلق عليه السّيرة العقلائيّة ، وترجع إلى العرف أي ترجع إلى النّاس ، وتوجد عند الإنسان قواعد عرفيّة ، واعرض على أيّ إنسان أنّه إذا وُجِدَ عالم وأعلم فمن تختار ؟

ويمكنك القيام باستقراء ، وزّع استبيانًا على النّاس واسألهم هذا السّؤال ، وستجد أنّ جميع الأجوبة هي اختيار الأعلم ، وهذا دليل

عرفي من سيرة النّاس .

ومن الأدلّة الّتي طرحناها الآيات القرآنيّة الّتي فيها ذكر الأعلمية ، منها : ". . . **وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ**" [١] ، والبسطة في العلم هي الزّيادة في العلم أي الأعلميّة ، ويمكن استخراج آيات أخرى تشير إلى الأعلميّة .

ومن الأدلة أيضًا الروايات التي فيها الأفقه أو الأعلم ، وهو رد على من يقول بعدم وجود روايات دالّة على الأعلميّة ، فنقول بأنّه توجد روايات تدلّ على الأعلميّة ، وقرأنا عدّة روايات من هذا النّوع .

من الرّوايات :

لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمّة من هو **أعلم** منك ؟ [٢]

وهذه الرّواية تتحدّث عن مقام الفتيا أي التّقليد ، وفيها ذكر الأعلم ، وتوجد روايات أخرى دالّة على قاعدة الأعلميّة .

إذن :

الأدلّة الدالّة على (الأعلميّة) في باب التّقليد : الدّليل القرآنيّ ، والدّليل الرّوائيّ ، والدّليل الفطريّ ، والدّليل العقليّ ، والدّليل العرفيّ .

وليس بالضّرورة أن يكون الدّليل الرّوايات فقط ، والآن ما يدور بين المؤمنين أنّه إذا طرحت فكرة فإنّهم يسألون : هل عندك رواية تدلّ على فكرتك ؟

---

[١] البقرة : ٢٤٧ .

[٢] بحار الأنوار ج٥٠ ص٩٩ ح١٢ .

ويظنّ المؤمنون بأنّ الأدلّة مقتصرة على الرّوايات فقط ، ولا بدّ من أن يكون السّؤال : هل يوجد عندك دليل على هذه الفكرة ؟

وهذا السّؤال أعمّ وأشمل ؛ لأنّ الدّليل قد لا يكون دليلًا روائيًّا ، فقد يكون آية قرآنيّة أو دليلًا فطريًّا أو دليلًا عقليًّا أو دليلًا عرفيًّا أو أيّ نوع آخر من الأدلّة ، والأدلّة الفطريّة والعقليّة والعرفيّة يستند إليها في الشّرع كما يستند إلى الآية والرّواية .

والسّؤال لا يكون عن وجود رواية فقط ، بل تسأل : هل يوجد دليل على هذا الأمر أو لا يوجد ؟

والمتعارف بين المؤمنين أنّهم يسألون عن وجود رواية فقط ، وكأنّ الدّليل الوحيد عندنا هو الرّوايات ، لا بدّ من أن نغيّر نظرتنا ، فالدّليل لا يكون روائيًّا فقط ، ولا بدّ من أن يكون السّؤال أوّلًا : هل توجد آية قرآنيّة دالّة على هذا الأمر ؟

لا بدّ من أن نعطي قيمةً للقرآن ، والقرآن مهمل عند المسلمين قراءةً وتدبّرًا ، ولا أظنّ أنّ جميع المسلمين يقرأون القرآن بعد صلاة الفجر ، ولو أنّهم يقومون لصلاة الصّبح فهذا أمر جيّد ، فأوّلًا لا بدّ من أن نركّز على القرآن قراءةً وتدبّرًا ، ومعرفة المعاني لا قراءة الألفاظ فقط ، وهذا أمر مهمّ جدًّا .

رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : **"يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا"** [1] .

---

[1] الفرقان : ٣٠ .

نحتاج إلى إحياء القرآن بيننا ، والقرآن حيّ دائما ، ولكنّ المسلمين أماتوا القرآن حينما هجروه واقتصروا على الرّوايات ، وحياة المسلمين اليوم لا تقوم على تعاليم القرآن ، لا في الجانب الفرديّ ولا الجانب الاجتماعيّ ولا الجانب السّياسيّ ولا الجانب الاقتصاديّ ولا الجانب العالميّ ، وعلى المستوى الفرديّ المسلمون لا يعملون بالقرآن ، فحياة المسلمين ليست قائمةً على القرآن .

يحتاج المسلمون إلى تداول القرآن أكثر ، في بيتك لا بدّ من أن تقرأ القرآن ، وأهلك وأولادك يسمعونك وأنت تقرأ ، فيعتادون على الاستماع للقرآن ، من جهة توجد بركة داخل البيت ، فالقرآن نفسه فيه بركة ، بالإضافة إلى معرفة تعاليم القرآن .

وتتعلّم تفسير الآيات ؛ لكي تقيم القرآن في حياتك ، وهذا يحتاج إلى اهتمام من المسلمين ؛ لكي يمكنهم استخراج الأحكام الدّينيّة الموجودة في القرآن ، لا أن يذهبوا مباشرةً إلى الرّوايات ، فأوّلًا القرآن الكريم ، والرّوايات تُعْرَضُ على القرآن ، فما وافق القرآن يؤخذ به ، وما عارض القرآن لا يستند إليه ، وهذه دعوة إلى إحياء القرآن في قلوبنا وحياتنا .

ومسألة الأعلمية كانت مطروحة منذ زمان الأئمّة عليهم السّلام ، وليست مسألةً مستحدثةً ، وصارت مستحدثةً بسبب وجود بعض الإشكالات على الأعلميّة مع أنّ الرجوع إلى الأعلم والأخذ منه مسألة بديهيّة .

نأتي إلى الدّليل السّادس على وجوب تقليد الأعلم :

الدّليل السّادس : الإجماع على تقليد الأعلم :

أي إجماع الفقهاء على تقليد الأعلم ، والإجماع معناه اتفاق جميع الفقهاء على المسألة .

يقول الشّيخ ضياء الدّين العراقيّ رضوان الله عليه : وقد عرفت أنّ المسألة ذات قولين : أحدهما : تعيّن تقليد الأعلم ، وهو المعروف المشهور بين الأصحاب ، بل عن المحقّق الثّاني الإجماع عليه ، وعن محكيّ السّيّد في الذّريعة كونه من المسلَّمات عند الشّيعة [(١)] .

تقليد الأعلم هو المعروف المشهور بين الفقهاء ، والمشهور معناه أنّ أغلب الفقهاء متّفقون على الحكم ، وعن المحقّق الثّاني نور الدّين الكركيّ رضوان الله عليه إجماع الفقهاء عليه في كتابيه (الجعفريّة وجامع المقاصد) ، والمحكيّ عن السّيّد المرتضى رضوان الله عليه في كتابه (الذّريعة إلى أصول الشّريعة) كونه من المسلَّمات عند الشّيعة ، فتقليد الأعلم من المسلَّمات عند الشيعة ، ولكن يَرِدُ على دعوى الإجماع بأنّها غير تامّة لوجود خلاف بين الفقهاء في المسألة على مرّ التّاريخ ، وسأبيّن بعد قليل كيف يتعامل الفقهاء مع الإجماع .

يقول السّيّد المرتضى رضوان الله عليه : ومن العلماء من يرى وجوب تقليد الأعلم ، ومنهم من يرى التّخيير فيه [(٢)] .

---

(١) نهاية الأفكار ج٤ ص٢٤٨ .

(٢) الذّريعة إلى أصول الشريعة ج٢ ص٨٠١ .

يوجد خلاف في مسألة تقليد الأعلم ، فبعض الفقهاء قالوا بوجوب تقليد الأعلم ، وبعضهم قالوا بالتّخيير بين تقليد الأعلم وتقليد غير الأعلم .

وبالنّسبة للإجماعات ، تارةً أحد العلماء يقول : وفيه إجماع ، هذا يسمّى (الإجماع المنقول) ، والإجماع المنقول ليس حجّةً ، والإجماع الّذي يكون حجّةً هو (الإجماع المحصَّل) ، فالعالم يراجع بنفسه كتب الفقهاء ويبحث ويرى بأنّ الفقيه الأوّل قال بهذا الحكم ، والفقيه الثّاني قال نفس الحكم ، والفقيه الثّالث قال نفس الحكم ، وهكذا باقي الفقهاء ، فهذا العالم يُحَصِّلُ بنفسه إجماع الفقهاء في المسألة ، وهذا الإجماع المحصَّل حجّةً عليه ، وبعد أن يحصل على الإجماع بنفسه ينقل في كتابه أنّ هذه المسألة إجماعيّة ، وبعد نقله للإجماع في كتابه يسمّى هذا الإجماع إجماعًا منقولًا ، فالإجماع المحصّل حجّة ، والإجماع المنقول ليس بحجة .

وهناك إجماع آخر يسمّى (الإجماع المدركي) ، والمدرك هو الدّليل ، وهو أن يقول الفقيه بالإجماع ويذكر الدّليل على المسألة ، وفي هذه الحالة لا يؤخذ بالإجماع ، وإنّما يتمّ الرّجوع إلى الدّليل ، وكلّ فقيه يرى هذا الدّليل ويستنبط منه الحكم ، وقد يخالف الإجماع ؛ لأنّه إجماع مدركي .

إذن :

الإجماع على عدّة أقسام ، بعضها حجّة ، وبعضها ليس بحجّة .

والآن حينما يسمع أحد أنّ هذه المسألة فيها إجماع يظنّ بأنّ الإجماع قسم واحد ، ولكنّ العلماء يفصّلون في أقسام الإجماع .

رأي السّيّد الشّهيد في الإجماع :

للسّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه رأي في الإجماع ، وأعطى تفصيلًا في موضوع الإجماع ، فقال إنّ الإجماع الّذي يؤدّي إلى اليقين يكون حجّةً على أساس حجّيّة اليقين ، وأمّا الإجماع الّذي لا يؤدّي إلى اليقين فلا يكون حجّةً ، وهذا تفصيل يتبنّاه السّيّد الشّهيد رضوان الله عليه .

إنّ الإجماع مختلف في حجّيّته ، وأنّ أيّ الأقسام يكون حجّةً ، وأيّها لا يكون حجّةً ، فالمشهور يأخذون بالإجماع بعنوانه أي بعنوان الإجماع ، فإذا كان يوجد إجماع للفقهاء على مسألة فإنّهم يأخذون بهذا الإجماع ، وأمّا السّيّد الشّهيد رضوان الله عليه فيقول بالتّفصيل بناءً على نظريّة الاحتمال ، فإذا أدّى الإجماع إلى اليقين فيؤخذ بهذا الإجماع على أساس حجّيّة اليقين ، وإذا لم يُؤَدِّ إلى اليقين فلا يؤخذ بهذا الإجماع .

ونفس رأي السّيّد الشّهيد يأتي في الشّهرة ، فالشّهرة الّتي تؤدّي إلى اليقين يقول السّيّد الشّهيد بحجّيّتها ، والشّهرة الّتي لا تؤدّي إلى اليقين يقول السّيّد الشّهيد بعدم حجّيّتها ، وباقي العلماء يختلفون ، فالبعض يأخذون بالشّهرة بعنوانها ويقولون بحجّيّتها ، والبعض لا يأخذون بالشّهرة ويقولون بعدم حجّيّتها .

هذه نبذة مختصرة عن الإجماع والشّهرة واختلاف آراء العلماء فيهما ، ونرى أنّ باب الاجتهاد ما زال مفتوحًا أمام العلماء ، وقد يأتي علماء آخرون بآراء جديدة في مستقبل الأيّام .

إذن :

الدّليل السّادس على وجوب تقليد الأعلم هو الإجماع ، وبيّنّا آراء العلماء فيه .

نأتي إلى الدّليل السّابع على وجوب تقليد الأعلم :

الدّليل السابع : الجمع بين وجوب تقليد الأعلم وجواز تقليد غير الأعلم :

إذا فرضنا أنّ بعض الفقهاء يقولون بوجوب تقليد الأعلم ، والبعض لا يقولون بوجوبه بل يقولون بجواز تقليد غير الأعلم ، وأنت كمكلَّف تريد أن تقلِّد في مسألة التّقليد .

سؤال : هل يمكن أن نجمع بين المسألتين أي بين مسألة وجوب تقليد الأعلم ومسألة جواز تقليد غير الأعلم ؟

الجواب :

إذا أخذنا بمسألة جواز تقليد غير الأعلم نكون قد خالفنا مسألة وجوب تقليد الأعلم ، ولكن إذا أخذنا بمسألة وجوب تقليد الأعلم فلا نكون مخالفين لمسألة جواز تقليد غير الأعلم ؛ لأنّ هذه المسألة لازمها أنّه يجوز تقليد الأعلم ، فحينما نقلّد الأعلم نكون قد أخذنا بمسألة وجوب تقليد الأعلم ومسألة جواز تقليد الأعلم ، فمن يقلّد

الأعلم يكون قد جمع بين القولين ، وأمّا من يقلّد غير الأعلم فيكون قد خالف أحد القولين ، ويظلّ الشّكّ موجودًا عنده ؛ لأنّه من الممكن أنّ الواقع هو وجوب تقليد الأعلم ، فتقليد غير الأعلم يكون مخالفًا للاحتياط ، ولا يحصل عنده اليقين بإبراء ذمّته ؛ لأنّ الشّغل اليقينيّ للذّمّة يستدعي الفراغ اليقينيّ من هذا الشّغل ، وهذا يسمّى في علم أصول الفقه بـ (أصالة الاشتغال) ، فإذا انشغلت ذمّته يقينًا فلا بدّ من أن يفرغ ذمّته يقينًا ، فإذا كان عندك حكم معيّن ، وانشغلت ذمّتك بهذا الحكم فلا بدّ من أن تفرغ ذمّتك منه .

مثلًا أنت كمكلّف تشكّ ولا تعلم أنّك تركت صلاة العصر أو صلاة المغرب ، فإحدى الصّلاتين فاتتك ، إمّا صلاة العصر وإمّا صلاة المغرب ، في هذه الحالة ماذا تفعل ؟

ذمّتك مشغولة بصلاة العصر أو بصلاة المغرب ، ولكي تفرغ ذمّتك تقضي الصّلاتين العصر والمغرب ، فالشّغل اليقينيّ يستدعي الفراغ اليقينيّ ، فانشغال الذّمّة بعمل يستدعي إفراغ الذّمّة من هذا العمل ، والذّمّة مشغولة قطعًا بصلاة العصر أو بصلاة المغرب ، فلا يمكن أن تأتي بإحدى الصّلاتين دون الأخرى ؛ لأنّه من المحتمل أنّ الصلاة الأخرى هي المطلوبة منك ، فيجب أن تأتي بكلتا الصّلاتين لأجل أن يحصل عندك يقين بإفراغ ذمّتك .

نأتي إلى تقليد الأعلم ، إذا قلّدت غير الأعلم فمن الممكن أنّ ذمّتك لحدّ الآن مشغولة ، ويكون المطلوب هو تقليد الأعلم ، فتكون

ذمّتك مشغولة بتقليد الأعلم ، والشّغل اليقينيّ للذّمّة يستدعي الفراغ اليقينيّ لها ، فيجب أن تقلّد الأعلم ؛ لكي تفرغ ذمّتك ، وتكون ذمّتك بريئةً من التّكليف المطلوب .

سؤال : هل الجمع بين أقوال الفقهاء أفضل أو الأخذ بقول واحد ومخالفة باقي الأقوال ؟

الجواب :

الجمع أفضل من المخالفة ، والاحتياط طريق النّجاة ، والمكلّف كلّما استطاع أن يحتاط فهو أفضل ، قد تقلّد أحد المراجع ويقول بجواز تقليد غير الأعلم ، والمرجع الآخر يقول بوجوب تقليد الأعلم ، وتريد أن تحتاط في المسألة ، فتأخذ بمسألة تقليد الأعلم ، فتقلّد الأعلم ، وتكون قد احتطت في مقام العمل ، والاحتياط في الجمع بين أقوال الفقهاء أفضل من الأخذ بقول فقيه واحد ، والاحتياط سبيل النّجاة ، وكلّما استطعت أن تحتاط فهو الأفضل لك .

وطبعًا في الاحتياط لا بدّ من أن تعرف أقوال الفقهاء وكيفيّة الاحتياط ، ومن لا يوجد عنده اطّلاع على أقوال الفقهاء نقول له : خذ بفتوى مرجعك .

وقد تعرف الفرق بين أقوال الفقهاء في بعض المسائل فيمكنك العمل بالاحتياط في هذه المسائل حتّى لو كانت مسألةً واحدةً ، فإذا وُجِدَ قولان : وجوب تقليد الأعلم وجواز تقليد غير الأعلم - فالاحتياط يكون في جانب وجوب تقليد الأعلم ، والشّغل اليقينيّ

يستدعي الفراغ اليقينيّ ، ويقينًا ستفرغ ذمّتك .

وفي مثال الصّلاتين إذا أتيت بصلاة العصر فقط فمن الممكن أنّ صلاة المغرب هي الّتي فاتتك ، وإذا صلّيت صلاة المغرب فمن الممكن أنّ صلاة العصر فاتتك ، ففي هذه الحالة تأتي بالصّلاتين قضاءً ؛ لكي تكون متيقِّنًا من إفراغ ذمّتك .

سؤال : لماذا يأخذ المكلَّف بتقليد الأعلم ؟

الجواب :

أوّلًا تقليد الأعلم لا يؤدّي إلى خلاف ، وإذا كان هذا المجتهد أعلم فمن الممكن أنّه بعد سنوات يصبح مجتهد آخر هو الأعلم ، والّذي يكون أعلم لا يظلّ إلى آخر حياته هو الأعلم ، نعم إذا ثبتت أعلميّته واستمرّت معه إلى آخر حياته فيجب البقاء على تقليده .

بالإضافة إلى القاعدة الأصوليّة الّتي ذكرناها قبل قليل وهي (الشّغل اليقينيّ يستدعي الفراغ اليقينيّ) توجد قاعدة أصوليّة أخرى تقول بـ (عدم حجّيّة ما يُشَكُّ في حجّيّته) ، فإذا قال الأعلم قولا معيّنًا فقول الأعلم حجّة بشكل قطعيّ ولا يوجد أيّ شكّ في حجّيّته ؛ لأنّه باتّفاق الفقهاء لا يوجد خلاف في أنّ تقليد الأعلم مبرئ للذّمّة ، ولا يوجد أيّ شكّ في إبرائه للذّمّة ، وأمّا قول غير الأعلم فَيُشَكُّ في حجّيّته ؛ لأنّه من المحتمل أنّه يجب تقليد الأعلم وأنّ تقليد غير الأعلم غير مبرئ للذّمّة ، وعند الشّكّ في الحجّيّة يبنى على عدم الحجّيّة ، وعندما تتعارض فتوى غير الأعلم مع فتوى الأعلم تسقط حجّيّة قول

غير الأعلم ويتعيّن الرّجوع إلى الأعلم .

وتلاحظون أنّ النّقاش ليس نقاشًا بسيطًا ، فالفقهاء يستعملون عدّة قواعد أصوليّة في النقاش ، ويستفيدون من القواعد الأصوليّة في التّطبيق على الأحكام الشّرعيّة .

ونحن العوامّ إذا سمعنا مسألةً معيّنةً نقول مباشرةً : نرفض أو نقبل ، ولا نعرف تعب الفقهاء وجهدهم الفكريّ في استنباط الأحكام ، وبعد هذا التّعب والجهد يعطينا الفقهاء خلاصة التّطبيق ونتيجته ، والأمر ليس هيّنًا ، وشغل الفقهاء ليس عملًا سهلًا ، ولا بدّ من أن نعرف ذلك ونقدر الفقهاء .

والفقيه حينما تُعْرَضُ عليه أيّ مسألة لا يقول مباشرةً : يجوز أو لا يجوز ، بل يبحث في الأدلّة ؛ لكي يصل إلى الحكم ، ولا نظنّ بأنّ الأمر سهل ، وبعض الأشخاص يعترضون على الفقهاء ، ولا يدركون أنّ الفقيه قد تعب كثيرًا إلى أن وصل إلى النّتيجة .

والمثال العرفيّ لذلك هو أنّ الشّخص يجلس على مائدة الغداء ويأكل الطّعام خلال ربع ساعة ، ولكنّه لا يعرف أنّ إعداد الطّعام أخذ عدّة ساعات ، وفي شهر رمضان يجلس أمام أصناف مختلفة من الطّعام والشراب ، ولا يعرف أنّ إعداد هذه الأصناف استغرق وقتًا طويلًا منذ الصّباح وإلى المغرب ، وبكلّ بساطة يعترض ويقول إنّ هذا الطّعام ينقصه الملح ، ولا يدرك أنّ الأمّ والزّوجة والخادمة أخذن وقتًا طويلًا في إعداد الطّعام ، يرى نقص الملح ولا يرى كلّ هذه الأصناف

مـن الطّعـام أمامـه ، والاعـتراض أمـره سـهل ، ولا بـدّ مـن تقـدير جهـودهنّ ، والحلّ بسيط وهـو أن يأخـذ قليلًا من الملح ويجعله على طعامـه ، وبـدل ذلـك لا بـدّ مـن أن يشـكرهنّ على تعبهن في إعـداد الطّعـام ، لا فقط النّقد ، فالنّقد عمليّة سهلة جدًّا ، ومـا أكثر نقـدنا للأشياء والأشخاص ، والنّاس ينقدون دائمًا ويعترضون على كلّ شيء بدون أن يبذلوا أيّ جهد .

وهكـذا الفقيـه حينمـا يعطينـا الحكـم يوجـد عنـده شـغل طويـل في البحث قد يمتدّ أحيانًا لأشهر ، وبعد مرور أشهر يعطينا حكم مسألة واحدة ، وفي كتب الفقه الاستدلاليّ ترى البحوث الطّويلة ، مثلًا في مسـألة تقليـد الأعلم كـم مـن الصّـفحات يكتـب الفقيـه ، خمسـين أو مائة صفحة ، وآخر شيء يعطيك النّتيجة : يجب تقليد الأعلم ، أو يجب تقليد الأعلم على الأحوط ، أو يجوز تقليد غير الأعلم .

وكلّ هذه المسائل هي نتيحة لاستدلالات طويلة ؛ لأجل أن يصل الفقيـه إلى النّتيجـة النّهائيّـة ، فعمـل الفقهـاء ليس عمـلًا هيّنًـا ، ونحـن العـوامّ نعـترض مباشـرةً مـن غـير أن نعـرف أنّ الفقهـاء قـد تعبـوا وبحثـوا كثيرًا ؛ لأجل أن يعطونا هذه المسألة ، ولا بدّ من أن نشكر الفقهـاء على بذل جهودهم في بيان الأحكام الشّرعيّة .

وقد يقرأ الشّخص كتابًا كاملًا ، وتوجد جملة لم تعجبه ، فيقول إنّ هذا الكتاب لا فائدة فيه ، هو رأى ١% من الأفكار ، و٩٩% من الأفكار كانت جيّدةً ، فلا بدّ من أن يذكر هذه النّسب ، ويقـول إنّ

هذا الكتاب فيه أفكار كثيرة جيّدة ، وفكرة واحدة لم تعجبني ، وهكذا يكون منصفًا مع الكتاب والكاتب .

وبعض الأشخاص يعترضون على القرآن الكريم ، فيأتي إلى آية واحدة أو عدّة آيات ويستقطع منها جزءًا ، ويقول : انظروا إلى ما يقوله القرآن : "**وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كَافَّةً**" ، "**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**" ، فيقول إنّ الإسلام يدعو إلى القتال والقتل .

نقول إنّ هذه الآيات لا بدّ من أن تقرأ ضمن سياقها ؛ لكي نرى أنّ القرآن حينما يدعو إلى قتال المشركين وقتلهم من هم هؤلاء المشركون ، وتكملة الآيات الكريمة هي :

"**وَقَاتِلُوا الـمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** . . ." (١) .

"**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الـمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الـحَرَامُ بِالشَّهْرِ الـحَرَامِ وَالـحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الـمُتَّقِينَ**" (١) .

---

(١) التّوبة : ٣٦ .

(١) البقرة : ١٩٠-١٩٤ .

هؤلاء المشركون كانوا من المقاتلين ، لا أنّهم مشركون فقط ، والإشكال الّذي يطرح أنّ الإسلام يدعو إلى قتل جميع الكفّار في العالم إشكال غير صحيح ، وهو اعترض على آية واحدة مبتورة ، يجد آية واحدة ويعترض على القرآن والإسلام .

نسأله : لماذا لا تشير إلى الآيات الّتي تدعو إلى أمور حسنة ؟

وقد يكون مشتبهًا في تفسير الآية ، فلا بدّ من أن يرجع إلى جميع آيات القرآن ، ومن يريد أن يقدّم بحثًا عن القرآن فلا بدّ من أن يقدّم بحثًا موضوعيًّا ، فيذكر الأمور الحسنة في القرآن ، منها الدّعوة إلى الرّحمة ، والدعوة إلى العدل ، والجدال بالّتي هي أحسن ، والموعظة الحسنة ، ولكنّهم يركّزون على الجوانب الّتي يظنّون بأنّها سلبيّة ، فيعترضون على القرآن ، وبالتّالي على الإسلام ، فيقول إنّ الإسلام يدعو إلى القتل ، وهو دين القتل والسّيف والحرب ، مع أنّ الأصل في الإسلام هو السّلام .

". . . فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا" (١) .

"وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا . . ." (٢) .

والقاعدة القرآنيّة هي أنّ الأمّة الّتي تسالم الأمّة الإسلاميّة فالأمّة الإسلاميّة تبادلها السّلام ، والقاعدة القرآنيّة الثّانية هي أنّ المسلمين لا

---

(١) النّساء : ٩٠ .

(٢) الأنفال : ٦١ .

يعتدون إلّا إذا كان هناك اعتداء عليهم ، لذلك فإنّ كلمة (غزوات النّبيّ صلّى الله عليه وآله) كلمة خاطئة ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يَغْزُ قطّ ، فهو صلّى الله عليه وآله كان يدافع فقط ، ونجد هناك كتب بعناوين مثل (غزوات النّبيّ) .

ونقرأ في القرآن : **"وَيَوْمَ حُنَيْنٍ"** [1] ، وليست (غزوة حنين) ، فالتّعبير بـ (غزوة) ليس صحيحًا ، وهذا التّعبير يعطي انطباعًا سلبيًّا بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يغزو الآخرين ويعتدي عليهم ، لذلك قالوا بأنّ الإسلام دين السّيف والحرب .

نقول : يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وبعض المصطلحات نستعملها ، ولكن تعطي انطباعات خاطئة ، ولا بدّ من أن نبيّن جوانب الرّحمة في القرآن الكريم .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [2] .

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ" [3] .

النّبيّ صلّى الله عليه وآله بعث رحمةً للعالمين ، وهذا هو الأصل ، والقتال جانب ثانويّ فرعيّ ، ومن اعتدى عليك تعتدي عليه بمقدار ما اعتدى عليك لا أكثر من ذلك ؛ لأنّ الله لا يحبّ المعتدين .

---

(١) التّوبة : ٢٥ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سريّةً دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمّ يقول : سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله ، لا تغلّوا ، ولا تمثّلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا صبيًّا ولا امرأةً ، ولا تقطعوا شجرًا إلّا أن تضطرّوا إليها . . . [1] .

نعم تقاتل من يقاتلك فقط ، ولا تعتدي على غير المقاتلين من الأبرياء ، ولا ترمي القنابل على أهالي المدن ، فهؤلاء لم يشاركوا في القتال ، وفي الحرب العالميّة الأولى والثّانية قُدِّرَ عدد القتلى بالملايين ، ويقولون إنّ الإسلام دين السّيف ، ولو حسبنا عدد القتلى في معارك النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد يكون ألف قتيل أو أكثر بقليل ، وفي الحربين العالميّتين كان المسيحيّون يقاتلون بعضهم البعض ، فيمكننا أن نقول إنّ المسيحيّة دين القتل والحرب والقتال .

نرجع إلى موضوعنا :

وتوجد مجموعة من القواعد الّتي يستعملها الفقهاء ، ويصلون في آخر المطاف إلى وجوب تقليد الأعلم ، وذكرنا بعض القواعد ، منها (الشّغل اليقينيّ يستدعي الفراغ اليقينيّ) ، و(عدم حجّيّة ما يُشَكُّ في حجّيّته) ، فإذا شكّ في أمر معيّن فلا يكون حجّةً ، ويحتاج إلى دليل لإثبات حجّيّته .

وتوجد قاعدة أصوليّة أخرى وهي (عند دوران الأمر بين التّعيين

---

[1] الكافي ج٥ ص٢٧-٢٨ ح١ .

والتّخيير يكون الأصل هو التّعيين) ، وهنا يدور الأمر بين تعيين الأعلم في حجّيّة فتواه وبين التّخيير بين الأعلم وغير الأعلم ، فيكون التّعيين هو المتعيِّن وهو تقليد الأعلم ؛ لأنّ حجّيّته يقينيّة قطعيّة .

إذن :

أخذنا دليل الإجماع ، ودليل الجمع بين أقوال الفقهاء .

وفي المحاضرة القادمة سيكون الكلام عن العدول من مرجع إلى مرجع آخر ، وعن وصيّة المرجع إلى فقيه آخر من بعده ، وهل يمكن أن يوصي أو لا يوصي ، وسأبيّن لكم أنواع الوكالات والإجازات الّتي يعطيها مرجع التّقليد ؛ لكي يكون عندكم اطّلاع على أنواعها .

ونحاول أن ننتهي من موضوع (التّقليد والأعلميّة والمرجعيّة الرّشيدة) في الأسبوع القادم .

وبعد الانتهاء منه نأخذ بعض المحاضرات في الفقه الأخلاقيّ إلى أن أنتهي من تحضير موضوع (عالميّة الإسلام) ، وهذا الموضوع واسع ، ويحتاج في كلّ نقطة أن نجيب على الإشكالات الواردة على القرآن والإسلام ، وسنطرح عدّة نقاط ، ومن النّقاط أنّ الدّين قديم ، وتوجد الآن مشاكل جديدة ، فكيف يمكن للقرآن القديم أن يحلّ المشاكل الجديدة ؟

فينفتح باب على الثّابت والمتغيّر في الإسلام .

هل توجد في الإسلام أحكام ثابتة وأحكام متغيّرة أو لا ؟

وتنفتح بحوث جديدة ، وتوجد إشكالات كثيرة نحاول الرّدّ عليها .

ونحتاج إلى بحث حول موضوع (حاجة الإنسان إلى الدّين) ، فهل يحتاج الإنسان إلى دين أو لا ؟

وبعد إثبات حاجة الإنسان إلى دين يأتي السّؤال التّالي : ما هو الدّين الّذي يحتاجه الإنسان ؟

وما هي مواصفات الدّين ؛ لكي نأتي بعد ذلك ونثبت أنّ الإسلام هو الدّين المطلوب ؟

لماذا يكون الإسلام هو الدّين المطلوب ولا تكون الأديان الأخرى كاليهوديّة أو المسيحيّة أو البوذيّة ؟

هل القرآن طرح (عالميّة الإسلام) أو لا ؟

سنأتي بالآيات الّتي تثبت أنّ الإسلام دين عالميّ .

وتكون الانطلاقة من القرآن الكريم ، وهذا يحتاج إلى بحث وجهد ، فنستقرئ آيات القرآن من أوّله إلى آخره ؛ لكي نستخرج الآيات الّتي تنفعنا في موضوع (عالميّة الإسلام) .

ويمكن مشاركتنا باقتراحاتكم ، وتعطونا عناوين معيّنة حتّى ندخلها ضمن البحث ، وإذا توجد إشكالات وأسئلة عندكم فأرجو تزويدنا بها .

اليوم كنت أسمع محاضرة لأحد الأشخاص ، يقول فيها بأنّ كلّ شخص يقول بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان فهو إرهابيّ .

هذا القول لا بدّ من أن نردّ عليه ، فهل من يقول هذا القول إرهابي يريد أن ينشر الإرهاب أو أنّه يدعو إلى السّلام العالميّ ؟

ومقياس هؤلاء الأشخاص هو الإرهابيّون ، وينظرون إلى أنّ هؤلاء الإرهابيّين يمثلون الإسلام .

لا بدّ من أن نبيّن : لماذا نشأت ظاهرة الإرهاب ؟

الإرهابيّون يستدلّون دائما بالآيات والرّوايات ، فلا بدّ من أن نرجع إلى آيات القتل والقتال ، فهل هذه الآيات تؤسّس للإرهاب ؟

وسيأتي البحث عن القتال ، ونأتي بالآيات ونؤسّس القواعد القرآنيّة للقتال ، وبعد ذلك نذهب إلى الرّوايات ، والرّوايات الّتي تتّفق مع القرآن نأخذ بها ، والرّوايات الّتي تعارض القرآن نردّها .

وتوجد في التّاريخ قصص عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، منها أنّه قتل من بني قريظة خمسمائة أو سبعمائة شخص أو أكثر ، لا أنّه قتل المقاتلين فقط ، بل قتل أيضًا كلّ رجل من بني قريظة ، وحتّى الشّابّ المراهق الّذي ظهرت عليه علامات البلوغ كان يُقْتَلُ مع أنّه لم يشارك في الحرب ، وسنأتي بالقصص الّتي تتعارض مع رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذه القصّة مرفوضة ، والقصّة مذكورة في كتب التّاريخ والرّوايات .

والموروث الرّوائيّ في جميع المذاهب والمدارس يحتاج إلى غربلة ، نأخذ منه ما يتّفق مع القرآن ، وما يتعارض مع القرآن يُرْفَضُ ، وجميع الرّوايات لا بدّ من أن تُعْرَضَ على القرآن ، وكذلك القصص الّتي تُرْوَى عن الأئمّة عليهم السلام ، مثلًا كرامات الأئمّة عليهم السّلام ومعاجزهم قد تصل إلى المئات أو الآلاف ، والبعض منها من

المرسلات بدون أيّ سند ، والبعض يأتي بالقصص الّتي لم تثبت صحّتها ، فجميع القصص المذكورة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام لا بدّ من أن يبحث فيها ؛ لكي نطرح الإسلام بطريقة بحيث يقبل عالميًّا على أساس صحّة الإسلام ، ولا نحتاج إلى الخرافات ولا إلى الزّيادات ، ولا نريد أن نرفع مكانة الأئمّة عليهم السّلام بروايات موضوعة أو كاذبة ، فلا نحتاج إلى مثل هذه الرّوايات ، فما ثبت عن الأئمّة عليهم السّلام هذا المقدار كافٍ في إثبات صحّة الإمامة ومقامات الأئمّة عليهم السّلام ، ولا نحتاج إلى أكثر ممّا ثبت عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ، ويوجد وضّاعون في جميع المذاهب والمدارس حتّى عند الشّيعة ، وضعوا كثيرًا من الرّوايات على ألسنة الأئمّة عليهم السّلام ، ودخلت في كتبنا ، وكلّها تحتاج إلى غربلة ، وهذا هو عمل العلماء ، وهو عمل كبير جدًّا .

ونحاول في المحاضرات أن نذكر بعض الأمور ؛ لكي نثبت عالميّة الإسلام ، طبعًا هذه مفردة في المشروع ، وقد نخطئ في مفردة معيّنة ، ولكن هذا لا يعني فشل المشروع الأصليّ وهو مشروع (عالمية الإسلام) ، وستأتي الأدلّة على إثبات عالميّة الإسلام إن شاء الله .

مثلًا الإشكال المطروح مسألة الرّجم ، ويقال إنّ الرّجم يعبّر عن وحشيّة ، فنأتي إلى القرآن ونرى بأنّه لم يذكر حدّ الرّجم ، وكذلك قتل المرتدّ لم يذكره القرآن الكريم .

ونأتي إلى القرآن ونبحث في الآيات ؛ لنرى ماذا تقول عن المرتدّ ، ونؤسّس القواعد القرآنيّة ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، وفي جميع مذاهب المسلمين يوجد قتل المرتدّ ، وتجد في الرّسالة العمليّة عنوان قتل المرتدّ ، ويقسّمون المرتدّ إلى مرتدّ فطريّ ومرتدّ ملّيّ ، والمرتدّ الفطريّ يُقْتَلُ مباشرة ، والمرتدّ الملّيّ يستتاب ، فإذا لم يَتُبْ يقتل ، وهذه المسائل موجودة عند السّنّة والشّيعة .

وبعض المسائل الّتي تُطْرَحُ تمنع من تقبّل النّاس للإسلام ، وجميع المسائل قابلة للنّقاش ، فهل قتل المرتدّ ثابت في الدّين أو لا ؟ ومن هو المرتدّ ؟ وهل الرّجم موجود في الدّين أو لا ؟

إنّ العقوبات الإسلاميّة الّتي طُرِحَتْ هل كانت تتناسب مع ذاك الزّمان بحيث إنّ وسائل تنفيذ العقوبات تختلف مع حفظ العقوبات ؟

نعم العقوبة موجودة ، ولكن قد تختلف الوسائل ، وهذا سيجرّنا إلى موضوع دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، فهل نأخذ نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام أو نأخذ نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ؟

والإسلام يتحرّك مع الزمان ، ولا يقف عند حدّ معيّن .

هذه النّقاشات وغيرها ستأتي مع تفصيلاتها في موضوع (عالميّة الإسلام) ، وسنرى أيّ النّظريّتين تتناسب مع روح الإسلام .

إذا لم نأخذ بنظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فمعنى ذلك أنّ الأحكام الّتي كانت موجودةً في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله

أحكام ثابتة إلى يوم القيامة ، وستأتي مسائل قتل المرتدّ والرّجم وقطع يد السّارق ومسائل أخرى .

وإذا طبّقنا نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فهل هذه الأحكام قابلة للتّغيير أو غير قابلة ؟ وهل الهدف هو إصلاح المجرم أو عقاب المجرم ؟ فهل الدّين يسعى إلى الإصلاح أو إلى العقاب وإقامة الحدود ؟

هذه تساؤلات لا بدّ من أن نناقشها ونبحث عن إجاباتها .

والآن أنا لا أعطي أيّ إجابات ، وإنّما أشير إلى النّقاط الّتي يمكن أن نبحثها في مشروع (عالميّة الإسلام) .

وهذه الأسئلة والإشكالات على الإسلام ليست جديدةً ، وإنّما هي مطروحة في مواقع الإنترنت ، وسنحاول أن نجيب على جميع الأسئلة والإشكالات ، وهناك قنوات مسيحيّة متخصّصة بطرح الإشكالات على الإسلام ، فيأتون بآيات قرآنيّة ويناقشونها ، والملحدون يقومون بطرح الإشكالات على الإسلام ، وحتّى المسلم عنده أسئلة تحتاج إلى أجوبة .

والملحد حينما يُشْكِلُ على الإسلام لا بدّ من أن نجيب عليه ، لا يكفي أن نقول عنه إنّه كافر أو مرتدّ ويجب قتله ، ونظنّ بأنّ المشكلة تنتهي ؛ لأنّ الأسئلة عند الآخرين لا تنتهي ، وجميع الأسئلة تحتاج إلى أجوبة ، وبعض الأسئلة والإشكالات تكون نتيجة شبهات ، وليس جميع الأشخاص معاندين أو مغرضين .

وبعضهم رأوا ممارسات الإرهابيّين فأصبحوا ملحدين ، ويظنّون بأنّ هؤلاء الإرهابيّين يمثّلون الإسلام ؛ لأنّهم يستشهدون بآيات وروايات وقصص مرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فيأتون بهذه الأدلّة ، ويحصل انطباع عند النّاس بأنّ القرآن والرّوايات تدعو إلى القتل ، ولو لم تكن مسلمًا في الشّرق أو الغرب ورأيت هؤلاء الإرهابيّين فإنّك لا تدخل الإسلام ، ويقال لهم المرتدّ يُقْتَلُ فلا يقبلون الإسلام ، انظر إلى الإسلام من الخارج .

والآن أنت مسلم وَوُلِدْتَ في بيئة مسلمة فصرت مسلمًا ، ولو كنت مولودًا في بيئة بوذيّة لصرت بوذيًّا ، وأكثر النّاس هكذا ، ومن ينتقل من دين إلى دين آخر ومن مذهب إلى مذهب آخر هم قلّة ، وقد يصل عددهم إلى المئات أو الآلاف ، وهذا العدد قليل بالنّسبة لعدد سكّان العالم الّذي يبلغ سبعة مليارات إنسان تقريبًا .

يعيش ضمن بيئة معيّنة فيتشرب بأفكارها منذ الصّغر ، والطّفل الشّيعيّ حينما يسمع القصائد عن الإمام الحسين عليه السّلام يلطم ، هو لا يعرف معنى اللّطم ، وفي اليوتيوب يضعونه ويقولون انظروا إلى الطّفل الشّيعيّ وهو يلطم ، هو يقلّد لا أنّه مقتنع بالإمام الحسين عليه السّلام ، طفل لا يفهم شيئًا عمره سنتان أو ثلاثة ، هو عاش في بيئة لها ممارسات معيّنة فيقوم بهذه الممارسات ، ويرث هذه الشّعائر ، ويرث العبادات ، ونسأل : كم من النّاس يفكّرون ؟!

أكثر النّاس لا يُعْمِلُونَ عقولهم ؛ لكي يصلوا إلى الدّين الحقّ وإلى

المذهب الحقّ ، فقلّة من النّاس يبحثون ، وبعد البحث ينتقلون من دين إلى دين أو من مذهب إلى مذهب ، ولكنّ أكثر النّاس يسيرون على أساس ما يرثون لا على أساس البحث والتّفكّر ، وهذا هو واقع النّاس ، ومن الصّعب الانتقال من دين إلى دين أو من مذهب إلى مذهب ، وبعض المسلمين ينتقلون إلى المسيحيّة أو إلى الإلحاد ، وبالعكس نرى مسيحيًّا يصير مسلمًا ، وإذا أردت أن تقيّم شخصًا انتقل من الإسلام إلى المسيحيّة أو من المسيحيّة إلى الإسلام فلا بدّ من أن تعرف لماذا انتقل ؟ ما هي الأسباب الّتي دعته إلى الانتقال ؟ فتنظر إلى أدلّته وتقيّمها .

مثلًا شخص اقتنع بالأدلّة الّتي ذكرها من انتقل من الإسلام إلى المسيحيّة ، فينتقل إلى المسيحيّة أيضًا ، ونظرنا يكون دائمًا إلى الأدلّة ، ولا يكفي أن نقول إنّ هذا كافر يجب قتله ، وإنّ هذا مرتدّ يجب قتله ، لا بد من أن نسأله عن أدلّته ، وهل كان انتقاله نتيجة شبهات أو أنّه معاند أو عنده أدلّة ؟

لا بدّ من أن يُناقَشَ ويستمع إلى كلماته وأدلّته .

ونحن الآن في عالم عبارة عن قرية صغيرة ، والأفكار تنتقل عبر الأثير من مكان إلى آخر ، ولا يمكن أن تقف أمام انتقال الأفكار ، والكتب تُمْنَعُ في معارض الكتاب ، ومنع الكتاب الآن ليس له معنى ، فجميع الكتب موجودة على الإنترنت ، وإذا كنت مسلمًا قويًّا فلا بدّ من أن تكون حجّتك قويّة .

وبالنّسبة للشّيعيّ نسأله : هل يمكنك أن تثبت عقائدك كالإمامة ؟

وبالنّسبّة للسّنيّ نسأله : هل يمكن أن تثبت عقائدك ؟

إذا قالا : لا يمكننا - فهما ضعفاء .

ولو سألنا : ما هي أدلّة إثبات الإمامة ؟

كم من الشّيعة يمكنهم أن يجيبوا على هذا السّؤال ؟

أعتقد أنّ قليلًا منهم يمكنهم ذلك .

وعادةً لا يقوم النّاس ببحوث في أدلّة عقائدهم ، وأكثر الناس يرثون عقائدهم ، فهو اعتقد بالإمامة على أساس الوراثة لا على أساس البحث والتّفكير والاقتناع .

والبحث عن الإمامة لا بدّ من أن يكون أوّلًا في القرآن ، وتأتي بآية إبراهيم عليه السّلام وأنّه إمام ، وهذا المقدار لا يثبت إمامة الأئمّة عليهم السّلام ، هذا يثبت إمامة إبراهيم عليه السّلام .

فكيف يمكن أن تثبت إمامة أهل البيت من القرآن ؟

وتقول آية التّطهير ، ويردّون عليك بأنّ آية التّطهير ضمن سياق نساء النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فكيف يمكنك أن تثبت أنّ الآية تتكلم عن أهل البيت عليهم السلام أصحاب الكساء قبل أن تستشهد بالرّوايات ؟

وهذا يحتاج إلى بحث ، والأمر ليس بديهيًّا ، فليس بمجرّد أن تقول إمامة أهل البيت عليهم السّلام فالطّرف الآخر يقبل ، وهم يأتون ببعض الإشكالات ، ولا بدّ من أن تجيب على هذه الإشكالات ،

فأوّلًا لا بدّ من أن تكون قويًّا وأدلّتك قويّةً ، وثانيا يمكنك الإجابة على جميع الإشكالات .

وفي زماننا الفضاء مفتوح ، وجميع الأفكار تنتشر ، ولا يمكن أن تقول للشّيعيّ لا تسمع للطّرف الآخر ، ولا يمكن أن يقال للطّرف الآخر لا تسمع الشّيعيّ ، والآن يمكنك سماع اليهود والمسيحيّين والملحدين وجميع الأديان ، فإذا لم تكن قويًّا فلا يمكنك أن تقف أمام القضايا الفكريّة الّتي تنتشر في العالم .

هل أنت مقتنع بمدرسة أهل البيت عليهم السّلام ؟

لماذا اخترت هذه المدرسة ولم تختر إحدى المذاهب والمدارس الأخرى ؟

وما هي أدلّتك القويّة على اعتقاداتك وممارساتك ؟

وحينما نقول سنّيّ وشيعيّ فكلاهما مسلمان .

هل تتبنّى تعدّد قراءات النّصوص الدّينيّة أو لا ؟

أنت تفهم شيئًا من النّصّ والطّرف الآخر يفهم شيئًا آخر من نفس النّصّ ، ليس عنادًا ، فذاك فهمك وهذا فهمه .

وعلماء المدرسة الواحدة والمذهب الواحد يختلفون في فهم النّصّ الواحد ، لذلك تختلف الأحكام ضمن المدرسة الواحدة والمذهب الواحد ، فتعدّد القراءات للنّصّ الواحد موجود بلا شكّ حتّى في المدرسة الواحدة .

هل توجد في الإسلام حرّيّة الاعتقاد أو لا ؟

هل توجد في الإسلام حرّيّة الفكر أو لا ؟

والمطروح الآن أنّ الإنسان ليس حرًّا في اعتقاده ، يجب أن يكون مسلمًا فقط ، حتّى عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام المطروح هو نفس الأمر ، فنأتي إلى القرآن ونسأل : هل القرآن الكريم يتبنّى حرّيّة الاعتقاد أو لا ؟ وما هي الآيات الّتي تدلّ على حرّيّة الاعتقاد أو على عدم حرّيّة الاعتقاد ؟

وهل ممارسات النّبيّ صلّى الله عليه وآله تدلّ على أنّه ترك الآخرين يعتقدون بما يريدون أو أجبرهم على اعتناق الإسلام ؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة يمكنك أن تثبت أنّ الإنسان حرّ في اعتقاده أو أنّه يجب أن يكون مسلمًا .

وإذا قلنا بأنّه يجب على كلّ إنسان أن يعتنق الإسلام فيأتي السّؤال التّالي : يصير مسلمًا بناءً على أيّ مذهب ؟

ويقال بأنّ المسلمين يريدون إقامة دولة إسلاميّة ، فنسأل : بناءً على أيّ مذهب ؟

وإقامة الدّولة الإسلاميّة عبارة عن شعار عند جميع المسلمين ، فإذا أردت أن تطبّق الإسلام فبناءً على أيّ مذهب ؟

ولا بدّ من أن نأتي إلى القرآن لنرى ما هي أسس الدّولة الإسلاميّة ؟

وهل القرآن بيّن هذه الأسس أو لم يبيّن ؟

فمن القرآن الكريم نبيّن القواعد الّتي على أساسها يمكن أن ينشئ المسلمون الدّولة الإسلاميّة ، وهذه الدّولة لا بدّ من أن تكون مثالًا ؛

لكي يتقبّل العالم الإسلام ، والمشكلة أنّ الإسلام لحدّ الآن لا يوجد عنده مثال كدولة ، وأن تكون مثالًا في جميع النّواحي ، وهناك جوانب سلبيّة لا بدّ من أن تكون معدومة في أيّ دولة عادلة ، مثلًا انتشار الفقر في الدّولة مشكلة .

هل الإسلام طرح حلًّا لمشكلة الفقر أو لم يطرح ؟

إذا وجدت دولة إسلاميّة فالمفروض أن لا يوجد أيّ فقير في هذه الدّولة ، والحاكم هو المسئول عن الفقراء ، لا أنّ الحاكم يأكل وينام في قصره والفقراء لا يحصلون على طعام ولا يوجد عندهم بيت يأويهم ، هذه هي الدّولة الإسلاميّة ، والدّولة الإسلاميّة فيها تعدّد أديان وتعدّد فرق ومذاهب .

هل لا بدّ من أن يكون جميع النّاس على رأيه وإلّا يُقْتَلُونَ ؟

بهذه النّظرة لا أحد يدخل إلى الإسلام ولا يقبل الدّين .

وكم من المواضيع تتفرّع إذا أردنا أن نثبت عالميّة الإسلام ، وهذه كلّها تحتاج إلى بحوث ، والجانب الفكريّ لا بدّ من أن يكون موجودًا عند كلّ مسلم .

أنت كمسلم لماذا تعتقد بالله ؟ ولماذا تعتقد بأنّه يوجد خالق واحد لهذا الكون ؟

وما هو الدّليل على النّبوّة ؟

وما هو الدّليل على الإمامة ؟

وما هو الدّليل على المعاد ؟

لا بدّ من أن تعرف الأجوبة على جميع الأسئلة .

وبالنّسبة لأساس العدل هل العدل مطلوب ؟

وهل العدالة الاجتماعيّة مطلوبة ؟

وتتفرّع مواضيع عالميّة الإسلام ، ومن كلّ باب ينفتح لك ألف باب ، فمواضيع عالميّة الإسلام مثل الشّجرة ، عالميّة الإسلام عنوان ، وتحته ألف عنوان ، تريد أن تثبت أنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ من أن يوجد قوانين للاقتصاد الإسلاميّ بحيث يتقبّل جميع النّاس هذه القوانين .

والآن الرّأسماليّة هي المسيطرة على العالم .

ما هي أسس الرّأسماليّة ؟ وكيف يمكن الرّد على هذه الأسس ؟ وكم من المحاضرات نحتاج للرّدّ على الرّأسماليّة ؟

والنّظريّة الرّأسماليّة قائمة ومقبولة في العالم ، فكيف يمكن أن تردّ عليها ؟

وكيف تردّ على النّظريّة الاشتراكيّة ؟

هل توجد في الإسلام نظريّة اجتماعيّة ؟ وما هي هذه النّظريّة ؟

هل يمكن أن نستخرج النّظريّة الاقتصاديّة والنّظريّة السّياسيّة والنّظريّة الاجتماعيّة من القرآن ؟

والإسلام دين يعطي الأحكام في جميع المجالات الحياتيّة الفرديّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة ، ويكون متحرّكًا مع تطوّر الإنسان ، ويعطي الأحكام ضمن الظّروف في كلّ زمان ومكان ،

وأحكام الدّين ليست جامدةً ، ففيه أحكام ثابتة وأحكام أخرى متغيّرة تواكب كلّ عصر وزمان وجميع ظروف البشر ، ويعيش الإنسان في الدّنيا مع القيم العليا من الحقّ والعدل والمعاملة الحسنة بين البشر وعدم التّمييز على أساس الجنس والطّائفة والمذهب والقبيلة والعشيرة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" (١) .

كلّ إنسان له الحقّ في أن يعيش بكرامة وعزّة ولا يعتدي عليه أحد على أساس دينه أو مذهبه أو قوميّته .

وتحتاج إلى جميع هذه البحوث لإثبات أنّ الإسلام دين عالميّ ، وكلّ نقطة يمكن أن يطرح فيها سؤال ، ولا بدّ من أن يكون عندك الجواب ؛ لكي تثبت عالميّة الإسلام وأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، فإمّا أن تثبت عالميّة الإسلام بالأدلّة وإمّا أن لا تدّعي هذا الادعاء .

وشعار المسلمين اليوم هو أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، ولكن هذا يحتاج إلى إثبات ، والآن البلدان الّتي يعيش فيها المسلمون من أكثر بلدان العالم تخلّفًا ، وكما يقال إنّهم خارج التّاريخ ، وعندهم تخلّف في جميع المجالات ، ونسبة الأمّيّة في دول المسلمين نسبة عالية جدًّا ، لا يعرفون القراءة والكتابة ، وإنسان بدون قراءة وكتابة كيف يمكنه أن يتعلّم ، والآن المسلمون ليس لهم قيمة ، وهذا هو واقع

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

المسلمين ، ولا أحد في العالم يأخذ آراءهم في أيّ أمر من الأمور ، هم يقرّرون ثمّ يفرضون على المسلمين ما يريدون .

هل يمكن لهذه الأمّة أن تنهض ؟

كيف يمكن لهذه الأمّة أن تنهض ؟

ما هي أسباب سقوط الأمم ؟

وما هي عوامل نهوض الأمم ؟

هذا كلّه يحتاج إلى بحوث .

وإن شاء الله تعالى نبحث في جميع هذه المواضيع في مشروع (عالميّة الإسلام) .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة
والمرجعيّة الرّشيدة
(٣٣)
العدول من المرجع – وصيّته – إجازاته ووكالاته [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّقليد والأعلميّة ، وذكرنا سابقًا عدّة نقاط ، ونأتي الآن إلى النّقطة التّالية :

النّقطة الثّانية عشرة : العدول من مرجع إلى آخر :

نأتي إلى السّؤال التّالي :

هل يجوز أن يعدل المكلَّف من مرجع إلى مرجع آخر أو لا يجوز ؟

الجواب :

يجوز بل يجب أن يعدل بشرط أن يكون الثّاني أعلم من الأوّل ، ووصلنا إلى أنّ المدار في التّقليد هو الأعلميّة ، لذلك إذا كان شخص

---

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ ، ٢٠١٧/٢/١٧ م .

مقلِّدًا للأعلم ثمّ صار غيره أعلم فإنّه يجب أن يعدل إلى الثّاني لأنّه أعلم ، ولا يحتاج إلى إذن من المرجع الأوّل للعدول إلى المرجع الثّاني ، بل يكون تكليفه العدول إلى الأعلم ، فإذا ثبتت عنده أعلميّة الثّاني فيجب الانتقال إليه بدون إذن من أحد ، فالعدول إلى مرجع آخر ليس مشروطًا بموافقة المرجع الأوّل .

وتوجد مسألة على فتوى بعض الفقهاء تقول بأنّه إذا كان الميّت أعلم من الحيّ فإنّه يبقى على تقليده ويرجع في المسائل المستحدثة إلى الأعلم الحيّ .

ويمكن أن يقال بأنّه تشترط في التّقليد الحياة أيضًا لا الأعلميّة فقط ، فبعد وفاة مرجعه يرجع إلى الفقيه الأعلم الحيّ ، ولا يبقى على تقليد مرجعه الميّت حتّى لو كان الميّت أعلم ، والدّليل على ذلك أنّه يشترط في مرجع التّقليد أن يكون متابعًا لأحداث عصره وعارفًا بالظّروف الزّمانيّة والمكانيّة الّتي تؤثّر في استنباط الأحكام الشّرعيّة ، والظّروف الزّمانيّة والمكانيّة متغيّرة وداخلة في موضوعات الأحكام ، وإذا تغيّر موضوع الحكم فإنّ الحكم يتغيّر ، والمتابعة والمعرفة لا تتوفّران في المرجع الميّت حتّى لو كان أعلم ، فبعد موت المرجع يرجع إلى الأعلم الحيّ ، وطبعًا تحديد الأعلم يكون بشهادة أهل الخبرة من العلماء ، فتشترط الحياة في مرجع التّقليد حتّى لو كان الميّت أعلم ، فيرجع المكلّفون إلى الحيّ الأعلم دائمًا ؛ لأنّه مواكب للظّروف الزّمانيّة والمكانيّة المؤثّرة في الأحكام الشّرعيّة .

والبعض يسأل بأنّه هل ننظر إلى الأعلميّة فقط بدون النّظر إلى الصّفات الأخرى ؟ فهل يُنْظَرُ إلى التّقوى والعدالة أو لا يُنْظَرُ ؟

نقول نعم يُنْظَرُ إليها ، وهي صفات مفروغ عنها ، ويفترض أن يكون المرجع إنسانًا متّقيًا عادلًا ، فلا يمكن أن يكون ممّن يرتكب المحرّمات ، وإذا ارتكب المحرّمات فتسقط عدالته ، والصّفات الأخرى مفروغ عنها ، فالتّقليد يدور مدار الأعلميّة مع توفّر الصّفات الأخرى في مرجع التّقليد .

النّقطة الثّالثة عشر : وصيّة المرجع إلى شخص آخر من بعده :

هل يصحّ أن يوصي المرجع لشخص آخر بأن يأخذ مكانه ويكون مرجعًا من بعده ؟

لا يوجد دليل شرعيّ على ذلك ، والمرجعيّة ليست ملكًا لأحد حتّى تكون قابلةً للنّقل ، والوصيّة تكون في شيء يملكه الموصِي ، كالمال المملوك للمُوصِي ، وأمّا المرجعيّة فليست ملكًا ؛ لكي يوصي الشّخص بانتقالها إلى شخص آخر ، والوصيّة تكون فيما يملك ، وما لا يكون ملكًا فالوصيّة فيه باطلة .

مثلًا هل يمكن أن يوصي الطّبيب إلى ابنه بالطّبابة وأن يرجع النّاس إليه ليعالجهم إذا لم يكن الابن قد درس الطّبّ ؟

بعد أن يموت الأب يوصي إلى ابنه بأن يكون طبيبًا من بعده ، وهذا لا يُقْبَلُ ؛ لأنّ الطّبابة ليست ملكًا للأب ، نعم الأب درس وبذل جهده وصار طبيبًا ، والابن لم يدرس فلا يصبح طبيبًا .

وأمر المرجعيّة ليس أهون من أمر الطّبّ ، وعلاج الرّوح ليس أهون من علاج البدن ، وأمر الآخرة ليس أهون من أمر الدّنيا .

والإنسان يوصي فيما يملك ، وتنفذ وصيّته في ثلث ما يملك ، فإذا أوصى بأن يجعل ماله في أمر معيّن ، فالشّرع يقول بأنّ وصيّته تكون نافذة في ثلث ماله فقط ، والثّلثان يكونان للورثة .

وبالقياس إلى ذلك فهل نقول بأنّ وصيّة المرجع السّابق تنفذ في ثلث المرجعيّة ؟!

لذلك لا يحقّ للمرجع السّابق أن يوصي إلى شخص بأن يكون مرجعًا من بعده .

ومن يريد أن يكون مرجعًا ويدخل في دائرة المرجعيّة فعليه أن يحقّق مواصفات المرجع فيه ليستطيع الدّخول في هذه الدّائرة ، فإذا توفّرت فيه صفات المرجعيّة واختاره أهل الخبرة من العلماء فيكون مؤهَّلًا للمرجعيّة ، والمرجعيّة ليست ملكًا قابلًا للنّقل من شخص إلى شخص آخر .

تشخيص الفقيه الأعلم من قِبَلِ الفقيه الأعلم السّابق :

يقول الشيخ محمد إبراهيم جنّاتي :

كان تشخيص الأعلم في المراحل السّابقة يتمّ بواسطة كبار الفقهاء ، بل إنّ التّاريخ يذكر لنا أنّ المجتهد الأعلم والمرجع في كلّ زمن يقوم بتحديد الأعلم من بعده لمعرفته به أكثر من غيره ، ثمّ يعرّف النّاس به ، فمن الأشخاص الذين حدّدوا المراجع من بعدهم نذكر :

١- الوحيد البهبهانيّ (ت ١٢٠٥ هـ) أرجع النّاس إلى الشّيخ جعفر كاشف الغطاء من بعده .

٢- الشّيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ) صاحب كتاب كشف الغطاء قال بأعلميّة الشّيخ موسى كاشف الغطاء (ت ١٢٤١ هـ) من بعده .

٣- الميرزا أبو القاسم القميّ (ت ١٢٢٧ هـ) صاحب كتاب قوانين الأصول قال بأعلميّة الشّيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٢٥٤ هـ) من بعده .

٤- الشّيخ محمّد حسن النّجفيّ صاحب كتاب جواهر الكلام (ت ١٢٢٦ هـ) قال بأعلميّة الشّيخ مرتضى الأنصاريّ من بعده .

٥- الشّيخ مرتضى الأنصاريّ (ت ١٢٨١ هـ) قال بأعلميّة الميرزا المجدّد محمّد حسن الشّيرازيّ (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ) من بعده .

٦- الميرزا المجدّد محمّد حسن الشّيرازيّ عيّن من بعده الشّيخ عبدالكريم الحائريّ مؤسّس الحوزة العلميّة في قم الأعلم في إيران ، والسّيّد أبو الحسن الأصفهانيّ الأعلم في العراق .

٧- السّيّد محمّد كاظم اليزديّ (ت ١٣٣٧ هـ) صاحب كتاب (العروة الوثقى) عيّن الشّيخ أحمد كاشف الغطاء مرجعًا من بعده .

٨- السّيّد أبو الحسن الأصفهانيّ كان يرجع النّاس إلى السّيّد حسين البروجردي في المسائل الاحتياطيّة ، وهذا اعتراف منه بأعلميّة السّيّد البروجرديّ .

٩- السّيّد حسين البروجرديّ عيّن السّيّد جمال الموسويّ الكلبايكانيّ من بعده .

١٠- الشّيخ موسى الخوانساريّ والشّيخ محمّد تقي الآمليّ قالا بأعلميّة السّيّد محمود الشّاهروديّ ، وكذلك أستاذه آية الله النّائينيّ كان ينزله منزلةً خاصّةً مع أنّه لم يصرّح بأعلميّته ، وصار السّيّد محمود الشّاهروديّ مرجعًا بعد وفاة السّيّد أبو الحسن الأصفهانيّ في عام ١٣٦٥ هـ .

١١- الشّيخ محمّد طاهر آل راضي رشّح السّيّد محسن الحكيم (١٣٠٦ - ١٣٩٠ هـ) للمرجعيّة ، ولم يَرَ الميرزا محمّد باقر الزّنجانيّ والشّيخ حسين الحلّيّ مانعًا من تقليده بعد وفاة السّيّد أبو الحسن الأصفهاني في عام ١٣٦٥ هـ ، ولم يَرَ الآخوند الملّا عليّ الهمدانيّ مانعًا من تقليده بعد وفاة السّيّد البروجرديّ في عام ١٣٨٠ هـ .

١٢- السّيّد محمّد تقي بحر العلوم والسّيّد محمّد سعيد العامليّ والشّيخ عبّاس الرّميثيّ اختاروا السّيّد عبدالهادي الحسينيّ الشّيرازيّ مرجعًا بعد وفاة السّيّد أبو الحسن الأصفهانيّ في عام ١٣٦٥ هـ ، ودعا السّيّد عبدالرّؤوف فضل الله إلى تقليده بعد وفاة السّيّد البروجرديّ [١] .

---

[١] من كتاب آراء في المرجعيّة الشّيعيّة - مقالة (المسار التّاريخيّ لأطروحة لزوم تقليد الأعلم) ص٨٧-١١٠ .

تعليقات :

مجموعة من الفقهاء رشّحوا الأعلم التّالي ، والبعض يقول انظروا إلى المراجع ونرى أنّهم يوصون ، وكما أنّهم يوصون فنحن نوصي أيضًا ، وللرّدّ على هؤلاء يأتي ما يلي :

١- كان تشخيص الأعلم سابقًا يتمّ بواسطة كبار الفقهاء ، لا كما هو الحال الآن ، فكبار العلماء يختارون الأعلم من بعدهم ، والآن طالب العلم في أوّل مراحل دراسته يقول بأعلميّة أحد الفقهاء بل بأعلميّة شخص من غير الفقهاء ممّن لم يدرس في الحوزة العلميّة ، ويرشد النّاس إلى تقليده ، فيصبح مرجعًا وهو لا يعرف ألف باء الإسلام ، ونرى أنّ بعض مدّعي المرجعيّة يوصون إلى أحد الأشخاص من بعد ، ويكون من مدّعي المرجعيّة أيضًا .

٢- لا بدّ من النّظر إلى الموصِي وإلى الموصَى إليه ، نرى أنّ كليهما من العلماء المعروفين بعلمهم وفضلهم بين العلماء .

٣- الموصَى إليه معروف بأعلميّته قبل أن يُرْجِعَ أعلمُ زمانِهِ النّاس إليه ، والمرجعيّة ليست ملكًا لأحد حتّى تنقل ، ولكن هؤلاء العلماء حينما أوصوا لم يأتوا بشيء جديد ؛ لأنّ الموصَى إليه كان معروفًا قبل إرجاع النّاس إليه .

٤- لو أنّ علماء زمانهم لم يروا أعلميّة من تمّ تعيينهم فإنّهم يبدون آراءهم بأعلميّة فقيه آخر ، ولكنّهم كانوا يعترفون بأعلميّة المعيَّن ؛ لأنّهم يعرفونه منذ أن كان معهم من بداية مسيرته العلميّة ، والعلماء

لا يجاملون في تعيين المرجع الأعلم ، مثلًا الشّيخ مرتضى الأنصاريّ كان معروفًا بأعلميّته قبل أن يصير مرجعًا ، فالمرجع السّابق لم يؤسِّس شيئًا جديدًا ، وإنّما أشار إلى من هو معروف بأعلميّته بين العلماء .

٥- لم يُرْجِعِ العلماء في وصيّتهم إلى أحد أقربائهم ؛ لأنّ المرجعيّة ليست وراثيّة ، فهم كانوا يرون الأفضل الأعلم في زمانهم ، وأمّا في زماننا فالبعض يطرح المرجعيّة الوراثيّة ، فإذا مات عيّن ولده أو أخاه أو ابن عمه أو غيرهم من أقاربه ، ومن استدلالاتهم أنّ الإمامة وراثيّة فتكون المرجعيّة وراثيّة ، واستدلالهم مردود لا وجه شرعيًّا له ، ومن الرّدود أنّ الإمامة ليست وراثيّةً ، فالإمامة تعيينيّة بنصّ من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وحيًا من الله تعالى ، فحينما يعيّن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو يعيّن الإمامُ الإمامَ الّذي يأتي من بعده لا لأنّه ابن أو أخ له ، بل لأنّه مؤهَّل لأن يكون إمامًا ، فالصّفات الموجودة فيه تؤهِّله لهذا المنصب ، والصّفات جاءت من كونه من الأصلاب الشّامخة والأرحام المطهَّرة لا لأنّ الإمامة وراثيّة ، فهو الأفضل في زمانه ، والإمام الحسن عليه السّلام نقل الإمامة إلى أخيه الحسين عليه السّلام مع أنّه كان للإمام الحسن عليه السلام أولاد ، فلم ينقل الإمامة إلى أولاده ، وإذا كانت الإمامة وراثيّةً فالمفروض أن ينقلها إلى أولاده ، فإذا وُجِدَ الولد فهو الوارث ، والأخ لا يرث في حالة وجود الولد ، فالإمامة ليست وراثيّة ، واستدلالهم مردود ؛ لأنّ الإمامة لا تكون بالوراثة بل بالتّعيين والنصّ من النّبيّ صلّى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى .

ونظرنا يكون إلى القواعد العامّة في تحديد المرجع ، فأهل الخبرة يختارون الأعلم ، أو يكون بتعيين من المرجع السّابق ، والمرجع السّابق الموصِي يكون الأعلم ، والموصَى إليه يكون الأعلم ، واختيار المرجع يدور مدار الأعلميّة ، ولو فرضنا أنّ المرجع كان الأعلم ، فليس بالضّرورة أن يكون ولده أو أخوه أو ابن عمه هو الأعلم ، فالمدار مدار الأعلميّة ، فنرجع إلى من يكون الفقيه الأعلم ، نعم إذا الولد بذل جهده وصار الأعلم فيختاره أهل الخبرة ليكون المرجع ، لا لأنّ أباه كان مرجعًا ، بل لأنّه يكون مؤهَّلا للمرجعيّة ، لا على أساس أنّ المرجعيّة وراثيّة .

النّقطة الرّابعة عشر : أنواع إجازات ووكالات المراجع :

١- إجازة الاجتهاد :

المرجع يعطي شهادةً لأحد طلبته بأنّه بلغ درجة الاجتهاد وأنّه قادر على استنباط الأحكام الشّرعية ، وسيأتي نموذج من إجازة الاجتهاد ، والطّلبة الّذين يكتبون تقريرات أساتذتهم يضعون في بداية الكتاب صورة من إجازة الاجتهاد من أساتذتهم ، وهذا تلاحظونه في أوائل كتب الفقه الاستدلاليّ بتقريرات الأستاذ بقلم أحد طلبته .

٢- إجازة الرّواية العامّة :

هي إجازة رواية عامّة بكلّ ما رواه المرجع من روايات ، وسيأتي نموذج لها ، وإجازة الرّواية لا تعني إجازة الاجتهاد ، فيكون مُجَازًا في الرّواية فقط ، ولكنّه لا يكون مجتهدًا ، والبعض عنده إجازة رواية ،

ولكنّه يدّعي الاجتهاد ، ويضع في بداية كتابه إجازة الرّواية ، والنّاس لا يعرفون الفرق بين الإجازات ، فيظنّون بأنّه مجتهد ، ومن يقول عن نفسه إنّه مجتهد لا بدّ من أن تكون عنده شهادة اجتهاد من المراجع المعروفين في الحوزات العلميّة ، ونرى شخصًا يدّعي الاجتهاد والمرجعيّة ويعطي شهادة اجتهاد فشهادته غير معتبرة .

وهذا مثل الأمثلة العرفيّة بجامعة معترَف بها وجامعة أخرى غير معترَف بها ، فإذا كان عنده شهادة من جامعة غير معترف بها فهذه الشّهادة لا قيمة لها ، ولا يحصل على وظيفة بهذه الشّهادة .

وهنا بنفس الطّريقة الشّهادة من مدّعي الاجتهاد والمرجعيّة لا قيمة لها .

وفي القضايا الشّرعيّة يمكن أن نأتي بأمثلة عرفيّة ، مثلًا شخص يأتي بشهاد طبّ من جامعة غير معترَف بها ، فشهادته لا قيمة لها ، ولا يمكنه العمل في المستشفيات .

وهكذا من يأتي بشهادة اجتهاد من مدّعي اجتهاد ومرجعيّة ، فشهادته غير معترَف بها عند العلماء مهما ألّف من كتب .

٣- إجازة رواية خاصّة بكتاب معيَّن .

٤- الوكالة المطلقة .

٥- وكالة استلام الأخماس .

٦- وكالة جزئية بالتّصرّف بأحد السّهمين : سهم الإمام عليه السّلام أو سهم السّادة .

٧- **وكالة بتصرّف معيَّن أو تكليف معيَّن** : كأن يعيّن أحد الإخوة وصيًّا على إخوته الصّغار .

نماذج من الإجازات والوكالات :

النّموذج الأوّل :

بسم الله الرحمن الرّحيم الحمدلله الّذي أتمّ الحجّة على عباده ، وبعث الأنبياء ونصب الأولياء ، والصّلاة على رسوله وصفيّه خاتم الرّسل وأفضل الأصفياء وآله الأمناء المحافظين على الشّريعة البيضاء صلاةً دائمةً من الآن إلى يوم الجزاء .

أمّا بعد فإنّ من منن الله سبحانه على عباده في كلّ الأعصار والأدوار وجود العلماء الأبرار والفقهاء الأخيار الّذين هم أمناء الله على الحلال والحرام والقادة الهداة إلى دار السّلام ، وهم الحجج المنصوبة عن الحجج الإلهيّة في عصر الغيبة الكبرى لوليّ الله المنتظر عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه ، ولولاهم لانطمست آثار الدّين واندرست رسوم الشّرع المتين ، فطوبى لمن سلك المسلك القويم ونهج الصّراط المستقيم طلبًا لهذه الغاية القصوى والمرتبة العليا جامعًا بين العلم والعمل مغتنمًا لذلك أيّام المهل حتّى ينال الغاية المنيعة والمنزلة الرّفيعة .

وممّن وفّقه الله سبحانه لابتغاء هذه الغاية العالم العامل والفاضل الكامل غصن دوحة الشّرف الأصيل واسطة عقد المجد الأثيل عمدة العلماء الأعلام ثقة الإسلام الورع الصّفيّ المسدَّد (هنا يذكر اسمه)

فإنّه دام علاه قد جدّ وكدّ وأتعب نفسه واجتهد في دراسة العلوم والتّدبّر في المنطوق والمفهوم وحضر لَدَيَّ مدّة من الزّمان حضور تعمّق وتحقيق وتدبّر وتعميق في الفقه والأصول حتّى فاز بما كان هو المأمول **وبلغ رتبة الاجتهاد** مقرونة بالورع والسّداد **فله العمل بما يستنبطه من الأدلّة** على النّهج المألوف بين الفقهاء الأجلّة مراعيًا فيه التّثبّت والتّدقيق عند النّظر والتّحقيق ، **وأجزته أن يروي عنّي** ما صحّت لي روايته عن المشائخ المرضيّين رضوان الله عليهم أجمعين بطرقهم المتّصلة إلى مهابط الوحي والتّنزيل ومعادن الحكمة والتّأويل عليهم أفضل صلوات المصلِّين ، وأوصيه بملازمة التّقوى ونهي النّفس عن الهوى وسلوك منهج الاحتياط فإنّه سواء الصّراط ، وأن لا ينساني عن الدّعاء في مظانّ الإجابات كأعقاب الصّلوات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة على سيّد المرسلين وآله الطيّبين المعصومين .

التّاريخ واسم المرجع وختمه .

تعليق :

هذه إجازة اجتهاد وإجازة رواية .

النّموذج الثّاني :

بسم الله إلى إخوتنا المؤمنين . . . السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد أرسلنا ولدنا العلّامة الشّيخ (ويذكر اسمه) سلّمه الله تعالى إليكم **ليقوم بالمهمّات الدّينيّة من الوعظ والإرشاد وبيان**

الحلال والحرام وتعليم الأحكام وغير ذلك ممّا يجب على العلماء القيام به من الدّعوة إلى الله والعمل في سبيله ، كما أنّه **وكيل من قِبَلِنَا في الأمور الحسبيّة كتولّي شؤون الأيتام والأوقاف والأموات الّتي لا وليّ لها وتنفيذ الوصايا الّتي لا وصيّ لها** وغير ذلك من الأمور الّتي لا يجوز التّصرّف فيها إلّا من قِبَلِ الحاكم الشّرعيّ الجامع للشّرائط ، **وهو وكيل عنّا في قبض الحقوق الشّرعيّة** ، ومنها سهم الإمام عليه السّلام ، وإجراء المصالحات عليها طبق رسالتنا العمليّة .

وقد أوصيته بتقوى الله سبحانه في السّرّ والعلانية ، وأن يبذل جهده في ترويج الدّين الحنيف والشّريعة المقدّسة والنّصيحة للمؤمنين حسب الموازين الشّرعيّة مع مراعاة كمال الاحتياط في مواطن الشّبهات ، والله سبحانه الموفّق للصّواب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

التّاريخ واسم المرجع وختمه .

تعليق :

هذه ليست إجازة اجتهاد ولا إجازة رواية ، وإنّما تكليف هذا الشّيخ ببعض الأعمال كالوعظ والإرشاد وتعليم الأحكام ، والوكالة بالأمور الحسبيّة ، والوكالة في قبض الحقوق الشّرعيّة .

ويمكن لهذا الشخص أن يدّعي الاجتهاد ، فَيُرِي النّاس هذه الوكالة ، والنّاس لا يفرّقون بين أنواع الإجازات والوكالات .

النّموذج الثّالث :

بسم الله الرّحمن الرّحيم بعد الحمد والصّلاة فقد استجازني العالم

الفاضل حجّة الإسلام الحاجّ الشّيخ . . . دامت أيّامه **فأجزته أن يروي عنّي جميع ما صحّت لي روايته** بطرقي المنتهية إلى بيوت العصمة ومعادن العلم والحكمة صلوات الله عليهم أجمعين . . . ثمّ إنّي **أجزته في أن يتصدّى من الأمور الحسبيّة** كلّ ما تبيّنت لديه الجهات الحكميّة والموضوعيّة ، **وأن يأخذ الوجوه والحقوق الشّرعيّة** ويصرف كلًّا منها فيما يناسبه من المصارف حسب الموازين المقرّرة في الشّريعة المقدّسة ، **وأن يقبض حقّ الإمام عليه الصّلاة والسّلام** ، **وأوكلت إلى نظره الشّريف إيصال النّصف إلى ما يناسبه من المصارف** ويراجعني في النّصف الآخر منه ، وأوصيه ونفسي بالأخذ بالحيطة ، وأن يذكرني في خلواته بصالح دعواته ، إنّه سبحانه وتعالى سميع مجيب .

التّاريخ واسم المرجع وختمه .

تعليق :

هذه إجازة رواية لا إجازة اجتهاد ، وهي أيضًا وكالة في الأمور الحسبيّة ، وأيضًا وكالة في قبض الحقوق الشّرعيّة ، وله حقّ التّصرّف في نصف سهم الإمام عليه السّلام في مصارفه المناسبة ، لا أن يأخذ جميع المال له ، فالعالم المتّقي الورع لا يتملّك نصف سهم الإمام لنفسه بحيث يكون له رصيد في البنك ، وإذا كان محتاجًا يأخذ بمقدار الكفاف لا أن يشتري بيتًا بمليون دينار أو سيّارة بثلاثين ألف دينار ، فيسكن في بيت أو شقّة بإيجار معقول ، ويشتري سيّارة بسيطة بسعر

معقـول ، ومصـارفه اليوميّة بمقـدار الحاجة ، وباقـي المبلغ يصرفه على المحتاجين من الفقراء والأيتام ، ومساعدة طلبة الحوزة ، وقد يساهم في بعض المشاريع كبناء مسجد في منطقة لا يوجد فيها مساجد ، وغير ذلـك مـن حاجـات المؤمنين ، فيستلم الحقـوق ويجعلهـا في المصـارف المناسبة .

النّموذج الرّابع :

بسم الله الرّحمن الرّحيم إنّ قرّة العين العلّامة السّيّد . . . قد حضر دروس المجتهدين الأعلام في النّجف حضور تفهّم وتدبّر وتعمّق حتّى **وصل إلى درجة الاجتهاد في الفقه وأصوله وعلوم القرآن** ، وباشر التّدريس في بعض مدارس النّجف بجدارةٍ ، وله بحوث تشهد بذلك ، وبناءً عليه فقد **أجزناه أن يدرّس علوم القرآن والفقه وأصوله** في المعاهد العلميّة .

التّاريخ واسم المرجع وختمه .

تعليق :

هـذه شـهادة اجتهـاد في الفقـه وأصوله وعلـوم القـرآن حيث كـان يبحث في علوم القرآن ، وأجازه بتدريس علوم القرآن والفقه وأصوله .

إلى هـذا المقـدار انتهينـا مـن بحـث (التّقليـد والأعلميّـة والمرجعيّـة الرشيدة) ، وفي المحاضرات القادمة سأطرح بعض الدّروس الأخلاقيّة ، وفي اليوتيوب توجد ٢٤ محاضرة تحت عنوان (الأخلاق) ، ومصدرنا هو كتاب الأخلاق للسّيّد عبدالله شبّر رضوان الله عليه ، ونتوسّع في

بعض البحوث ، ونستمرّ في محاضرات الأخلاق إلى أن ننتهي من تحضير مشروع عالميّة الإسلام ؛ لكي نثبت أنّ الإسلام دين عالميّ ، وتكون ضمن مجموعة كبيرة من المحاضرات ، وتوجد نقاط كثيرة يمكن البحث فيها .

هل الإسلام يصلح أن يكون دينًا عالميًّا ؟

لا بدّ من أن نذكر شروط الدّين العالميّ ، ونرى أنّ الإسلام تنطبق عليه هذه الشّروط أو تنطبق على دين آخر كالبوذيّة مثلًا .

هل الإسلام انتشر بالسّيف أو بالسّلام ؟

هل قتل المرتدّ موجود في الإسلام أو لا ؟

ويتفرّع منها حرّيّة الفكر والاعتقاد ، فهل توجد في الإسلام حرّيّة الفكر والاعتقاد أو لا ؟

هل الدّين القديم صالح لأن يعالج المشاكل الحديثة أو لا ؟

ويتفرّع منه موضوع الثّابت والمتغيّر في الإسلام .

هل يمكن للإسلام أن يعالج المشاكل العالميّة المعاصرة أو لا ؟

هل يمكن للإسلام أن يعالج مشكلة الفقر أو لا ؟

هل الإسلام دين التّسامح أو دين العنف والإرهاب ؟

هل الرّجم موجود في الإسلام أو لا ؟

هل الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة داخلة في الأحكام الشّرعيّة بحيث إنّ الإسلام يواكب التّطوّر الموجود حاليًّا أو لا ؟

هذه مجموعة من العناوين الّتي نحتاج إلى بحثها في زماننا .

وبحوثنا بحوث نظريّة لا بحوث فتوائيّة ، فلن نطرح فتاوى ، وسنذكر بعض الأمثلة من العبادات والمعاملات بناءً على دخالتها في الأحكام وعلى عدم دخالتهما ، من باب المثال لا من باب الاستنباط .

وتتكوّن عندنا مجموعة كبيرة من العناوين ، ونأتي إلى آيات وروايات القتل والقتال وقتل أهل الكتاب والكفّار والمشركين .

يقول القرآن الكريم :

"فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [1] .

تقولون إنّ الإسلام دين التّسامح والسّلام والآية تقول : **"فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ"** ، أي تقتلون جميع المشركين بما فيهم أهل الكتاب ، وتتمّة الآية تقول : **"فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"** ، أي إذا صاروا مسلمين فتتركونهم ولا تقتلونهم .

فيأتي إشكال على الإسلام بأنّ دينكم دين القتل والسّيف .

فكيف نردّ على هذا الإشكال ؟

لو فسّرنا هذه الآية الكريمة بالتّفسير الموجود حاليًّا فمن يدخل الإسلام ؟!

إنّ دينكم دين العنف والإرهاب والقتل ، وهذا يحتاج إلى جواب ،

---

(١) التّوبة : ٥ .

فلا بدّ من أن نأتي إلى جميع الآيات الّتي تتحدّث عن القتل والقتال ونجمعها ؛ لكي نستخرج القواعد القرآنيّة للقتال .

هل القتال يكون مع جميع الكفّار والمشركين أو مع من يقاتل المسلمين فقط ؟

ويكون البحث بحثًا موضوعيًّا في هذه الآيات القرآنيّة .

ونستقرئ الآيات الّتي تبيّن عالميّة الإسلام ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله بعثه الله رحمةً للعالمين ، ولم يُبْعَثْ حربًا على العالمين ، وإذا كان النّبيّ نبيّ الرّحمة فكيف تكون هناك قصص في كتب التّاريخ من أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله فعل كذا وكذا وقتل أناسًا وَسَمَلَ أعينهم ؟!

سنراجع جميع القصص لنرى أنّها تتعارض مع القرآن أو لا تتعارض حتّى لو كانت في الكتب المعتبرة عند المذاهب ؟

والقصص الّتي تتعارض مع القرآن تُرْفَضُ لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله نبيّ الرّحمة .

وفي قصّة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال للمشركين من قريش : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ولم يقتلهم ، وهذا يتناسب مع نبيّ الرّحمة .

وليس كلّ ما يُذْكَرُ في التّاريخ يكون مقبولًا ، وإنّما يُعْرَضُ على القرآن الكريم .

وسنبيّن المنهج المتّبع في البحوث ، فأوّلًا القرآن الكريم ، وثانيًا الروايات المنقولة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ،

ونعرض الرّوايات على القرآن ، فما وافق القرآن نأخذ به ، وما خالف القرآن نرفضه .

وهذا هو المنهج المعروف عند علمائنا ، وهو عرض الرّوايات على القرآن ، وهو منهج معروف في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

والعلماء السّابقون قاموا بجهود جبّارة في البحوث الدّينيّة بشكل عامّ ، في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ وغيرها ، ونحاول أن نستفيد من أقوال العلماء ونبني عليها ، مثلما هو ديدن العلماء من أنّهم يبنون على ما بناه العلماء السّابقون ، ونستفيد من كلماتهم وآرائهم ونبني عليها ، والعلماء يردّون على آراء بعضهم البعض ، فيشكل أحدهم على رأي عالم سبقه ، ويأتي عالم آخر ويردّ هذا الإشكال ، وهكذا تطوّرت العلوم الدّينية ، والتّطوّر لا يقف عند حدّ معيّن ، وباب الاجتهاد مفتوح في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، والعلماء يمارسون اجتهاداتهم ويبيّنون آراءهم المختلفة في جميع المعارف الدّينيّة .

وإذا كان عندكم بعض العناوين والإشكالات فأرجو تزويدي بها لنطرح مواضيع ضمن هذه العناوين ونردّ على الإشكالات ، ونريد أن نثبت عالميّة الإسلام وأنّ الإسلام دين عالميّ وصالح لحلّ مشاكل البشر في كلّ زمان ومكان ، والبحث واسع جدًّا ويحتاج إلى صبر ، وفي محاضرة واحدة أو عدّة محاضرات نأخذ عنوانًا واحدًا ونأتي بالآيات والرّوايات الّتي تدور حول هذا الموضوع ، ونستفيد أيضًا من

أقوال العلماء رحم الله الماضين وحفظ الله الباقين .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

التّقليد والأعلميّة والمرجعيّة الرّشيدة

الجزء الثّاني

المحتويات

(١٦) المجدّد السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر ٥

(١٧) تقليص دائرة الأعلميّة ٣٥

(١٨) الشّياع المفيد للعلم أو الاطمئنان ٥٢

(١٩) الرّجوع إلى الأعلم في المسائل الدّينيّة ٧٤

(٢٠) مقدّمة لأدلّة تقليد الأعلم ٩٣

(٢١) الدّليل الفطريّ على تقليد الأعلم ١٣٠

(٢٢) تابع الدّليل الفطريّ على تقليد الأعلم ١٦٠

(٢٣) الدّليل العقليّ على تقليد الأعلم ١٨٠

(٢٤) القرآن الكريم أساس استنباط الأحكام الدّينيّة ٢٠٦

(٢٥) تابع الدّليل العقليّ على تقليد الأعلم ٢٤٣

(٢٦) الفقهاء رواة الحديث ٢٦٦

(٢٧) الفقيه الأعلم بالكتاب والسّنّة ٢٩٨

(٢٨) الجانب التّطبيقيّ عند الفقيه الأعلم ٣٢١

(٢٩) دليل السّيرة العقلائيّة على تقليد الأعلم ٣٥٠

(٣٠) تابع دليل السّيرة العقلائيّة على تقليد الأعلم ٣٨٣

(٣١) تابع أدلّة تقليد الأعلم ٤١٦
فتوى الأعلم تقتضي الأقربيّة إلى الواقع ٤١٦
أوثقيّة قول الأعلم وثبوته في النّفس ٤١٨
الرّوايات الدّالّة على الرّجوع إلى الأعلم ٤١٩
(٣٢) تابع أدلّة تقليد الأعلم ٤٣٥
الإجماع على تقليد الأعلم ٤٤٠
الجمع بين وجوب تقليد الأعلم وجواز تقليد غير الأعلم ٤٤٣
(٣٣) العدول من المرجع - وصيّته - إجازاته ووكالاته ٤٦٨